



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



الرمضان
عليكم يا صابرين

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِكَ يَا
مُؤْتَمِنُ فَاسْتَبِغْ بِكَ
وَمَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ

كَاتِبٌ
أَنْتَهُمَا أَمَلْتُ أَنْتَهُ
الْبَيْتُ بِحَيْثُ الْبَيْتُ

« ٦ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رسائل و مقالات: تبحت فى مواضع فقهيه، اصوليه، كلاميه، تراجم، و مكاتبات و حورات مع بعض الاعلام

كاتب:

آيت الله العظمى جعفر سبحانى

نشرت فى الطباعة:

موسسه الامام الصادق (عليه السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٨	رسائل و مقالات: تبحث فى مواضع فقهيته، اصوليه، كلاميه، تراجم، و مكاتبات و حورات مع بعض الاعلام المجلد ٢
١٨	اشاره
١٨	اشاره
٢٢	المقدمه
٢٤	المقالات
٢٤	اشاره
٢٤	١
٢٤	اشاره
٢٨	الأول:دراسه ما روى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم دون تحييز
٢٩	الثانى:الاجتهاد و مواكبه التشريع للزمان
٣٠	الثالث:جوامع التشريع فى السنه
٣١	التاريخ المرير أو إقفال باب الاجتهاد
٤٠	٢
٤٠	اشاره
٤١	القرآن هو المنطلق الأول لتنميه الفكر الإنسانى
٤٣	المعطله بثوبها الجديد
٤٤	إنكار التحسين و التقييح العقليين و مضاعفاته
٤٧	مفاهيم لا بد أن تبحث من جديد
٤٧	اشاره
٤٨	١.جواز التكليف بما لا يطاق
٤٨	٢.جواز إيلام الأطفال فى الآخره
٤٨	٣.القرآن ليس بمخلوق
٥٠	٤.رؤيته سبحانه يوم القيامه بالأبصار الماديه

٥٠	اشاره
٥١	توضيح ذلك: ..
٥٣	مشكله الصفات الخبرية ..
٥٨	٣
٥٨	اشاره
٥٨	تقديم ..
٥٨	اشاره
٦١	دور الزمان و المكان في الاستنباط ..
٦٢	الفصل الأول استعراض الروايات الواردة ..
٦٢	اشاره
٧٠	حصيله الروايات ..
٧٢	الفصل الثاني نقل مقتطفات من كلمات الفقهاء ..
٧٢	اشاره
٧٢	١.الصدوق(٣٠٦- ٣٨١هـ) ..
٧٣	٢.العلامة الحلّي (٦٤٨-٥٧٢٦هـ) ..
٧٣	٣.الشيخ الشهيد محمد بن مكي العاملي(المتوفّي عام ٥٧٨٦هـ) ..
٧٤	٤.المحقّق الأردبيلي (المتوفّي ٥٩٩٣هـ) ..
٧٤	٥.صاحب الجواهر(المتوفّي ١٢٦٦هـ) ..
٧٤	٦.الشيخ الأنصاري(١٢١٤-١٢٨١هـ) ..
٧٥	٧.الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء(١٢٩٤- ١٣٧٣هـ) ..
٧٦	٨.السيد الإمام الخميني(١٣٢٠-١٤٠٩هـ) ..
٧٦	اشاره
٧٩	أمور ..
٧٩	الأول:حصر التشريع في الله سبحانه ..
٧٩	الثاني:خلود الشريعة ..
٨١	الثالث:إنّ المراد من تأثير الزمان و المكان على الاستنباط،هو أن يكون تغير الوضع موجباً لتبدل الحكم ..

٨٣	الرابع: إذا قلنا بتأثير الزمان و المكان على الاستنباط، فالحكم المستنبط عندئذٍ حكم واقعي
٨٤	الفصل الثالث تطبيقات عمليه
٨٤	اشاره
٨٤	الأول: تأثيرهما في تطبيق الموضوعات على مواردها
٨٦	الثاني: تأثيرهما في تغير الحكم بتغير مناطه
٨٨	الثالث: تأثيرهما في كشف مصاديق جديده للموضوع
٩٣	الرابع: تأثيرهما في تغير أساليب تنفيذ الحكم
٩٦	الخامس: تأثيرهما في بلوره موضوعات جديده
٩٧	السادس: تأثيرهما في تفسير القرآن الكريم
١٠٠	السابع: تأثيرهما في تفسير السنّه
١٠٠	التفسير الخاطئ لتأثير الزمان و المكان
١٠٥	الفصل الرابع: دور الزمان و المكان
١١٠	الفصل الخامس: دراسه في تأثير الزمان و المكان
١١٠	اشاره
١١٣	أ. تغيير الأحكام الاجتهاديه لفساد الزمان
١٢٢	ب. تغيير الأحكام الاجتهاديه لتطور الوسائل و الأوضاع
١٣١	٤
١٣١	اشاره
١٣١	نظره عامه إلى آيات الجهاد
١٤٠	الجهاد ضروره حيويّه
١٤٤	الجهاد الدفاعي
١٤٦	خصائص الجهاد الدفاعي
١٤٦	اشاره
١٤٧	أ. الجهاد في سبيل الله (الهدف)
١٤٨	ب. القتال ضد المعتدى
١٤٩	ج. حدّ الجهاد

١٥١	الجهاد التحريرى (الابتدائى) -----
١٥١	اشاره -----
١٥١	١. تحرير البشريه من الشرك -----
١٥١	اشاره -----
١٥٥	فرض العقيدته ممنوع -----
١٥٧	٢. كسر الأطواق المفروضه على الشعوب -----
١٥٧	٣. تخليص المستضعفين من برائن الظالمين -----
١٦٠	رعايه الأخلاق فى الحرب -----
١٦٠	اشاره -----
١٦١	١. الأمنون فى الحرب -----
١٦٢	٢. السيطرة على النفس -----
١٦٤	٣. منع ممارسه الأساليب الوحشيه -----
١٦٥	٤. إعطاء الأمان للكفار -----
١٦٩	٥ -----
١٦٩	اشاره -----
١٧٣	أ: من ولادته إلى بعثته -----
١٧٣	اشاره -----
١٧٣	الأول: الإيواء بعد اليتيم -----
١٧٤	الثانى: الهدايه بعد الضلاله -----
١٧٨	الثالث: الإغناء بعد العيولوله -----
١٧٨	الرابع: أميه النبى صلى الله عليه و آله و سلم -----
١٧٨	اشاره -----
١٧٩	الأُمى منسوب إلى أم القرى -----
١٨١	الرأى الآخر فى تفسير الأُمى -----
١٨٣	من وراء الكواليس -----
١٨٧	٦ -----

- ١٨٧ اشاره
- ١٩١ الأُمّة الإسلاميّه و الخطر الثلاثي
- ١٩٢ النزعه القبليه و مشكله القياده
- ١٩٣ فضائل الإمام و مناقبه في كتب الحديث
- ١٩٥ سيره مؤلف الكتاب
- ٢٠٠ تسليط الأضواء على جوانب من حياه المؤلف
- ٢٠٠ اشاره
- ٢٠٠ أ:الاختلاف في اسمه
- ٢٠٠ ب:الاختلاف في اسم جدّه
- ٢٠١ ج:عام وفاته
- ٢٠١ د:ما هو لقبه؟ خطيب خوارزم أو أخطب خوارزم؟
- ٢٠١ ه:مشايقه في الروايه
- ٢٠٦ و:تلامذته و الرواه عنه
- ٢٠٨ ز:تأليفه
- ٢١٢ ٧
- ٢١٢ اشاره
- ٢١٢ دليل حجّيه الإجماع عند أهل السنّه
- ٢١٢ يلاحظ عليه بوجهين:
- ٢١٤ أسانيد الحديث
- ٢١٤ اشاره
- ٢١٤ ١.سنن ابن ماجه
- ٢١٥ ٢.سنن الترمذى
- ٢١٦ ٣.سنن أبى داود
- ٢١٧ ٤.مسند أحمد بن حنبل
- ٢١٨ ٥.مستدرک الحاكم
- ٢٢٠ يلاحظ على ما ذكره:

- ٢٢١ الحديث في كتب الشيعة
- ٢٢١ اشاره
- ٢٢١ ١. خصال الصدوق
- ٢٢٣ ٢. تحف العقول لابن شعبه الحراني
- ٢٢٦ حصيله البحث:
- ٢٢٨ ٨
- ٢٢٨ اشاره
- ٢٢٩ ادعى أن أبا بصير كنيه مشتركه بين رجال خمسہ:
- ٢٢٩ اشاره
- ٢٣٠ ١. أبو بصير يوسف بن الحارث
- ٢٣٢ ٢. أبو بصير عبد الله بن محمد الأسدي
- ٢٣٤ ٣. أبو بصير حماد بن عبيد الله بن أسيد الهروي
- ٢٣٥ ٤. أبو بصير: يحيى بن أبي القاسم الأسدي
- ٢٣٥ اشاره
- ٢٣٧ الأول: هل اسم والده: القاسم أو أبو القاسم؟
- ٢٣٨ الثاني: هل يحيى بن أبي القاسم هو يحيى الحذاء أو غيره؟
- ٢٤١ ٥. أبو بصير ليث بن البختری
- ٢٤٢ مميزات المحدثين: الأسدي و المرادي
- ٢٤٢ فيما يميز به الأسدي عن المرادي
- ٢٤٢ اشاره
- ٢٤٣ ١. علي بن حمزه البطائني
- ٢٤٣ ٢. شعيب العرقوفي
- ٢٤٣ ٣. الحسين بن أبي الغلاء
- ٢٤٤ ٤. الحسن بن علي بن أبي حمزه
- ٢٤٤ ٥. المعلى بن عثمان
- ٢٤٤ فيما يميز به المرادي عن الأسدي

٢٤٤ اشاره

٢٤٥ الأول:عبد الله بن مسكان

٢٤٨ الثاني:المفضل بن صالح(أبو جميله)

٢٥٠ الثالث:عاصم بن حميد

٢٥١ الرابع:حميد بن المشنى العجلي المعروف بأبي المعز

٢٥١ الخامس:أبان بن عثمان

٢٥٢ السادس:زفاعة بن موسى الأسدى النخاس

٢٥٢ السابع:أبو أيوب الخزاز و عبد الله بن بكير

٢٥٥ ٩

٢٥٥ اشاره

٢٥٦ ١.ابتكار دائره معارف شيعته

٢٥٨ ٢.ابتكاره للتفسير الموضوعى

٢٦٠ ٣.ابتكار العمل الجماعى فى التأليف

٢٦١ ٤.إبداع التأليف باللغه الفارسيه

٢٦٢ ٥.الاهتمام بشرح الأحاديث

٢٦٣ ٦.إحياء التراث الحديثى

٢٦٥ كلمه ختاميه

٢٦٧ ١٠

٢٦٧ اشاره

٢٦٨ زياره القبور فى الشريعه الإسلاميه

٢٦٨ اشاره

٢٦٩ ١.حديث عائشه

٢٧١ ٢.حديث بريد

٢٧١ ٣.حديث أبى هريره

٢٧٢ ٤.حديث ابن مسعود

٢٧٣ ٥.حديث أنس بن مالك

- ٢٧٤ ٦. زيارة عائشه قبر أخيها
- ٢٧٥ ٧. زيارة السيدة فاطمه عليها السلام قبر حمزه
- ٢٧٥ دليل من لم يجوّز زيارة القبور للنساء
- ٢٧٩ ١١
- ٢٨٣ ١٢
- ٢٨٣ اشاره
- ٢٨٥ تزامن الجمود و الازدهار في عصر واحد
- ٢٨٧ المصنف في سطور
- ٢٨٩ ترجمه الشارح و سيرته الذاتية
- ٢٩١ كلمات العلماء في حقّه
- ٢٩٢ مشايخ روايته
- ٢٩٢ آثاره العلميه
- ٢٩٨ ملامح من سيرته
- ٣٠٣ أسرته
- ٣٠٦ ١٣
- ٣٠٦ اشاره
- ٣٠٧ المسار التاريخي للتعدّديه
- ٣١٢ الدين و الشريعة
- ٣١٢ التوحيد: الدين القيم
- ٣١٣ الدّين دين الإسلام فقط
- ٣١٤ الدين الحقّ هو دين التوحيد
- ٣١٤ ما هي الشريعة؟
- ٣١٥ أهداف إناره موضوع التعدّديه
- ٣١٥ اشاره
- ٣١٥ ١. هدف علم الاجتماع
- ٣١٦ ٢. توجيه ما جاء في الكتاب المقدس

٣١٨	٣.مبَررات التعدّيه الدينيه
٣١٩	التعاليم الدينيه و أقوال الأنبياء
٣٢٠	القراءه الأولى للتعدّيه الدينيه
٣٢٤	القراءه الثانيه للتعدّيه الدينيه
٣٢٧	سؤال و جواب
٣٣٣	القراءه الثالثه للتعدّيه
٣٣٤	كانت و كوبرنيك
٣٣٧	نقد و تحليل للقراءه الثالثه
٣٤٢	دراسه تمثيلين
٣٤٧	المباني الفلسفيه للبيوراليزم
٣٥٤	١٤
٣٤٢	الرسائل
٣٤٢	اشاره
٣٤٤	١
٣٤٤	اشاره
٣٤٤	١.معتقد التقيه
٣٧١	٢.معتقد عصمه الأئمه عليهم السلام
٣٧٤	٣.معتقد الإمامه
٣٧٨	٤.معتقد الرجعه
٣٨١	٢
٣٩٠	٣
٣٩٠	اشاره
٣٩٠	السؤال التاسع:لما ذا سميت حجّته بحجّه الوداع؟
٣٩١	السؤال الحادى عشر:هل زياره المسجد النبوى الشريف من مكملات الحجّ؟
٣٩١	اشاره
٣٩٣	١.قال أبو الحسن الماوردى(المتوفى ٥٤٥٠هـ):

٢. يقول الإمام النووي (٦٣١-٥٦٧٦هـ): ٣٩٤

٣. قال ابن الحاج محمد بن محمد العبدوي القيرواني المالكي (المتوفى ٥٧٣٧هـ): ٣٩٤

٤. قال شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا الأنصاري الشافعي (المتوفى ٩٢٥هـ): ٣٩٤

٥. قال الشيخ زين الدين عبد الرؤوف المناوي (المتوفى ١٠٣١هـ): ٣٩٥

٦. قال الشيخ علاء الدين الحصكفي الحنفي (المتوفى ١٠٨٨هـ): ٣٩٥

٧. قال الشيخ إبراهيم الباجوري الشافعي (المتوفى ١٢٧٧هـ): ٣٩٥

٨. قال الشيخ عبد الباسط بن الشيخ علي الفاخوري مفتي بيروت: ٣٩٥

٩. قال الشيخ عبد المعطي السقاقي: ٣٩٦

١٠. قال السيد محمد بن عبد الله الجرداني الدمياطي الشافعي (المتوفى ١٣٠٧هـ): ٣٩٦

..... ٤ ٣٩٩

..... ٥ ٤٠٣

..... اشارة ٤٠٣

..... السؤال الأول ٤٠٤

..... اشارة ٤٠٤

..... الجواب: ٤٠٤

..... السؤال الثاني ٤٠٥

..... اشارة ٤٠٥

..... الجواب: ٤٠٥

..... السؤال الثالث ٤٠٦

..... اشارة ٤٠٦

..... الجواب: ٤٠٦

..... ٦ ٤٠٨

..... اشارة ٤٠٨

..... ١. على ضوء وصايا لقمان لابنه و هو يعظه كم هي قيمه التربه المباشره فى الإرشاد و التسديد و النصيحه؟ ٤٠٨

..... ٢. نريد شباباً قرآنياً...جيلاً قرآنياً كيف يتستى لنا ذلك؟ ٤٠٩

..... ٣. هل للإسلام إرشادات توجيهيه فى ضبط حركة المراهقه و صونها من الوقوع فى المزالق؟ ٤٠٩

٤. المعلم أو المربي ما هي خصاله و ما هي مسؤولياته؟ ٤١٠
٥. ما هي أصناف الإخوان مع بيان منهج التعاون مع كل صنف؟ ٤١٠
٦. كلمه أخيره توجّهونها للشباب؟ ٤١١
٧. ٤١٢
٨. ٤١٥
٩. ٤١٨
١٠. ٤٢٠
- اشاره ٤٢٠
- اقتراح عقد مؤتمرين ٤٢٣
١١. ٤٢٥
١٢. ٤٢٧
١٣. ٤٢٩
١٤. ٤٣٣
١٥. ٤٣٦
١٦. ٤٣٨
- اشاره ٤٣٨
- لأول وهله تبدو للعيان النقاط التاليه: ٤٣٨
١. بدءاه لسانه و قلمه ٤٣٨
٢. عدم مراعاة الأمانه العلميه ٤٣٩
- التحريف فى نقل الحديث ٤٤٠
- التحريف فى نقل كلام الشيخ المفيد ٤٤١
- التحريف فى نقل كلام السيد الخوئى ٤٤٤
- اضحوكه ٤٤٦
- حدس خاطئ ٤٤٦
- الدكتور ناصر القفارى ٤٤٨
١٧. ٤٥٢

٤٥٢	اشاره
٤٥٨	السيد الحميرى
٤٦٤	تفانيه فى حب أهل البيت عليهم السلام و نشر مناقبيهم
٤٧٢	ارتجاله فى إنشاء الشعر
٤٧٣	مذهبه
٤٧٩	وفاته
٤٨٥	قصيدته العينيه
٤٩٣	المرء بأفكاره و آرائه
٤٩٦	ملاحح الكتاب و مميزاتة
٤٩٦	اشاره
٤٩٦	١. بيان معانى المفردات
٤٩٧	٢. استعراض التفاسير المطروحه و تقييمها
٤٩٧	٣. الأمانه فى النقل
٤٩٧	٤. محاوله ربط القصيده بالواقع الموضوعى
٤٩٨	٥. دعم موقفه بأيات الذكر الحكيم
٤٩٨	نسخ الكتاب
٥٠٠	١٨
٥٠٠	اشاره
٥٠١	ابتكاراته و خدماته العلميه
٥٠١	اشاره
٥٠٢	الف. ابتكاراته الرجاليه
٥٠٥	ب. منهجه الفقيهى
٥٠٧	ج. نشاطاته الاجتماعيه
٥٠٧	اشاره
٥٠٨	أ. دعوته إلى التقريب
٥٠٨	حضره صاحب السماحه آيه الله الحاج آقا حسين البروجردى

٥١٠ حضره صاحب الفضيله الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم

٥١٢ ب.مواقفه السياسيه

٥١٤ ج.مشاريعه الخيرييه

٥١٥ د.نشر الإسلام

٥١٥ ه.احياؤه للتراث الشيعي

٥١٦ و.خلقه

٥١٦ ز.حبه للعلم و العلماء

٥١٨ تعريف مركز

اشاره

سرشناسه : سبجانی تبریزی، جعفر، ۱۳۰۸ -

عنوان و نام پدیدآور : رسائل و مقالات: تبحر فی مواضیع فقهیه، اصولیه، کلامیه، تراجم، و مکاتبات و حورات مع بعض الاعلام / تالیف جعفر السبجانی.

مشخصات نشر : قم: موسسه الامام الصادق (ع)، ۱۴۱۴ق. = ۱۳ -

مشخصات ظاهری : ۱۰ ج.

یادداشت : عربی.

یادداشت : فهرست نویسی بر اساس جلد ششم: ۱۴۲۸ق. = ۱۳۸۶.

یادداشت : کتابنامه.

موضوع : اسلام -- بررسی و شناخت

شناسه افزوده : موسسه امام صادق (ع)

رده بندی کنگره : BP۱۱ / س ۵۲ ر ۵۱۳۰۰

رده بندی دیویی : ۲۹۷

شماره کتابشناسی ملی : ۱۰۵۳۰۷۶

ص : ۱

اشاره

المقدمه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته الحامدون، ولا يحصى نعماءه العادون، ولا يقدر على إدراكه المجتهدون، الباقي بعد فناء كلّ شيء، نشكره على توالي نعمه و سوابغ أفضاله.

و نصلّي و نسلّم على أشرف النفوس الزكية، و أفضل الذوات القدسيّه، سيد البريه محمد المصطفى، و عترته المرضيّه، صلاه دائمه ما دامت السماوات ذات أبراج، و الأرض ذات فجاج.

أمّا بعد: فهذا هو الجزء الثاني من كتابنا «رسائل و مقالات» جادت به القريحه في مناسبات مختلفه، تناول موضوعات: فلسفيّه، كلاميه، فقهيّه، حديثيه، و رجاليّه، إلى غير ذلك.

و العنوان الجامع لأكثر هذه الرسائل و المقالات هو الذبّ عن حياض الإسلام، و الإفصاح عن عقائد الشيعه التي طالما حيكت حولها نسيج من الخيال و الأوهام، و الدعوه إلى التقريب بين المسلمين، و عقد مؤتمرات حول التوحيد و الشرك، و الإيمان و الكفر، و تقييم بعض الكتب المنشوره.

و قد سلكنا في هذا الكتاب النهج الموضوعي الذي يعتمد على الحوار بلغه

هاده، و على هذا الأساس بعثنا برسائل إلى بعض قادة السلطه و الفكر، تتضمن الدعوه إلى عقد مؤتمرات لحلّ المشاكل العالقه بالمجتمع الإسلامى؛ فإنّ فيه تقریب الخطى، و تلبیه لما جاء به الكتاب و السنّه النبویه من الاعتصام بحبل الله المستحکم، و مسایره لروح العصر الذى هو عصر المنطق و الحوار و المذاکره، و الانفتاح على أفكار الآخرین.

جعفر السبحانى

قم- مؤسسه الإمام الصادق صلی الله علیه و آله و سلم

۲۹ رجب المرجب من شهر عام ۱۴۲۱ هـ

ص: ۶

المقالات

اشاره

ص:٧

الاجتهاد و تحديات العصر

تزامن القرن العشرون بقيام نهضه علميّه و صناعيه كبيره فى الغرب، أعقبها ظهور العديد من المستجدات التى كانت تطلب لنفسها حلولاً و لم يكن فى الفقه الإسلامى أى حل لها لحداتها، فصار ذلك سبباً لسريان وهم فى أذهان كثير ممن أبهرتهم الحضاره الغربيه، و هو عدم قدره التشريع الإسلامى على مواكبه عصره و تخلفه عن ركب الحضاره، و قد كرس هذه الشبهه المستشرقون فى البلاد الإسلاميه بذريعه أنّ النصوص الشرعيه فى الأحكام من القله بمكان لا- تفى بوضع حلول للمستجدات الطارئه على المجتمع.

و كان فى الشرق آذان صاغيه لسماع هذه الشبهه، فتجاوبوا مع هؤلاء المستشرقين متشبثين بأنّ الحضاره الغربيه أفرزت حقوقاً و عقوداً فى مجالات مختلفه و موضوعات جديده، لم يكن لها أى حلول فى الفقه الإسلامى، كلّ ذلك صار سبباً لتوهم وجود النقص فى التشريع الإسلامى و عجزه عن إداره المجتمع بقوانينه و طقوسه، فلا محيص للمسلمين من التطفّل على موائد الغربيين فى هذه المجالات مثلاً:

١. التأمين بكافه أقسامه أمر جديد لا يوجد له أى حكم منصوص فى التشريع الإسلامى.

٢. حقّ التأليف، وحقّ ثبت الاختراع، وحقّ الطبع، وحقّ الانتشار، هذه الحقوق لم يكن لها حكم فى التشريع الإسلامى.

٣. التلقيح الصناعى و زرع الأعضاء و بيعها و الاستنساخ البشرى و التشريح و تغيير الجنسيه و غيرها من الموضوعات الجديده فى عالم الطب.

٤. الشركات التجاريه كشرکه التضامن و شرکه التوصيه و شرکه المحاصه و شرکه المساهمه و غيرها من الشركات.

٥. البنوك التى لا محيص عنها فى المجتمع المدنى اليوم.

إلى غير ذلك من الموضوعات التى واجهت علماء الإسلام منذ مطلع القرن العشرين و كانت سبباً لإثاره شبهه النقص فى التشريع الإسلامى.

و هذه الشبهه بالتقرير الذى عرفت تخالف مبادئ الإسلام من زاويتين:

الأولى: مخالفتها لكمال الدين الذى جاء صريحاً فى قوله سبحانه: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً» ١. فكيف أكمل دينه مع أنّ التشريع لا يفى بإداره مجتمع متحضّر و متطوّر.

الثانيه: مخالفتها لخاتميّه الشريعه الإسلاميه، فالنبي صلى الله عليه و آله و سلم خاتم الأنبياء، و كتابه خاتمه الكتب، و شريعته خاتمه الشرائع، فكيف يمكن أن تكون شريعته خاتمه و المسلمون بعد متطّفّلون على موائد الغريبين لا سيما فى حقل الحقوق و العقود و الأحكام؟

هذه هى الشبهه التى احتلّت مساحه شاسعه من اهتمام العلماء و المثقفين، و الإجابة عليها رهن بيان أمور:

إنّ الحديث النبوى عدل القرآن فى الحجّيه فيجب التعبد به و تطبيق العمل عليه من دون تحيز لأحاديث طائفه دون أخرى،فانّ فى اقتصار كلّ طائفه بما لديهم مع غض النظر عن الطائفه الأخرى من الأحاديث المرويه عن الصادع بالحق،يورث رسوخ هذه الشبهه،إذ لا شكّ أنّ إخواننا أهل السنه كرسوا جهودهم فى جمع الأحاديث النبويه فى صحاحهم و سننهم فيما يرجع إلى التشريع،كما أنّ شيعه أهل البيت بذلوا قصارى جهودهم فى جمع ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق أئمّه أهل البيت،فجمعوا كميه هائله ممّا أثر عنه صلى الله عليه وآله وسلم فى تلك المجالات،فلو كان هناك مساهمه فقيهه جامعه و وقف كلّ طائفه على ما عند الطائفه الأخرى من الأحاديث المتضمنه للتشريع لتضاءلت الشبهه بشكل واضح.

مثلاً قد جمع ابن حجر العسقلانى (المتوفى ٥٨٥٢هـ) ما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم فى مجال التشريع فى كتاب أسماه «بلوغ المرام فى شريعته خير الأنام» فبلغ ما بلغ، كما أنّ محدّثى الشيعه جمعوا ما روى عن النبي عن طريق أئمّه أهل البيت فى جوامع مختلفه كـ «الوافى» للفيض الكاشانى (المتوفى ١٠٩١هـ) و «وسائل الشيعه» للحرّ العاملى (المتوفى ١١٠٤هـ)،فلو تضافرت الجهود فى جمع كلّ ما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم لظهر أنّ للشريعه الإسلاميه ماده حيويه قادره على الإجابة على كافه المستجدات بأوضح الوجوه و أحسن الطرق.

و قد صرح أئمّه أهل البيت كأبى جعفر الباقر عليه السلام بذلك و قال: «إنّ الله تبارك و تعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمّه إلاّ أنزله فى كتابه و بيّنه لرسوله و جعل شىء حدّاً، و جعل عليه دليلاً يدلّ عليه، و جعل على من تعدّى ذلك الحدّ

و عنه أيضاً أنه قال: «ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنّه». (٢).

و عن سماعه، عن الإمام أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قلت له: أكل شيء في كتاب الله و سنّه نبيّه، أو تقولون فيه؟ قال: «بل كل شيء في كتاب الله و سنّه نبيّه». (٣).

إنّ الأئمّه و إن اختلفت في أمر الخلافه، و أنّها هل هي تنصيبه أو انتخابه، لكنّها-من حسن الحظ-لم تختلف في مرجعيه أهل البيت عليهم السلام في العلم و الفقاهه أخذاً بالحديث المتواتر عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله و عترتي، فما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا أبداً».

و لأجل ذلك يجب الأخذ بما روى عن أئمّه أهل البيت عليهم السلام من مجالات كثيره من الأحكام و الحقوق حتى يستطيع المستنبط الإجابة على المستجدات و غيرها.

الثاني: الاجتهاد و مواكبه التشريع للزمان

إنّ الاجتهاد الذي هو عبارته عن استنباط الحكم الشرعي الفرعي عن أدلّته، موهبه إلهيه لهذه الأئمّه و سبب لخلود التشريع الإسلامي و اقتداره للإجابة على كافة المسائل.

فهو يساير سنن الحياه و تطورها، و يجعل النصوص الشرعيه حيّه متحرکه ناميه متطوره، تتمشى مع نوااميس الزمان و المكان، فلا يُحمد الجمود الذي يباعد بين الدين و الدنيا، أو بين العقيدة و الحياه الذي نشاهده في إقفال الاجتهاد.

ص: ١٢

١-١. راجع الكافي: ٥٩/١-٦٢، باب الردّ إلى الكتاب و السنّه، الحديث ٢ و ٤ و [١] ١٠.

٢-٢. راجع الكافي: ٥٩/١-٦٢، باب الردّ إلى الكتاب و السنّه، الحديث ٢ و ٤ و [٢] ١٠.

٣-٣. راجع الكافي: ٥٩/١-٦٢، باب الردّ إلى الكتاب و السنّه، الحديث ٢ و ٤ و [٣] ١٠.

إنَّ تجويز الاجتهاد في ظل الأ-صول العامه الوارده في الشريعة،أغنى صاحبها عن ذكر التفاصيل و الجزئيات،و لو قام بذكرها لأعرض الناس عن هذه الدعوه لتعقدها و لأنها تضمنت أحكاماً عن جزئيات و مخترعات لا تقع تحت حسيهم و يصعب عليهم تصورها لأنها لم تعرف في زمانهم،و كان اللازم عليه حينئذٍ بيان قوانين و قواعد عامه يقتدر معها المستنبط على استنباط الأحكام.

الثالث:جوامع التشريع في السنّه

اشتملت السنّه النبويه على جوامع التشريع فصارت مبدأً فياضاً لكثير من الأحكام،و مادةً حيويهً للإجابة على المستجدات الطارئه، و إليك نزرأً يسيراً من هذه الجوامع.

١.كلّ قرض جرّ منفعه فهو ربا.

٢.على اليد ما أخذت حتى تؤدى.

٣.ليس لعرق ظالم حقّ.

٤.من أحيا أرضاً ميتة فهي له.

٥.لا ضرر و لا ضرار.

٦.إنّ الله وضع عن أمتي الخطأ و النسيان و ما استكروها عليه.

٧.رفع القلم عن ثلاثة:عن النائم حتى يستيقظ،و عن الصغير حتى يكبر،و عن المجنون حتى يعقل.

٨.المؤمنون عند شروطهم إلا شرطاً حرم حلالاً،أو أحلّ حراماً.

٩.اليئنه على المدعى و اليمين على من أنكر.

١٠. الصلح جائز بين المسلمين إلا ما حرّم حلالاً، أو حلّ حراماً.

فإذا أُضيفت إلى هذه الأمور الثلاثة ما ورد في الكتاب العزيز من الأحكام و الحقوق يستطيع المستنبط الإجابة على كلّ ما ألقى إليه من الأسئلة في مختلف الأزمنة.

التاريخ المرير أو إقفال باب الاجتهاد

لا شك أنّ إقفال باب الاجتهاد كان خساره كبيره و سبباً لركود الحركه الفقهيّه و جمود العلماء و إضعاف روح الاستقلال الفكرى، و طغيان فكره التقليد حتى ساد فى أذهان الناس أنّ بلوغ درجه الاجتهاد أصبح متعذراً و مستحيلاً، و أنّ أقدارهم و مواهبهم لا تصل إلى ما وصل إليه أئمه المذاهب الأربعة: أبو حنيفه و مالك و الشافعى و أحمد، و التزم كلّ إنسان مذهباً معيناً، إمّا بدافع امتناعى ذاتى، أو لظروف معيشيه أو مراعاة لأوضاع سياسيه معينه. (١)

و يعزو الاستاذ أحمد أمين إقفال باب الاجتهاد إلى حاله نفسيه سادت الأئمة إبان غزو المغول، و يقول: لم يكن مجرد إغلاق باب الاجتهاد باجتماع بعض العلماء و إصدار قرار منهم، و إنّما كانت حاله نفسيه و اجتماعيه، و ذلك أنّهم رأوا غزو التتار لبغداد و عسفهم بالمسلمين فخافوا على الإسلام و رأوا أنّ أقصى ما يصبون إليه هو أن يصلوا إلى الاحتفاظ بتراث الأئمة ممّا وضعوه و استنبطوه. (٢)

إنّ التبرير المذكور لا يمكن أن يصمد أمام النقد، و ذلك لأنّ الاحتفاظ بتراث الأئمة لا ينافى دراسه هذا التراث من خلال عرض أفكار الأئمة و آرائهم

ص: ١٤

١- ١. و هبه الزحيلي، أصول الفقه الإسلامى: ١٠٣٣/٢.

٢- ٢. أحمد أمين، رساله الإسلام، العدد الثانى من السنه الثالثه.

و هناك من برّر إقفال باب الاجتهاد بأنّ الفقهاء لأجل أن يوصدوا الباب أمام من ليس أهلاً للاجتهاد و النظر و يقطعوا الطريق على الفرق و المذاهب التي كثرت، و يحموا الأُمَّة من الانقسام الديني، فأقفلوا باب الاجتهاد و قسموا المجتهدين إلى طبقات:

طبقه الاجتهاد المطلق، و طبقه مجتهدي المذاهب، و طبقه مجتهدي المسائل، ثمّ يأتي بعدهم المقلدون. (١)

فسواء أصحّ التبرير المذكور أم لم يصحّ، فقد كان لإقفال الاجتهاد مضاعفات سلبية أهمها ركود الحركة الفقهية على وجه لم يكن للعلماء شأن سوى التصفّح في كتب أئمة المذاهب و قد لمس الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا، خطوره الموقف، فأخذ يصف القرن السابع بأنّه قرن الانحطاط و الجمود و يقول: في هذا الدور أخذ الفقه بالانحطاط، فقد بدأ في أوائله بالركود و انتهى في أواخره إلى الجمود، و قد ساد في هذا العصر الفكر التقليدي المغلق و انصرفت الأفكار عن تلمس العلل و المقاصد الشرعية في فقه الأحكام إلى الحفظ الجاف و الاكتفاء بتقبل كلّ ما في الكتب المذهبية دون مناقشه، و طفق يتضاءل و يغيب ذلك النشاط الذي كان لحركة التخريج و الترجيح و التنظيم في فقه المذاهب و أصبح مرید الفقه يدرس كتاب فقيه معين من رجال مذهبه فلا ينظر إلى الشريعة و فقهها إلاّ من خلال سطوره بعد ان كان مرید الفقه قبلاً يدرس القرآن و السنّة و أصول الشرع و مقاصده.

و قد أصبحت المؤلفات الفقهية إلاّ القليل أواخر هذا العصر اقتصاراً لما

ص: ١٥

وجد من المؤلفات السابقه أو شرحاً له،فانحصر العمل الفقهي في ترديد ما سبق و دراسه الألفاظ و حفظها و في أواخر هذا الدور حل الفكر العامي محل الفكر العلمي لدى كثير من متأخري رجال المذاهب الفقيهيه. (١)

و على كل حال فقد كان الإقبال بخساً لحق الأُمَّه و عرقله لتقدمها.

نحن لا نتكلم فيما سبق-عفا الله عما سلف-و إنما نتكلم في العصر الحاضر،و نقول لا محيص عن فتح باب الاجتهاد و أنه أمر ضروري لا ستره منه،لأنَّ للفقيه في المسائل المستجده انتهاج أحد الطرق التاليه:

١.بذل الوسع في استنباط أحكامها على ضوء الكتاب و السنّه و سائر الأصول الشرعيه.

٢.اتباع المبادئ الغربيه من دون نظر إلى مقاصد الشريعه.

٣.الوقوف دون إعطاء حكم لها.

و من الواضح بمكان أنّ الأوّل هو الذي يناسب المجتمع الإسلامي.

و من حسن الحظ أنّ لفيماً من المفكرين من القدامى و الجدد قد دعوا إلى فتح باب الاجتهاد فمن القدامى العلامه الشوكاني حيث قال:

و من حصر فضل الله على بعض خلقه،و قصر فهم هذه الشريعه على ما تقدم عصره فقد تجرأ على الله عزّ و جلّ،ثمّ على شريعته الموضوعه لكلّ عباده،ثمّ على عباده الذين تعبدهم الله بالكتاب و السنّه. (٢)

و أمّا من المتأخرين فقد دعا العديد منهم إلى ضروره فتح باب الاجتهاد منهم:

ص:١٦

١-١). المدخل الفقهي العام:١٨٦/١-١٨٧.

٢-٢). إرشاد الفحول:٢٢٤.

١. أحمد أمين الكاتب المصري نشر مقاله في مجله رساله الإسلام العدد الثالث.

٢. الأستاذ علي منصور المصري مستشار مجلس الدوله السابق لمحكمه القضاء الإدارى، فقد نشر مقالاً حول فتح باب الاجتهاد نشرته مجله رساله الإسلام فى عددها الأول من السنه الخامسه.

٣. الدكتور وهبه الزحيلي فى كتابه «أصول الفقه»، يقول: فمن الذى أقفل باب الاجتهاد؟ وما هى أدلته؟ و هل يستطيع أحد أن يزعم أنّ مواهب اللّٰمه و منحّه قاصره على جيل دون جيل، أو إنسان دون إنسان؟ لهذا فإنّ دعوى إقفال باب الاجتهاد غير مسموعه، لأنّ من مستلزمات ختم الشرائع السماويه بشريعه الإسلام فتح باب الاجتهاد على مصراعيه إلى ما شاء اللّٰه، و قد أحسن الشيعة و الحركات السلفيه الحديثه إذ قرروا بقاء باب الاجتهاد مفتوحاً. (١)

و فى الختام نقول تبعاً لما أفاده الدكتور -حفظه اللّٰه-: إذا كان الاجتهاد بذل الجهد فى استنباط الأحكام الشرعيه الفرعيه عن أدلتها التفصيليه، فلقد كان مفتوحاً منذ عصر النبى و أئمتهم عند الشيعة إلى يومنا هذا، و لم يزل الأئمه يحرضون شيعتهم على الاجتهاد و التفریع و التخريج من الأصول التى ألقوها على تلامذتهم.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنما علينا أن نلقى إليكم الأصول و عليكم التفریع». (٢)

و قال الإمام الرضا عليه السلام: «علينا إلقاء الأصول و عليكم التفریع». (٣)

و قد كان أئمه أهل البيت عليهم السلام يعلمون كيفيه استنباط الحكم الشرعى من

ص: ١٧

١- ١. أصول الفقه الإسلامى: ١٠٣٤/٢.

٢- ٢. وسائل الشيعة: ١٨، الباب ٦ من أبواب صفات القاضى، الحديث ٥١ و ٥٢. [١]

٣- ٣. وسائل الشيعة: ١٨، الباب ٦ من أبواب صفات القاضى، الحديث ٥١ و ٥٢. [٢]

الآية، و كان موقفهم موقف المعلم بالنسبة إلى المتعلم، فها نحن نكتفى بنقل روايه واحده من روايات كثيره فى هذا المضمار.

روى عبد الأعلى مولى آل سام، قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: عثرت فانقطع ظفري، فجعلت على إصبعى مراره، فكيف أصنع بالوضوء؟ قال: «يعرف هذا و أشباهه من كتاب الله عزّ و جلّ، قال الله تعالى: «ما جعلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» ١، امسح على المراره». (١)

على أنّ للقرآن آفاقاً خفيه لا- يحيط بها إلاّ الراسخون فى العلم، و قد أرشد أئمه أهل البيت عليهم السلام إلى هذا النوع من الاستفاده و تقتصر على سرد هذه الحادته التاريخيه ليكون نموذجاً لما نروم إليه.

قُدّم إلى المتوكل رجل نصرانى فجر بامرأه مسلمه، فأراد أن يقيم عليه الحدّ فأسلم، فقال يحيى بن أكثم: الإيمان يمحو ما قبله، و قال بعضهم: يضرب ثلاثه حدود، فكتب المتوكل إلى الإمام أبى الحسن الهادى عليه السلام يسأله، فلما قرأ الكتاب، كتب:

يضرب حتى يموت، فأنكر الفقهاء ذلك، فكتب إليه يسأله عن العله، فكتب: بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللّهِ وَحَدَهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ» ٣ فأمر به المتوكل فضرب حتى مات. (٢)

ص: ١٨

١-٢). وسائل الشيعه: ١، الباب ٣٩ من أبواب الوضوء، الحديث ٥. [١]

٢-٤). ابن شهر آشوب: مناقب آل أبى طالب: ٤/٤٠٣-٤٠٥. [٢]

و أما تاريخ إقفال باب الاجتهاد و كفيته فقد ذكره المقریزی فی خططه و قال:

إنه تولى القاضى أبو يوسف القضاء من قبل هارون الرشيد بعد سنة ١٧٠ إلى أن صار قاضى القضاء فكان لا يولى إلا من أراده، و لما كان هو من أخصّ تلاميذ أبى حنيفة فكان لم ينصب للقضاء ببلاد خراسان و الشام و العراق و غيرها إلا من كان مقلداً لأبى حنيفة، فهو الذى تسبب فى نشر مذهب الحنفيه فى البلاد.

و فى أوان انتشار مذهب الحنفيه فى المشرق نُشر مذهب مالك فى إفريقيه المغرب، بسبب زياد بن عبد الرحمن، فإنه أول من حمل مذهب مالك إليها، و أول من حمل مذهب مالك إلى مصر سنة ٥١٦٠هـ، هو عبد الرحمن بن القاسم.

قال: و نشر مذهب محمد بن إدريس الشافعى فى مصر بعد قدومه إليها سنة ٥١٩٨هـ، و كان المذهب فى مصر لمالك و الشافعى إلى أن أتى القائل «جوهراً» بجيوش مولاه «المعز لدين الله أبى تميم معد» الخليفه الفاطمى، إلى مصر سنة ٣٥٨هـ، فشاع بها مذهب الشيعة حتى لم يبق بها مذهب سواه (أى سوى مذهب الشيعة).

ثم إن المقریزی بين بدء انحصار المذاهب فى أربعه فقال:

فاستمرت ولايه القضاء الأربعه من سنة ٥٦٦٥هـ، حتى لم يبق فى مجموع أمصار الإسلام مذهب يعرف من مذاهب الإسلام غير هذه الأربعه و عودى من تمذهب بغيرها، و أنكر عليه، و لم يول قاض و لا قبلت شهاده أحد ما لم يكن مقلداً لأحد هذه المذاهب و أفتى فقهاؤهم فى هذه الأمصار فى طول هذه المده بوجوب اتباع هذه المذاهب و تحريم ما عداها، و العمل على هذا إلى اليوم.

(١)

ص: ١٩

(١ - ١). راجع الخطط المقريزيه: ٣٣٤، ٢/٣٣٣ و ٣٤٤. [١]

و هذه الكلمه الأخيره: «و تحريم ما عداها» تكشف عن أعظم المصائب على الإسلام حيث إنه قد مضى على الإسلام ما يقرب من سبعة قرون و مات فيها على دين الإسلام ما لا يحصى عددهم إلا ربهم و لم يسمع أحد من أهل القرنين الأولين اسم المذاهب أبداً، ثم فيما بعد القرنين كان المسلمون بالنسبه إلى الأحكام الفرعيه فى غايه من السعه و الحريه، كان يقلد عاميهم من اعتمد عليه من المجتهدين، و كان المجتهدون يستنبطون الأحكام عن الكتاب و السنه على موازينهم المقرره عندهم فى العمل بالسنه النبويه، فأى شىء أوجب فى هذا التاريخ على عامه المسلمين: «العامى المقلمد و الفقيه المجتهد» أن لا يخرج أحد فى الأحكام الشرعيه عن حد تقليد الأئمه الأربعة، و بأى دليل شرعى صار اتّباع أحد المذاهب الأربعة واجباً مخيراً، و الرجوع إلى ما ورائها حراماً معيّناً.

و العجب أنّ الشيخ محمد زاهد الكوثرى (١٢٩٦ - ١٣٧١هـ) ممّن يهاجم فتح باب الاجتهاد و كسر حصر المذاهب الأربعة و يصفه بأنّ «اللامذهبيه قنطره اللادينيّه» و أنا أتعجب من هذا المحقق كيف وصف هذه الموهبه الإلهيه بما ذكره مع أنّ الالتزام بمذهب خاص و عدم التجاوز عنه كان أمراً مسلماً قبل الأئمه الأربعة، فهل يمكن أن نقول إنّ: «اللامذهبيه قنطره اللادينيّه»؟!

و حقيقه الأمر أنّ الإسلام لم يفرض على مكلف تقليد أحد الأئمه الأربعة، فلو قلنا بأنّه يجوز تقليد مجتهد، حيناً كان أو ميتاً يجوز تقليد كلّ من أراد من المجتهدين الماضين إذا كان مذهبه الفقهي واصلًا إلى المكلف عن طريق معتبر، و إن قلنا بشرطيه الحياه فى المجتهد فعلى كلّ مكلف أن يقلد أى مجتهد حى.

و أمّا على أصول الإماميه فيما أنّ تقليد الميت باطل من رأس، كما أنّ تقليد الأعمى فرض و معه لا يجوز تقليد غيره، فيجب على كلّ مكلف تقليد المجتهد

الحى الأعلم حتى تجتمع كلمه المسلمين على مجتهد واحد.

و فى الختام نقول: إنَّ من أراد أن يحيط بتاريخ الاجتهاد فى الإسلام و تطوره و علل إيصاد بابه لدى المسلمين، فليرجع إلى المصادر التاليه:

١. المواعظ و الاعتبار فى الخطط و الآثار: تأليف الشيخ تقى الدين أبى العباس أحمد بن على المعروف بالمقرىزى المولود فى بعلبك عام ٧٦٦هـ، و المتوفى بالقاهره عام ٨٤٥هـ.

٢. تاريخ اليعقوبى فى المائه السابعه لكمال الدين عبد الرزاق بن المروزى الفوطى البغدادى المتوفى سنه ٧٢٣.

٤. الانصاف فى بيان سبب الاختلاف.

٥. عقد الجيد فى أحكام الاجتهاد و التقليد: ألفهما ولى الله الدهلوى، المولود سنه ١١١٤ و المتوفى ١١٨٠.

٦. الإقليد لأدله الاجتهاد و التقليد.

٧. الطريقه المثلى فى الإشاره إلى ترك التقليد: ألفهما صديق حسن خان القنوجى البخارى، المتوفى سنه ١٣٠٧، و طبع بالآستانه عام ١٢٩٥.

٨. حصول المأمول من علم الأصول: له أيضاً طبع فى الجوائب سنه ١٢٩٦.

٩. مقاله صاحب السعاده أحمد تيمور باشا ابن إسماعيل بن محمد، المولود فى القاهره سنه ١٢٨٨هـ، و هى تحت عنوان «نظره تاريخيه فى حدوث المذاهب الأربعة» طبعت مستقلة فى القاهره سنه ١٣٤٤هـ.

١٠. ما كتبه محمد فريد و جدى فى دائره معارفه فى مادتي «جهد و ذهب» و ما كتبه يعد أبسط ما كتب فى الموضوع.

١١. أعلام الموقعين عن رب العالمين: للحافظ ابن القيم.

١٢. تاريخ حصر الاجتهاد: لشيخنا العلامة الطهراني، المتوفى يوم الجمعة

١٣ ذى الحجة عام ١٣٨٩هـ.

إلى غير ذلك من المؤلفات.

جعفر السبحاني

قم- مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

٤ ربيع الأول ١٤٢١هـ

ص: ٢٢

مكانه العقل

فى العقيدة و الشريعة

الإسلام عقيدته و شريعته، معارف و أحكام، فالعقيدة هى الرؤية الكونية التى ينبغى للمسلم الإذعان بها، كما أنّ الأحكام برامج عملية يسير على ضوئها.

و قد حاز العقل دوراً متميزاً على صعيد العقائد و المعارف و الأحكام ممّا يدعوننا إلى تسليط المزيد من الضوء عليه، فنقول:

لقد حثّ الإسلام منذ نشوئه على التفكير و التعقّل فى الكون و باطنه الذى يعبر عنه سبحانه بملكوت السماوات و الأرض، و قال: «أَوْ لَعْمٌ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ» ١ و قد استأثر التفكير و التعقّل مساحه شاسعه من اهتماماته، حتى بلغت الآيات التى زهت بألفاظ (الفكر)، (العقل) من الكثرة بمكان. فقد ورد لفظ (الفكر) فى القرآن بمختلف صيغه ثمانى عشره مرّه، كما ورد لفظ (العقل) فيه كذلك تسع و أربعين مرّه.

إنّه سبحانه زوّد الإنسان بالتفكير و التعقّل و أعطى له الأدوات المطلوبه و أفضلها السمع و البصر، قال سبحانه: «وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» ٢.

و المراد من الشكر فى ذيل الآيه صرف النعمه فى مواضعها، فشكر السمع و البصر هو إدراك المسموعات و المبصرات بهما، و شكر الفؤاد هو إدراك المعقولات و غير المشهودات به، فالآيه كما تحرّض على إعمال السمع و البصر فى درك ظواهر الكون، تحرّض أيضاً على استعمال الفؤاد و القلب و العقل فيما هو خارج عن إطار الحس و غير واقع تحت متناوله، فمن أراد قصر التعليم و التفكير على ظواهر الكون و حرمان الإنسان من التفكير فيما هو خارج عن نطاق الحس فقد خالف القرآن الكريم.

فهو أشبه بالطفل الذى يقتصر بما حوله من الأشباه و الصور، دون أن يستطلع ما وراءهما، فالإنسان بحاجة إلى الحس و العقل معاً بغيه التحليق فى سماء العلم و العرفان.

القرآن هو المنطلق الأول لتنمية الفكر الإنسانى

إنّ القرآن هو المنطلق الأول لتنمية الفكر الإنسانى و حثّه على التعقّل و التفكير، فمن أراد أن يخلص لله فى العبوديه بلا- تحليق العقل فى سماء المعرفة، فقد تغافل عن آيات الذكر الحكيم و نظائرها. قال سبحانه: «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ* أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ» ١ .

فلو فسرنا «الشيء» فى الآيه بالسبب و العله، فالجزء الأول من الآيه يشير إلى برهان الإمكان الذى يقوم على لزوم سبب موجب لخروج الشيء من العدم إلى الوجود، و الجزء الثانى منها يشير إلى بطلان كونهم خالقى أنفسهم، الذى يستقل العقل الصريح ببطلانه قبل أن يستقلّ العقل الفلسفى ببطلانه لأجل استلزامه

و من سبر غور هذه الآيات و تدبّر فيها يقف على عظمه قوله سبحانه: «سَيُنزِّلُ لَهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» ١ .

فإذا كان التفكير هو جوهر الإسلام و أساسه و عليه أُقيم صيرح الدين، فمع الأسف الشديد أنّ جماعه من المسلمين عطّلوا العقول عن التفكير في المعارف بذريعه أنّ كلّ ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته و السكوت عليه. (١)

أقول: كيف يكون تفسير ما وصف الله به نفسه، بتلاوته و السكوت عليه، مع أنّ القرآن نزل للتدبّر في آياته من دون فرق بين آيه و أخرى، يقول سبحانه: «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ» ٣.

و العجب أنّ بعض هؤلاء راح يتفلسف في إثبات نظريته، و يقول: «إنّما أعطينا العقل لإقامه العبوديه لا لإدراك الربوبيه، فمن شغل ما أُعطى لإقامه العبوديه بإدراك الربوبيه، فاتته العبوديه و لم يدرك الربوبيه».

و قائل هذا الكلام يفسّر العبوديه بالقيام و القعود و الإمساك و الصيام التي هي من واجبات الأعضاء، و لكننا نقول: إنّ العبوديه تقوم على ركنين: ركن منه يرجع إلى فرائض الأعضاء و واجباتها، و ركن آخر يرجع إلى العقل و اللب، فتعطيل العقول عن معرفه المعبود بالمقدار الذي يستطيع الإنسان الوصول إليها، تعطيل لإقامه العبوديه أو لجزئها، و لو اقتصر الإنسان في إقامه العبوديه بالقيام و القعود

من دون إدراك للمعبود بصفات جماله و جلاله و أسمائه و صفاته، لكنت عبوديته كعبوديه الحيوان و النبات و الجماد، بل ربما تكون عبوديته أدنى مرتبه من عبوديتهم، كيف و قد قال سبحانه:

«وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارِ لَمَا يَنْفَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» ١ .

فالحجر يستشعر عظمتة سبحانه حسب وجوده، و لكن الإنسان تُفرض عليه تلاوه كتابه سبحانه و السكوت ثم السكوت عليه.

و لعمر الحق إذا كانت وظيفه الإنسان المسلم الواعى هو تلاوه ما يرجع إليه سبحانه، فمن المخاطب بالآيات التي تحمل دقائق البراهين على توحيده و نفى النُدُّ عنه، و يقول: «وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَ لَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ» ٢ .

و لو كانت الدعوه الإسلاميه منحصره بما يدركه الإنسان بالحس و اللمس، فمن المخاطب يا تُرى! بقوله سبحانه: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ» ٣ .

المعطله بثوبها الجديد

و قد ظهر التعطيل- أى تعطيل العقول عن المعارف و الإلهيات- بثوبه الجديد فى العصر الأخير، و قد حمل رايتها المغترّون بالعلوم الطبيعیه.

يقول فريد وجدى:

بما أنّ خصومنا يعتمدون على الفلسفه الحسيه و العلم الطبيعى فى الدعوه إلى مذهبهم، فنجعلهما عمدتنا فى هذه المباحث، بل لا مناص لنا من الاعتماد عليهما لأنهما اللذان أوصلا الإنسان إلى هذه المنصه من العهد الروحانى. (١)

و يقول بعض آخر:

كان الأنبياء عليهم السلام أخبروا الناس عن ذات الله و صفاته و أفعاله، و عن بدايه هذا العالم و مصيره، و ما يهجم عليه الإنسان بعد موته، و آتاهم علم ذلك كله بواسطتهم عفواً بلا تعب، و كفوهم مؤونه البحث و الفحص فى علوم ليس عندهم مبادئها و لا مقدماتها التى يبنون عليها بحثهم ليتوصلوا إلى مجهول، لأنّ هذه العلوم وراء الحس و الطبيعه، لا تعمل فيها حواسهم، و لا يؤدى إليها نظرهم، و ليست عندهم معلوماتها الأوليه.

إلى أن يقول:الذين خاضوا فى الإلهيات من غير بصيره، و على غير هدى، جاءوا فى هذا العلم بآراء فجه، و معلومات ناقصه و خواطر سانحه، و نظريات مستعجله، فضلوا و أضلوا. (٢)

لو صحّ قول القائل: إنّ هذه العلوم وراء الحس و التجربه لا تعمل فيها حواس، و لا يؤدى إليها النظر فلا تتوفر معلوماتها الأوليه، لزم تعطيل التدبّر فى المعارف القرآنيه التى تقع مبادئها وراء الحس، و عندئذٍ يتوجه إليه السؤال بأنّه لما ذا يطرح الذكر الحكيم جمله من المعارف و يحرض على التدبّر فيها، و هى ممّا تقع وراء الحس و الطبيعه، و ليست الغايه من طرحها هو التلاوه و السكوت حتى تصبح

ص: ٢٧

١-١. على إطلال المذهب المادى: ١٦/١.

٢-٢. ما ذا خسر العالم: ٩٧.

الآيات لقلقه لسان لا تخرج عن تراقى القارئ بدل أن تنفذ إلى صميم الذهن و أعماق الروح.

و إن كنت فى ريب من وجود هذه المعارف فى الكتاب العزيز، فلاحظ الآيات التالية:

«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» ١.

«وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى» ٢.

«لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» ٣.

«فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ» ٤.

«أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ» ٥.

«وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ» ٦.

«مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثِهِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَ لَا خَمْسَهُ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَ لَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» ٧.

فهل يصح أن نعطل عقولنا بحججه إنما أعطينا لإقامه العبوديه لا لإدراك الربوبيه...!؟

أو بذريعه أن الوحي كفانا مثنونه البحث و الفحص فى علوم لا نملك مبادئها و لا مقدماتها.

إنّ هناك أصولاً عقليه مبرهنه يعتقد بها الإلهيون و في طبيعتهم المسلمون، و لا يمكن للعلوم الطبيعیه أن تساعدھم فی فهمھا و لا أن تهدي إليها البشر. كالبحث عن أنّ المصدر لهذا العالم و المبدئ له، أزلی أو حادث، واحد أو كثير، بسيط أو مركب، جامع لجميع صفات الجمال و الكمال، أم لا؟ هل لعلمه حد ينتهي إليه أم لا؟ هل لقدرته نهايه أم لا؟ هل هو أوّل الأشياء و آخرھا، أم لا؟ هل هو ظاهر الأشياء و باطنھا أم لا؟

فالاعتقاد بهذه المعارف عن طريق العلوم الطبيعیه و الحسيه غير ممكن، و الاعتماد على الوحي للتعرف عليها غير مقدور لكل إنسان، مضافاً إلى أنّه تجب معرفتها قبل معرفه النبي صلى الله عليه و آله و سلم فكيف يتعرّف عليها عن طريق النبي و الوحي المنزل؟

كلّ هذا يدفعنا إلى استخدام العقل في فهم هذه الحقائق التي لا تنال بالحس بل تنال بالعقل، فهل يمكن للشارع الحكيم الدعوه إلى هذه الحقائق و المنع من استخدام ما هو أداه فهمها و دركھا.

إنكار التحسين و التقييح العقليين و مضاعفاته

إنّ إهمال العقل في مضمّار المعارف، جرّ المنكرون إلى إنكار التحسين و التقييح العقليين، و قالوا: إنّه لا يمكن للعقل إنكار ما هو الحسن بالذات و القبيح كذلك، بل يرجع في ذلك إلى الشرع كله، و بالتالي ليس للعقل القضاء الباتّ بحسن العدل و الصدق، أو قبح الكذب و الظلم، و إنّما يتبع ذلك الوحي، فما حسّنه الشارع فهو حسن، و ما قبحه الشارع فهو قبيح، و هذا الكلام و إن كان له بظاھرہ طلاوہ، و لكن القول به ينتهي إلى عدم إمكان إثبات نبوه الأنبياء كافه.

١. إذا كان العقل عاجزاً عن درك حسن الأفعال و قبحھا، فمن أين نعلم

صدق مدعى النبوه الذى زود بمعاجز تجذب القلوب و تورث الإيمان؟

فلو اعتمدنا على العقل فهو كفيل بإثبات نبوته، لأنه يحكم بأنه قبيح على الحكيم أن يزود المتنبئ الكاذب بمعاجز، فتمكينه من هذه المعاجز دليل على صدقه و كونه مبعوثاً من قبل الله سبحانه، و أما لو أنكرنا ذلك فمن أين نميز الصادق عن الكاذب و نحن نحتمل أنه سبحانه يزود الكاذب بالمعاجز، كما يزود الصادق بها، لأنه لم يثبت قبح الأول، و لا حسن الثانى؟!!

٢. نفترض أنه ثبت نبوه نبي من الأنبياء، لكن من أين نعلم أن الشارع فى حكمه و قضائه فى مجال الصدق و الكذب صادق، لأنه ما لم يثبت قبل السماع و الوحي، حسن الصدق و لا قبح الكذب، فمن أين نرفع احتمال الكذب فى إخبار الشارع بحسن الصدق أو قبح الكذب، فلا يرفع ذلك إلا بقضيه محرز مفاذا ان العقل يحكم فى صميم ذاته بأن الحكيم يقبح عليه الكذب و يحسن عليه الصدق.

و بالجمله إنكار التحسين و التقييح العقلين ينتهى إلى إنكار التحسين و التقييح الشرعيين.

إلى هنا تبين أنه لا بد من استخدام العقل فى تبين العقائد و المعارف و البرهنه عليها، فمن حاول أن يقتصى العقل عن مقامه فقد أقصى الشرع أيضاً.

مفاهيم لا بد أن تبحث من جديد

إشاره

فإذا كان العقل له الدور الكبير و الرصيد العظيم فى تقييم المعارف و العقائد، فثمه مسائل تعدّ من العقائد و لكن لا يدعمها العقل و ليس لها من النقل رصيد قطعى، و ها نحن نشير إلى بعض هذه المسائل من دون أن نخوض فى

ص: ٣٠

أغوارها فإنّ لشرحها و بيان مفاهيمها مكاناً آخر لا يسع هذا المختصر.

١. جواز التكليف بما لا يطاق

و قد صرح به الإمام الأشعري في اللمع (١) مع أنّ العقل الصريح يحكم بامتناعه-يعنى العقل الذى عرفناه به سبحانه-إذ كيف يمكن أن يطلب شيء على نحو الجدّ ممّن لا طاقه له به.

٢. جواز إيلام الأطفال فى الآخره

يقول الإمام الأشعري: هل لله تعالى أن يؤلم الأطفال فى الآخره؟ قيل له: لله تعالى ذلك و هو عادل ان فعل، و كذلك كلّ ما يفعله. (٢)

و هذا شيء يناقض العقل الصريح، و ليس تنزيهه سبحانه عنه، بمعنى عدم استطاعته عليه، بل تنزيهه سبحانه بمعنى كونه مقتضى عدله و حكمته، فالعقل يدلّ على أنّه سبحانه عادل حكيم، و العادل الحكيم لا يأخذ البرىء بذنب لم يرتكبه.

و ما ربما يقال من أنّ العالم كلّ ملك لله سبحانه، و المالك يتصرف فى ملكه كيفما شاء مغالطه محضه، بل المالك الحكيم يتصرف فى ملكه حيث ما تقتضى حكمته.

٣. القرآن ليس بمخلوق

يقول الإمام أحمد بن حنبل: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، فمن زعم أنّ

ص: ٣١

١-١. اللمع: ١١٦. [١]

٢-٢. اللمع: ١١٦. [٢]

القرآن مخلوق، فهو جهمي كافر، و من زعم أنّ القرآن كلام الله عزّ و جلّ و وقف، فلم يقل مخلوق و لا غير مخلوق، فهو أخبث من الأوّل، و من زعم أنّ الفاظنا بالقرآن و تلاوتنا له مخلوقه، و القرآن كلام الله فهو جهمي، و من لم يكفر هؤلاء القوم كلّهم فهو مثلهم. (١)

إنّ البحث عن قدم القرآن و حدوده، و كونه مخلوقاً أو غير مخلوق ذو شجون، و قد جرّت تلك المسألة على المسلمين الويلات قد ضبطها التاريخ في عصر المأمون و الواثق و بعدهما، و قد شهرت المعتزلة هذه المسألة بوجه المحدثين و الأشاعره لتمام راج سوقهم، كما آل الأمر إلى العكس في عصر المتوكل و من أعقبه حيث شهرت الأشاعره هذه المسألة بوجه المعتزله، و أسفر ذلك عن وقوع ضحايا عديده من الطرفين.

و بغض النظر عن ذلك، نعلق على ما ذكره و نقول: ما ذا يريد الإمام من قوله: «القرآن كلام الله ليس بمخلوق»؟ هل يريد أنّه ليس بمخلوق فقد صدق، لأنّ من يقول إنّه مخلوق، فقد كفر برسالة النبي صلى الله عليه و آله و سلم و معجزته و تبع كفار قريش، حيث كانوا يقولون: «إنّ هذا إلّا قول البشر» ٢ .

أو يريد أنّ القرآن في مرتبه علمه سبحانه ليس بمخلوق فقد صدق أيضاً، فإنّ علمه سبحانه قديم و القرآن أحد معلوماته سبحانه، و لكن لا يختص ذلك بالقرآن بل علمه كله على حد سواء.

و إن أراد أنّ القرآن الملفوظ و المكتوب بعد نزوله قديم كذاته سبحانه، فهو نفس الاعتراف بالقديم الثاني، و لا قديم عند المسلمين إلّا الله سبحانه.

و القول بأنّه ليس بقديم، و لكنّه أيضاً ليس بمخلوق، تفكيك بين اللازم

ص: ٣٢

و الملزوم، فإذا لم يكن قديماً يكون حادثاً، و كل حادث مخلوق.

و بالجمله ليس على صفحه الوجود قديم إلا سبحانه و ما سواه حادث.

٤. رؤيته سبحانه يوم القيامة بالأبصار المادية

إشاره

يقول الإمام الأشعري بجواز رؤيه الله تعالى بهذه الأبصار المادية يوم القيامة، و يقول: و ليس فى تجويز الرؤيه إثبات أى حدث.

(١)

و يقول أيضاً فى «الإبانه»: و ندين بأن الله تعالى يرى فى الآخره بالأبصار، كما يرى القمر ليله البدر، يراه المؤمنون. (٢)

يترتب على القول بالرؤيه مضاعفات كثيره تجعلها فى عداد المحالات، فمثلاً:

إن المرئى إمّا كله سبحانه أو بعضه، فعلى الأول يكون سبحانه محاطاً، و الله محيط، و على الثانى يلزم أن يكون مركباً ذا أجزاء و هو محال، و لم يرد فى صريح القرآن ما يدل على ذلك.

أظهر ما استدلل به على الرؤيه هو قوله سبحانه: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» ٣. فخرج المستدل إلى أن المراد من الناظره أنها رائيه، ترى ربها عزّ و جلّ، و لكن المستدل غفل أنه سبحانه يسند النظر إلى الوجوه لا إلى العيون، فلو أراد سبحانه الرؤيه لقال عيون يومئذ ناضره، و لم يقل وجوه يومئذ ناضره.

لمى أن قوله: «إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» عدل لقوله سبحانه: «تَنْظُرُنَّ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ» ٤ و بالإمعان فى مفهوم العدل، يعلم المقصود من قوله:

«إِلَىٰ رَبِّهَا

ص: ٣٣

١-١. اللمع فى الردّ على أهل الزيغ و البدع: ٦١. [١]

٢-٢. الإبانه: ٢١.

توضيح ذلك:

إن الآيه لا تدلّ على نظريه الرؤيه حتى و لو قلنا بأنّ النظر فى الآيه بمعنى الرؤيه، بل الآيه تهدف إلى أمر آخر لا صله له بمسأله الرؤيه، و يعرف مفاد الآيات بمقارنه بعضها ببعض، و إليك بيانه:

إنّ الآيه الثالثه تقابل الآيه الأولى، كما أنّ الرابعه تقابل الثانيه، و عند المقابله يرفع ابهام الثانيه بالآيه الرابعه، و إليك تنظيم الآيات حسب المقابله:

١. «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ» يقابلها قوله: «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ» .

٢. «إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ» يقابلها قوله: «تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ» .

و بما أنّ المقابل للآيه الثانيه واضح المعنى، فيكون قرينه على المراد منها، فإذا كان المقصود من المقابل أنّ الطائفه العاصيه تظن و تتوقع أن ينزل بها عذاب يكسر فقارها، و يقصم ظهرها، يكون المراد من عدله و قرينه عكسه، و ليس هو إلا أنّ الطائفه المطيعه تكون مستبشره برحمته و متوقعه لفضله و كرمه، لا النظر إلى ذاته و هويته و إلا لخرجت المقابلات عن التقابل، و هو خلف.

و بعبارة أخرى: يجب أن تكون المقابلات متحده المعنى و المفهوم، إلاّ فى النفي و الإثبات، فلو كان المراد من المقابل الأوّل أعنى: «إِلَى رَبِّهَا نَاضِرَةٌ» هو رؤيه جماله سبحانه و ذاته، فيجب أن يكون الجزاء فى قرينه أعنى: «تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ» هو حرمان هؤلاء عن الرؤيه أخذاً بحكم التقابل، و بما أنّ تلك الجملة -أعنى: القرين الثانى- لا- تحتل ذلك المعنى، أعنى الحرمان من الرؤيه، بل صريحه

فى انتظار العذاب الفاقر، يكون ذلك قرينه على المراد من القرين الأوّل و هو رجاء رحمته و انتظار فرجه و كرمه.

هذه نماذج مما يضاد العقل الصريح، و لها نظائر فى السنه النبويه المنسوبه إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم و هو صلى الله عليه و آله و سلم برىء منها. و من أراد التفصيل فليرجع إلى كتابنا «الحديث النبوى بين الروايه و الدرايه».

فقد خرجنا بالنتيجه التاليه:

إنّ الطريقه المثلى هى سلوك منهج لا- يؤدّى إلى التشبيه و لا- إلى التعطيل، فأهل التشبيه يصبّون المعارف العمليه فى قوالب جسميه و صفات ماديه، و أهل التعطيل يوصدون نوافذ عقولهم و أفهامهم من التطلع إلى ما وراء الطبيعه، و لكن الطريق الوسط هو التعرف على ما وراء الطبيعه بما فيها من الجمال و الجلال عن طريق التدبّر و إمعان النظر بتنظيم الحجج العقليه أو بالنظر إلى آيات وجوده، فعند ذلك يخرج الإنسان عن مهلكه التشبيه و معبّه التعطيل و افراط المجسمه و تفريط المعطله، و هذا هو الذى يدعو إليه القرآن الكريم و خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام و أئمّه أهل البيت عليهم السلام.

قال الإمام على عليه السلام: «لم يطلع العقول على تحديد صفته، و لم يحجبها عن واجب معرفته». (١)

و قال الإمام على بن الحسين عليهما السلام: «إنّ الله عزّ و جلّ علم أنّه يكون فى آخر الزمان متعمقون، فأنزل الله تعالى سوره «قلّ هو الله أحدّ» و الآيات الستّ من سوره الحديد». (٢)

ص: ٣٥

١-١. نهج البلاغه: الخطبه ٢٩. [١]

٢-٢. الكافى: ٩١/١، باب النسبه، الحديث ٣؛ [٢] نور الثقلين: ٢٣١/٥. [٣]

و كتب الإمام الصادق عليه السلام فى جواب سؤال «عبد الرحيم بن عتيك القصير»-عند ما سأله عن قوم بالعراق يصفون الله بالصورة و بالتخطيط :-«سألت رحمك الله عن التوحيد و ما ذهب إليه من قبلك فتعالى الله الذى ليس كمثلته شىء و هو السميع البصير، تعالى عما يصفه الواصفون المشبهون الله بخلقه المفترون على الله.

فاعلم رحمك الله أنّ المذهب الصحيح فى التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عزّ و جلّ، فانفِ عن الله تعالى البطلان و التشبيه، فلا نفى و لا تشبيه هو الله الثابت الموجود، تعالى الله عما يصفه الواصفون و لا تعدوا القرآن فتضلّوا بعد البيان». (1)

مشكله الصفات الخبرية

الصفات الخبرية عباره عما أخبر عنها النقل و لم يدلّ عليه العقل كاليد و اليدين، و العين، و الاستواء و ما ضاهاها. فقد شغلت بال المحدّثين و المتكلمين عبر القرون و احتدمت مساجلات و مشاجرات، لأنّها بظاهاها تحكى عن التشبيه و التجسيم، و لذلك اختار كلّ -غير المجسمه- مهربا.

و الآراء المشهوره فيها عباره:

1. الإثبات مع التشبيه و التكييف.

2. الإثبات بلا تشبيه و لا تكييف.

3. تفويض معناها إلى الله و الإمرار على الآيه.

4. التأويل و التصرف فى ظاهر الآيه حذراً من مخالفه العقل، و الجميع لا

ص: ٣٦

١- ١). الكافي ١، باب النهى عن الصفه بغير ما وصف به نفسه، الحديث ١. [١]

يخلو من هن وهنات.

أمّا الأول، فهو عقيدته المشبهه و المجسمه، و هو مخالف لصريح الوحي، و اتفاق المسلمين، و بداهه العقل.

أمّا الثاني فلا يخفى أنّ فيه استسلاماً للمتناقضين فإنّ واقع اليد، حسب اللغة يتقوم بالهيئة المخصوصه و الكيفيه المعلومه، فإثبات اليد بالمعنى اللغوي، التزام بالهيئة، و الكيفيه و إردافها بالبلكفه أى بلا كيف-جمع بين النقيضين.

و أمّا الثالث ففيه تعطيل العقول عن فهم الآيات و التدبّر فيها، كما سبق.

و أمّا الرابع أى تأويل ما ورد في القرآن من الصفات الخبريه، فإنّ أريد به، حمل الآيه على خلاف ظاهرها بحجّه أنّ ظاهرها يخالف العقل، فهو باطل لأنّه من المستحيل أن يكون الوحي القطعي مخالفاً للعقل الصريح القطعي، فما اشتهر على الألسنه من أنّه إذا خالف النقل حكم العقل، يؤوّل النقل ممّا لا- أساس له من الصحّه، إذا كان النقل أمراً قطعياً كالوحي، فإنّ لايزم ذلك الاستسلام للمتناقضين.

و إن أريد بالتأويل، الإمعان في القرائن الحافّه بالآيه أو ما ورد في سائر الآيات لتحصيل الظهور المستقر، فهو صحيح لكنّه ليس بتأويل، و تسميته تأويلاً إنّما هو بالنسبه إلى الظهور البدوي لا بالنسبه إلى الظهور المستقر.

توضيح ذلك أنّ لبعض الجمل ظهورين:

١. ظهور بدوي.

٢. ظهور مستقر.

فإذا قلت: «زيد كثير الرماد» أو «جبان الكلب» فالظهور البدوي يوحى بدم صاحب البيت و كلبه، فإنّ البيت المملوء بالرماد يكون وسخاً منقراً، كما أنّ

ص: ٣٧

أهميه الكلب تُكمن في ضراوته لا في جبنه.

و لكن بالنظر إلى الظهور المستقر، فالجملتان وردتا لمدح صاحب البيت و كلبه، حيث إنّ العرب تكنى بهما عن سماحته و كثره عطائه، و لو سُمّي هذا النوع من التفسير تأويلاً- أى مخالفاً للظاهر، فإنّما هو بالنظر إلى الظهور البدوى دون الظهور المستقر، و التأويل الباطل هو صرف الظهور المستقر عن ظاهره، و هو غير متحقّق، و أمّا المتحقّق فهو رفع الظهور البدوى غير المستقرّ و هو ليس بمحذور.

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى تفسير آيه واحده وردت فيها الصفه الخبريه حتى تكون مقياساً لتفسير سائر الآيات الوارده فيها، الصفات الخبريه، قال سبحانه: «يا إيليس ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ» ١.

فالآيه بظاهرها البدوى ثبت لله سبحانه «يدين»، فللمخاطب أن يفسر الآيه بأحد الطرق التاليه:

١. الإثبات مع التكييف و هو نفس التجسيم.

٢. الإثبات بلا تكييف، و هو استسلام للمتناقض.

٣. التفويض و الإمرار عليها، و هو تعطيل للعقول.

٤. التأويل، و حمل الآيه خلاف ظاهرها و هو أمر باطل، إذ لو كان الظهور حجّه، فليس لنا التصرف فيه بحجّه أنّ العقل يخالفه.

٥. التفريق بين الظهور البدوى و الظهور المستقر، برفض الأوّل، و أخذ الثاني، لأنّ العبره في كشف المقاصد هو الثاني دون الأوّل.

إذا عرفت ذلك فنقول: إنّ الإمعان في القرائن المحتفّه بالآيه تعرب عن أنّ

الإخبار بخلق آدم بيديه كناية عن اهتمامه سبحانه بخلقه، و أنه كان مصنوعاً له سبحانه دون غيره، فكأنه سبحانه يقول لما ذا رفضت يا إبليس السجود لمن كان لي الاهتمام بمكانه؟

فأطلقت الخلقه باليد و كنى بها عن قيامه سبحانه بخلقه، و عنايته بإيجاده، و تعليمه إياه أسماءه، لأنّ الغالب في عمل الإنسان هو القيام به باستعمال اليد، يقول: هذا ما بنيت بيدي، أو ما صنعت بيدي، أو ربّيت بيدي، و يراد من الكلّ هو القيام المباشري بالعمل، و ربّما استعان فيه بعينه و سمعه و غيرهما من الأعضاء، لكنّه لا يذكرها و يكتفى باليد. و كأنه سبحانه يندد بالشیطان بأنك تركت السجود لموجود اهتمت بخلقه و صنعه.

و نظير ذلك قوله سبحانه: «أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ» ١ فالأيدى كناية عن تفردّه تعالى بخلقها، لم يشركه أحد فيه. فهي مصنوعه لله تعالى و الناس يتصرفون فيها تصرف الملاك كأنها مصنوعه لهم، فبدل أن يشكروا يكفرون بنعمته. و أنت إذا قارنت بين الآيتين تقف على أنّ المقصود هو المعنى الكنائى، و المدار في الموافقه و المخالفه هو الظهور المستقر لا البدوى.

و ما ذكرناه في تفسير الآيه يكون اسوه لتفسير عامه الصفات الخبريه الوارده في القرآن من دون أن يستلزم التشبيه، أو الاستسلام للمتناقضين، أو التعطيل أو التأويل المرفوض.

و قس على ذلك قوله سبحانه:

١. «وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ» ٢

٢. «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ» ١ .

٣. «وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا» ٢ .

إلى غير ذلك من الآيات التي وردت فيها الصفات الخبرية، فإنّ الحل الناجع، لتفسيرها، هو التفكيك بين الظهور البدوى و الظهور المستقر، و الاعتماد فى كشف المراد على الثانى دون الأوّل، و ذلك بالإمعان بالقرائن الموجوده فى نفس الآية و سياقها.

جعفر السبحانى

قم- مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

ص: ٤٠

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»

(الكافي: ٢٧/١)

٣

إشاره

الإسلام و متطلبات العصر

أو

دور الزمان و المكان فى الاستنباط

تقديم

إشاره

دلت الآيات القرآنيه و الأحاديث النبويه و اتفاق المسلمين على أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم هو النبى الخاتم، و كتابه خاتم الكتب، و شريعته خاتمه الشرائع، و نبوته خاتمه النبوات، فما جاء على صعيد التشريع من قوانين و سنن تعدّ من صميم ثوابت هذا الدين لا تتناول عليها يد التغيير، فأحكامه فى العبادات و المعاملات و فى العقود و الإيقاعات، و القضاء و السياسات أصول خالده مدى الدهر إلى يوم القيامة و قد تضافرت عليها الروايات:

١. روى أبو جعفر الباقر عليه السلام قال: قال جدى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «أيها الناس حلالى حلال إلى يوم القيامة، و حرامى حرام إلى يوم القيامة، ألا و قد بينهما الله عزّ و جلّ فى الكتاب و بينتهما لكم فى سنتى و سيرتى». (١)

ص: ٤١

٢. كما روى زراره عن الإمام الصادق عليه السلام قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحلال و الحرام، فقال: «حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره و لا يجيء بعده». (١)

و الروايات فى هذا الصدد عن النبى الأ-عظم و أهل بيته-صلوات الله عليهم- كثيرة، و قد جمعنا طائفة منها فى كتابنا مفاهيم القرآن فبلغت ١٣٥ حديثاً، و بما أنّ خلود شريعته أمر لم يشكّ فيه أحد من المسلمين، و هو من ضروريات الدين نقتصر على ذلك المقدار، و نطرح السؤال التالى:

إذا كانت الحياه الاجتماعيه على وتيره واحده لصحّ أن يديرها تشريع خالد و دائم، و أمّا إذا كانت متغيره تسودها التحوّلات و التغييرات الطارئه، فكيف يصحّ لقانون ثابت أن يسود جميع الظروف مهما اختلفت و تباينت؟

إنّ الحياه الاجتماعيه التى يسودها الطابع البدوى و العشائرى كيف تلتقى مع حياه بلغ التقدم العلمى فيها درجه هائله، فكّل ذلك شاهد على لزوم تغيير التشريع حسب تغيير الظروف.

هذا السؤال كثيراً ما يثار فى الأوساط العلميه و يراد من ورائه أمر آخر، و هو التخلص من قيود الدين و القيم الأخلاقيه، مع الغفله أنّ تغيير ألوان الحياه لا يصادم ثبات التشريع و خلوده على النحو الذى بينه المحقّقون من علماء الإسلام.

و ذلك لأنّ السائل قد قصّر النظر على ما يحيط به من الظروف المختلفه المتبدله، و ذهل عن أنّ للإنسان خُلقاً و غرائز ثابتة قد فطر عليها و هى لا تنفك عنه ما دام الإنسان إنساناً، و هذه الغرائز الثابته تستدعى لنفسها تشريعاً ثابتاً يدوم بدوامها، و يثبت بثباتها عبر القرون و الأجيال، و إليك نماذج منها:

ص: ٤٢

١. إنَّ الإنسانَ بما هو موجود اجتماعي يحتاج لحفظ نسله إلى الحياه العائليه، وهذه حقيقه ثابتة في حياه الإنسان و جاء التشريع وفقاً لها، يقول سبحانه: «وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ» ١.

٢. العدله الاجتماعيه توفر مصلحه المجتمع و تدرأ عنه الفساد و الانهيار و الفوضى، فليس للإنسان في حياته الاجتماعيه إلا السير وفق نهج العدل و الابتعاد عن الظلم، قال سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» ٢.

٣. إنَّ الفوارق الرئيسيه بين الرجل و المرأه أمر طبيعي محسوس، فهما يختلفان في الخلقه على رغم كلِّ الدعايات السخيفه التي تبغى إزاله كلِّ تفاوت بينهما، و بما أنَّ هذا النوع من الاختلاف ثابت لا يتغير بمرور الزمان فهو يقتضى تشريعاً ثابتاً على شاكله موضوعه، يقول سبحانه: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ» ٣.

٤. الروابط العائليه هي روابط طبيعيه، فالأحكام المنسَّقه لهذه الروابط من التوارث و لزوم التكريم ثابتة لا تتغير بتغير الزمان، يقول سبحانه: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ» ٤ و المراد من الأولويه هي الأقربيه.

٥. إنَّ الحياه الاجتماعيه رهن الحفاظ على الأخلاق، و ممّا لا شكَّ فيه أنَّ الخمر و الميسر و الإباحه الجنسيه تقوِّض أركان الأخلاق، فالخمر يزيل العقل، و الميسر يورث العداة في المجتمع، و الإباحه الجنسيه تفسد النسل و الحرث فتتبعها أحكامها في الثبات و الدوام.

هذه نماذج استعرضناها للحياه الاجتماعيه التي لا تمسّها يد التغيير، و هي ثابتة، فإذا كان التشريع على وفق الفطره، و كان نظام التشريع قد وضع وفق ملاكات واقعيه، فالموضوعات تلازم أحكامها، ملازمه العله لمعلولها، و الأحكام تتبع موضوعاتها تبعيّه المعاليل لعلها.

هذا جواب إجمالي، و أمّا الجواب التفصيلي فهو رهن الوقوف على الدور الذي يلعبه الزمان و المكان في مرونة الأحكام الشرعيه، و تطبيع الأحكام على متطلبات العصر، و هذا هو الذي سنقوم بدراسته.

دور الزمان و المكان في الاستنباط

قد يطلق الزمان و المكان و يراد منها المعنى الفلسفي، فيفسر الأوّل بمقدار الحركه، و الثاني بالبعد الذي يملأه الجسم، و الزمان و المكان بهذا المعنى خارج عن محط البحث، بل المراد هو المعنى الكنائي لهما، أعني: تطور أساليب الحياه و الظروف الاجتماعيه حسب تقدم الزمان و توسع شبكه الاتصالات. و هذا المعنى هو الذي يهمنّا في هذا البحث، و دراسته تتم في ضمن فصول خمس:

الأوّل: دراسه الروايات الوارده في ذلك المضمار.

الثاني: نقل مقتطفات من كلمات الفقهاء.

الثالث: تطبيقات عمليه.

الرّابع: دور الزمان و المكان في الأحكام الحكوميه.

الخامس: في دراسه العصرين في الفقه السني.

و إليك دراسه الجميع واحداً تلو الآخر.

فى ذلك المضممار

قد أُشير فى غير واحد من الروايات عن أئمه أهل البيت عليهم السلام إلى أنّ للزمان و المكان دوراً فى تغير الأحكام إما لتبدل موضوعه بتبدل الزمان، أو لتغير ملاك الحكم إلى ملاك آخر، أو لكشف ملاك أوسع من الملاك الموجود فى عصر التشريع أو غير ذلك ممّا سيوافيك تفسيره عند البحث فى التطبيقات.

و أمّا ما وقفنا عليه فى ذلك المجال من الأخبار، فنذكره على الترتيب التالى:

١. سئل على عليه السلام عن قول الرسول صلى الله عليه و آله و سلم: «غَيَّرُوا الشَّيْبَ وَ لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ».

فقال عليه السلام: «إنّما قال صلى الله عليه و آله و سلم ذلك و الدين قلّ، فأما الآن و قد اتسع نطاقه و ضرب بجرانه فامرؤ و ما اختار». (١)

فأشار الإمام بقوله: إنّ عنوان التشبه كان قائماً بقله المسلمين و كثره اليهود، فلو لم يخضب أحد من المسلمين شيبته و كانوا فى أقلية صار عملهم تشبهاً باليهود و تقويه لهم، و أمّا بعد انتشار الإسلام فى أقطار الأرض على نحو صارت اليهود هم الأقلية فلا يصدق التشبه بهم إذا ترك الخضاب.

ص: ٤٥

٢. روى محمد بن مسلم و زراره عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّهما سألاه عن أكل لحوم الحمر الأهلية، فقال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أكلها يوم خيبر، وإنّما نهى عن أكلها في ذلك الوقت لأنّها كانت حمولة الناس، وإنّما الحرام ما حرّم الله في القرآن». (١)

و الحديث يشير إلى أنّ نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أكل لحومها كان لأجل أنّ ذبحها في ذلك الوقت يورث الحرج و المشقة، لأنّها كانت سبباً لحمل الناس و الأمتعه من مكان إلى آخر، فإذا ارتفعت الحاجة في الزمان الآخر ارتفع ملاك الحرمه.

٣. روى محمد بن سنان، أنّ الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسأله: «كره أكل لحوم البغال و الحمر الأهلية لحاجه الناس إلى ظهورها و استعمالها و الخوف من فئتها و قتلها لا لقدر خلقها و لا قدر غذائها». (٢)

٤. روى عبد الرحمن بن حجاج، عمّن سمعه، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: سألته عن الزكاه ما يأخذ منها الرجل؟ و قلت له: إنّه بلغنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أيّما رجل ترك دينارين فهما كئى بين عينيه، قال: فقال: «أولئك قوم كانوا أضيافاً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا أمسى، قال: يا فلان اذهب فعشّ هذا، فإذا أصبح قال: يا فلان اذهب فعّد هذا، فلم يكونا يخافون أن يصبحوا بغير غذاء و لا بغير عشاء، فجمع الرّجل منهم دينارين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه المقاله، فإنّ الناس إنّما يُعطون من السنه إلى السنه فللرّجل أن يأخذ ما يكفيه و يكفى عياله من السنه إلى السنه». (٣)

ص: ٤٦

١-١. وسائل الشيعة: ١٦، الباب ٤ من كتاب الأّطعمه و الأشربه، الحديث ١ و ٨. [١]

٢-٢. وسائل الشيعة: ١٦، الباب ٤ من كتاب الأّطعمه و الأشربه، الحديث ١ و ٨. [٢]

٣-٣. معانى الأخبار: ١٥٢، باب معنى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أيّما رجل ترك دينارين».

٥. روى حماد بن عثمان، قال: كنت حاضراً عن أبي عبد الله عليه السلام إذ قال له رجل: أصلحك الله، ذكرت أنت علي بن أبي طالب كان يلبس الخشن، يلبس القميص بأربعة دراهم و ما أشبه ذلك، و نرى عليك اللباس الجيد، قال: فقال له: «إن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه كان يلبس ذلك في زمان لا ينكر، و لو لبس مثل ذلك اليوم لشهر به، فخير لباس كل زمان، لباس أهله».

(١)

٦. روى مسعده بن صدقه: دخل سفيان الثوري على أبي عبد الله عليه السلام فرأى عليه ثياب بيض كأنها غرقى البيض، فقال: إن هذا اللباس ليس من لباسك، فقال الإمام - بعد كلام -: «إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان في زمان مُتْفَرِّجاً، فأما إذا أقبلت الدنيا فأحَقَّ أهلها بها أبرارها لا فجارها، و مؤمنوها لا منافقوها، و مسلموها لا كفارها».

(٢)

٧. روى عبد الله بن سنان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «بيننا أنا في الطواف و إذا برجل يجذب ثوبى، و إذا هو عباد بن كثير البصرى»، فقال: يا جعفر ابن محمد تلبس مثل هذه الثياب و أنت في هذا الموضع مع المكان الذى أنت فيه من علي عليه السلام؟! فقلت: «فرقى اشتريته بدينار، و كان علي عليه السلام فى زمان يستقيم له ما ليس فيه، و لو لبست مثل ذلك اللباس فى زماننا لقال الناس هذا مرء مثل عباد».

(٣)

٨. روى المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن علياً كان عندكم فأتى بنى ديوان و اشترى ثلاثة أثواب بدينار، القميص إلى فوق الكعب و الإزار إلى نصف الساق، و الرداء من بين يديه إلى ثديه و من خلفه إلى أليتيه، و قال: هذا اللباس الذى ينبغى للمسلمين أن يلبسوه، قال أبو عبد الله: «و لكن لا تقدر أن

ص: ٤٧

-
- ١- ١). الوسائل: ٣، الباب ٧ من أبواب أحكام الملابس، الحديث ٧ و ١٠. [١]
- ٢- ٢). الوسائل: ٣، الباب ٧ من أبواب أحكام الملابس، الحديث ٧ و ١٠. [٢]
- ٣- ٣). الوسائل: ٣، الباب ٧ من أبواب أحكام الملابس، الحديث ٣. [٣]

تلبسوا هذا اليوم و لو فعلناه لقالوا مجنون، و لقالوا مرأى». (١)

٩. روى أبو بكر الحضرمي، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لسيره على عليه السلام في أهل البصرة كانت خيراً لشيئته مما طلعت عليه الشمس أنه علم أنّ للقوم دوله، فلو سباهم تُسب شيئته». (٢)

١٠. روى السراد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال قلت له: أبيع السلاح، قال: «لا تبعه في فتنه». (٣)

١١. روى المعلى بن خنيس إذا جاء حديث عن أولكم و حديث عن آخركم بأيهما نأخذ؟ فقال: «خذوا به حتى يبلغكم عن الحى، فخذوا بقوله، أما و الله لا ندخلكم إلا فيما يسعكم». (٤) فإنّ الحكم الثانى المخالف لما روى سابقاً رهن حدوث تغير فى جانب الموضوع أو تبدل الملاك أو غير ذلك من العناوين المؤثره لتبدل الحكم.

١٢. روى محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: «إنّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم نهى أن تحبس لحوم الأضاحى فوق ثلاثه أيام من أجل الحاجه، فأما اليوم فلا بأس به». (٥)

١٣. روى محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن إخراج لحوم الأضاحى من منى؟ فقال: «كنا نقول: لا يخرج منها بشيء لحاجه الناس إليه، و أما اليوم فقد كثر الناس فلا بأس بإخراجه». (٦)

ص: ٤٨

١-١. الكافى: ٦، باب تشمير الثياب من كتاب الزى و التجمل، الحديث ٢. [١]

٢-٢. الكافى: ٥، كتاب الجهاد: ٣٣ [٢] باب (لم يذكر عنوان الباب) الحديث ٤.

٣-٣. الكافى: ٥، باب بيع السلاح منهم الحديث ٤ و [٣] فى الباب ما له صلته بالمقام.

٤-٤. الكافى: ١، [٤] باب اختلاف الحديث، الحديث ٩.

٥-٥. الوسائل: ١٠، الباب ٤١ من أبواب الذبيح، الحديث ٣. [٥]

٦-٦. الوسائل: ١٠، الباب ٤٢ من أبواب الذبيح، الحديث ٥. [٦]

١٤. روى الحكم بن عتيبه، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: إنَّ الديات إنما كانت تؤخذ قبل اليوم من الإبل والبقر والغنم، قال: فقال:

«إنَّما كان ذلك في البوادي قبل الإسلام، فلمَّا ظهر الإسلام و كثرت الورق في الناس قسَّيَها أمير المؤمنين عليه السلام على الورق» قال الحكم: قلت:

أ رأيت من كان اليوم من أهل البوادي، ما الذي يؤخذ منهم في الديه اليوم؟ إبل؟ أم ورق؟ فقال: «الإبل اليوم مثل الورق بل هي أفضل من الورق في الديه، أنهم كانوا يأخذون منهم في ديه الخطأ مائه من الإبل يحسب لكل بعير، مائه درهم، فذلك عشره آلاف».

قلت له: فما أسنان المائه بعير؟ فقال: «ما حال عليه الحول ذُكران كلَّها». (١)

إنَّ المشكله في المقرر من الديات الست من وجوه:

الأول: عدم وجود التعادل و التساوى بين الأمور الست في بدء الأمر، الوارده في بعض الأحاديث.

١٥. روى عبد الرحمن بن الحجاج ديه النفس بالشكل التالي:

أ: مائه إبل كانت في الجاهليه و أقرها رسول الله.

ب: مائتا بقر على أهل البقر.

ج: ألف شاه ثنيه على أهل الشاه.

د: ألف دينار على أهل الذهب.

ه: عشره آلاف درهم على أهل الورق.

و: مائتا حلّه على أهل اليمن. (٢)

ص: ٤٩

١- ١). الوسائل: ١٩، الباب ٢ من أبواب ديات النفس، الحديث ٨. [١]

٢- ٢). الوسائل: ١٩، الباب ٢ من أبواب ديه النفس، الحديث ١. [٢]

فأين قيمه مائتي حله من قيمه مائه إبل أو غيرها؟! فقد أوجد ذلك مشكله في أداء الدينه خصوصاً إذا قلنا بما هو المشهور من أنّ اختيار أى واحد منها بيد القاتل، فإذا كيف يتصور التخير بين الأقل و الأكثر؟!

و الجواب أنّه من المحتمل أن تكون جميع هذه الموارد متقاربه قيمه، لأنّ الحلل اليمانيه و إن كانت زهیده الثمن إلا أنّ صعوبه اقتنائها حال دون انخفاض قيمتها.

و على فرض انخفاض قيمتها لما كان للجاني اختيار الحلل أخذاً بالمتيقن من مورد النص للجاني.

الثاني: المراد من الورق الوارد في النصوص هو الدينار و الدرهم المسكوكين الرائجين، و هذا غير متوفر في غالب البلدان، لأنّ المعاملات تتم بالعمله الرائجه في كلّ بلد، و هي غير النقدين، و على فرض وجود النقدين في الأعصار السابقه، فليس رائجين.

الثالث: لم ترد في النصوص الاجتزاء بالعمله الرائجه فما ورد من الدينار و الدرهم فغير رائجين و ما هو الرائج اليوم كالعمله الورقيه فلم يرد فيها نصّ.

و الجواب عن الأخيرين هو أنّ تقويم ديه النفس بالأنعام أو الحلل، لم يكن لخصوصيه فيها دون غيرها، بل لأجل أنّ قلّه وجود النقدين كانت سبباً لتعامل الناس بالأجناس فكان الثمن أيضاً جنساً كالمثمن و لما كثر الورق، قسّمها الإمام على الورق.

و هذا يعرب عن أنّ الدينه الواقعيه هو قيمه هذه الأنعام و الحلل، لا أنفسها بما هي هي، بنحو لو أدى قيمتها لما أدى الدينه الواقعيه.

و لو صحّ ذلك فلا فرق عندئذٍ بين النقدين و العمله الرائجه في البلاد هذه

الأيام، إذ الغرض أداء قيمه النفس بأشكالها المختلفه.

١٦. روى الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت عن الوبا يكون في ناحيه المصر فيتحول الرجل إلى ناحيه أخرى، أو يكون في مصر فيخرج منه إلى غيره.

فقال: «لا- بأس إنَّما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك لمكان ربيته كانت بحيال العدو فوقع فيهم الوبا فهربوا منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:»

الفار منه كالفار من الزحف كراهيه أن يخلو مراكزهم». (١)

فدلَّ الحديث على أنَّ النهي كان بملا-ك خاص، وهو أنَّ الخروج كان سبباً لضعف النظام الإسلامي و إلا- فلا مانع من أن يخرجوا منه بغيه السلامه.

١٧. روى علي بن المغيرة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: القوم يكونون في البلد فيقع فيه الموت، ألهم أن يتحوَّلوا عنها إلى غيرها، قال:

«نعم»، قلت: بلغنا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاب قومًا بذلك، فقال: «أولئك كانوا ربيته بازاء العدو فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يثبتوا في موضعهم ولا يتحولوا عنه إلى غيره، فلما وقع فيهم الموت تحولوا من ذلك المكان إلى غيره، فكان تحويلهم عن ذلك المكان إلى غيره كالفرار من الزحف». (٢)

١٨. روى عبد الله بن بكير عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام: لا- ينبغي أن يتزوج الرجل الحرَّ المملوكه اليوم، إنَّما كان ذلك حيث قال الله عزَّ وجلَّ: «وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا» و الطول المهر، و مهر الحره اليوم مثل مهر الأمه أو أقل. (٣)

ص: ٥١

١-١. الوسائل: ٢، الباب ٢٠ من أبواب الاحتضار، الحديث ١. [١]

٢-٢. الوسائل: ٢، الباب ٢٠ من أبواب الاحتضار، الحديث ٢. [٢]

٣-٣. الوسائل: ١٤، الباب ٤٥ من أبواب ما يحرم بالمصاهره، الحديث ٥. [٣]

فالحديث يهدف إلى تفسير قوله سبحانه:

«وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ» ١.

فالآية تعلق جواز تزويج الأمة بعدم الاستطاعة على نكاح الحره لأجل غلاء مهرها بخلاف مهر الأمة فإنها كانت زهيدة الثمن.

فإذا عاد الزمان إلى غير هذا الوضع و صار مهر الأمة و الحره على حدّ سواء بل كان مهر الحره أقل فلا ينبغي أن يتزوج المملوكه فقد غيرت الظروف جواز الحكم إلى كراهته أو تحريمه.

١٩. روى بكير بن محمد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال سأله رجل و أنا حاضر، فقال: يكون لى غلام فيشرب الخمر و يدخل فى هذه الأمور المكروهه فأريد عتقه، فهل أعتقه أحب إليك أم أبيع و أتصدق بثمنه؟ فقال: «إنّ العتق فى بعض الزمان أفضل، و فى بعض الزمان الصدقه أفضل، فإن كان الناس حسنه حالهم، فالعتق أفضل، و إذا كانوا شديده حالهم فالصدقه أفضل، و بيع هذا أحب إلى إذا كان بهذه الحال». (١)

٢٠. روى محمد بن سنان، عن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام فى حديث: «ليس بين الحلال و الحرام إلا شىء يسير، يحوله من شىء إلى شىء فيصير حلالاً و حراماً». (٢)

هذه بعض ما وقفنا عليه، و لعلّ الباحث فى غضون الجوامع الحديثيه يقف على أكثر من ذلك.

ص: ٥٢

١-٢. الوسائل: ١٦، الباب ٢٧ من أبواب العتق، الحديث ١. [١]

٢-٣. بحار الأنوار: ٩٤/٦، الحديث ١، باب علل الشرائع و الأحكام. [٢]

إنَّ الإمعان في مضامين هذه الروايات يثبت أنَّ تغيير الحكم إنَّما كان لإحدى الجهات التالية:

١. كان الحكم، حكماً حكومياً وولائياً نابعاً من ولايه النبي على إداره المجتمع و حفظ مصالحه، و مثل هذا الحكم لا يكون حكماً شرعياً إلهياً نزل به أمين الوحي عن ربِّ العالمين، بل حكماً مؤقتاً يدور مدار المصالح و المفسدات التي أوجبت تشريع هذا النوع من الأحكام.

و من هذا القبيل النهي عن إخراج اللحم من منى قبل ثلاثه أيام، أو النهي عن أكل لحوم الحمير، و لذلك قال الإمام بعد تبين علِّه النهي إنَّما الحرام ما حرّم الله في القرآن، مشيراً إلى أنَّه لم يكن هذا النهي كسائر النواهي النابعة من المصالح و المفسدات، الذاتية كالخمر و الميسر بل نجم عن مصالح و مفسدات مؤقتة.

و نظيرهما النهي من الخروج عن مكان ظهر فيه الطاعون، حيث إنَّ النهي كان لأجل أنَّ تحوّلهم من ذلك المكان كان أشبه بالفرار من الزحف فوفاهم النهي فإذا انتفى هذا القيد فلا مانع حينئذٍ من خروجهم.

٢. إنَّ تبدل الحكم كان لأجل انعدام الملاك السابق، و ظهور ملاك مباين، كما هو الحال في حديث الدينارين بخلاف عصر الإمام الصادق حيث كان يعطون من السنه إلى السنه.

و مثله جواز نكاح الأمه مع القدره على الحره، لأنَّ ملاك الجواز هو غلاء مهر الحره، و قد انتفى في ذلك العصر، بل صار الأمر على العكس كما في نفس الروايه.

٣. عروض عنوان محرم عليه، ككونه لباس الشهره أو رمى اللابس بالجنون كما فى أحاديث الألبسه، كما يمكن أن يكون من قبيل تبدل الملاك، فقد ورد النهى فى عصر مقفر، جذب، و أين هو من عصر الخصب و الرخاء!؟

٤. كون الملاك أوسع كما هو الحال بالاكْتفاء بالدرهم و الدينار فى ديه النفس، فى عصر الإمام على عليه السلام فإنّ الملاك توفر ما يقوّم به دم المجنى عليه، ففى أهل الإبل الإبل، و فى أهل البقر و الغنم بهما، و فى أهل الدرهم و الدينار بهما.

ص: ٥٤

إشاره

إنّ تأثير الظروف في تفسير الروايات و الفتاوى في كلام الفقهاء أمر غير عزيز، وقد وقفوا على ذلك منذ أمد بعيد، و نذكر هنا مقتطفات من كلامهم:

١. الصدوق (٣٠٦-٥٣٨١)

١. روى الصدوق في الفقيه عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنّه قال: «الفرق بين المسلمين و المشركين التلحي بالعمائم». ثمّ قال الصدوق في شرح الحديث: ذلك في أوّل الإسلام و ابتدائه، و قد نقل عنه صلى الله عليه و آله و سلم أيضاً أنّه أمر بالتلحي و نهى عن الاقتعاط. (١)

قال الفيض الكاشاني بعد نقل الحديث: التلحي إداره العمامه تحت الحنك، و الاقتعاط شدّها من غير إداره، و سِنَّه التلحي متروكه اليوم في أكثر بلاد الإسلام كقصر الثياب في زمان الأئمه، فصارت من لباس الشهره المنهى عنها. (٢)

ص: ٥٥

١-١. الفقيه: ٢٦٠/١ برقم ٨٢١.

٢-٢. الوافي: ٧٤٥/٢٠. [١]

قال في مبحث تجويز النسخ: الأحكام منوطه بالمصالح، و المصالح تتغير بتغير الأوقات، و تختلف باختلاف المكلفين، فجاز أن يكون الحكم المعين مصلحه لقوم في زمان فيؤمر به، و مفسده لقوم في زمان آخر فينهى عنه. (١)

٣. الشيخ الشهيد محمد بن مكي العاملي (المتوفى عام ٥٧٨٦هـ)

قال: يجوز تغيير الأحكام بتغير العادات كما في النقود المتعاوره (٢) و الأوزان المتداوله، و نفقات الزوجات و الأقارب فإنها تتبع عادة ذلك الزمان الذي وقعت فيه، و كذا تقدير العواري بالعوائد.

و منه الاختلاف بعد الدخول في قبض الصداق، فالمرؤى تقديم قول الزوج، عملاً بما كان عليه السلف من تقديم المهر على الدخول.

و منه: إذا قَدِّم بشيء قبل الدخول كان مهراً إذا لم يسم غيره، تبعاً لتلك العاده فالآن ينبغي تقديم قول الزوجه، و احتساب ذلك من مهر المثل. (٣)

فقد أشار بقوله «ينبغي تقديم قول الزوجه» إلى مسأله التنازع بينهما فيما إذا ادَّعت الزوجه بعد الدخول بعدم تسلّم المهر، و ادَّعى الرجل تسليمه إليها، فقد روى الحسن بن زياد، قال: إذا دخل الرجل بامرأته، ثم ادَّعت المهر و قال: قد أعطيتك فعليها البيئه و عليه اليمين. (٤)

ص: ٥٦

١-١. كشف المراد: ١٧٣، ط مؤسسه [١] الإمام الصادق عليه السلام.

٢-٢. المتعاوره أى المتداوله.

٣-٣. القواعد و الفوائد: ١/١٥٢، [٢] القاعده الخامسه، ط النجف الأشرف.

٤-٤. الوسائل: الجزء ١٥، الباب ٨ من أبواب المهور، الحديث ٧. [٣]

غير أنّ لفيماً من الفقهاء حملوا الروايه على ما إذا كانت العاده الإقباض قبل الدخول و إلا فالبيته على الزوج.

قال صاحب الجواهر: الظاهر أنّ مبنى هذه النصوص على ما إذا كانت العاده الإقباض قبل الدخول، بل قيل إنّ الأمر كذلك كان قديماً، فيكون حينئذٍ ذلك من ترجيح الظاهر على الأصل. (١)

٤. المحقق الأردبيلي (المتوفى ٥٩٩٣هـ)

قال: ولا يمكن القول بكلية شيء بل تختلف الأحكام باعتبار الخصوصيات و الأحوال و الأزمان و الأمكنه و الأشخاص و هو ظاهر، و باستخراج هذه الاختلافات و الانطباق على الجزئيات المأخوذه من الشرع الشريف، امتياز أهل العلم و الفقهاء، شكر الله سعيهم و رفع درجاتهم. (٢)

٥. صاحب الجواهر (المتوفى ١٢٦٦هـ)

قال في مسأله بيع الموزون مكيلاً و بالعكس: إنّ الأقوى اعتبار التعارف في ذلك و هو مختلف باختلاف الأزمنه و الأمكنه. (٣)

٦. الشيخ الأنصاري (١٢١٤-١٢٨١هـ)

و قال الشيخ الأنصاري في بحث ضمان المثلى و القيمي: بقي الكلام في أنّه

ص: ٥٧

[١- ١]. الجواهر: ١٣٣/٣١. [١]

[٢- ٢]. مجمع الفائده و البرهان: ٣/٤٣٦.

[٣- ٣]. الجواهر: ٣٧٥/٢٣. [٢]

هل يعد من تعذر المثل خروجه عن قيمه كالماء على الشاطئ إذا أتلفه في مفازه و الجمد في الشتاء إذا أتلفه في الصيف أم لا؟ الأقوى بل المتعين هو الأول بل حكى عن بعض نسبته إلى الأصحاب وغيرهم و المصرح به في محكى التذكرة و الإيضاح و الدروس قيمه المثل في تلك المفازه و يحتمل آخر مكان أو زمان يخرج المثل فيه عن المالىه. (١)

٧. الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (١٢٩٤ - ١٣٧٣هـ)

قال في تحرير المجله في ذيل المادة ٣٩: «لا ينكر تغيير الأحكام بتغير الأزمان» قد عرفت أنّ من أصول مذهب الإماميه عدم تغيير الأحكام إلا بتغيير الموضوعات أما بالزمان و المكان و الأشخاص، فلا يتغير الحكم و دين الله واحد في حق الجميع لا تجد لسنة الله تديلاً، و حلال محمد صلى الله عليه و آله و سلم حلال إلى يوم القيامة و حرامه كذلك.

نعم يختلف الحكم في حق الشخص الواحد باختلاف حالاته من بلوغ و رشد و حضر و سفر و فقر و غنى و ما إلى ذلك من الحالات المختلفه، و كلها ترجع إلى تغيير الموضوع فيتغير الحكم فتدبر و لا يشتبه عليك الأمر. (٢)

الظاهر أنه يريد من قوله: «أما بالزمان و المكان و الأشخاص فلا يتغير الحكم» أنّ مرور الزمان لا يوجب تغيير الحكم الشرعى بنفسه، و أمّا إذا كان مرور الزمان سبباً لطوء عناوين موجه لتغير الموضوع فلا شكّ أنه يوجب تغيير الحكم و قد أشار إليه في ذيل كلامه.

ص: ٥٨

١-١. المكاسب: ١١٠. [١]

٢-٢. تحرير المجله: ٣٤/١. [٢]

قال: إنني على اعتقاد بالفقه الدارج بين فقهاءنا و بالاجتهاد على النهج الجواهرى، و هذا أمر لا بد منه، لكن لا يعنى ذلك أنّ الفقه الإسلامى لا يواكب حاجات العصر، بل أنّ لعنصرى الزمان و المكان تأثيراً فى الاجتهاد، فقد يكون لواقعه حكم لكنّها تتخذ حكماً آخر على ضوء الأصول الحاكمه على المجتمع و سياسته و اقتصاده. (١)

و قد طرح هذه المسأله غير واحد من أعلام السنّه.

١. منهم ابن قيم الجوزيه (المتوفى ٧٥١هـ) فقد عقد فى كتابه فصلاً تحت عنوان «تغير الفتوى و اختلافها بحسب تغير الأزمنه و الأمكنه و الأموال و النيات و العوائد».

يقول فى ذيل هذا الفصل:

هذا فصل عظيم النفع، و وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعه أوجب من الحرج و المشقه، و تكليف ما لا سبيل إليه، ما يعلم أنّ الشريعه الباهره التى فى أعلى رتب المصالح لا- تأتى به، فإنّ الشريعه مبناها و أساسها على الحكّم و مصالح العباد فى المعاش و المعاد، و هى عدل كلّها، و رحمه كلّها، و مصالح كلّها، و حكمه كلّها، فكلّ مسأله خرجت عن العدل إلى الجور، و عن الرحمه إلى ضدها، و عن المصلحه إلى المفسده، و عن الحكمه إلى العبث، فليست من الشريعه. (٢)

٢. منهم: أبو إسحاق الشاطبى (المتوفى ٧٩٠هـ) فى الموافقات «قال: المسأله العاشره: إنّنا وجدنا الشارع قاصداً لمصالح العباد و الأحكام العاديه تدور

ص: ٥٩

١- ١. صحيفه النور: ٩٨/٢١.

٢- ٢. اعلام الموقعين: ١٤/٣ و قد استغرق فى هذا الكتاب ٥٦ صفحه.

معها حيثما دار، فتري الشيء الواحد يمنع في حال لا تكون فيه مصلحة فإذا كان فيه مصلحة جاز. (١)

وقال في موضع آخر: النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً، كانت الأفعال موافقه أو مخالفه، وذلك أنّ المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادره عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل. (٢)

٣. ومنهم: العلامة محمد أمين أفندي الشهير ب«ابن عابدين» مؤلف كتاب «مجموعه رسائل» قال ما هذا نصّه:

اعلم أنّ المسائل الفقهيّه إمّا أن تكون ثابتة بصريح النص، وإمّا أن تكون ثابتة بضرب اجتهاد و رأى، وكثيراً منها ما يبينه المجتهد على ما كان في عرف زمانه بحيث لو كان في زمان العرف الحادث لقال بخلاف ما قاله أولاً، ولهذا قالوا في شروط الاجتهاد أنّه لا بدّ فيه من معرفه عادات الناس، فكثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان لتغيّر عرف أهله، أو لحدوث ضروره، أو فساد أهل الزمان بحيث لو بقى الحكم على ما كان عليه أولاً للزم منه المشقه و الضرر بالناس، ولخالف قواعد الشريعه المبتيه على التخفيف و التيسير و دفع الضرر و الفساد لبقاء العالم على أتم مقام و أحسن أحكام، ولهذا ترى مشايخ المذهب خالفوا ما نص عليه المجتهد في مواضع كثيره بناها على ما كان في زمنه لعلمهم بأنّه لو كان في زمنهم لقال بما قالوا به أخذاً في قواعد مذهبه. (٣)

٤. ومنهم: الفقيه الأستاذ أحمد مصطفى الزرقاء في كتابه «المدخل الفقهي

ص: ٦٠

١-١. الموافقات: ٣٠٥/٢، ط دار المعرفه.

٢-٢. الموافقات: ١٤٠/٤، ط دار الكتب العلميه، و العبارة الأولى أصرح في المقصود.

٣-٣. رسائل ابن عابدين: ١٢٣/٢.

العام»، قال:

الحقيقه ان الأحكام الشرعيه التي تتبدل بتبدل الموضوعات مهما تغيرت باختلاف الزمان، فإنّ المبدأ الشرعى فيها واحد و ليس تبدل الأحكام إلاّ- تبدل الوسائل و الأساليب الموصله إلى غايه الشارع، فإنّ تلك الوسائل و الأساليب فى الغالب لم تحدّد فى الشريعه الإسلاميه بل تركتها مطلقه لكى يختار منها فى كلّ زمان ما هو أصلح فى التنظيم نتاجاً و أنجح فى التقويم علاجاً.

ثمّ إنّ الأستاذ جعل المنشأ لتغيير الأحكام أحد أمرين:

أ:فساد الأخلاق و فقدان الورع و ضعف الوازع، و أسماه بفساد الزمان.

ب:حدوث أوضاع تنظيميه و وسائل فرضيه و أساليب اقتصاديه.

ثمّ إنّ مثله لكلّ من النوعين بأمثله مختلفه اقتبس بعضها من رساله «نشر العرف» للشيخ ابن عابدين، و لكنّه صاغ الأمثله فى ثوب جديد. (١)

٥.و منهم:الدكتور وهبه الزحيلي فى كتابه «أصول الفقه الإسلامى» فقد لخص ما ذكره الأستاذ السابق و قال فى صدر البحث:تغير الأحكام بتغير الأزمان.

إنّ الأحكام قد تتغير بسبب تغير العرف أو تغير مصالح الناس أو لمراعاة الضروره أو لفساد الأخلاق و ضعف الوازع الدينى أو لتطور الزمن و تنظيماته المستحدثه، فيجب تغير الحكم الشرعى لتحقيق المصلحه و دفع المفسده و إحقاق الحق و الخير، و هذا يجعل مبدأ تغير الأحكام أقرب إلى نظريه المصلح المرسله منها إلى نظريه العرف. (٢)

ص:٦١

١-١. المدخل الفقهي العام:٩٢٤/٢.

٢-٢. أصول الفقه الإسلامى:١١٦/٢.

و قبل تطبيق هذا الأصل على مواردہ نود أن نشير إلى أمور يتبين بها حدّ هذا الأصل:

أمور

الأول: حصر التشريع في الله سبحانه

دلّت الآيات القرآنية على حصر التشريع في الله سبحانه و أنه ليس مشرع سواه، قال سبحانه: «إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» ١.

و المراد من الحكم هو الحكم التشريعي بقريته قوله: «أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» و هذا أمر أوضحنا حاله في موسوعتنا «مفاهيم القرآن».

و ينبغي التأكيد على نكته و هي أنّ تغير الحكم وفق الزمان و المكان يجب أن لا يتنافى مع حصر التشريع بالله سبحانه.

الثاني: خلود الشريعة

دلّ القرآن و السنّة على خلود الشريعة الإسلامية و أنّ الرسول خاتم الأنبياء و كتابه خاتم الكتب، و شريعته خاتمة الشرائع، فحلاله حلال إلى يوم القيامة، و حرامه حرام إلى يوم القيامة و بذلك تضافرت الآيات و الروايات و قد تقدم.

فاللازم أيضاً أن لا يكون أيّ تناف بين خلود الشريعة و تأثير الزمان و المكان على الاستنباط.

و من حسن الحظ أنّ الأستاذ أحمد مصطفى الزرقاء قد صرح بهذا الشرط، و هو أنّ عنصرى الزمان و المكان لا تمسان كرامه الأحكام المنصوصه في الشريعة، و إنّما يؤثران في الأحكام المستنبطه عن طريق القياس و المصالح المرسله و الاستحسان و قال ما هذا نصّه:

قد اتفقت كلمه فقهاء المذاهب على أنّ الأحكام التى تتبدّل بتبدّل الزمان و أخلاق الناس هى الأحكام الاجتهاديه من قياسيه و مصلحيه، أى التى قررها الاجتهاد بناء على القياس أو على دواعى المصلحه، و هى المقصوده من القاعده المقرره «تغيير الأحكام بتغيير الزمان».

أمّا الأحكام الأساسيه التى جاءت الشريعه لتأسيسها و توطيدها بنصوصها الأصلية الأمره، الناهيه كحرمه المحرمات المطلقه و كوجوب التراضى فى العقود، و التزام الإنسان بعقده، و ضمان الضرر الذى يلحقه بغيره و سرعان إقراره على نفسه دون غيره، و وجوب منع الأذى و قمع الاجرام، و سد الذرائع إلى الفساد و حمايه الحقوق المكتسبه، و مسئوليته كلّ مكلف عن عمله و تقصيره، و عدم مؤاخذه برىء بذنوب غيره، إلى غير ذلك من الأحكام و المبادئ الشرعيه الثابته التى جاءت الشريعه لتأسيسها و مقاومه خلافها، فهذه لا تتبدل بتبدل الأزمان، بل هى الأصول التى جاءت بها الشريعه لإصلاح الأزمان و الأجيال، و لكن وسائل تحقيقها و أساليب تطبيقها قد تتبدل باختلاف الأزمنه المحدثه. (1)

و كلامه صريح فى أنّ المتغير عندهم هو الأحكام الاجتهاديه لا الأحكام المنصوصه، و يريد من الأحكام الاجتهاديه ما استنبطه المجتهد من القواعد الخاصه، كالقياس و المصالح المرسله، و قد صرح بذلك الدكتور وهبه الزحيلي حيث قال: و ذلك كائن بالنسبه للأحكام الاجتهاديه - القياسيه أو المصلحيه - المتعلقة بالمعاملات أو الأحوال المدنيه من كلّ ما له صلته بشئون الدنيا و حاجات التجاره و الاقتصاد و تغيير الأحكام فيها فى حدود المبدأ الشرعى، و هو إحقاق الحق و جلب المصالح و درء المفاسد.

ص: ٦٣

أمّا الأحكام التعبدية و المقدرات الشرعية و أصول الشريعة الدائمة، فلا- تقبل التبديل مطلقاً، مهما تبدل المكان و تغير الزمان، كحرمة المحارم، و وجوب التراضي في العقود، و ضمان الضرر الذي يلحقه الإنسان بغيره، و سريان إقراره على نفسه، و عدم مؤاخذه برىء بذنب غيره. (١)

نعم، نقل تقديم بعض الأحكام الاجتهادية على النص عن أحمد بن إدريس المالكي، و نجم الدين أبو ربيع المعروف بالطوفي، و بما أنا لم نقف على نصوص كلامهم نتوقف عن القضاء في حقهم.

و على أي تقدير يجب على من يقول بتأثير العاملين على استنباط الحكم الشرعي أن يحددهما بشكل لا- تمس الأصلين المتقدمين أي نحترز أولاً عن تشريع الحكم، و ثانياً عن مس كرامه تأييد الأحكام، و على ذلك فلا فرق بين الأحكام الاجتهادية و المنصوصه إذا كان الأصلان محفوظين.

الثالث: إن المراد من تأثير الزمان و المكان على الاستنباط، هو أن يكون تغير الوضع موجباً لتبديل الحكم

من دون أن يكون في النص إشاره إلى هذا النوع من التغيير، و إلاّ فلو كان التشريع الأوّل متضمناً لتغير الحكم في الزمان الثاني فهو خارج عن موضوع بحثنا و إن كان يمكن الاستئناس به، و على ذلك تخرج الموارد التاليه عن موضوع البحث.

أ: اختلاف الحكم الشرعي في دار الحرب مع غيرها، مثلاً لو ارتكب المسلم فعلاً يستتبع الحد فلا يقام عليه في دار الحرب، بخلاف ما لو كان في دار الإسلام.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يقام على أحد حدّ بدار العدو». (٢)

ص: ٦٤

١- ١). أصول الفقه: ١١١٦/٢.

٢ - ٢). الوسائل: ١٨، الباب ١٠ من أبواب مقدمات الحدود، الحديث ١. [١] لاحظ الخلاف: ٥٢٢/٥ قال ابن قدامه في المغنى: ٥٣٨/١٠. قال أبو حنيفة: لا حدّ و لا قصاص في دار الحرب و لا إذا رجع.

ب: من زنى فى شهر رمضان نهاراً كان أو ليلاً عوقب على الحد لانتهاكه الحرمه، و كذا لو كان فى مكان شريف أو زمان شريف.

(١)

ج: اختلاف المجاهدين و المنفقين قبل الفتح و بعده، يقول سبحانه: «لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَ كَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» ٢.

د: نسخ الحكم فى الزمان الثانى، كما فى قوله سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ» ٣
فقد نسخ بقوله سبحانه: «أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ...» ٤.

ه: تغيير الأحكام بطرء العناوين الثانويه كالضرر و الحرج و تقديم الأهم على المهم، و النذر و العهد و اليمين و ما أشبه ذلك.

و حصيله الكلام أنّ محور البحث هو أنّ الظروف المختلفه هى العامل الوحيد لتغير الأحكام بعد التشريع الأول، و هذه هى التى تبعث الفقيه على الإمعان فى بقاء التشريع الأول أو زواله، و أمّا إذا قام الشارع بنفسه ببيان اختلاف الحكمين فى الطرفين فهو خارج عن محط البحث و إن كان ربما يقرب فكره التأثير، و يستأنس بها المجتهد. أو كان التغيير لأجل طرء عناوين ثانويه كالاضطرار و الحرج فهو خارج عن محط البحث و بذلك يعلم أنّ استناد بعض من نقلنا نصوصهم من أعلام السنّه إلى تلك العناوين، خروج عن مصب البحث.

ص: ٦٥

الرابع: إذا قلنا بتأثير الزمان و المكان على الاستنباط، فالحكم المستنبط عندئذٍ حكم واقعي

و ليس حكماً ظاهرياً كما هو معلوم، لعدم أخذ عنوان الشكّ في موضوعه و لا حكماً واقعياً ثانوياً الذي يعتمد على عنواني الضرر و الحرج أو غير ذلك من العناوين الثانويه، فالمجتهد يبذل جهده في فهم الكتاب و السنّه لاستنباط الحكم الشرعي الواقعي في هذه الظروف، و يكون حكمه كسائر الأحكام التي يستنبطها المجتهد في غير هذا المقام، فالحكم بجواز بيع الدم أو المنى أو سائر الأعيان النجسه التي ينتفع بها في هذه الأيام ليس حكماً ظاهرياً و لا مستخرجاً من باب الضرر و الحرج، و إنّما هو حكم واقعي كسابقه (أى التحريم) غير أنّ الحكم السابق كان مبنياً على عدم الانتفاع بالأعيان النجسه انتفاعاً معتداً به، و هذا الحكم مبنى على تبدل الموضوع.

و إن شئت قلت بتبدل مصداق الموضوع إلى مصداق موضوع آخر، تكون الحرمة و الجواز كلاهما حكمين شرعيين واقعيين.

إشاره

إذا وقتت على الروايات الواردة حول تأثير الزمان و المكان، و على كلمات المحققين من الفريقين فى ذلك المضممار فآن الأوان للبحث عن التطبيقات و الفروع المستنبطه على ضوء ذلك الأصل، و بما انّ تأثير الزمان و المكان على الاستنباط ليس تأثيراً عشوائياً بل هو خاضع لمنهاج خاص يسير على ضوئه، فلذلك نذكر الأمثله تحت ضوابط معينه لثلا تقع ذريعه إلى إنكار ثبات الأحكام و دوامها:

الأول: تأثيرهما فى تطبيق الموضوعات على مواردنا

لا شكّ انّ هناك أموراً وقعت موضوعاً لأحكام شرعيه نظير:

1. الاستطاعه: قال سبحانه: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» ١.
2. الفقر: قال سبحانه: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ ... وَ ابْنِ السَّبِيلِ» ٢.
3. الغنى: قال سبحانه: «وَ مَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَ مَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ

٤. بذل النفقه للزوجه: قال سبحانه: «أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ» ٢.

٥. إمساك الزوجه بالمعروف: قال سبحانه: «فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» ٣.

و من الواضح أنّ مصاديق هذه الموضوعات تتغير حسب تغير أساليب الحياه، فالإنسان المستطيع بالأمس للحجّ، لا يعد مستطيعاً اليوم، لكثرة حاجات الإنسان في الزمان الثاني دون الأول، وبذلك يتضح حال الفقر و الغنى، فربّ غنى بالأمس فقير اليوم.

- كما أنّ نفقه الزوجه في السابق كانت منحصره في الملبس و المأكل و المسكن، و أما اليوم فقد ازدادت حاجاتها على نحو لو لم يقم الرجل ببعض تلك الحاجات يعد عمله بخساً لحقها، و امتناعاً من بذل نفقتها.

- إنّ المثلى و القيمي و المكييل و الموزون موضوعات للأحكام الشرعيه، مثلاً: لا- تجوز معاوضه المتماثلين إذا كان مكيلاً أو موزوناً إلاّ بمثله قدرّاً و وزناً، دون المعدود و الموزون، فيجوز تبديلهما بأكثر منهما فالمثلى يضمن بالمثلى، و القيمي بالقيمي، و قد عُرّف المثلى بكثرة المماثل، و القيمي بقلّته، و لذلك عُدت الثياب و الأواني من القيميات، لكن صارا اليوم بفضل الصناعه الحديثه، مثليين.

ثمّ إنّ المتبع في كون شيء مكيلاً- أو موزوناً أو معدوداً هو عرف البلد الذي يتعامل فيه و هو يختلف حسب اختلاف الزمان و المكان.

و بذلك اتضح أنّ عنصرى الزمان و المكان يؤثران فى صدق المفاهيم فى زمان دون زمان.

الثانى: تأثيرهما فى تغير الحكم بتغير مناطه

لا- شكّ أنّ الأحكام الشرعيه تابعه للملاكات و المصالح و المفاسد، فربما يكون مناط الحكم مجهولاً و مبهماً، و أخرى يكون معلوماً بتصريح من قبل الشارع، و القسم الأول خارج عن محلّ البحث، و أمّا القسم الثانى فالحكم دائر مدار مناطه و ملاكه.

فلو كان المناط باقياً فالحكم ثابت، و أمّا إذا تغير المناط حسب تغير الظروف فيتغير الحكم قطعاً، مثلاً:

1- لا- خلاف فى حرمه بيع الدم بملاك عدم وجود منفعه محلّله فيه، و لم يزل حكم الدم كذلك حتى اكتشف العلم له منفعه محلّله تقوم عليها رحى الحياه، و أصبح التبرع بالدم إلى المرضى كإهداء الحياه لهم، و بذلك حاز الدم على ملاك آخر فحلّ بيعه و شراؤه. (1)

قال السيد الإمام الخمينى: الأقوى جواز الانتفاع بالدم فى غير الأكل و جواز بيعه لذلك، و على ذلك تعارف من بيع الدم من المرضى و غيرهم لا مانع منه فضلاً عمّا إذا صالح عليه أو نقل حق الاختصاص و يجوز نقل الدم من بدن إنسان إلى آخر، و أخذ ثمنه بعد تعيين وزنه بالآلات الحديثه، و مع الجهل لا مانع من الصلح عليه، و الأحوط أخذ المبلغ للتمكين على أخذ دمه مطلقاً، لا مقابل الدم و لا يترك الاحتياط ما أمكن.

ص: ٦٩

٢. أن قطع أعضاء الميت أمر محرّم في الإسلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِيَّاكُمْ وَالْمِثْلَهُ وَ لَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ» (١) ومن الواضح أنّ ملاك التحريم هو قطع الأعضاء لغايه الانتقام و التشفّي، و لم يكن يومذاك أى فائده تترتب على قطع أعضاء الميت سوى تلبية للربه النفسيه-الانتقام - و لكن اليوم ظهرت فوائد جمّه من وراء قطع أعضاء الميت، حيث صارت عمليه زرع الأعضاء أمراً ضرورياً يستفاد منها لنجاه حياه المشرفين على الموت. و يمكن أن يكون من هذه المقوله المثل التالى:

٣. لا شكّ أنّ التوالد و التناسل أمر مرغوب فى الشرع. روى محمد بن مسلم عن أبى عبد الله عليه السلام، قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«تَزَوَّجُوا فَإِنِّى مَكَاثِرُ بِكُمْ الأُمَمُ غَدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (٢)

و روى جابر عن أبى جعفر عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما يمنع المؤمن أن ينفذ أهلاً لعل الله يرزقه نسمة تثقل الأرض بلا إله إلا الله». (٣)

حتى أنّه سبحانه يمن على عباده بكثرة المال و البنين، و يقول: «اسْتَتَفِرُّوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا* وَ يُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَنِينَ» ٤.

إلى غير ذلك من الآيات و الروايات الحائنه على تكثير النسل، لكن ربما تعترى البلاد أزمه اقتصاديه و ثقافيه خانقه لا تتمكن من توفير الخدمات اللازمه لمواطنيها نتيجة كثافه سُكَّانها، فعند ذلك ينقلب ملاك الحكم الاستجابى إلى غيره، لأنّ هدف الشارع من تكثير النسل هو توفير العزّه و المنعه، فإذا تعرّس فحينها يكون تحديد النسل هو الحل المطلوب.

ص: ٧٠

١- ١. لاحظ نهج البلاغه: [١] أقسم الرسائل، برقم ٤٧.

٢- ٢. الوسائل: ١٤، الباب الأوّل من أبواب مقدمات النكاح، الحديث ٢ و ٣. [٢]

٣- ٣. الوسائل: ١٤، الباب الأوّل من أبواب مقدمات النكاح، الحديث ٢ و ٣. [٣]

و هناك أمثله أخرى لم نستعرضها لعدم ثبوت تغيير الملائك عندنا، كصناعه التماثيل فربما يتصور أنّ الملائك فى التحريم هو كون صناعه التماثيل ذريعه لعباده أصحابها، و أمّا اليوم فقد انتفى ذلك الملائك و عادت من الفنون الجميله.

هذا بالنظر إلى البلاد الإسلاميه، و أمّا بالنظر إلى دول جنوب آسيا فالتجسيم هناك رمز العباده و الشرك و ذريعه إليه فهل يكفى فى الحليه خلو العمل من الملائك فى بلد خاص، أو يجب أن يكون كذلك فى كافه البلدان أو أغلبها، و الثانى هو المتعین.

الثالث: تأثيرهما فى كشف مصاديق جديده للموضوع

إنّ الزمان و المكان كما يؤثران فى تغيير الملائك و تبدّله، كذلك يؤثران فى إسراء الحكم إلى موضوع لم يكن موجوداً فى عصر التشريع و ذلك بفضل الملائك المعلوم، و لنذكر هنا أمثله:

١. أنّ السبق و الرمايه من التمارين العسكريه التى يكتسب بها المهارة اللازمه للدفاع عن النفس و للقتال و الظاهر من بعض الروايات حصرها فى أمور ثلاثه.

روى حفص بن غياث، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لا سبق إلا فى خف أو حافر أو نصل -يعنى: النضال». (١)

و روى عبد الله بن سنان عنه عليه السلام قال: سمعته يقول: «لا سبق إلا فى خف أو حافر أو نصل -يعنى النضال». (٢)

و روى الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنّه كان يقول: «إنّ الملائكه تحضر الرهان فى الخف و الحافر و الريش و ما سوى ذلك فهو قمار حرام». (٣)

ص: ٧١

١-١. الوسائل: ١٣، الباب ٣ من أبواب السبق و الرمايه، الحديث ٥، ٢، ٣، ١. [١]

٢-٢. الوسائل: ١٣، الباب ٣ من أبواب السبق و الرمايه، الحديث ٥، ٢، ٣، ١. [٢]

٣-٣. الوسائل: ١٣، الباب ٣ من أبواب السبق و الرمايه، الحديث ٥، ٢، ٣، ١. [٣]

و من المعلوم أنّ المناط للسبق بهذه الأمور هو تقوية البنية الدفاعية، فتحصيل هذا الملاك في هذه الأعصار لا يقتصر على السبق بهذه الأمور الثلاثة، بل يتطلب لنفسه وسائل أخرى أكثر تطوراً.

قال الشهيد الثاني في «المسالك»: لا خلاف بين المسلمين في شرعية هذا العقد، بل أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عدّه مواطن لما فيه من الفائدة المذكوره هي من أهمّ الفوائد الدينيه لما يحصل بها من غلبه العدو في الجهاد لأعداء الله تعالى، الذي هو أعظم أركان الإسلام و لهذه الفائدة يخرج عن اللهو و اللعب المنهى عن المعامله عليهما. (١)

فإذا كانت الغايه من تشريعها الاستعداد للقتال و التدريب للجهاد، فلا يفرق عندئذٍ بين الدارج في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم و غيره أخذاً بالملاك المتيقن.

و على ذلك فالحصص ناظر إلى السبق فيما يعد لهواً كاللعب بالحمام كما في روايه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «كلّ لهو... باطل إلّا في ثلاث: في تأديبه الفرس، و رميه عن قوسه، و ملاعبته امرأته فإنّهن حقّ». (٢)

٢. الدفاع عن بيضه الإسلام قانون ثابت لا يتغير، و إليه يرشد قوله سبحانه: «وَاعْتَدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ» ٣، فكان الدفاع في الصور السابقه بالسهم و النصل و السيف و ما أشبه ذلك.

و أمّا اليوم و في ظل التقدم العلمى الهائل، فقد أصبحت المعدات الحربيّه تدور حول الدبابات و المدرعات و الحافلات و الطائرات المقاتله و البوارج البحريّه.

ص: ٧٢

١- ١). المسالك: ٦٩/٢. [١]

٢- ٢). الوسائل: [٢] ١٣، الباب ١ من أحكام السبق و الرمايه، الحديث ٥.

٣. أمر الإسلام بنشر الثقافه و التعليم و التربيه و كانت الوسائل المستخدمه فى هذا الصدد يوم ذاك لا- تتعدى أموراً بسيطه كالمداد و الدواء، و لكن اليوم فى ظل التقدم العلمى فقد أصبحت وسائل التعليم متطوره للغاية حتى شملت الكامبيوتر و التلفزه و الاذاعه و شبكه المعلومات «الانترنت».

٤. لقد ذهب المشهور إلى تخصيص الاحتكار بأجناس معدوده.

روى السكونى، عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: «الحكره فى سته أشياء: فى الحنطه و الشعير و التمر و الزيت و السمن و الزبيب». (١)

و روى غياث، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «ليس الحكره إلا فى الحنطه و الشعير و التمر و الزبيب و السمن». (٢)

و قد ذهب الشيخ الطوسى فى النهايه بعد عدها إلى أنه لا يكون الاحتكار فى سوى هذه الأجناس و تبعه لفيف من الفقهاء. (٣)

و ثمة احتمال آخر و هو أنّ الأجناس الضروريه يومذاك كانت منحصره بما ورد فى الروايات على نحو ينجم عن احتكارها أزمه فى المجتمع الإسلامى، دون سائر الأجناس، و أمّا اليوم فلا- شكّ أنّه اتسعت الحاجات و تغيرت فعاد ما لم يكن ضرورياً فى الماضى أمراً ضرورياً فى عصرنا هذا، فلو أوجد الحكره فى غير هذه الأجناس نفس الأزمه، يكون الجميع على حد سواء، خصوصاً و أنّ الحلبي روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: سألته عن الرجل يحتكر الطعام و يتربص به، هل يصلح ذلك، ثمّ قال: «إن كان الطعام كثيراً يسع الناس فلا بأس به و إن كان الطعام قليلاً لا يسع الناس فإنّه يكره أن يحتكر الطعام و يترك الناس ليس لهم

ص: ٧٣

١-١. الوسائل: ١٢، الباب ٢٧ من أبواب آداب التجاره، الحديث ١٠ و ٤. [١]

٢-٢. الوسائل: ١٢، الباب ٢٧ من أبواب آداب التجاره، الحديث ١٠ و ٤. [٢]

٣-٣. الحدائق الناضره: ٦٢/١٨.

فإذا كان الميزان هو توفير السعه على الناس و عدمه فلا فرق بين الطعام و غيره فلا يبعد أن تعم حرمة الحكره إلى غيره.

إنّ من المعلوم أنّ الأحكام الشرعيه تابعه للملاكات فإنّها شرعت على أساس المصالح و المفسد، و هذا يقتضى استيعاب الحكره لغير ما نصّ عليه، و قد عرفت أنّ الروايات الحاصره ناظره إلى عمدته ما يحتاج إليه الناس فى العصور الماضيه.

و هذا هو خيره صاحب الجواهر فأنّه قال: بل هو كذلك فى كلّ حبس لكلّ ما تحتاجه النفوس المحترمه و يضطرون إليه و لا مندوحة لهم عنه من مأكول أو مشروب أو ملبوس أو غيرها، من غير تقييد بزمان دون زمان، و لا أعيان دون أعيان، و لا انتقال بعقد، و لا تحديد بحدّ، بعد فرض حصول الاضطرار... بل لا يبعد حرمة قصد الاضطرار بحصول الغلاء و لو مع عدم حاجه الناس و وفور الأشياء، بل قد يقال بالتحريم بمجرد قصد الغلاء و حبه و إن لم يقصد الإضرار، و يمكن تنزيل القول بالتحريم على بعض ذلك. (٢)

و قال أيضاً: لو اعتاد الناس طعاماً فى أيام القحط مبتدعاً جرى فيه الحكم لو بنى فيه على العله و فى الأخبار ما ينادى بأنّ المدار على الاحتياج و هو مؤيد للتنزيل على المثال، و إن كان فيه ما لا يخفى. (٣)

و إلى ذلك ذهب فقيه عصره السيد الاصفهاني، قال: الاحتكار و هو حبس

ص: ٧٤

١- (١). وسائل الشيعه: ١٢، الباب ٢٧ من أبواب آداب التجاره، الحديث ٢. [١]

٢- (٢). جواهر الكلام: ٢٢/٤٨١. [٢]

٣- (٣). جواهر الكلام: ٢٢/٤٨٣. [٣]

الطعام و جمعه يتربص به الغلاء حرام مع ضروره المسلمين و حاجتهم و عدم وجود من يبذلهم قدر كفايه...و إنما يتحقق الاحتكار بحبس الحنطه و الشعير و التمر و الزبيب و الدهن، و كذا الزيت و الملح على الأحوط لو لم يكن الأقوى، بل لا يبعد تحققه في كل ما يحتاج إليه عامه أهالي البلد من الأطمعه كالارز و الذره بالنسبه إلى بعض البلاد. (١)

و قال المحقق الحائري: إذا فرض الاحتياج إلى غير الطعام من الأمور الضروريه للمسلمين كالدواء و الوقود في الشتاء بحيث استلزم من احتكارها الحرج و الضرر على المسلمين فمقتضى أدله الحرج و الضرر حرمة و إن لم يصدق عليه لغه الاحتكار.

و يمكن التمسك بالتذليل الذي هو في مقام التعليل بحسب الظاهر المتقدم في معتبر الحلبي، بناء على أنه إذا كان الظاهر أن التعليل بأمر ارتكازي فيحكم بإلغاء قيد الطعام، لأنه ليس بحسب الارتكاز إلا من جهة توقّف حفظ النفس عليه، فإذا وجد الملاك المذكور في الدواء مثلاً فلا ريب أنه بحكمه عرفاً، و هذا يوجب إلغاء الخصوصيه المأخوذه في التعليل. (٢)

أقول: إن صاحب الجواهر و المحقق الحائري حكما بتحريم الاحتكار لأجل الاضطرار، فصارت الحرمة حكماً ثانوياً.

و لكن الحق أن الحرمة حكم أولي لما عرفت من أن الملا-ك هو كون الناس في السعه و الضيق فيجوز الأول، و يحرم في الثاني، و لا أظن أن الضيق الناجم عن احتكار الدواء للمرضى و الجرحى أقل وطأه من حكر الملح و السمن و الزيت. (٣)

ص: ٧٥

١-١. وسيله النجاه: ٨/٢. [١]

٢-٢. ابتغاء الفضيله في شرح الوسيله: ١٩٧/١.

٣-٣. و راجع في حكم الاحتكار، مفتاح الكرامه: ١٠٧/٤؛ [٢] مصباح الفقاهه: ٤٩٨/٥. [٣]

١. تضافرت النصوص على حليه الأنفال للناس، و من الأنفال: الآجام و الأراضي الموات، و قد كان انتفاع الناس بها في الأزمنة الماضية لا يورث مشكله في المجتمع، و ذلك لبساطه الأدوات التي تستخدم في الاستفاده المحدوده من الأنفال. فلم يكن هناك أى ملزم للحد من انتفاع الناس من الأنفال، و أمّا اليوم فقد تطورت أساليب الانتفاع من الأنفال و ازداد جشع الإنسان حيالها، فدعت الضروره إلى وقف الاستغلال الجشع لهذه الأنفال من خلال وضع قوانين كفيله بتحديد هذا الانتفاع صيانه للبيئه.

٢. اتفق الفقهاء على أنّ الغنائم الحربيه تقسم بين المقاتلين على نسق خاص بعد إخراج خمسها لأصحابها، لكن الغنائم الحربيه فى عصر صدور الروايات كانت تدور حول السيف و الرمح و السهم و الفرس و غير ذلك، و من المعلوم أنّ تقسيمها بين المقاتلين كان أمراً ميسراً آنذاك، و أمّا اليوم و فى ظل التقدم العلمى الهائل فقد أصبحت الغنائم الحربيه تدور حول الدبابات و المدرعات و الحافلات و الطائرات المقاتله و البوارج البحريه، و من الواضح عدم إمكان تقسيمها بين المقاتلين بل هو أمر متعسر، فعلى الفقيه أن يتخذ أسلوباً فى كيفية تطبيق الحكم على صعيد العمل ليجمع فيها بين العمل بأصل الحكم و الابتعاد عن المضاعفات الناجمه عنها.

٣. إنّ الناظر فى فتاوى الفقهاء السابقين فيما يرجع إلى الحج من الطواف حول البيت و السعى بين الصفا و المروه و رمى الجمار و الذبح فى منى يحس حرجاً شديداً فى تطبيق عمل الحج على هذه الفتاوى، و لكن تزايد وفود حجاج بيت الله عبر الزمان يوماً بعد يوم أعطى للفقهاء رضى و سيعه فى تنفيذ تلك الأحكام على

موضوعاتها، فأفتوا بجواز التوسع في الموضوع لا من باب الضرورة و الحرج، بل لانفتاح آفاق جديده أمامهم في الاستنباط.

كانت الفتاوى في الأعصار السابقه على تحديد المطاف ب٢٦ ذراعاً و من المعلوم أنّ هذا التحديد كان يرجع فيما إذا كان عدد الحجاج لا يزيد على ١٠٠ ألف حاج، و أمّا اليوم فعدد الطائفين تجاوز عن هذا الحد بكثير حتى بلغ عددهم في هذه الأعصار إلى مليونى حاج بل أزيد، فإذا خوطب هؤلاء بالطواف على البيت فهل يفهم منه أنه يجب عليهم الطواف بين الحدين؟ إذ معنى ذلك أن يحرم الكثير من هذه الفريضة، أو يفهم إيجاد التناوب بين الطائفين حتى لا يطوف حاج طوافاً نديباً إلى أن يفرغ الحجاج عن الفريضة، أو يفهم منه ما فهمه الآخرون من أنهم يطوفون بالبيت بالأقرب فالأقرب؟ و إلى تينك الحالتين تشير الروايتان التاليتان (١):

١. فقد روى محمد بن مسلم مضمراً، قال: سألته عن حدّ الطواف بالبيت الذى من خرج عنه لم يكن طائفاً بالبيت؟ قال: «كان الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يطوفون بالبيت و المقام و أنتم اليوم تطوفون ما بين المقام و بين البيت، فكان الحدّ موضع المقام اليوم، فمن جازه فليس بطائف، و الحدّ قبل اليوم و اليوم واحد قدر ما بين المقام و بين البيت من نواحي البيت كلّها، فمن طاف فتباعه من نواحيه أبعد من مقدار ذلك كان طائفاً بغير البيت بمنزله من طاف بالمسجد لأنه طاف في غير حدّ و لا طواف له».

٢. محمّد بن على الحلبيّ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الطواف خلف المقام؟ قال: «ما أحبّ ذلك و ما أرى به بأساً، فلا تفعله إلا أن لا تجد منه بداً».

ص: ٧٧

و الأولى ناظره إلى الحاله التي يتمكن الحاج من الطواف بين الحدين بلا- مشقه كثيره، و لعل الإمام المروى عنه هو أبو جعفر الباقر عليه السلام، و لم يكن يوم ذاك زحام كثير؛ و الثانيه منهما ناظره إلى عصر الزحام بحيث يعسر للحاج أن يراعى ذلك الحدّ.

٣.أفتى القدماء بأنّ الإنسان يملك المعادن المركوزه في أرضه تبعاً لها دون أى قيد أو شرط، و كان الداعى من وراء تلك الفتوى هو بساطه الوسائل المستخدمه لذلك، و لم يكن بمقدور الإنسان الانتفاع إلاّ بمقدار ما يعد تبعاً لأرضه، و لكن مع تطور الوسائل المستخدمه للاستخراج، استطاع أن يتسلط على أوسع مما يعدّ تبعاً لأرضه، فعلى ضوءه لا مجال للإفتاء بأنّ صاحب الأرض يملك المعدن المركوز تبعاً لأرضه بلا قيد أو شرط، بل يحدد بما يعدّ تبعاً لها عرفاً، و أمّا الخارج عنها فهو إمّا من الأنفال أو من المباحات التي يتوقف تملكها على إجازة الإمام.

نعم لا- ينبغى التأمل في قيام السيره العقلانيه بل و كذا الشرعيه- و إن انتهت إليها-على دخولها في ملك صاحب الأرض بتبع ملكه للأرض فتلحق الطبقة السافله بالعاليه و الباطنه بمحتوياتها بالظاهره أخذاً بقانون التبعية و إن لم يتم هذا الإلحاق من ناحيه الإحياء حسبما عرفت و من ثمّ لو باع ملكه فاستخرج المشتري منه معدناً ملكه و ليس للبائع مطالبته بذلك، لأنّه باعه الأرض بتوابعها.

و لكن السيره لا- إطلاق لها و المتيقن من موردها ما يعد عرفاً من توابع الأرض و ملحقاتها كالسرداب و البئر و ما يكون عمقه بهذه المقادير التي لا- تتجاوز عن حدود الصدق العرفى فما يوجد أو يتكون و يستخرج من خلال ذلك فهو ملك لصاحب الأرض بالتبعيه كما ذكر.

و أمّا الخارج عن نطاق هذا الصدق غير المعدود من التوابع كأبار النفط

العميقه جداً و ربما تبلغ الفرسخ أو الفرسخين، أو الآبار العميقه المستحدثه أخيراً لاستخراج المياه من عروق الأرض البالغه فى العمق و البعد نحو ما ذكر أو أكثر، فلا سيره فى مثله و لا تبعيه، و معه لا دليل على إلحاق نفس الأرض السافله بالعالیه فى الملكيه فضلاً عن محتوياتها من المعادن و نحوها.

نعم فى خصوص المسجد الحرام ورد أنّ الكعبه من تخوم الأرض إلى عنان السماء. و لكن الروايه ضعيفه السند. و من ثمّ ذكرنا فى محله لزوم استقبال عين الكعبه لجميع الأقطار لا ما يسامتها من شىء من الجانبين.

٥. إنّ روح القضاء الإسلامى هو حمايه الحقوق و صيانتها، و كان الأسلوب المتبع فى العصور السابقه هو أسلوب القاضى الفرد، و قضاؤه على درجه واحده قطعيه، و كان هذا النوع من القضاء مؤمناً لهدف القضاء، و لكن اليوم لما دبّ الفساد فى المحاكم، و قلّ الورع اقتضى الزمان أن يتبدل أسلوب القضاء إلى أسلوب محكمه القضاء الجمع، و تعدّد درجات المحاكم حسب المصلحه الزمانيه التى أصبحت تقتضى زياده الاحتياط.

الخامس: تأثيرهما فى بلوره موضوعات جديده

إنّ التطور الصناعى و العلمى أسفر عن موضوعات جديده لم يكن لها وجود من ذى قبل، فعلى الفقيه دراسه هذه الموضوعات بدقه و إمعان و لو بالاستعانه بأهل الخبره و التخصص فى ذلك المجال، و ها نحن نشير إلى بعض العناوين المستجده.

١. التأمين بكافه أقسامه، فهناك من يريد دراسه هذا الموضوع تحت أحد العناوين المعروفه فى الفقه كالصلح و الضمان و غيره، مع أنّه عقد مستقل بين

العقلاء، فعلى الفقيه دراسته ذلك العنوان كالموجود بين العقلاء.

٢. لقد ظهرت حقوق عقلائيه مستجدّه لم تكن مطروحه بين العقلاء، كحقّ التأليف، وحقّ براءة الاختراع، وحقّ الطبع، وحقّ الانتشار، وغيرها من الآثار الخلاقه، وهذا ما يعبر عنه بالماليه الفكرية وقد أقرّ بها الغرب و اعترف بها رسمياً، و يعدّ المتجاوز على هذه الحقوق متعدياً.

٣. المسائل المستجدّه فى عالم الطب كثيره من التلقيح الصناعى، و زرع الأعضاء و بيعها، و الاستنساخ البشرى، و التشريح، و تغيير الجنس، إلى غير ذلك من المسائل.

٤. الشركات التجاربه هى من المستجدات و التى تقوم بدور أساسى فى الحياه الاقتصاديه، و هى بين شركات الأشخاص و شركات الأموال.

أمّا الأولى فهى عباره عن شركه التضامن، و شركه التوصيه، و شركه الخاصه.

و أمّا الثانيه فأهم أقسامها هى شركه المساهمه، فعلى الفقيه استنباط حكم هذه الشركات على ضوء النصوص و القواعد.

إلى هنا تبين أنّ تغيير الأحكام من خلال تبدل الظروف خاضع لأصول صحيحه لا- تتنافى مع سائر الأصول و ليس التغيير فى ضوئها مصادماً لحصر التشريع أو لتأييد الأحكام أو سائر الأصول.

السادس: تأثيرهما فى تفسير القرآن الكريم

لا ينحصر تأثير الزمان و المكان على الاستنباط بل تعدّاه إلى حقل التفسير أيضاً، فإنّ للقرآن الكريم آفاقاً لا متناهيه، يظهر واحد تلو الآخر، و هو كما قال

ص: ٨٠

الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام عند ما سأله سائل بقوله: ما بال القرآن لا يزداد عند النشر و الدرّس إلاّ غضاضه؟

فأجاب عليه السلام: «إنّ الله تعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كلّ زمان جديد و عند كلّ قوم غضّ إلى يوم القيامة. (١)

نرى أنّ الإمام الرضا عليه السلام لا يشير في هذا الحديث إلى موضوع خلود القرآن فقط، بل يشير أيضاً إلى سرّ خلوده و بقائه غضاً جديداً لا يتطرق إليه البلى و الذبول.

فكأنّ القرآن هو النسخه الثانيه لعالم الطبيعه الواسع الأطراف الذي لا يزيد البحث فيه و الكشف عن حقائقه و أسرارته، إلاّ إذعان الإنسان بأنّه في الخطوات الأولى من التوصل إلى مكامنه الخفيه في أغواره، فإنّ كتاب الله تعالى كذلك لا يتوصل إلى كلّ ما فيه من الحقائق و الأسرار، لأنّه منزل من عند الله الذي لا تتصور له نهايه، و لا يمكن تحديده بحدود و أبعاد، فيجب أن تكون في كتابه لمعه من لمعاته، و يُثبت بنفسه أنّه من عنده، و يتوفر فيه ما يدلّ على أنّه كتاب سماوى ليس من صنع البشر، و هو خالد إلى ما شاء الله تعالى.

إنّ نبي الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم هو أوّل من لفت الأنظار إلى تلكم المزيه و إنّ هذه المزيه من أهم خصائصه، حيث يقول في وصفه للقرآن: «له ظهر و بطن، و ظاهره حكم و باطنه علم، ظاهره أنيق و باطنه عميق، له تخوم و على تخومه تخوم، لا تحصى عجائبه و لا تبلى غرائب، فيه مصابيح الهدى و منار الحكمة». (٢)

فلنستعرض مثلاً نبيين فيه دور الزمان في كشف اللثام عن مفهوم الآيه.

إنّه سبحانه يصف عامه الموجودات بالزوجيه من دون فرق بين ذى حياه

ص: ٨١

١- ١). البرهان في تفسير القرآن: ٢٨/١. [١]

٢- ٢). الكافي: ٥٩٩/٢، كتاب القرآن. [٢]

و غيره، يقول: «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» ١.

وقد شغلت الآيه بال مفسرين و فسروه بما وصلت إليه علومهم، قال الراغب في تفسير الآيه: «و في الآيه تنبيه على أنّ الأشياء كلّها مركبه من جوهر و عرض، و ماده و صوره، و ان لا- شىء يتعرى من تركيب يقتضى كونه مصنوعاً و أنّه لا- بدّ له من صانع، تنبيهاً على أنّه تعالى هو الفرد، فيبين أنّ كلّ ما في العالم زوج، حيث إنّ له ضدّاً أو مثلاً ما، أو تركيباً ما، بل لا ينفك بوجه من تركيب و إنّما ذكرها هنا زوجين، تنبيهاً على أنّ الشىء و إن لم يكن له ضد و لا- مثل، فإنّه لا ينفك من تركيب جوهر و عرض، و ذلك زوجان. (١)

غير أنّ الزمان فسّر حقيقه هذه الزوجيه العامه، بتركيب الذره (أتم) من جزءين معروفين.

وقد عبّر القرآن عن هذين الجزئين الحاملين للشحنتين المختلفتين، بالزوجيه، حتى لا يقع موقع التكذيب و الردّ، إلى أن يكشف الزمان مغزى الآيه و مفادها.

و بذلك يعلم سرّ ما روى عن ابن عباس أنّه قال: إنّ القرآن يفسره الزمان. (٢)

فكما أنّ الزمان يفسر الحقائق الكونيه الوارده في القرآن الكريم فكذلك يفسر إتقان تشريعه في مجال الفرد و المجتمع، كما هو أيضاً يفسر أخباره الغيبيه الوارده فيه، و على ذلك فللزمان دور في الإفصاح عن معانى الآيات كدوره في استنباط الأحكام.

ص: ٨٢

١-٢. مفردات الراغب، ماده زوج، ص ٢١٦.

٢-٣. راجع النبات في حقل الحياه، تأليف نقى الموصلى، الشيخ العبيدين.

ربما يرى الباحث اختلافاً في السنه المرويّه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم و أهل بيته الطاهرين، فيعود إلى رفع الاختلاف بوجه مختلفه مذكوره في الكتب الأصوليه، ولكن ثمه حل لطائفه من هذه السنن المتخالفه، وهو أنّ لكلّ من الحكمين ظرفاً زمانياً خاصاً يستدعي الحكم على وفاقه فلو حارب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قريشاً في بدر و أحد فلمصلحه ملزمه في ذلك الزمان، و لو أظهر المرونه و تصالح معهم في الحديبيه فلمصلحه ملزمه في ذلك و لم يصغ إلى مقاله من قال: «أعطى الدينه في ديننا» و تصور أنّ في الصلح تنازلاً عن الرساله الإلهيه و الأهداف الساميه و غفل عن آثاره البناءه التي كشف عنها سير الزمان كما هو مذکور في تاريخ النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

التفسير الخاطي لتأثير الزمان و المكان

لا- شك أنّ الأحكام الشرعيه تابعه لمصالح و مفسد في متعلقاتها فلا واجب إلا لمصلحه في فعله، و لا حرام إلا لمفسده في اقترافه، إنّ للتشريع الإسلامي نظاماً لا- تعتريه الفوضى، و هذا الأصل و إن خالف فيه بعض المتكلمين، غير أنّ نظرهم محجوج بكتاب الله و سنّه نبيه و نصوص خلفائه عليهم السلام.

ترى أنّه سبحانه يعلل حرمه الخمر و الميسر بقوله:

«إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَ الْبُغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ وَ يَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ عَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ»
١.

و يستدل على وجوب الصلاه بقوله سبحانه: «وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ» ٢ إلى غير ذلك من الفرائض و المناهي التي أُشير إلى

ملاكات تشريعهما في الذكر الحكيم.

وقد قال الإمام الطاهر على بن موسى الرضا عليهما السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَبِحْ أَكْلًا وَلَا شَرْبًا إِلَّا لِمَا فِيهِ الْمَنْفَعَةُ وَالصَّلَاحُ، وَلَمْ يَحْرَمْ إِلَّا مَا فِيهِ الضَّرَرُ وَالتَّلَفُ وَالفَسَادُ». (١)

و الآيات القرآنية تشهد بوضوح على ما قاله ذلك الإمام الطاهر حيث إنَّها تعلل تشريع الجهاد بقوله: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا» ٢ كما تعلل القصاص بقوله: «وَ لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» ٣.

إلى غير ذلك من الآيات الدالَّة على ذلك بوضوح، ومع أنَّ المعروف من الإمام الأشعري هو عدم تبعيه الأحكام للمصالح و المفسدات بزعم أنَّ في القول بذلك تضييقاً للإرادة الإلهية، و لكن المحققين من أهل السنه على خلاف ذلك منهم الشاطبي في موافقاته قال:

وقد ثبت أنَّ الشريعة موضوعه لتحقيق مصالح الناس عاجلاً أم آجلاً، إمَّا بجلب النفع لهم، أو لدفع الضرر و الفساد عنهم، كما دلَّ عليه الاستقراء و تتبع مراد الأحكام. (٢)

و على ضوء ذلك فالمصالح المستكشفة عبر الزمان إذا كانت مصالح عامه أو مفسد كذلك و لم يرد في موردها أمر و لا نهى، فللغاية أن يستكشف من المصلحة الملزمة أو المفسدة كون الشيء واجباً أم حراماً و ذلك، كتعاطي المخدرات في مورد المفسد، و تزريق الأمصال فيما إذا انتشر الداء في المجتمع الذي لا ينقذه إلا التزريق، ففي هذه الموارد التي ليس للإسلام حكم إلزامي يمكن أن يستكشف الوجوب أو الحرمة ببركة إدراك العقل للمصلحة النوعية أو

ص: ٨٤

١- ١). مستدرک الوسائل: ٧١/٣. [١]

٢- ٤). الموافقات: ٦/٢.

إنّ استكشاف العقل المصالح و المفسد إنّما يقع ذريعه للتشريع إذا كان المورد من قبيل «منطقه الفراغ» أى لم يكن للشارع هناك حكم بالإلزام بالفعل أو الترك، و أمّا إذا كان هناك حكم شرعى قطعى فلا يصح للمستنبط تغيير الحكم بالمصالح و المفسد المزعومه، فأنه يكون من قبيل تقديم المصلحه على النص، و هو أمر غير جائز، و قد عرفت فى صدر البحث أنّ تأثير الزمان و المكان إنّما هو فى الأحكام الاجتهاديه دون الأحكام المنصوصه.

و الحاصل أنه إذا كان هناك نص من الشارع و لم يكن الموضوع من قبيل (منطقه الفراغ) فلا معنى لتقديم المصلحه على النص، فأنه تشريع محرّم يكون ذريعه للتخلص من الالتزام بالأحكام الشرعيه.

و بذلك يعلم أنّ ما صدر من بعض السلف فى بعض الموارد من تقديم المصالح على النصوص قد جانب الصواب بلا شكّ كالمثال التالى:

دلّ الكتاب و السنّه على بطلان الطلاق ثلاثاً، من دون أن يتخلّل بينها رجوع أو نكاح، فلو طلق ثلاثاً مرّه واحده أو كرّر الصيغه فلا يحتسب إلاّ طلاقاً واحداً. و قد جرى عليه رسول الله و الخليفه الأول و كان صلى الله عليه و آله و سلم لا يمضى من الطلقات الثلاث إلاّ واحده منها، و كان الأمر على هذا المنوال إلى سستين من خلافه الخليفه الثانى، و سرعان ما عدل عن ذلك، قائلاً: إنّ الناس قد استعجلوا فى أمر قد كانت لهم فيه أناه، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم. (1)

إنّ من المعلوم أنّ إعمال الرأى فيما فيه نصّ من كتاب أو سنّه، أمر خاطئ، و لو صحّ إعماله فإنّما هو فيما لا نصّ فيه، و مع ذلك جاء الآخرون يبرّونه بتغيير

الأحكام بالمصالح و المفاسد، لا- سيما ابن قيم الجوزية، فقال: لَمَّا رأى الخليفة الثاني أنّ مفسده تتابع النصّ فى إيقاع الطلاق لا تندفع إلاّ- بإمضاءها على الناس، و رأى مصلحه الإمضاء أقوى من مفسده الإيقاع، أمضى عمل الناس، و جعل الطلاق ثلاثاً، ثلاثاً. (١)

يلاحظ عليه: أنّ إبطال الشريعة أمر محرّم لا- يستباح بأى عنوان، فلا يصحّ لنا تغيير الشريعة بالمعايير الاجتماعيه من الصلاح و الفساد، و أمّا مفسده تتابع النصّ فى إيقاع الطلاق الثلاث فيجب أن تدفع عن طريق آخر، لا عن طريق إمضاء ما ليس بمشروع مشروعاً.

و العجب أنّ ابن قيم التفت إلى ذلك، و قال: كان أسهل من ذلك (تصويب الطلقات ثلاثاً) أن يمنع الناس من إيقاع الثلاث، و يحزّمه عليهم، و يعاقب بالضرب و التأديب من فعله لئلا يقع المحذور الذى يترتب عليه، ثمّ نقل عن عمر بن الخطاب ندامته على التصويب، قال: قال الخليفة الثانى: ما ندمت على شىء مثل ندامتى على ثلاث. (٢)

و هنا كلمه للشيخ محمد شلتوت شيخ الأزهر حول عدّ الاجتهاد من مصادر التشريع حيث قال:

و يشمل الاجتهاد أيضاً، النظر فى تعرف حكم الحادته عن طريق القواعد العامه و روح التشريع، التى عرفت من جزئيات الكتاب و تعرفات الرسول، و أخذت فى نظر الشريعة مكانه النصوص القطعيه التى يرجع إليها فى تعرف الحكم للحوادث الجديده.

ص: ٨٤

١- ١. أعلام الموقعين: ٣/٤٨.

٢- ٢. أعلام الموقعين: ٣/٣٦، و أشار إليه فى كتابه الآخر إغاثه اللهفان من مصائد الشيطان: ١/٣٣٦.

و هذا النوع هو المعروف بالاجتهاد عن طريق الرأي و تقدير المصالح. و قد رفع الإسلام بهذا الوضع جماعه المسلمين عن أن يخضعوا في أحكامهم و تصرفاتهم لغير الله، و منحهم حق التفكير و النظر و الترجيح و اختيار الأصلح في دائره ما رسمه من الأصول التشريعيه، فلم يترك العقل وراء الأهواء و الرغبات، و لم يقيده في كلّ شيء بمنصوص قد لا يتفق مع ما يجد من شؤون الحياه، كما لم يلزم أهل أى عصر باجتهاد أهل عصر سابق دفعتهم اعتبارات خاصه إلى اختيار ما اختاروا. (١)

ما ذكره حقّ ليس وراءه شيء إلا- أنّي لا- أوافق قوله: «و لم يقيده في كلّ شيء بمنصوص قد لا- يتفق مع ما يجد من شؤون الحياه» فأنه هفوه من الأستاذ، إذ أى أصل و حكم شرعى منصوص لا يتفق مع ما يجد من شؤون الحياه. و ليس ما ذكره إلا من قبيل تقديم المصلحه على النص، و هو تشريع محرم، و تقدّم على الله و رسوله، قال سبحانه: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» ٢.

فالواجب على كلّ مسلم التجنب عن هذا النوع من الاستصلاح، نعم للاستصلاح صور متنوعه ذكرناها في الجزء الأوّل من تقديمنا على «موسوعه طبقات الفقهاء». (٢)

ص: ٨٧

١- ١). رساله الإسلام، السنه الرابعه، العدد الأوّل، ص ٥.

٢- ٣). طبقات الفقهاء، المقدمه: القسم الأوّل: ٢٦٥.

فى الأحكام الحكوميه

ثم إن ما ذكرناه يرجع إلى دور الزمان و المكان فى عمليه الاجتهاد و الإفتاء، و أما دورهما فى الأحكام الحكوميه التى تدور مدار المصالح و المفسد و ليست من قبيل الأحكام الواقعيه و لا الظاهريه، فلها باب واسع نأتى بكلام موجز فيه.

إن تقدم العناوين الثانويه على الأوليه يحلّ العُقد و المشاكل فى مقامين:

الأول: إذا كان هناك تراحم بين الحكم الواقعيّ الأولي و الحكم الثانوي، فيقدم الثانى على الأول، إما من باب الحكومه أو من باب التوفيق العرفي، كتقدم لا ضرر و لا حرج على الأحكام الضرريه و الحرجيه، و هذا النوع من التقدم يرجع إلى باب الإفتاء و الاستنباط.

الثانى: إذا كان هناك تراحم بين نفس الأحكام الواقعيه بعضها مع بعض بحيث لو لم يتدخل فى فكّ العُقد، و حفظ الحقوق لحصلت مفسد، و هنا يأتى دور الحاكم و الفقيه الجامع للشرائط، المتصدى لمنصب الولاء، بتقديم بعض الأحكام الواقعيه على بعض بمعنى تعيين أنّ المورد من صغريات أى واحد من الحكّمين الواقعيين، و لا يحكم الحاكم فى المقام إلا بعد دقه و إمعان و دراسه للظروف الزمانيه

و بعبارة أخرى: إذا وقع التزاحم بين الأحكام الأوليه فيقدم بعضها على بعض في ظل هذه العناوين الثانويه (1)، و يقوم الحاكم الإسلامى بهذه المهام بفضل الولاية المعطاه له، فتصير هذه العناوين مفاتيح بيد الحاكم، يرفع بها التزاحم و التنافى، فمعنى مدخلية الزمان و المكان في حكم الحاكم عبارته عن تأثيرهما في تعيين أن المقام صغرى لأى كبرى من الكبريات، و أى حكم من الأحكام الواقعيه، فيكون حكمه بتقديم إحدى الكبريين شكلاً إجرائياً للأحكام الواقعيه و مراعاة لحفظ الأهم و تخطيطاً لحفظ النظام و عدم اختلاله.

و بذلك يظهر أن حكم الحاكم الإسلامى يتمتع بميزتين:

الأولى: إن حكمه بتقديم إحدى الكبريين، ليس حكماً مستنبطاً من الكتاب و السنّه مباشره و إن كان أساس الولاية و أصلها مستنبطاً و مستخرجاً منهما، إلا أن الحاكم لما اعتلى منصّه الحكم و وقف على أن المقام من صغريات ذلك الحكم الواقعي دون الآخر للمقاييس التي عرفتها، يصير حكمه حكومياً و ولائياً في طول الأحكام الأوليه و الثانويه و ليس الهدف من وراء تسوية الحكم له إلا الحفاظ على الأحكام الواقعيه برفع التزاحم، و لذلك سمّيناه حكماً إجرائياً، ولائياً حكومياً لا شرعياً، لما عرفت من أن حكمه علاجى يعالج به تزاحم الأحكام الواقعيه في ظل العناوين الثانويه، و ما يعالج به حكم لا من سنخ المعالج، و لو جعلناه في عرض الحكمين لزم انخراط توحيد التقنين و التشريع.

ص: ٨٩

١ - ١). العناوين الثانويه عبارته عن: ١. الضروره و الاضطراب. ٢. الضرر و الضرار. ٣. العسر و الحرج. ٤. الأهم فالأهم. ٥. التقية. ٦. الذرائع للواجبات و المحرمات. ٧. المصالح العامه للمسلمين. و هذه العناوين أدوات بيد الحاكم، يحل بها مشكله التزاحم بين الأحكام الواقعيه و الأزومات الاجتماعيه.

الثانيه: إنّ حكم الحاكم لما كان نابغاً عن المصالح العامه و صيانه القوانين الإسلاميه لا يخرج حكمه عن إطار الأحكام الأوليه و الثانويه، و لأجل ذلك قلنا إنّ يعالج التزاحم فيها، في ظلّ العناوين الثانويه.

و بالجمله الفقيه الحاكم بفضل الولايه الالهيه يرفع جميع المشاكل المائله في حياتنا، فإنّ العناوين الثانويه التي تلونها عليك أدوات بيد الفقيه يسد بها كل فراغ حاصل في المجتمع، و هي في الوقت نفسه تغير الصغريات و لا تمس كرامه الكبريات.

و لأجل توضيح المقام، نأتى بأمثله نبين فيها مدخلية المصالح الزمانيه و المكانيه في حكم الحاكم وراء دخالتهم في فتوى المفتى.

الأول: لا- شك أنّ تقويه الإسلام و المسلمين من الوظائف الهامه، و تضعيف و كسر شوكتهم من المحرمات الموبقه، هذا من جانب، و من جانب آخر أنّ بيع و شراء التباك أمر محلّل في الشرع، و الحكمان من الأحكام الأوليه و لم يكن أىّ تزاحم بينهما إلا- في فتره خاصه عند ما أعطى الحاكم العرفيّ امتيازاً للشركه الأجنبيه، فصار يبيعه و شراؤه بيدها، و لما أحسّ الحاكم الشرعي أنّذاك- السيد الميرزا الشيرازي قدس سره- أنّ استعماله يوجب انشباب أظفار الكفار على هيكل المجتمع الإسلامى، حكم قدس سره بأنّ استعماله بجميع أنواع الاستعمال كمحاربه ولىّ العصر عليه السلام (1) فلم يكن حكمه نابغاً إلاّ من تقديم الأهمّ على المهمّ أو من نظائره، و لم يكن الهدف من الحكم إلاّ بيان أنّ المورد من صغريات حفظ مصالح الإسلام و استقلال البلاد، و لا يحصل إلاّ بترك استعمال التباك بيعاً و شراءً و تدخيناً و غيرها، فاضطرت الشركه

ص: ٩٠

١- ١). عام ١٨٩١ م و حكمه كالتالى: بسم الله الرحمن الرحيم، «اليوم استعمال التباك و التنن، بأى نحو كان، بمثابه محاربه إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف».

حينئذ إلى فسخ العقد.

الثاني: إنَّ حفظ النفوس من الأمور الواجبه، و تسلط الناس على أموالهم و حرمة التصرف في أموالهم أمر مسلم في الإسلام أيضاً، إلاّ- أنه على سبيل المثال ربّما يتوقف فتح الشوارع في داخل البلاد و خارجها على التصرف في الأراضي و الأملاك، فلو استعدّ مالكها بطيب نفس منه فهو و إلاّ فللحاكم ملاحظه الأهمّ بتقديمه على المهمّ، و يحكم بجواز التصرف بلا إذن، غايه الأمر يضمن لصاحب الأراضي قيمتها السوقية.

الثالث: إنَّ إشاعه القسط و العدل ممّا ندب إليه الإسلام و جعله غايه لبعث الرسل، قال سبحانه: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ» ١

و من جانب إنَّ الناس مسلطون على أموالهم يتقلبون فيها كيفما شاءوا، فإذا كان هناك تراحم بين الحكّمين الواقعيين، كما في احتكار المحتكر أيام الغلاء أو إجحاف أصحاب الحرف و الصنعه و غيرهم، فللحاكم الإسلامى -حسب الولاية الإلهيه- الإمعان و الدقه و الاستشاره و المشوره في حلّ الأزمه الاجتماعيه حتى يتبين له أنّ المقام من صغريات أى حكم من الحكّمين، فلو لم تحلّ العقد بالوعظ و النصيحة، فأخر الدواء الكي، أى: فتح المخازن و بيع ما احتكر بقيمه عادله و تسعير الأجناس و غير ذلك.

الرابع: لا شكّ أنّ الناس أحرار في تجاراتهم مع الشركات الداخليه و الخارجيه، إلاّ أنّ إجراء ذلك، إن كان موجباً لخلل في النظام الاقتصادى أو ضعف في البنيه المائيه للمسلمين، فللحاكم تقديم أهمّ الحكّمين على الآخر

حسب ما يرى من المصالح.

الخامس: لو رأى الحاكم أنّ بيع العنب إلى جماعه لا يستعملونه إلا لصنع الخمر و توزيعه بالخفاء، أورث فساداً عند بعض أفراد المجتمع و انحلالاً في شخصيتهم، فله أن يمنع من بيع العنب إلى هؤلاء.

إلى غير ذلك من المواضع الكثيره التي لا- يمكن للفقيه الحاكم غضّ النظر عن الظروف المحيطه به، حتى يتضح له أنّ المجال مناسب لتقديم أى الحكمين على الآخر و تشخيص الصغرى كما لا يخفى.

هذا كلّه حول مدخلية الزمان و المكان في الاجتهاد في مقام الإفتاء أولاً و منصبه الحكم ثانياً، و أمّا سائر ما يرجع إلى ولايه الفقيه فنتركه إلى محلّه.

ص: ٩٢

اشاره

في الفقه السنّي

طرحت هذه المسأله من قبل بعض فقهاء السنّه قديماً و حديثاً، و إليك التنويه بأسمائهم و ببعض كلماتهم:

١. ابن القيم الحنبلي (المتوفى ٧٥١هـ) يقول في فصل «تغير الفتوى و اختلافها بحسب تغير الأزمنه و الأمكنه و الأحوال و التيات و العوائد»:

هذا فصل عظيم النفع، و قد وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعه أوجب من الحرج و المشقّه، و تكليف ما لا سبيل إليه، ما يعلم أنّ الشريعه الباهره التي في أعلى رتب المصالح لا- تأتي به، فإنّ الشريعه مبناه و أساسها على الحُكم و مصالح العباد في المعاش و المعاد، و هي عدل كلّها، و رحمه كلّها، و مصالح كلّها، و حكمه كلّها، فكلّ مسأله خرجت عن العدل إلى الجور، و عن الرحمه إلى ضدها، و عن المصلحه إلى المفسده، و عن الحكمه إلى العبث فليست من الشريعه. (١)

ص: ٩٣

(١- ١). اعلام الموقعين: ١٤/٣ ط دار الفكر و قد استغرق بحثه ٥٦ صفحه. فلاحظ.

٢. السيد محمد أمين أفندي الشهير بـ «ابن عابدين» (١) مؤلف كتاب «مجموعه رسائل» قال ما نصّه:

اعلم أنّ المسائل الفقهيّه إمّا أن تكون ثابتة بصريح النص، وإمّا أن تكون ثابتة بضرب اجتهاد و رأى، وكثيراً منها ما يُبيّنهُ المجتهد على ما كان في عرف زمانه بحيث لو كان في زمان العرف الحادث لقال بخلاف ما قاله أوّلاً، ولهذا قالوا في شروط الاجتهاد أنّه لا بدّ فيه من معرفه عادات الناس، فكثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان لتغيّر عرف أهله، أو لحدوث ضروره، أو فساد أهل الزمان بحيث لو بقى الحكم على ما كان عليه أوّلاً، للزم منه المشقه و الضرر بالناس، و لخالف قواعد الشريعة المبتيه على التخفيف و التيسير و دفع الضرر و الفساد لبقاء العالم على أتم نظام و أحسن أحكام، و لهذا ترى مشايخ المذهب خالفوا ما نصّ عليه المجتهد في مواضع كثيره بناها على ما كان في زمنه لعلمهم بأنّه لو كان في زمنهم لقال بما قالوا به أخذاً في قواعد مذهبه.

ثمّ إنّ ابن عابدين ذكر أمثله كثيره لما ذكره من الكبرى تستغرق عدّه صحائف (٢) و لنذكر بعض الأمثله:

أ. افتأؤهم بجواز الاستتجار على تعليم القرآن و نحوه لانقطاع عطايا المعلمين التي كانت في الصدر الأوّل، و لو اشتغل المعلمون بالتعليم بلا أجره يلزم ضياعهم و ضياع عيالهم، و لو اشتغلوا بالاكتساب في حرفه و صناعه، يلزم ضياع القرآن و الدين، فأفتوا بأخذ الأجره على التعليم و كذا على الإمامه و الأذان كذلك، مع أنّ ذلك مخالف لما اتفق عليه أبو حنيفه و أبو يوسف و محمد بن الحسن

ص: ٩٤

١ - ١. هو محمد أمين الدمشقي، فقيه الديار الشاميه و إمام الحنفيه في عصره، و ولد عام ١١٩٨ هـ و توفي عام ١٢٩٢ هـ، له من الآثار «مجموعه رسائل» مطبوعه.

٢ - ٢. انظر رسائل ابن عابدين: ١٢٣/٢ - ١٤٥.

الشياني من عدم جواز الاستئجار و أخذ الأجره عليه كبقية الطاعات من الصوم و الصلاة و الحج و قراءه القرآن و نحو ذلك.

ب. قول الإمامين (1) بعدم الاكتفاء بظاهر العدالة في الشهاده مع مخالفته لما نصّ عليه أبو حنيفه بناء على ما كان في زمنه من غلبه العدالة، لأنه كان في الزمن الذي شهد له رسول الله بالخيريّه، و هما أدركا الزمن الذي فشا فيه الكذب، و قد نصّ العلماء على أنّ هذا الاختلاف اختلاف عصر و أوان، لا اختلاف حجّه و برهان.

ج. تحقّق الإكراه من غير السلطان مع مخالفته لقول الإمام «أبي حنيفه» بناء على ما كان في زمنه من أنّ غير السلطان لا يمكنه الإكراه ثمّ كثر الفساد فصار يتحقّق الإكراه من غيره، فقال محمد (ابن الحسن الشيباني) باعتباره، و أفتى به المتأخرون لذلك.

و قد ساق الأمثله على هذا النمط إلى آخر الرساله.

3. و قد طرق هذا البحث أيضاً الأستاذ مصطفى أحمد الزرقاء في كتابه القيم «المدخل الفقهي العام» و قال ما نصّه:

الحقيقه أنّ الأحكام الشرعيه التي تتبدّل بتبدّل الموضوعات مهما تغيرت باختلاف الزمن، فإنّ المبدأ الشرعي فيها واحد و ليس تبدّل الأحكام إلاّ تبدّل

ص: ٩٥

١ - ١). الظاهر أنّه يريد تلميذ أبي حنيفه: أبي يوسف و محمد بن الحسن الشيباني و لم يكن الفصل بين الإمام أبي حنيفه و بينهم طويلاً، فقد توفّي أبو حنيفه عام ١٥٠ هـ و توفّي أبو يوسف عام ١٨٢ هـ و توفّي الشيباني عام ١٨٩ هـ و إذا كان كذلك فلما ذا يعدّون القرون الثلاثة الأولى خير القرون، و الحقّ أنّ بين السلف و الخلف رجالاً صالحين و أشخاصاً طالحين، و لم يكن السلف خيراً من الخلف، و لا - الخلف أكثر شراً من السلف و إنّما هي دعايات فارغه فقد شهد القرن الأوّل وقعه الطفّ و الحرّه في المدينه.

الوسائل و الأساليب الموصله إلى غايه الشارع، فإنّ تلك الوسائل و الأساليب فى الغالب لم تُحدّد من الشريعة الإسلاميه بل تركتها مطلقه لكى يُختار منها فى كلّ زمان ما هو أصلح فى التنظيم نتاجاً و أنجح فى التقويم علاجاً.

ثم إنّ الأستاذ جعل المنشأ لتغير الأحكام أحد أمرين:

أ.فساد الأخلاق، و فقدان الورع و ضعف الوازع، و أسماء بفساد الزمان.

ب.حدوث أوضاع تنظيميه، و وسائل فرضيه، و أساليب اقتصاديه.

ثمّ إنّهُ مثل لكل من النوعين بأمثله مختلفه اقتبس بعضها من رساله «نشر العرف» للشيخ ابن عابدين، و لكنّه صاغ الأمثله فى ثوب جديد، و لنذكر كلا الأمرين و أمثلتهما.

أ.تغير الأحكام الاجتهاديه لفساد الزمان

١.من المقرر فى أصل المذهب الحنفى أنّ المدين تنفذ تصرفاته فى أمواله بالهبة و الوقف و سائر وجوه التبرّع، و لو كانت ديونه مستغرقة أمواله كلّها، باعتبار أنّ الديون تتعلّق بذمّته فتبقى أعيان أمواله حره، فينفذ فيها تصرفه، و هذا مقتضى القواعد القياسيه.

ثمّ لما فسدت ذمم الناس و كثر الطمع و قلّ الورع و أصبح المدينون يعمدون إلى تهريب أموالهم من وجه الدائنين عن طريق وقفها، أو هبتها لمن يثقون به من قريب أو صديق، أفتى المتأخرون من فقهاء المذهبين الحنبلى و الحنفى بعدم نفاذ هذه التصرفات من المدين إلاّ فيما يزيد عن وفاء الدين من أمواله» (١).

ص: ٩٤

هذا في الفقه السنّي، و لكن في الفقه الإمامي ليس هناك أى مشكله حتى نتوسل بعنصر الزمان و نلتزم بتغيّر الأحكام في ظلّه، لأنّ للمحجور حالتين:

الأولى: إذا حجر عليه الحاكم و حكم بإفلاسه فعند ذاك يتعلّق حقّ الغرماء بأمواله لا- بدمته، نظير تعلّق حقّ المرتهن بالعين المرهونه فلا يجوز له التصرف فيها بعوض كالبيع و الإجاره، و بغير عوض كالوقف و الهبه إلاّ بإذنهم و إجازتهم.

الثانية: إذا لم يُحجر عليه فتصرفاته على قسمين: قسم لا يريد الفرار من أداء الديون و لا يلازم حرمان الديان، فيجوز له التصرف بأمواله كيفما شاء، و القسم الآخر يريد من الصلح أو الهبه الفرار من أداء الديون، فالحكم بصحة تصرفاته- فيما إذا لم يرج حصول مال آخر له باكتساب و نحوه- مشكل. (١) و جهه: أنّ الحكم بلزوم تنفيذها حكم ضررى يلحق بأصحاب الديون فلا- يكون نافذاً، أضف إلى ذلك انصراف عمومات الصلح و الهبه و سائر العقود عن مثل هذه العقود. و على ذلك فلا داعى لتبنيّ تغير الحكم الشرعى بالعنصرين. بل الحكم الشرعى السائر مع الزمان موجود فى أصل الشرع بلا- حاجه إلى التوسل بعنصر «فساد الزمان».

٢. فى أصل المذهب الحنفى أنّ الغاصب لا- يضمن قيمه منافع المغصوب فى مده الغصب بل يضمن العين فقط إذا هلكت أو تعيبت، لأنّ المنافع عندهم ليست متقومه فى ذاتها و إنّما تقوم بعقد الإجاره و لا عقد فى الغصب.

و لكن المتأخرين من فقهاء المذهب الحنفى نظروا تجرؤ الناس على الغصب و ضعف الوازع الدينى فى نفوسهم، فأفتوا بتضمين الغاصب أجره المثل عن منافع المغصوب إذا كان المغصوب مال وقف أو مال يتيم أو معداً للاستغلال على خلاف الأصل القياسى فى المذهب زجراً للناس عن العدوان لفساد الزمان.

ص: ٩٧

(١-١). لاحظ وسيله النجاه: ١٣٣، كتاب الحجر، المسأله الأولى؛ و [١] تحرير الوسيله: ١٦/٢. [٢]

ثمّ أضاف إليها في التعليقه بأنّ الأئمّه الثلاثه ذهبوا إلى عكس ما ذهب إليه الاجتهاد الحنفى، فاعتبروا المنافع متقومه في ذاتها، كالأعيان، و أوجبوا تضمين الغاصب أجره المثل عن المال المغصوب مده الغصب، سواء استعرض الغاصب منفعه أو عطّلها ثمّ قال: وهذا الاجتهاد أوجه و أصلح. (١)

أقول: إنّ القول بعدم ضمان الغاصب المنافع المستوفاه مستند إلى ما تفرد بنقله عروه بن الزبير عن عائشه أنّ رسول الله قضى أنّ الخراج بالضمان. (٢)

فزعمت الحنفيه أنّ ضمان قيمه المغصوب لا يجتمع مع ضمان المنافع، وذلك لأنّ ضمان العين في مقابل كون الخراج له، و لكن الاجتهاد غير صحيح جداً، لأنّ الحديث ناظر إلى البيوع الصحيحه، مثلاً: إذا اشترى عبداً أو غيره فيستغله زماناً ثمّ يعثر منه على عيب كان فيه عند البائع، فله ردّ العين المبيعه و أخذ الثمن، و يكون للمشتري ما استغله، لأنّ المبيع لو تلف في يده لكان في ضمانه و لم يكن له على البائع شيء، و الباء في قوله بالضمان متعلّق بمحذوف تقديره: الخراج مستحق بالضمان، أى في مقابله الضمان، أى منافع المبيع بعد القبض تبقى للمشتري في مقابله الضمان اللازم عليه بطرف المبيع.

هذا هو معنى الحديث، و عليه شرح الحديث (٣) و لا صلة للحديث بغصب الغاصب مال الغير و استغلال منفعه.

و الذى يفسّر الحديث وراء فهم الشراح أنّ عروه بن الزبير نقل عن عائشه أنّ رجلاً اشترى عبداً، فاستغله ثمّ وجد به عيباً فردّه، فقال: يا رسول الله إنّّه قد

ص: ٩٨

١-١. المدخل الفقهي العام: ٢، برقم ٥٤٤.

٢-٢. مسند أحمد بن حنبل: ٤٩/٦؛ و [١] سنن الترمذى: ٣، كتاب البيوع برقم ١٢٨٦؛ و [٢] سنن النسائى: ٢٥٤/٧، باب الخراج بالضمان.

٣-٣. لاحظ شرح الحافظ جلال الدين السيوطى و حاشيه الإمام السندى على سنن النسائى و غيره.

استغلّ غلامى، فقال رسول الله: «الخراج بالضمان». (١)

وقد ورد من طرقنا أنّ الإمام الصادق عليه السلام لمّا سمع فتوى أبى حنيفة بعدم ضمان الغاصب قيمه المنافع التى استوفاهما، قال: «فى مثل هذا القضاء وشبهه تحبس السماء ماءها وتمنع الأرض بركتها». (٢)

ثمّ إنّه يدل على ضمان المنافع المستوفاه عموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا- يحل مال امرئ مسلم لأخيه إلاّ عن طيب نفسه» والمنافع مال، ولأجل ذلك يجعل ثمناً فى البيع و صداقاً فى النكاح، مضافاً إلى السيره العقلانيه فى تضمين الغاصب المنافع المستوفاه، وعلى ذلك فليس هاهنا مشكله حتى تعالج بعنصر الزمان، ولم يكن الحكم المزعوم حكماً شرعياً حتى يتغير لأجل فساد أهل الزمان.

٣. فى أصل المذهب الحنفى أنّ الزوجه إذا قبضت مؤجّل مهرها تُلزم بمتابعه زوجها حيث شاء، ولكن المتأخّرين لحظوا انقلاب الأخلاق و غلبه الجور، وأنّ كثيراً من الرجال يسافرون بزوجاتهم إلى بلاد نائية ليس لهنّ فيها أهل ولا نصير، فيسيئون معاملتهنّ و يجورون عليهنّ، فأفتى المتأخرون بأنّ المرأه لو قبضت مؤجّل مهرها لا تجبر على متابعه زوجها، إلى مكان إلاّ إذا كان وطناً لها و قد جرى فيه عقد الزواج بينهما، وذلك لفساد الزمان و أخلاق الناس، وعلى هذا استقرت الفتوى و القضاء فى المذهب. (٣)

أقول: إنّ لحلّ هذا النوع من المشاكل طريقاً شرعياً فى باب النكاح، وهو اشتراط عدم إخراجها من وطنها أو أن يسكنها فى بلد خاص، أو منزل مخصوص

ص: ٩٩

١-١. سنن ابن ماجه: ٢، برقم ٢٢٤٣.

٢-٢. وسائل الشيعه: الجزء ١٣، الباب ١٧ من أبواب أحكام الإجاره، الحديث ١ و [١] الحديث طويل جدير بالمطالعه.

٣-٣. المدخل الفقهي العام: ٢، برقم ٥٤٦.

فى عقد النكاح، فيجب على الزوج الالتزام به. و ليس مثل هذا الاشتراط مخالفاً للكتاب و السنه.

و لو افترضنا غفله أولياء العقد عن الاشتراط و أراد الزوج إخراجها إلى بلاد نائية يصعب عليها العيش فيها و يعد حرجياً لها، فللزوجه رفع الشكوى إلى الحاكم بغيه عدم إخراجها من وطنها، فيحكم بعد تبين الحال بعدم الإخراج نتيجة طرود العناوين الثانويه كالحرج و الضرر، فليس للزمان هنا أى مدخلية فى تغيير الحكم، بل يكمن الحكم الشرعى فى نفس الشرع.

٤. فى أصل المذهب الحنفى و غيره أن القاضى يقضى بعلمه الشخصى فى الحوادث، أى أن علمه بالوقائع المتنازع فيها يصح مستنداً لقضائه، و يعنى المدعى عن إثبات مدّعه بالبينه، فيكون علم القاضى بواقع الحال هو البينه، و فى ذلك أفضيه مأثوره عن عمر و غيره، و لكن لوحظ فيما بعد أن القضاء قد غلب عليهم الفساد و السوء و أخذ الرشاء، و لم يعد يختار للقضاء الأوفر ثقه و عفه و كفايه بل الأكثر تزلّفاً إلى الولاه و سعيّاً فى استرضائهم و إحافاً فى الطلب.

لذلك أفتى المتأخرون بأنه لا يصح أن يقضى القاضى بعلمه الشخصى فى القضاء بل لا بدّ أن يستند قضاؤه إلى البيّنات المثبتة فى مجلس القضاء حتى لو شاهد القاضى بنفسه عقداً أو قرضاً أو واقعه ما بين اثنين خارج مجلس القضاء ثم ادعى به أحدهما و جردها الآخر، فليس للقاضى أن يقضى للمدعى بلا بينه، إذ لو ساغ ذلك بعد ما فسدت ذمم كثير من القضاء، لزعموا العلم بالوقائع زوراً، و ميلاً إلى الأقوى و سيله من الخصمين، فهذا المنع و إن أضع بعض الحقوق لفقدان الإثبات لكنّه يدفع باطلاً كثيراً، و هكذا استقر عمل المتأخرين على عدم نفاذ قضاء القاضى بعلمه.

على أن للقاضى أن يعتمد على علمه فى غير القضاء من أمور الحسبه

والتدابير الإدارية الاحتياطية، كما لو علم بينونه امرأه مع استمرار الخلطه بينها وبين زوجها، أو علم بغصب مال؛ فإنَّ له أن يحول بين الرجل و مطلقته، و أن يضع المال المغصوب عند أمين إلى حين الإثبات. (١)

أقول: يشترط المذهب الإمامي في القاضي: العدالة و الاجتهاد المطلق، فالقاضي الجائر لا يستحق القضاء و لا ينفذ حكمه.

و على ضوء ذلك فلا يترتب على عمل القاضي بعلمه أى فساد، لأنَّ العدالة تصدّه عن ارتكاب الآثام.

و لو افترضنا إشغال منصبه القضاء بالفرد الجائر فليس للقاضي العمل بعلمه في حقوق الله سبحانه، كما إذا علم أنَّ زيدا زنى أو شرب الخمر أو غير ذلك، فلا يصحَّ له إقامة الدعوى و إجراء الحدود لاستلزامه وحده القاضي و المدعى من غير فرق بين كونه عادلاً أو غيره.

و أمّا العمل بعلمه في حقوق الناس فلا يعمل بعلمه غير قابل للانتقال إلى الغير بل يقتصر في العمل بعلمه بنحو لو طُلب بالدليل لعرضه و إلا فلا يجوز، و قد حَقَّق ذلك في كتاب القضاء.

٥. من المبادئ المقرّره في أصل المذهب أنَّ العمل الواجب على شخص شرعاً لا يصحَّ استتجاره فيه و لا يجوز له أخذ أجره عليه، و من فروع هذا المذهب الفقهي أنَّ القيام بالعبادات و الأعمال الدينيه الواجبه كالإمامه و خطبه الجمعة و تعليم القرآن و العلم لا يجوز أخذ الأجره عليه في أصل المذهب بل على المقتدر أن يقوم بذلك مجاناً لأنّه واجب ديني.

غير أنَّ المتأخّرين من فقهاء المذهب لحظوا قعود الهمم عن هذه الواجبات،

ص: ١٠١

و انقطاع الجرايات من بيت المال عن العلماء ممّا اضطرهم إلى التماس الكسب، حتى أصبح القيام بهذه الواجبات غير مضمون إلاّ بالأجر، و لذلك أفتى المتأخرون بجواز أخذ الأجر عليها حرصاً على تعليم القرآن و نشر العلم و إقامة الشعائر الدينيه بين الناس. (١)

أمّا الفقه الإمامي، فالمشكله فيه مرتفعه بوجهين:

الأول: إذا كان هناك بيت مال معدداً لهذه الأغراض لا تبذل الأجره في مقابل العمل، بل الحاكم يؤمن له وسائل الحياه حتى يتفرغ للواجب.

الثاني: أمّا إذا لم يكن هناك بيت مال فإذا كان أخذ الأجره حراماً منصوصاً عليه و كان من صلب الشريعه فلا يمسه عنصر الزمان و لكن يمكن الجمع بين الأمرين و تحليله عن طريق آخر، و هو أن يجتمع أولياء الصبيان أو غيرهم ممن لهم حاجه إلى إقامه القضاء و الأذان و الإفتاء فيشاركون في سد حاجه المفتي و القاضي و المؤذن و المعلم حتى يتفرغوا لأعمالهم العباديه بلا هواده و تقاعس، على أن ما يبذلون لا يعد أجره لهم و إنما هو لتحسين وضعهم المعاشي.

و بعبارة أخرى: القاضي و المفتي و المؤذن و المعلم يمارس كل أعماله لله سبحانه، و لكن بما أن الاشتغال بهذه المهمة يتوقف على سد عيلتهم و رفع حاجتهم فالمعتيون من المؤمنين يسدون عيلتهم حتى يقوموا بواجبهم و إلاّ فكما أن الإفتاء واجب، فكذلك تحصيل الضروريات لهم و لعيالهم أيضاً واجب. و عند التزاحم يقدم الثاني على الأول إذ في خلافه، خوف هلاك النفوس و انحلال الأسره، و لكن يمكن الجمع بين الحكمين على الطريق الذي أشرنا إليه.

٦. أن الشهود الذين يقضى بشهادتهم في الحوادث يجب أن يكونوا عدولاً،

ص: ١٠٢

أى ثقات، وهم المحافظون على الواجبات الدينيه المعروفون بالسّرّ و الأمانه، و أنّ عداله الشهود شريطه اشترطها القرآن لقبول شهادتهم و أيدتها السنّه و أجمع عليها فقهاء الإسلام.

غير أنّ المتأخرين من فقهاءنا لحظوا ندره العداله الكامله التي فسّرت بها النصوص لفساد الزمن و ضعف الذمم و فتور الحس الدينى الوازع، فإذا تطلب القضاء دائماً نصاب العداله الشرعيه فى الشهود ضاعت الحقوق لامتناع الإثبات، فلذا أفتوا بقبول شهاده الأمثل فالأمثل من القوم حيث تقلّ العداله الكامله.

و معنى الأمثل فالأمثل: الأ-حسن فالأ-حسن حالاً- بين الموجودين، و لو كان فى ذاته غير كامل العداله بحددها الشرعى، أى أنّهم تنازلوا عن اشتراط العداله المطلقه إلى العداله النسبيه. (١)

أقول: إنّ القرآن- كما تفضّل به الكاتب- صريح فى شريطه العداله فى تنفيذ شهادته، يقول سبحانه: «وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ» ٢ و قال سبحانه: «وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ» ٣.

مضافاً إلى الروايات الوارده فى ذلك المضممار، فتنفيذ شهاده غير العدل تنفيذ بلا دليل أو مخالف لصريح الكتاب، و لكن يمكن للقاضى تحصيل القرائن و الشواهد التى منها شهاده الأمثل فالأمثل التى تثبت أحد الطرفين على وجه يفيد العلم للقاضى، و يكون علمه قابلاً للانتقال إلى الآخرين من دون حاجه إلى العمل بقول الأمثل فالأمثل.

ثمّ إنّ ترك العمل بشهاده غير العدل كما هو مظنه إضاعه الحقوق،

ص: ١٠٣

فكذلك هو مظنه الإضرار على المحكوم عليه لعدم وجود العدالة في الشاهد حتى تصونه عن الكذب عليه، فالأمر يدور بين المحذورين.

لو فسّر القائل العدالة بالتحزّز عن الكذب و إن كان فاسقاً في سائر الجوارح لكان أحسن من تفسيره بالعدالة المطلقة ثمّ العدول عنها لأجل فساد الزمان.

٧. أفتى المتأخرون في إثبات الأهلّة لصيام رمضان و للعيدين بقبول رؤيه شخصين، و لو لم يكن في السماء علّه تمنع الرؤيه من غيم أو ضباب أو غبار بعد أن كان في أصل المذهب الحنفى، لا يثبت إهلال الهلال عند صفاء السماء إلا برؤيه جمع عظيم، لأنّ معظم الناس يلتمسون الرؤيه، فانفراد اثنين بادعاء الرؤيه مظنه الغلط أو الشبهه.

و قد علّل المتأخرون قبول رؤيه الاثنين بقعود الناس عن التماس رؤيه الهلال، فلم تبق رؤيه اثنين منهم مظنه الغلط إذا لم يكن في شهادتهما شبهه أو تهمة تدعو إلى الشك و الريبه. (١)

و أمّا في الفقه الإمامى، فلا يعتبر قول العدلين عند الصحو و عدم العلّه في السماء إذا اجتمع الناس للرؤيه و حصل الخلاف و التكاذب بينهم بحيث يقوى احتمال اشتباه العدلين.

و أمّا إذا لم يكن هناك اجتماع للرؤيه - كما هو مورد نظر الكاتب - حيث قال: لقعود الناس عن التماس رؤيه الهلال، فقبول قول العدلين - على وفاق القاعده لا على خلافها، فليس للزمان هناك تأثير في الحكم الشرعى.

و بعبارة أخرى: ليس في المقام دليل شرعى على وجه الإطلاق يدل على عدم

ص: ١٠٤

قول العدلين في الصحو و عدم العله في السماء حتى يؤخذ بإطلاقه في كلتا صورتين: كان هناك اجتماع للرؤيه أم لم يكن، بل حجيه دليل البيئه منصرف عن بعض الصور، و هو ما إذا كان هناك اجتماع من الناس للرؤيه و حصل الخلاف و التكاذب بحيث قوى احتمال الاشتباه في العدلين، و أما في غير هذه الصورة فإطلاق حجيه أدله البيئه باق بحالها، و منها ما إذا ادعى العدلان و لم يكن اجتماع و لا تكاذب و لا مظنه اشتباه.

هذه هي المسائل التي طرحها الأستاذ مصطفى أحمد الزرقاء مثلاً لتغير الآراء الفقيهيه و الفتاوى لأجل فساد الزمان، و قد عرفت أنه لا حاجة لنا في العدول عن الحكم الشرعي، و ذلك لأحد الأمرين:

أ. إما لعدم ثبوت الحكم الأولي كما في عدم ضمان الغاصب للمنافع المستوفاه.

ب. أو لعدم الحاجة إلى العدول عن الحكم الشرعي، بل يمكن حل المشكل عن طريق آخر مع صيانته الحكم الأولي، كما في الأمثله الباقيه.

ب. تغيير الأحكام الاجتهاديه لتطور الوسائل و الأوضاع

قد سبق من هذا الكاتب ان عوامل التغيير على قسمين:

أحدهما: ما يكون ناشئاً من فساد الأخلاق، و فقدان الورع، و ضعف الوازع، و أسماء بفساد الزمان، و قد مرّ عليك أمثله كما مرّت مناقشاتنا.

و الآخر: ما يكون ناشئاً عن أوضاع تنظيميه، و وسائل زمنييه جديده من أوامر قانونيه مصلحيه و ترتيبات إداريه، و أساليب اقتصاديه و نحو ذلك، و هذا النوع-

عند الكاتب- كالأول موجب لتغيير الأحكام الفقهية الاجتهادية المقرره قبله إذا أصبحت لا تتلاءم معه، لأنها تصبح عندئذ عبثاً أو ضرراً، و الشريعة منزّهه عن ذلك، وقد قال الإمام الشاطبي (المتوفى ٧٩٠هـ) في الموافقات: لا عبث في الشريعة.

ثم طرح لها أمثله و إليك بيانها:

١. ثبت عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنه نهى عن كتابه أحاديثه، و قال لأصحابه: «من كتب عنى غير القرآن فليمحه» و استمر الصحابه و التابعون يتناقلون السنّه النبويه حفظاً و شفاهاً لا يكتبونها حتى آخر القرن الهجرى الأول عملاً بهذا النهى.

ثم انصرف العلماء فى مطلع القرن الثانى بأمر من الخليفه العادل عمر بن عبد العزيز، إلى تدوين السنّه النبويه، لأنهم خافوا ضياعها بموت حفظتها و رأوا أنّ سبب نهى النبي عليه السلام عن كتابتها إنما هو خشيه أن تختلط بالقرآن، إذ كان الصحابه يكتبون ما ينزل منه على رقاع، فلما عمّ القرآن و شاع حفظاً و كتابه، و لم يبق هناك خشيه من اختلاطه بالحديث النبوى، لم يبق موجب لعدم كتابه السنّه، بل أصبحت كتابتها واجبه لأنها الطريقه الوحيده لصيانتها من الضياع. (١)

أقول: إنّ ما ذكره من أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم نهى عن كتابه حديثه غير صحيح من وجوه:

أولاً: روى البخارى أنّ رجلاً من أهل اليمن طلب من النبي أن يكتب له خطبته فقال: اكتب لى يا رسول الله، فقال: اكتبوا لأبى فلان إلى أن قال: كتبت له هذه الخطبه. (٢)

ص: ١٠٦

١- ١). المدخل الفقهى العام: ٩٣٣/٢، و فى الطبعة العاشره فى ترقيم الصفحات فى المقام تصحيف.

٢- ٢). البخارى: الصحيح: ٢٩، باب كتابه العلم.

أضف إلى ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر في غير واحد من الموارد كتابه حديثه، يجدها المتفحص في مصادرها.

(١)

و مع هذه الموارد الكثيره التي رخص النبي فيها كتابه الحديث، والعمل به، لا يبقى أئى شك في موضوعيه ما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من كتب عني غير القرآن فليمحه».

ثانياً: هل يصح أن يأمر الله سبحانه بكتابه الدين حفظاً له، واحتياطاً عليه، وفي الوقت نفسه ينهى نبيه عن كتابه الحديث الذي يعادل القرآن في الحجّيه؟!!

ثالثاً: العجب من الأستاذ أنّه سلّم وجه المنع، وهو أن لا يختلط الحديث بالقرآن، وقد نحت الخطيب البغدادي (٢) في كتاب «تقييد العلم» (٣) مع أنّه غير تام، لأنّ القرآن الكريم في أسلوبه و بلاغته يغيّر أسلوب الحديث و بلاغته، فلا يخاف على القرآن الاختلاط بغيره مهما بلغ من الفصاحه و البلاغه، فقبول هذا التبرير يلازم إبطال إعجاز القرآن الكريم، و هدم أصوله.

و الكلمه الفصل أنّ المنع عن كتابه الحديث كان منعاً سياسياً صدر عن الخلفاء لغايات و أهداف خاصّه، و الخساره التي مُنى الإسلام و المسلمون بها من جرّاء هذا المنع لا تجبر أبداً، و قد فصلنا الكلام في فصل خاص من كتابنا بحوث في الملل و النحل.

(٤)

ص: ١٠٧

١ - ١. سنن الترمذى: ٣٩/٥، باب كتابه العلم، الحديث ٢٦٦٦؛ سنن الدارمى: ١/١٢٥، باب من رخص في كتابه العلم؛ سنن أبى

داود: ٣١٨/٢، باب في كتابه العلم، و مسند أحمد: ٢/٢١٥ و ج: ٣/١٦٢.

٢ - ٢. أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٣ هـ) مؤلف تاريخ بغداد.

٣ - ٣. تقييد العلم: ٥٧.

٤ - ٤. لاحظ: الجزء الأول من الكتاب المذكور: ٦٠-٧٦.

٢. قبل انشاء السجلات العقاريه الرسميه التى تحدد العقارات، و تعطى كلاً منها رقماً خاصاً، كان التعاقد على العقار الغائب عن مجلس العقد لا بدّ لصحّته من ذكر حدود العقار، أى ما يلاصقه من الجهات الأربع ليتميّز العقار المعقود عليه عن غيره، وفقاً لما تقضى به القواعد العامه من معلوميه محل العقد.

و لكن بعد إنشاء السجلات العقاريه فى كثير من الممالك و البلدان أصبح يكتفى قانوناً فى العقود بذكر رقم محضر العقار، دون ذكر حدوده، و هذا ما يوجب فقهاء الشريعة، لأنّ الأوضاع و التنظيمات الزمّنيه أوجدت و سيله جديده أسهل و أتمّ تعييناً و تمييزاً للعقار من ذكر الحدود فى العقود العقاريه، فأصبح اشتراط ذكر الحدود عبثاً، و قد قدّمنا أنّه لا عبث فى الشريعة.

أقول: إنّ الحكم الشرعى الأوّلى هو معلوميه المبيع، و هذا هو لبّ الشريعة، و أمّا الباقي فهو ثوب يتغير بتغير الأزمان، فلا تحديد العقارات من الجهات الأربع حكم أصلى، و لا ذكر رقم محضر العقار، فالجميع طريق إلى الحكم الشرعى و هو معلوميه المبيع و خروجه عن كونه مجهولاً، و الشرط يحصل بكلا الوجهين و تغيير الثوب ليس له صلّه بتغيير الحكم.

٣. كذلك كان تسليم العقار المبيع إلى المشتري لا يتمّ إلاّ بتفريغ العقار و تسليمه فعلاً إلى المشتري، أو تمكينه منه بتسليم مفتاحه و نحو ذلك، فإذا لم يتمّ هذا التسليم يبقى العقار معتبراً فى يد البائع، فيكون هلاكه على ضمانه هو و مسئوليته، وفقاً للأحكام الفقيهيه العامه فى ضمان المبيع قبل التسليم.

و لكن بعد وجود الأحكام القانونيه التى تخضع العقود العقاريه للتسجيل فى السجل العقارى. استقر الاجتهاد القضائى أخيراً لدينا على اعتبار التسليم حاصلًا بمجرد تسجيل العقد فى السجلّ العقارى، و من تاريخ التسجيل ينتقل ضمان هلاك المبيع من عهده البائع إلى عهده المشتري، لأنّ تسجيل المبيع فيه

تمكين للمشتري أكثر ممّا في التسليم الفعلى، إذ العبره فى الملكيه العقاريه قانوناً، لقيود السجلّ العقارى، لا للأيدى و التصرفات، و بتسجيل المبيع لم يبق البائع متمكناً أن يتصرف فى العقار المبيع بعقد آخر استناداً إلى وجوده فى يده، و جميع الحقوق و الدعاوى المتفرعه عن الملكيه، كطلب نزع اليد، و طلب الآخره، و غير ذلك تنتقل إلى المشتري بمجرد التسجيل.

فبناء على ذلك يصبح من الضرورى فى فقه الشريعه أن يعتبر لتسجيل العقد العقارى حكم التسليم الفعلى للعقار فى ظل هذه الأوضاع القانونيه التنظيمه الجديده. (١)

أقول: اتفق الفقهاء على أنه إذا تلف المبيع الشخصى قبل قبضه بآفه سماويه فهو من مال بائعه، و الدليل عليه من طرقنا هو قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «كل مبيع تلف قبل قبضه فهو من مال بائعه». (٢)

و روى عقبه بن خالد عن الإمام الصادق عليه السلام فى رجل اشترى متاعاً من رجل و أوجه غير أنه ترك المتاع عنده و لم يقبضه، قال: آتيك غداً إن شاء الله فسرق المتاع، من مال من يكون؟ قال: «من مال صاحب المتاع الذى هو فى بيته حتى يُقبض المتاع و يخرج من بيته، فإذا أخرجه من بيته فالمبتاع ضامن لحقه حتى يرد ماله إليه». (٣)

و أمّا من طرق أهل السنّه، روى البيهقى عن محمد بن عبيد الله الثقفى أنه اشترى من رجل سلعه فنقده بعض الثمن و بقى بعض، فقال:

ادفعها إلى فابى البائع، فانطلق المشتري و تعجل له بقيه الثمن فدفعه إليه، فقال: ادخل و اقبض

ص: ١٠٩

١-١. المدخل الفقهى العام: ٩٣١/٢.

٢-٢. مستدرک الوسائل: ١٣، الباب ١ من أبواب الخيار، الحديث ١. [١]

٣-٣. الوسائل: ١٢، الباب ١٠ من أبواب الخيار، الحديث ١. [٢]

سلعتك، فوجدها ميتة، فقال له: رد عليّ مالي، فأبى، فاخصمنا إلى شريح، فقال شريح: رد على الرجل ماله وارجع إلى جيفتك فادفنها. (١)

و على هذا فالميزان فى رفع الضمان على البائع هو تسليم المبيع و تسليم كل شىء بحسبه، و الجامع هو رفع المانع من تسليط المشتري على المبيع و إن كان مشغولاً بأموال البائع أيضاً إذ لم يكن هنا أى مانع من الاستيلاء و الاستغلال.

و على ضوء ذلك فتسليم البيت و الحانوت مثلاً- بإعطاء مفتاحهما، و أمّا جعل مجرد تسجيل العقد فى السجل العقارى رافعاً للضمان بحجه أنّ تسجيل البيع فيه تمكين للمشتري أكثر ممّا للتسليم الفعلى اجتهاد فى مقابل النص بلا- ضروره ما لم يكن تسجيل العقد فى السجل العقارى متزامناً مع رفع الموانع من تسلط المشتري على المبيع، إذ فى وسع المتبايعين تأخير التسجيل إلى رفع الموانع.

و بعبارة أخرى: الميزان فى رفع الضمان هو تحقق التسليم بالمعنى العرفى، و هو قد يزامن التسجيل فى السجل العقارى و قد لا يزامن، كما لو سجل العقد فى السجل و لكن البائع أوجد موانع عاقت المشتري عن التسلط على المبيع، فما لم يكن هناك إمكان التسلط فلا يصدق التسليم.

على أنّ المشتري بالتسجيل و إن كان يستطيع أن يبيع العقار و لكنّه يعجز عن الانتفاع بالمبيع الذى هو المهم له ما لم يكن هناك تسليم فعلى.

٤. أوجب الشرع الإسلامى على كلّ زوجة تطلق من زوجها عدّه تعتدها، و هى أن تمكث مده معيّنه يمنع فيها زواجها برجل آخر، و ذلك لمقاصد شرعيه تعتبر من النظام العام فى الإسلام، أهمها، تحقق فراغ رحمها من الحمل منعاً لاختلاط الأنساب.

ص: ١١٠

١- ١). البيهقى: السنن: ٣٣٤/٥، باب المبيع يتلف فى يد البائع قبل القبض.

و كان في الحالات التي يقضى فيها القاضى بالتطليق أو بفسخ النكاح، تعتبر المرأة داخله في العده، و يبدأ حساب عدتها من فور قضاء القاضى بالفرقه، لأن حكم القاضى في الماضى كان يصدر مبرماً واجب التنفيذ فوراً، لأن القضاء كان مؤسساً شرعاً على درجه واحده، و ليس فوق القاضى أحد له حق النظر في قضائه.

لكن اليوم قد أصبح النظام القضائى لدينا يجعل قضاء القاضى خاضعاً للطعن بطريق الاستئناف، أو بطريق النقض، أو بكليهما. و هذا التنظيم القضائى الجديد لا ينافى الشرع، لأنه من الأمور الاستصلاحيه الخاضعه لقاعده المصالح المرسله، فإذا قضى القاضى اليوم بالفرقه بين الزوجين و جب أن لا تدخل المرأة في العده إلا بعد أن يصبح قضاؤه مبرماً غير خاضع لطريق من طرق الطعن القضائى. و ذلك إما بانقضاء المهل القانونيه دون طعن من الخصم، أو بإبرام الحكم المطعون فيه لدى المحكمه المطعون لديها و رفضها للطعن حين ترى الحكم موافقاً للأصول.

فمن هذا الوقت يجب اليوم أن تدخل المرأة في العده و يبدأ حسابها لا من وقت صدور الحكم الابتدائى، لأنها لو اعتدت منذ صدور الحكم الابتدائى لربما تنقضى عدتها و تتحرر من آثار الزوجيه قبل الفصل فى الطعن المرفوع على حكم القاضى الأول بانحلال الزوجيه ثم ينقض هذا الحكم لخلل تراه المحكمه العليا فيه، و هذا النقض يرفع الحكم السابق و يوجب عوده الزوجيه. (١)

أقول: إن الحكم الأولى فى الإسلام هو أن الطلاق بيد من أخذ بالساق (٢)، فللزوج أن يطلق على الشروط المقرره قال سبحانه: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ

ص: ١١١

١-١. المدخل الفقهي العام: ٩٣٢/٢.

٢-٢. مجمع الزوائد: ٣٣٤/٤، باب لا طلاق قبل النكاح.

فَطَلَّقُوهُنَّ لِئَدَّتِهِنَّ وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ وَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ» ١.

نعم لو اشترط الزوجان فى سجل العقد أن يكون الطلاق بيد المحكمة بمعنى أنه إذا أدركت أنّ الطلاق لصالح الزوجين فله أن يحكم بالفرقة و الانفصال، و المراد من الحكم بالفرقة أمران:

أولاً: أنّ الطلاق لصالح الزوجين.

ثانياً: تولّى إجراء صيغته الطلاق.

فلو كان قضاء القاضى بالفرقة على درجه واحده، و ليس فوقه أحد له حقّ النظر فى قضائه فيقوم بكلا الأمرين: حق الانفصال و تنفيذه بإجراء صيغته الطلاق و يكون الحكم بالفرقة مبدأً للاعتداد.

و لو كان النظام القضائى يجعل قضاء القاضى خاضعاً للطعن بطريق الاستئناف، أو بطريق النقض أو بكليهما، فلأجل الاجتناب عن بعض المضاعفات التى أشير إليها تقتصر المحكمة الأولى على الأمر الأول- إنّ الطلاق لصالح الزوجين- و يؤخر الأمر الثانى إلى إبرامه، فعند ذلك تجرى صيغته الطلاق من قبل المحكمة الثانى و تدخل المرأة فى العده و يبدأ حسابها.

و بذلك يعلم أنّ ما ضربت من الأمثلة لتأثير الزمان و المكان بعيدة عمّا يروم إليه، سواء كان العامل للتأثير هو فساد الأخلاق و فقدان الورع و ضعف الوازع، أو حدوث أوضاع تنظيميه و وسائل زمنيّه، فليس لنا فى هذه الأمثلة أى حافز من العدول عمّا عليه الشرع.

و حصله الكلام: أنّ الأستاذ قد صرّح بأنّ العاملين-الانحلال الأخلاقى و الاختلاف فى وسائل التنظيم- يجعلان من الأحكام التى أسّسها الاجتهاد فى

ظروف مختلفه خاضعه للتغيير، لأنها صدرت فى ظروف تختلف عن الظروف الجديده.

و لكنّه فى أثناء التطبيق تعدى تاره إلى التصرف فى الأحكام الأساسيه المؤبده التى لا يصح للفقيه الاجتهاد فيها، ولا أن يحدث بها أى خدشه، وأخرى ضرب أمثله لم يكن للزمان أى تأثير فى تغيير الحكم المستنبط.

هذا بعض الكلام فى تأثير عنصرى الزمان و المكان فى الاستنباط.

تمت الرساله بيد مؤلفها العبد الفقير جعفر السبحانى فى صبيحه يوم الجمعه المصادف يوم العشرين من رجب المرجب من شهور
عام ١٤١٨هـ

حامداً مصلياً على النبى و آله

فى مدينه قم المقدسه

ص: ١١٣

ملاحم الجهاد الإسلامى

فى الكتاب و السنّه

إنّ الجهاد أحد الأصول المهمّه فى الفقه الإسلامى، وقد وقع فى قفص الاتهام من قبل المستشرقين الذين يُفسرون تعاليم الإسلام حسب معاييرهم، و يزعمون أنّ الهدف من تشريع الجهاد هو فرض الدين بالقوه على الناس، و مثل هذا الدين يفقد قيمته عند العقل، فها نحن فى هذا المقال نُبين موقف الجهاد فى الإسلام من منظور القرآن الكريم الذى هو من أوثق المصادر الفقيهيه.

نظره عامه إلى آيات الجهاد

إنّ البحث عن آيات الجهاد و إن كان بحاجه إلى تأليف رساله مفصله تبحث عن هذه الآيات، و تبين خصوصياتها و نكاتها، غير أنّنا، نقف عندها وقفه قصيره سريعه حتى يتضح هدف الآيات، فنقول:

إنّ الآيات الوارده حول الجهاد و ما يرتبط بها من قريب أو بعيد تنقسم إلى طوائف خمس، لا بدّ لكلّ مفسّر أن يلاحظ مجموعها قبل اتخاذ الموقف و تفسيرها و إظهار الرأى فيها.

ص: ١١٤

و إليك هذه الطوائف:

الأولى: الآيات المطلقة التي تدعو إلى مطلق النضال و القتال، دون أن تقيّد ذلك بقيد، كقوله سبحانه:

«قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ»
. ١

وقوله:

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَأَوْاهِمُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ». ٢

فالآية الأولى تدعو إلى مطلق النضال مع أهل الكتاب، والثانية تدعو إلى مطلق النضال مع الكفار و المنافقين، دون أن تقيّد مقاتله هذه الطوائف و الجماعات بقيد، بل توجب مقاتلتهم، سواء أقاتلوا المسلمين أم لا، و سواء أ جحدوا الإسلام أم لا.

الثانية: الآيات المقيّده التي توجب مقاتله المشركين شريطه قتالهم للمسلمين و العدوان عليهم، كقوله سبحانه:

«وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» ٣ .

فالمقاتل -حسب هذه الآية- يجب إذا تعرّض المسلمون لعدوان الكفار و المشركين، و لا يجب قتالهم إذا لم يعتدوا، و ربما قيّد القتال بقيد آخر، و هو الخوف

ص: ١١٥

من نقض العدو لعهوده التي قطعها مع المسلمين، و هو بمعنى الاستعداد لقتال المسلمين و العدوان عليهم، فلاجل ذلك تجب على المسلمين مقاتلتهم و محاربتهم. يقول سبحانه- بعد أمره بقتال المشركين في مطلع سورة التوبه:-

«كَيْفَ وَ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَا لَا ذِمَّةً» ١ .

و يقول:

«لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَا وَلَا ذِمَّةً وَا أَوْلِيكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ» ٢ .

و يقول:

«وَ إِن نَكُوثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَلَمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ» ٣ .

إلى غير ذلك من الآيات التي تحت على مقاتله المشركين لنقضهم العهود المعقوده بينهم و بين المسلمين، لأن نقض العهد بمثابة إعلان الحرب، و إرادته العدوان.

إن ملاحظه هذه الآيات تفيد أن القتال لم يُشرع على الإطلاق بل لأجل سبب، و هو إرادته قتال المسلمين و العدوان عليهم، إما بصوره مباشره، و إما عن طريق نقض عهود السلم و الصلح الذي لا يعنى إلا إرادته القتال، فيكون القتال هنا من باب الدفاع عن النفس.

و من هنا تكون هذه الآيات مقيدة لإطلاق الطائفه الأولى.

و من المعلوم أن المطلق يحمل على المقيد و يؤخذ بكليهما حسب ما هو المقرر في أصول الفقه.

الثالثة: الآيات التي تدعو إلى إنقاذ المستضعفين و نجده المظلومين و إخراجهم من ظلم الجائرين، و دفع الضيم و الحيف عنهم.

و هذا هو أيضاً نوع آخر من الدفاع، إذ هو دفاع عن الغير.

فالاعتداء لم يستهدف الإنسان نفسه أو الشعب الذى ينتمى إليه، بل استهدف شخصاً أو شعباً آخر هُضمت حقوقه من قبل الجائرين، فعندئذٍ يجب -وفق معيار العقل- الدفاع عن حقوق الإنسان أو الشعب، و يُعد هذا الدفاع من أفضل درجات الجهاد، فإن ذلك إيثار و بذل للدم فى سبيل حياه الآخرين، و أى عمل أقدس من هذا. و لأجل ذلك نرى أنه سبحانه يفرض على المسلمين إغائه المضطهدين، و يقول:

«وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ وَ الْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا» ١.

الرابعة: الآيات التي تدل على عدم الإكراه فى الدين، لأن الدين عقيدة، و العقيدة لا توجد بالإكراه، كقوله سبحانه:

«لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» ٢.

قيل أنها نزلت فى رجل من الأنصار يدعى «أبا الحصين» كان له ابنان فقدم تجار الشام إلى المدينة يحملون الزيت، فلما أرادوا الرجوع من المدينة أتاهم ابنا أبى الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصيرا و مضيا إلى الشام، فأخبر أبو الحصين رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فأنزل الله تعالى: «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أبعدهما الله، هما أول من كفر»، فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث لم يبعث في طلبهما، فأنزل الله: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ» ١ .

وقيل كانت امرأه من الأنصار تكون مقلاتاً (١) فترضع أولاد اليهود، فجاء الإسلام و فيهم جماعة منهم، فلما أجليت بنو النضير إذا فيهم أناس من الأنصار، فقالوا: يا رسول الله: أبناؤنا وإخواننا، فنزلت: «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ». فقال:

«خَيْرُوا أَصْحَابَكُمْ فَإِنْ اخْتَارُواكُمْ فَهَمَّ مِنْكُمْ، وَإِنْ اخْتَارُوهُمْ فَاجْلُوهُمْ». (٢)

و كقوله سبحانه:

«ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» ٤ .

و قوله:

«وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ» ٥ .

و قوله:

«وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً فَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» ٦

و قوله:

«لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ» ٧ .

ص: ١١٨

١-٢). المقالة: التي لا يعيش لها ولد.

٢-٣). مجمع البيان: ٣٦٣/٢-٣٦٤.

إلى غير ذلك من الآيات الكاشفه عن حريه الاعتقاد.

الخامسه: الآيات الداعيه إلى الصلح و التعايش السلمى، كقوله سبحانه:

«وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ» ١ .

و قوله:

«وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا» ٢ .

و قوله:

«فَإِنْ اِعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَ أَلْقَوْا إِلَيْكُمْ السَّلْمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا» ٣ .

و من المعلوم أنّ الصلح المذكور فى الآيه الأولى هو التعايش السلمى، و ليس المراد الاستسلام و التسليم للظلم و العدوان.

إنّ للملاحظ و المتتبع لهذه الآيات التى تدور حول الجهاد و القتال، أن يتساءل:

إذا كان الإسلام ينشد الصلح و التعايش السلمى مع الطوائف الأخرى. كما تشهد على ذلك الطائفة الخامسة.

و إذا كان الإسلام يحترم العقيدة الأخرى، و يمنع من إكراه أحد على تقبّل الإسلام و اعتناقه كما تشهد على ذلك الطائفة

الرابعة... فكيف يمكن تفسير الآيات الحائثه على القتال و المحاربه!؟

إنّ ملاحظه مجموع الآيات من الطوائف الخمس تهدينا إلى الجواب الصحيح.

فإنّ القتال -بملاحظه الطائفة الثانيه و الثالثه- إنّما شرّع لأجل الدفاع،

و هذا الدفاع ينقسم مصداقاً إلى ثلاثة أقسام:

١.الدفاع عن النفس فرداً أو شعباً.

٢.الدفاع عن الغير (أى المستضعفين و المضطهدين) فرداً أو شعباً أيضاً.

٣.الدفاع عن القيم الإنسانيه،من خلال الجهاد ضدّ الحاكم المستبد المانع من نفوذ الدعوه الإسلاميه.

توضيحه:إذا كان الحاكم يقف حائلاً أمام نفوذ دعوه الأنبياء و الأولياء،و نشر القيم الرفيعه التى جاءوا بها،بل يساهم فى بث العقائد الخرافيه التى تعتبر سداً أمام السعاده الإنسانيه،فعند ذلك يجب النضال ضد هذا الحاكم و طغمته لأمرين:

الأول:أنّ الحاكم المستبدّ ظالم،و معتد على حقوق الشعب حيث سلب عنهم الحقوق الطبيعيه و هى الحريه فى الدعوه و الاستماع إليها، فعند ذلك يكون قتاله قتالاً ضد الظالم المعتدى.

الثانى:أنّ الدفاع عن النفس و المال و الشرف يعد حسناً و جميلاً عند كافة شعوب العالم.

غير أنّ الملاك فى كونه حسناً إنّما هو لأجل كونه دفاعاً عن الحقّ و الحقيقه،و الدفاع عن الحريه دفاع عن الحقّ،فالحاكم المستبد الذى صادر الحريات العامه يضاد عمله الحقّ و الحقيقه فيحسن قتاله لأجل تعزيز الحقّ و نصرته.

و من هنا يكون الجهاد التحريرى فى حقيقته جهاداً دفاعياً.لأنّ ذلك الجهاد إنّما هو لأجل إنقاذ المستضعفين من براثن الظالمين،أو لأجل إنقاذ القيم و الحقوق و المثل الإنسانيه التى هدرت من قبل الظالم و طغمته،فأقاموا العراقيل فى وجه الدعوه الإسلاميه و سلبوا الناس حرياتهم فى اختيار العقيدته التى يريدون.

و بهذا تبين أن الجهاد بأقسامه المختلفه جهاد دفاعى جوهرأ، و إن كان ينقسم حسب الاصطلاح الفقهى إلى الدفاعى و الابتدائى.

و هاهنا نكته نلفت إليها نظر القارئ الكريم، و هى أن الآيات الأولى التى نزلت فى تشريع الجهاد تدلّ بوضوح على أن الدافع من وراء تشريع الجهاد هو الدفاع عن المسلمين و حقوقهم، و لم يشرع لأجل التجاوز و الاعتداء على حقوق الآخرين، و إليك نصّ الآيات:

«إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ* أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَ لَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَّمت صَوَامِعُ وَ بِيَعُ وَ صَلَوَاتُ وَ مَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَ لَيُنصِرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ* الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» ١ .

و تنطوى هذه الآيات على دلالات عدة:

١. قوله سبحانه: «لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ» يدلّ بوضوح على أن الكافر المقاتل، خائن، و كلّ خائن معتد تجب محاربتة.

٢. قوله سبحانه: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ» يدلّ على أن المأذون فى القتال مقاتل (بالفتح) لا مقاتل (بالكسر)، فليس المسلم هو البادئ بالقتال، بل الكافر

هو البادئ، فعند ذلك يعد قتال المسلم دفاعاً.

٣. قوله سبحانه: «بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا» يدلّ بوضوح على أنّ القتال لأجل رفع الظلم.

٤. قوله سبحانه: «وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ» يدلّ على كونهم مشرّدين من ديارهم بغير سبب، و أيّ ظلم أعظم من إبعاد الإنسان عن موطنه.

٥. قوله سبحانه: «لَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ...» يدلّ على أنّ الكافر لو ترك بحاله لهدم البيوت المقدسه و أماكن العباده التي بنيت لعباده الله سبحانه و تربيته الناس و تركيتهم، فيجب قتاله حتى لا يرتكب تلك الجريمة الأثيمه.

٦. قوله سبحانه: «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ...» يشير إلى أنّ الغايه من تمكين المسلمين في الأرض هو إحياء المثل الإنسانيه، و هي عباره عن إقامه الصلاه التي هي رمز لصله الإنسان بالله سبحانه، و إيتاء الزكاه التي هي رمز للتعاون الإنساني، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و هما كناية عن إقامه دعائم النظام الصالح و النضال ضد كلّ نظام فاسد.

و قد تجلّت في ضوء هذه الأبحاث حقيقه ناصعه، و هي أنّ تشريع الجهاد الابتدائي أو ما يعبر عنه ب«التحريرى» لم يكن لأجل الاعتداء على حقوق الآخرين، بل كان لأجل الدفاع عن حقوق المستضعفين.

و مما ينبغي الإشارة إليه هو بيان فلسفه الجهاد الإسلامى بكلا شقيه: المدفعى و الابتدائي، و الدوافع من وراء تشريعه، و ما يجب على المجاهد من رعايه أصول و قيم في الجهاد.

يعتبر الجهاد فى منطق الدين الإسلامى وسيله فعّاله من وسائل ديمومه الدين و بقائه بل و بقاء الأُمّة الإسلاميه، و صيانته كيانها من السقوط و الانهيار.

و لا بدّ للوقوف على هذه الحقيقه من تقديم مقدمه ضروريه، فنقول:

عند ما نطالع حياه الموجودات الحيه، نجد أنّها تقوم بثلاثه نشاطات تكفل بقاءها، و حياتها.

أولاً: التنفس و جذب الغذاء المناسب.

ثانياً: التوالد و التكاثر، و هى صفة كلّ خليه من خلايا الكائنات الحيه.

ثالثاً: إزاحه الموانع، و طرد المواد الزائده و المضرّه.

و لما كان الإسلام ظاهره حيويه -و إن لم يكن ظاهره ماديه بل ظاهره إلهيه- فأنّه لا يخلو بدوره من هذه النشاطات الثلاثه و لا يستغنى عنها فى بقاءه و استمراره، لا سيما النشاط الثالث.

فإنّ الإسلام، لكونه رساله إلهيه منزله لهدايه البشرى، يسعى إلى تغيير العادات و التقاليد الباليه، و الأوضاع الفاسده و التّظّم الباطله...

و لذلك من الطبيعى أن يواجه معارضه شرسه ممن يخالف هذا التغيير مصالحهم، و يتعارض مع أهدافهم و مطامعهم... و عندئذٍ يجب على هذا الدين أن يقوم بإزاحه هذه الموانع و يكتسح تلكم الحواجز، ليمضى قدماً فى أداء رسالته، و تحقيق أهدافه.

إنّ هناك فرقاً واضحاً بين (المذهب الفلسفى) و (الدين الإلهى).

فالفيلسوف، يكتفى ببحث الأمور الفلسفيه، لمجرد التوضيح، أو النقد و ينشر أفكاره، و تحليلاته بين الناس ليقفوا عليها و يعرفوها دون أن يرى إلزامهم بشيء منها.

فهو لا يهتم سوى طرح أفكاره و الدفاع عنها بقاطع البرهان، و واضح الدليل.

و أمّا (الدين الإلهى) فليس مذهباً فلسفياً ليكتفى بمجرد البيان و التوضيح و يُحصِرَ هَمَّتَهُ فى النقد و الإشكال، إنّما هو ثوره إصلاحيه، و عمليه تغييريه تهدف إلى إقامة نظام صالح عادل فوق ركام الأنظمه الفاسده، و الأوضاع المنحطه.

و بديهى أنّه لا يتحقّق ذلك دون مواجهه الموانع، و قيام الصراعات و الحروب، مع الجهات و القوى المعارضه لهذا التغيير.

فهل فى العالم حركه تغييريه استطاعت تحقيق أهدافها دون خوض الصراعات الحاميه، و دون نشوب الحروب و سقوط الضحايا، أو إراقه محجمه دم؟!!

فهل استطاعت (الثوره الفرنسيه) أن تتجنب إراقه الدماء؟!!

و هل نجحت (الثوره الروسيه) إلّا بعد سقوط الملايين من القتلى؟!!

و هل حققت (الثوره الهنديه) أهدافها إلّا عبر المئات من القرابين البشريه؟!!

نعم إنّ ما يفارق به (الجهاد الإسلامى) عن الحروب التى تفرضها الحركات التغييريه الأخرى، هو: تجنب الإسلام للحروب، و إراقه الدماء قدر الإمكان، و القيام بكلّ ذلك من باب الضروره و فى حدود الإنسانيه و الرحمه.

هذا مضافاً إلى بقيه الفوارق التى تتجسد فى أحكام (الجهاد الإسلامى) كما

سيأتي تفصيلها.

و صفوه القول: إنَّ أيه ثوره إصلاحيه و حركه تغييريه تتطلب -بحكم الضروره- هذه المواجهات الساخنه، دفعاً للموانع و الحواجز، و إلا لأخمدت هذه الثوره فى المهد، كما تموت الخليه الحيه إذا تركت كذلك.

و لهذا وصفه القرآن بأنه وسيله للحياه و البقاء و الاستمرار، إذ قال:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» ١ .

و بعباره واضحه، انَّ الإسلام نظام اجتماعى ثورى، لم ير العالم نظيره قط، فهو بما انه رساله إلهيه، تضمن سعادته البشر، يرى لنفسه حقّ التوسعه و التعميم.

و لأجل ذلك يسعى لرفع الموانع و الحواجز عن طريقه بأسهل الطرق و أعدلها.

فيتبدئ بالتبليغ و التعليم و البحث و المجادله و التوجيه و الإرشاد، فإذا رأى أن المانع لا يرتفع إلا بقوه قاهره يسعى لرفع الموانع بتلك القوه، و إليه يشير قوله سبحانه:

«وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَ لَا تَغْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُغْتَدِينَ» ٢ .

و لم يكن هذا ليختص بالدين الإسلامى، بل كان هذا هو نهج الأنبياء فى الدعوه إلى الحقّ.

و فى ذلك يقول سبحانه:

«لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ

ص: ١٢٥

لِيُقِيمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ ۝ ١ .

و الكتاب و الميزان إشارة إلى أنهم كانوا يتوصلون في بدء الأمر بأسهل الطرق، و هو تنوير الأفكار و إقناعهم بمنطق العقل. و أما إذا رأوا أنّ ذلك المنطق لا يجدى في دفع الموانع يتوصّلون بمنطق القوة، فالحديد في الآية كناية عن ذلك المنطق، و سيره الأنبياء و تاريخهم خير شاهد على ذلك.

و هاهنا نقطة أخرى ينبغي الإشارة إليها، و هي: أنّ الإسلام سعى و منذ البدايه إلى نشر العدالة الاجتماعيه في جميع مناحي الحياه. و من الطبيعي أنّ كلّ ثوره-من هذا القبيل-لا تكفل منافع جميع الطبقات بل ربما تهدّد مصالح الطغاه و المستثمرين و المترفين، و لأجل ذلك وقف المترفون بوجه كافّة الحركات الإصلاحيه التي دعت إلى الحقّ، كما قال القرآن:

«وَ مَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ» ۝ ٢ .

فكان اللازم على صاحب الرساله التوسل بمنطق القوة-حين لا تُجدى قوه المنطق-في رفع الحواجز و الموانع، و التخلص ممن يقف حجر عثره أمام الحقّ و العدالة.

هذه هي خلاصه فلسفه الجهاد الإسلامى و تشريعه.

ثمّ إنّ الجهاد الذى دعا إليه الإسلام و حتّ عليه المسلمين ينقسم إلى

نوعين:

١. الجهاد الدفاعي.

٢. الجهاد الابتدائي.

و إليك لمححه سريعه عن حقيقه هذين النوعين من الجهاد و خصائصهما و أحكامهما على نحو الإيجاز و الإجمال.

الجهاد الدفاعي

و المراد من هذا الجهاد هو مقاتله الأعداء المعتدين، دفاعاً عن النفس و المال، و ذباً عن الوطن و الحريه، و ذوداً عن الشرف و الاستقلال.

إنّ الدفاع المذكور على قسمين:

أولاً: الدفاع عن حوزة الإسلام.

ثانياً: الدفاع عن النفس و المال و ما شابه ذلك.

و أما البحث عن القسم الثاني فموكول إلى الكتب الفقيهيه المعده لتفصيل ذلك. راجع شرائع الإسلام الباب السادس في حدود المحارب من كتاب الحدود و التعزيرات، تجد فيه فروع و تفاصيل هذا المبحث.

و أما القسم الأول فمنه ما إذا غشى بلاد المسلمين أو ثغورها عدوٌ يُخشى منه على بيضه الإسلام، فيجب عليهم الدفاع بأيه وسيله ممكنه من بذل الأموال و النفوس.

و لو خيف من الاستيلاء على بلاد المسلمين، و جب الدفاع بأيه وسيله ممكنه، كما لو خيف على حوزة الإسلام من الاستيلاء السياسي، و الاقتصادي المؤدى إلى التبعية السياسيه و الاقتصاديه، و هن الإسلام و المسلمين حينها يجب

ص: ١٢٧

الدفاع بالوسائل المشابهه و المقاومه السلبيه، كمقاطعه أمتعتهم و بضائعهم، و ترك استعمالها و ترك المعامله و المراوده معهم مطلقاً إلى غير ذلك من أنواع المقاومه التي تختلف مع اختلاف ألوان الاستيلاء، و اختلاف الظروف و المقتضيات.

هذا و قد وردت حول الدفاع عن النفس روايات و أحاديث منها:

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «من قتل دون عقاله (أو عياله) فهو شهيد».

و قال صلى الله عليه و آله و سلم: «من قتل دون ماله فهو شهيد».

و قال صلى الله عليه و آله و سلم: «يغض الله تعالى رجلاً يدخل عليه في بيته فلا يقاتل».

و قال صلى الله عليه و آله و سلم: «من قتل دون مظلّمته فهو شهيد». (١)

و قد وردت روايات مماثله في المفاد أو النص عن أهل البيت عليهم السلام في المقام تركناها اختصاراً، فراجع وسائل الشيعة.

و على كلّ تقدير فالجهاد الدفاعي جهاد شرّعه الإسلام عند ما تتعرض الأُمّة الإسلاميه لمهاجمه الأعداء، و عدوانهم و تصبح غرضاً لأطماعهم و مؤامراتهم.

و هذا ممّا تقتضيه طبيعه الحياه، و تحكّم به الفطره، و يحكّم بحسنه و ضرورته العقل السليم، كما تؤيده كافة المدارس و المذاهب الحقيقه و السياسيه و الاجتماعيه.

و قد أشار القرآن الكريم إلى هذه الجهه الموجهه للجهاد و القتال، بقوله:

«و قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ» ٢ .

و قوله سبحانه:

«أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ*»

ص: ١٢٨

(١- ١). الوسائل الجزء ١١، الباب ٤٥ من أبواب جهاد العدو. [١]

الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَ لَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَّامَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَ
مَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» ١.

و على هذا الأساس كانت أغلب الحروب و الغزوات التي قام بها النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و نشبت في حياته مثل «بدر» و «أحد» و «الخنديق» كانت حروباً دفاعية قام بها المسلمون بقيادة النبي صلى الله عليه و آله و سلم و أمره دفاعاً عن حوزة الدين.

كما أن (السرايا) التي بعثها النبي صلى الله عليه و آله و سلم كانت لأجل إطفاء نيران الفتن و إحباط المؤامرات التي كان يحيكها أعداء الإسلام في أنحاء الجزيرة العربية للقضاء على الدين الجديد، و استئصال جذوره و هدم بنيانه.

خصائص الجهاد الدفاعي

إشاره

إن للجهاد الدفاعي في الإسلام حدوداً و أحكاماً تميزه عن الحروب التي يقوم بها الآخرون في عالمنا المعاصر.

و لقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الخصائص في آية واحده- إذ قال سبحانه:

«وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَ لَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» ٢.

ص: ١٢٩

و الخصائص التي ذكرتها هذه الآيه هي باختصار:

أ. الجهاد في سبيل الله (الهدف)

إنّ الجهاد و القتال يجب أن يكون لله تعالى، و لكسب رضاه سبحانه، لا لنشر النفوذ، و ضمّ بلد إلى بلد.

و هذه هي أهمّ خصيصه في الجهاد الإسلامي.

و نظراً لأهميتها القصوى أكد عليها القرآن الكريم في آيات متعددة، و اعتبرها الفرق الجوهرى بين الحروب الإسلامية و الحروب غير الإسلامية، و بين الجهاد الذي يقوم به المسلمون، و القتال الذي تمارسه دول العالم، و الجماعات غير المسلمه، إذ يقول:

«الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ» ١.

و لأجل ذلك يذم الله سبحانه كلّ قتال أو قيام يراد به التسلط على حطام الدنيا و متاعها، و يقول سبحانه:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَ لَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ» ٢.

و يقول سبحانه:

«مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ

عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» ١ .

و يقول سبحانه:

«لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبُغُوكَ وَ لَكِن بَعِدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» ٢ .

ب. القتال ضد المعتدى

وهي: إنَّ القتال لا يجوز إلا مع الذين يقاتلون المسلمين، و يبدءونهم بالعدوان، و هو شرط في هذا النوع من الجهاد دون الجهاد الابتدائي، الذي سيوافيك تفصيله.

فالقتال أساساً شرع لصد العدوان و ردَّ المعتدى، و إيقاف المتجاوز عند حدوده، و لهذا يأمر الإسلام أتباعه أن يكفوا عن القتال إذا كفَّ العدو عنه.

قال سبحانه:

«...فَإِنْ اعْتَرَفُواكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَ أَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا» ٣ .

و يقول في آيه لاحقه:

«...فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِفُواكُمْ وَ يُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ وَ يَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ» ٤ .

ص: ١٣١

على أنّ الجهاد الدفاعي ربما يُشرع أيضاً عند ما يقوم العدو بنكث المواثيق، و نقض المعاهدات، و تعريض السلام المتفق عليه للخطر، أو يقوم بطرد الشخصيات الإسلامية من مواطنهم، و تشريدهم ظلماً، و عدواناً.

فعن الأول، يقول سبحانه:

«وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» ١.

و في آية لاحقه يشير سبحانه إلى الأمر الثاني و يقول:

«أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَ هُمَا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَ هُمْ بَدُّوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَلَا تَحْشَوْنَ اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَحْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» ٢.

كما و يندرج تحت هذا مكافحه الاستعمار بكل أشكاله و ألوانه...

ج. حدّ الجهاد

إنّ القتال يجب أن يكون في إطار الحقّ و العدل و لا يتجاوز حدودهما. و هو شرط مشترك بين الدفاعي و الابتدائي.

و لما كان الإسلام دين الحقّ و العدل فانه أكد على هذا الشرط أشدّ و أبلغ تأكيد، و صرح-مثلاً- بأنّ القتال و العدوان يجب أن يماثل العدوان الواقع على المسلمين و لا يتجاوز مقداره، و إلاّ عاد انتقاماً و خروجاً عن سنه العدل، فقال-في نفس الآية-:

«فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ»

ص: ١٣٢

وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ » ١.

و يجدر بالذكر أنّ إرداف الأمر بالجهاد بالحث على التقوى يوحى إلى ضروره وجود صفة التقوى، و تقارنه مع الجهاد منعاً من تجاوز الحقّ و العدل، فإنّ المقاتل غالباً ما تدفعه سوره الغضب إلى ارتكاب الجرائم و التعدى عن الحقّ إلا إذا خاف الله تعالى.

و قد أشار القرآن إلى ضروره رعايه الحقّ فى جميع الأحوال فقال سبحانه:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » ٢.

هذا و قد دلّت على تشريع هذا الجهاد-مضافاً إلى ما ذكر من الآيات، أحاديث و روايات متضافره نأتى ببعضها:

قال الإمام على عليه السلام:

«الجهاد باب من أبواب الجَنَّة فتحه الله لخاصّه أوليائه...هو لباس التقوى، و درع الله الحصينه، و جنته الوثيقه». (١)

و قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام فى رسالته إلى بعض خلفاء بنى أمية:

«الجهاد الذى فضّله الله على الأعمال و فضّل عامله على العمال تفضيلاً فى الدرجات و المغفره، لأنّه ظهر به الدين، و به يُدفع عن الدين». (٢)

ص: ١٣٣

١-٣. نهج البلاغه: الخطبه ٢٧. [١]

٢-٤. الوسائل: الجزء ١١، الباب ١ من أبواب جهاد العدو، الحديث ٨. [٢] فى هذا الحديث إشاره إلى كلا النوعين من الجهاد (الدفاعى و الابتدائى) فقوله عليه السلام: «لأنّه ظهر به الدين» إشاره إلى الثانى، و قوله عليه السلام: «و به يدفع عن الدين» إشاره إلى الأوّل.

إلى غير ذلك من الأحاديث المذكوره فى المصادر المعتمبره.

ثم إن من يجب جهادهم الدفاعى ثلاث طوائف:

١. البغاه على الإمام من المسلمین، كالخوارج الذين خرجوا على الإمام على علیه السلام.

٢. أهل الذمه، وهم اليهود والنصارى و المجوس إذا أخلوا بشرائط الذمه.

٣. من ليس لهم كتاب إذا تأمروا على المسلمین.

هذه هى لمحہ خاطفه عن حقیقه الجهاد الدفاعى و دوافعه و خصائصه، و أمّا معرفه مسائله و فروعہ و أحكامه التفصیلیه فمترکه إلى الكتب الفقهيہ المفصله.

الجهاد التحريرى (الابتدائى)

إشاره

لقد شرع الإسلام- إلى جانب الجهاد الدفاعى- نوعاً آخر من الجهاد، هو الجهاد الابتدائى الذى يجدر أن يسمّى بالجهاد التحريرى.

و تتلخص دوافع هذا النوع من الجهاد فى أمور عديده نشير إلى ثلاثه منها، تاركين للقارئ الكريم مراجعه الكتب الفقهيہ المفصله لمعرفة بقيه هذه الدوافع و الأسباب:

١. تحرير البشريه من الشرك

إشاره

إن من أهمّ دوافع الجهاد التحريرى هو مقارعه الوثنيه و الشرك، و تحرير البشريه من اتخاذ أىّ معبود سوى الله، فالإسلام يأمر بعباده الله وحده، و ينهى عن اتخاذ أىّ معبود سواه.

يقول الله سبحانه:

«وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» ١.

و هذه حقيقه تدركها الفطره البشريه السليمه، و لكن هذه الفطره قد تنحرف و تحيد عن مسيرها الصحيح بفعل المؤثرات و الدعايات و تضليل المضللين.

و هنا يفرض الدين على أتباعه أن يجاهدوا لتحرير العقول من قيودها، و تخلص الفطره الإنسانيه المنحرفه من براثن الوثنيه بكلّ وسيله ممكنه.

و ليس هذا ممّا يخالف حريه الإنسان فى اتخاذ المعتقد الذى يريد، لأنّ الحريه ليست مطلوبه على إطلاقها.

ثمّ إنّ تخلص البشريه من براثن الوثنيه إنّما هو خدمه و إكرام لها من الخضوع للموجودات الوضيعه.

و هذا أمر ضرورى حتى إذا لم يدرك البشر أهميته، أو امتنع من قبوله تمشياً مع هواه.

فلو أنّ وزاره الصحه-مثلاً-أرادت تلقيح الناس باللقاح الصحى ضدّ مرض داهم، أو وباء قادم، لزم على الجميع القبول بهذا الأمر، و لم يكن لأحد الامتناع عن ذلك بحجه أنّه حرّ لا يجوز إكراهه على شىء.

فلا تسمع منه هذه الحجّه، و لا يُقبل منه هذا الرفض، حفاظاً على الصحه العامه و صيانه للمجتمع من العدوى.

و يعتبر هذا الإكراه و الإلزام بهذا الأمر العقلاى رحمه له، و لطفاً به لا ظلماً و عدواناً.

إنّ عباده الوثن تجعل عابد الوثن أذلّ من الصنم الذى نحتة بيديه... و إلى ذلك يشير سبحانه-مستنكراً- «أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجُتُونَ» ٢ !!!؟

ص: ١٣٥

ثم إنَّ الخضوعَ للوثن يوجب انحطاط الفكر الإنساني، ووقوعه في الخرافات التي هي بمثابة القيود التي تكبل الفكر البشري، وتمنعه عن الانطلاق في مدارج الرقي والتكامل، وتحجز النفس الإنسانية من نيل الفضائل والسجايا الخلقية الكريمة.

هذا مضافاً إلى أنَّ عبادة الأوثان والأصنام توجد اختلافاً وتحزباً بين البشر، وتُفَرِّق وحدته، وتمزِّق صفه، إذ كلُّ جماعه تتخذ وثناً خاصاً تعبده وتمسك به، وتنفي سواه، وفي ذلك ضرر عظيم على حياة البشرية لا يقل عن خطر الطاعون والوباء. يقول سبحانه حاكياً عن لسان يوسف:

«يا صاحِبِي السُّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» ١.

ولهذا يرى الإسلام محاربه هذا الوباء الفكري، واقتلعه من الجذور.

ومن هنا أقدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند فتحه (مكة) على كسر الأصنام الموضوعه على البيت الحرام، وأمر كلَّ صاحب وثن أن يحطّم وثنه، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يفعل ذلك كلما فتح منطقته من مناطق الجزيرة. (١)

نعم صحيح أنّ للتبليغ والدعوة أثراً لا ينكر في إيقاظ الأفكار، وفكّها من إسارها، بيد أنه أثر محدود لا يعرفه إلاّ الزمره الواعيه، المثقّفه، القادره على استيعاب التوجيهات والمواعظ.

ولأجل ذلك يجب على إمام المسلمين قبل نشوب الحرب أن يدعو الكفّار والأعداء إلى الإسلام، بالحكمه والموعظه الحسنه، ويبالغ في إيقاظهم وتوعيتهم ودعوتهم، وإتمام الحجّه عليهم.

ص: ١٣٦

قال صاحب شرائع الإسلام:

«و لا يُبدءون إلا بعد الدعاء إلى محاسن الإسلام و يكون الداعى الإمام أو من نصبه».^(١)

و قد دلت على ذلك من السنّه روايات متضافره، منها ما عن السكونى عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام: قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«بعثنى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى اليمن فقال: يا على أ لا لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام، و أيم الله لئن يهدى الله عزّ و جلّ على يديك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس و غربت و لك و لاؤه يا على».^(٢)

و قد سئل الإمام زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام عن كيفية الدعوه إلى الدين، فقال: «تقول: (بسم الله الرحمن الرحيم أدعوك إلى الله عزّ و جلّ و إلى دينه و جماعه أمران:

أحدهما: معرفه الله عزّ و جلّ.

و الآخر: العمل برضوانه، و أنّ معرفه الله عزّ و جلّ أن يُعرف بالوحدانيه و الرأفه و الرحمه و العزه، و العلم و القدره و العلو على كلّ شىء، و أنّه النافع الضار القاهر لكلّ شىء الذى لا تدركه الأبصار، و هو يدرك الأبصار و هو اللطيف الخبير، و أنّ محمداً عبده و رسوله، و أنّ ما جاء به هو الحقّ من عند الله عزّ و جلّ و ما سواه هو الباطل).

فإذا أجابوا إلى ذلك فلهم ما للمسلمين، و عليهم ما على المسلمين».^(٣)

ص: ١٣٧

١-١). شرائع الإسلام، كتاب الجهاد، [١] الركن الثانى.

٢-٢). وسائل الشيعه: الجزء ١١، الباب ١٠ من أبواب جهاد العدو، الحديث ١. [٢]

٣-٣). وسائل الشيعه: الجزء ١١، الباب ١١ من أبواب جهاد العدو، الحديث ١. [٣]

بل و لو أنّ أحداً من المشركين استأمن و أراد أن يسمع كلام الحاكم الإسلامى أعطى له الأمان ثم أعيد إلى مأمنه، سواء كان قبل نشوب الحرب أو فى أثناءه.

قال الله سبحانه:

«وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ» ١.

غير أنّ الدعوه و التبليغ ربما تؤثر فى بعض الأشخاص و لا تؤثر فى آخرين، خصوصاً إذا كان الدين يهدد مصالحهم و مطامعهم، و لذلك وجب محاربتهم...، إذ لا يكون الخير و الإصلاح حينئذٍ إلاّ بالسيف و منطق القوه.

و إلى هذا أشار النبى صلى الله عليه و آله و سلم، بقوله:

«الخير كله فى السيف، و تحت ظلّ السيف، و لا يقيم الناس إلاّ بالسيف». (١)

فرض العقيدة ممنوع

قد يتوهم الجاهل بمعالم الدين الإسلامى و أحكامه أنّ الهدف من الجهاد التحريرى إنّما هو فرض العقيدة الإسلاميه على الناس فرضاً.

و لكن هذا ظن واضح البطلان، معلوم الضعف لمن له أدنى معرفه بطبيعته الدعوه الإسلاميه.

فإنّ الإسلام الذى يشجب و يستنكر على بعض الناس اتّباعهم لعقائد آبائهم و أجدادهم الباطله، و تقليدهم تقليداً أعمى دون أن يسمحوا لهم بأن

ص: ١٣٨

١- ٢). وسائل الشيعة: الجزء ١١، الباب ١ من أبواب جهاد العدو، الحديث ١. [١]

يفكروا، و يحققوا، و يفتشوا عن المعتقد الحق، ليعتقوه بالبرهان، و الدليل؟

إن اعتناق عقيدته ما يجب أن يكون قائماً على أساس البحث و الفحص و التحقيق، و مرتكزاً على البرهان و الدليل، و لذلك فهو يقبح أتباع السلف دون مراجعته لعقائدهم، و تحقيق في صحتها أو بطلانها، إذ قال:

«وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّهٍ [أى طريقه] وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ» * قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتَكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ» ١.

و قال سبحانه:

«وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لَا يَهْتَدُونَ» ٢.

و بتعبير آخر: إن الإسلام ذم التقليد في الأصول و العقائد و الجرى على سنن الآباء و الأجداد بلا تأمل و لا تدبر، و طالب بالتفكير، و التعقل، فكيف يأمر أتباعه بأن يفرضوا العقيدة الإسلامية على الآخرين بقوه النار و الحديد؟!

كيف؟! و قد صرح بحريه الاعتقاد، بقوله سبحانه:

«لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ» ٣.

إن القرآن الكريم يصرح بأن الاختلاف الفكري، و التنافس الإيديولوجي أمر غريزي طبيعي، و لذلك فهو باق إلى يوم القيامة و لا يمكن إزالته من رأس، و لا يصح إغاؤه بالمره.

ص: ١٣٩

«وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ» ١.

إنَّ القرآن الكريم ينهى الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم عن فرض العقيدة الإسلامية على الناس، لأنَّ الله شاء لهم أن يكونوا أحراراً في ذلك، و هو في الوقت نفسه يعطينا درساً في مجال التبليغ و الدعوة يجب أن نسير على ضوئه، فيقول:

«وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً فَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» ٢.

إذن فلم يشرع الجهاد الابتدائي لفرض العقيدة على الناس أو حملهم على الخضوع لمنهج الدين دون اختيار منهم أو إرادته حره.

٢. كسر الأطواق المفروضة على الشعوب

إنَّ هناك داعياً آخر لتشريع الجهاد الابتدائي و هو كسر الأطواق المفروضة على الشعوب، و إسقاط الحكومات التي تمنع من وصول الإسلام إلى الناس و تسلب حرياتهم، و تكرههم على اتخاذ عقيدته خاصة، و المشى على حسب منهج خاص و إن كانوا لا يرتضونه.

و بهذا يكون الجهاد الابتدائي لرفع الموانع و الحواجز التي تحيل دون وصول العقيدة الحقَّة إلى الناس، و تحريرهم من تلك القيود التي تكبلهم.

٣. تخليص المستضعفين من براثن الظالمين

إنَّ الهدف الثالث من أهداف الجهاد التحريري أو الابتدائي هو إنقاذ

الشعوب المستضعفه من اضطهاد الحكام الجائرين، و استبدادهم و ظلمهم، و حيث إنّ هذا الهدف لا يتحقق إلا باستخدام القوّه و حمل السلاح، اتخذ القرآن طريق الجهاد، و قال:

«وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ وَ الْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا» ١.

و قد وردت الإشاره إلى هذا الهدف في تصريحات مبعوث عسكر المسلمين الذي أرسل إلى قائد جحافل الشرك حينما سأله: ما حملك على هذا، فقال: «اللّه جاء بنا، و هو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها، و من جور الأديان إلى عدل الإسلام».

و ورد في نص آخر: «و في إخراج العباد من عباده العباد إلى عباده اللّه» (١).

إذن لم يكن تشريع هذا الجهاد لغرض الاستيلاء على الأراضى، أو بهدف السيطرة على منابع الثروه، أو استعمار الشعوب، كما هو هدف الحروب غير الإسلاميه في الماضى و الحاضر.

كما أنّ الإسلام ينهى عن العدوان لبعض الأسباب التى تعود إلى المسائل الشخصيه، و القضايا الفرديه، التى لا تنطوى على مصلحه الإسلام و المسلمين الكليه... و فى هذا الصدد يقول القرآن الكريم:

«وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ

ص: ١٤١

١- ٢). الكامل فى التاريخ: ٢/٤٦٢-٤٦٣ [١] من حوادث سنه ١٤.

و بما أنّ الجهاد التحريري ينطوى على أحكام دقيقه، و ظريفه، لا يعرفها إلا الإمام العادل العارف بالدين، و العالم بالظروف، لم يجر أن يقوم المسلمون بهذا الجهاد إلا بقياده (إمام معصوم) أو من ينوب منابه فى السلطه الدينيه و الزمنيه.

نعم فى مشروعيه الجهاد التحريري فى غياب الإمام المعصوم بحث مفصل فى الكتب الفقيهيه.

و إلى هذا أشار الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«و الجهاد واجب مع إمام عادل». (١)

نعم هناك كلمه أخيره على هامش البحث، و هى:

إنّه يجب على الدوله الإسلاميه قبل نشوب أى حرب -إعداد المسلمين و تجهيزهم بكلّ ما تستطيع من قوه فى كلّ زمان بحسبه، على أن يكون القصد الأول من ذلك هو إرهاب العدو، و إخافته من عاقبه التعدى على بلاد المسلمين كى ينعم المواطنون بالطمأنينه و الاستقرار فى بلادهم، إذ يقول القرآن الكريم:

«وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ» ٣.

و يبقى أن نقول إنّ القتال و النضال بما هو هو ليس أمراً قبيحاً، و إنّما يصطبغ بالحسن أو القبح نتيجة الغايات المترتبه على القتال.

ص: ١٤٢

١- ٢). وسائل الشيعه: الجزء ١١، الباب ١٢ من أبواب جهاد العدو، الحديث ٩ و ١٠. [١]

فلو كان القتال بهدف الاعتداء و التجاوز على النفوس و الأعراض و الأموال و الحرمات فيكون القتال أمراً منكراً، و يعدّ وحشيه همجيه، و يكون المباشر له حيواناً ضارياً تلبس بالإنسانيه.

و إذا كان القتال لحفظ الشرف و الإنسانيه و منع المعتدين عن الاعتداء، و غير ذلك من الأهداف المشروعه المذكوره سلفاً فلا يكون قبيحاً بل يعتبر وظيفه إنسانيه.

هذه دراسه عابره للجهاد التحريرى حقيقه و هدفاً و فلسفه، و التفصيل موكول إلى محله في الكتب الفقهيه المطوله.

رعايه الأخلاق في الحرب

اشاره

إنّ وقائع الحروب تشهد بأنّ الجبابره و الطواغيت ينسون-عند نشوب الحروب-كلّ القيم الإنسانيه و الأصول الأخلاقيه، فيرتكبون كلّ جريمه، و يقتربون كلّ جنايه دون أن يردعهم عن ذلك رادع، أو يتقيدوا في القتال بقانون.

و ليس هذا أمراً يتصل بالماضى، فساحات المعارك اليوم، و ما تشهده من فظائع خير دليل على ما ذكرناه.

صحيح أنّ هناك أعرافاً دوليه، و قوانين عالميه للحروب، و لكن رعايه هذه القوانين و الأعراف ضئيله، أو كادت أن تكون مفقوده أصلاً.

هذا مضافاً إلى أنّ هذه القوانين و الأعراف لا تكون-في الأغلب-شامله، أو كافيه.

غير أنّ الإسلام سنّ للحرب و القتال حدوداً دقيقه من شأنها أن تجعل الحرب في إطار الأخلاق و القواعد الإنسانيه. و لم يكتف بمجرد تشريعها و وضعها،

بل عمل بها في كافة حروبه و وقائعه.

من هنا يجب علينا أن نقف على هذه الحدود، لتتعرف على مدى رحمة الإسلام و إنسانيته و عدالته حتى في الحروب، حيث يفقد المتقاتلون توازنهم عادة، فلا يتورعون عن ارتكاب كل كبيره و صغيره، و تشهد على ذلك الحرب العالميه الأولى و الثانيه، و كذا الحروب التي شنها الغرب على الشرق في مختلف المناطق في القرن الحاضر، و نخص بالذكر المعارك الداميه بين الاستعمار الفرنسي و الشعب الجزائري البطل، و الاستعمار الأمريكي و الشعب الفيتنامي، و الاستعمار الإسرائيلي و الشعب الفلسطيني، و ما جرى في هذه الحروب من الممارسات الوحشيه المروعه على يد هذه القوى الاستعماريه.

١. الأمنون في الحرب

لما كانت العدالة الاجتماعيه هي المطلب الأقصى للإسلام، و لم تكن للحرب أصاله في منطقها، و لم تكن بنفسها هدفاً بل شرعت لدفع المعتدين و إزالتهم عن طريق الدعوه الحقه، اقتضى ذلك كله أن لا يحمل إلا على الظالمين، و لذا قال القرآن الكريم:

«فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ» ١.

و لأجل ذلك نهى الإسلام عن قتل طائفه من الناس إذا لم يساندوا الأعداء الظالمين و لم يمارسوا القتال معهم، و هؤلاء هم:

١. النساء.

٢. الولدان.

ص: ١٤٤

٣. المجانين.

٤. الأعمى.

٥. الشيخ الفانى.

٦. المقعد.

و قد دلت على ذلك أحاديث متضافره، منها ما عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«نهى رسول الله عن قتل المقعد و الأعمى و الشيخ الفانى و المرأه و الولدان فى دار الحرب». (١)

٢. السيطرة على النفس

لا- ريب أن الحرب سبب قوى لغليان المشاعر و ارتفاع سوره الغضب إلى أقصاها، و لهذا ربما يؤدي إلى ارتكاب أفسى ألوان الجريمه فى حقّ الخصم.

و من هنا يجب أن يعطى زمام الحرب للعقل لا للمشاعر الملتهبه، و الأحاسيس المشتعله.

و لقد أعطى النبى صلى الله عليه و آله و سلم تعاليماً عامه فى الحرب، و كان يوصى بها كلّ جيش يبعثه، و كلّ سريه يرسلها.

و إليك فيما يأتى نموذجاً من الآداب التى أدب فيها النبى صلى الله عليه و آله و سلم أو الإمام على عليه السلام المجاهدين و المقاتلين و التى تكفل إنسانيه الحروب و عدالتها.

عن الإمام أبى عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال:

«كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إذا أراد أن يبعث سريه، دعاهم فأجلسهم بين يديه، ثمّ

ص: ١٤٥

(١- ١). الكافى: ٢٨/٥ ح ٦، كتاب الجهاد. [١]

يقول:

سيروا بسم الله و بالله و فى سبيل الله و على ملة رسول الله، لا- تغلوا، و لا- تغدروا، و لا تقتلوا شيخاً فانياً، و لا صبياً، و لا امرأه، و لا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها.

و أيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى أحد من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله، فان تبعكم فأخوكم فى الدين، و إن أبى فأبلغوه مأمنه، و استعينوا بالله».

و عنه عليه (١) السّلام أيضاً أنه قال:

«إنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان إذا بعث أميراً له على سريره أمره بتقوى الله عزّ و جلّ فى خاصه نفسه، ثمّ فى أصحابه عامه، ثمّ يقول:

اغز باسم الله، و فى سبيل الله.

قاتلوا من كفر بالله، لا تغدروا و لا تغلوا، و لا تمثلوا، و لا تقتلوا وليداً، و لا متبتلاً فى شاهق و لا تحرقوا النخل و لا تغرقوه بالماء و لا تقطعوا شجره مثمرة، و لا تحرقوا زرعاً، لأنكم لا تدرون لعلكم تحتاجون إليه.

و لا تعقروا من البهائم ما يؤكل لحمه إلا ما لا بدّ لكم من أكله، و إذا لقيتم عدواً للمسلمين فادعوهم...» (٢).

بل و نصّ بعض الفقهاء على أنّ المرأة لا تُقتل حتى لو كانت تعاون الأعداء، لأنّ النساء مستضعفات غالباً، و هنّ يُرغمن على القيام بمثل هذا التعاون إرغاماً.

ص: ١٤٦

١-١. الوسائل: الجزء ١١، الباب ١٥ من أبواب جهاد العدو، الحديث ٢. [١]

٢-٢. الوسائل: الجزء ١١، الباب ١٥ من أبواب جهاد العدو، الحديث ٣. [٢]

قال المحقق الحلبي في المختصر النافع:

«و لا يُقتل نساؤهم و لو عاونَ إلا مع الاضطرار». (١)

و هذا يجسد منتهى الرحمة و الإنسانيه التي يتحلى بها الدين الإسلامى.

و قد جاء فى بدر أنّ عمر بن الخطاب، قال لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

يا رسول الله دعنى انزع [أقلع] ثنيتى سهيل بن عمرو، و يدلع لسانه [و كان سهيل خطيباً يهّج ضد النبى] فلا يقوم عليك خطيباً فى موطن أبداً.

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

«لا أمثل به فيمّثل الله بى و إن كنت نبياً». (٢)

إنّ مقارنة بين هذه التعاليم و المواقف الإسلاميه و الجنائيات و الجرائم الوحشيه التي ارتكبتها الدول الكبرى فى مستعمراتها كالجزائر و فيتنام و غيرهما توقفنا على إنسانيه الدين الإسلامى و رحمته فى الحروب.

٣. منع ممارسه الأساليب الوحشيه

إنّ الإسلام يحرم إهلاك العدو بالطرق غير الإنسانيه مثل إلقاء السمّ فى الماء، أو قطعه عنهم، أو إرساله على مخيمهم لغرقهم، أو حرقهم بالنار.

و فى ذلك يقول المحقق الحلبي فى المختصر النافع:

«و يجوز المحاربه بكلّ ما يرجى به الفتح...».

ثمّ قال:

«و يكره بإلقاء النار و يحرم بإلقاء السم». (٣)

ص: ١٤٧

١-١). المختصر النافع: ١١٢، كتاب الجهاد، طبعه القايره.

٢-٢). سيره ابن هشام: ٦٤٢/٢. [١]

٣-٣). المختصر النافع: ١١٢، كتاب الجهاد.

و قال العلامه الحلّی فی تبصره المتعلمین:

«و يجوز المحاربه بسائر أنواع الحرب، إلا القاء السمّ فی بلادهم».(١)

ثمّ ها هو الإمام علی علیه السلام فی صفتين بعد الاستيلاء علی المشرعه لا يمنع جيش معاويه عن الماء و إن كان معاويه قد فعل ذلك قبل ذلك.(٢)

إلى هذه الدرجه الرفيعه من الرحمه و الشفقه تبلغ رحمه الإسلام، بينما لا- تتورع الدول الكبرى عن قصف الشعوب المقهوره، بقنابل النابالم، و غيرها من أسلحه الدمار الشامل.

و من الذى يمكن أن ينسى ما فعلته الولايات المتحده فى الحرب العالميه الثانيه حينما قصفت «هيروشيما»، و «ناكازاكي» بالقنابل الذريه، فأبادت ما يقارب نصف مليون نسمة و حذفت ذينك البلدين من الخارطه الجغرافيه، بذريعه التعجيل فى إنهاء الحرب، كما قال «ترومن» رئيس الجمهوريه الأمريكى الأسبق عام ١٩٤٥م.

٤. إعطاء الأمان للكفار

إنّ الإسلام-بحكم كونه رساله إلهيه و دعوه سماويه لهدايه الإنسان يحرص على الانضواء تحت لوائه عن رغبه و إرادته.

و لتحقيق هذا الهدف الأسمى نجد أنّ الإسلام يسمح بإعطاء الأمان لكلّ من يطلب ذلك من الكفار لكى يسمع منطق الإسلام، و يقف على تعاليمه، سواء كان ذلك عند نشوب الحرب، أو فى غير الحرب.

ص: ١٤٨

١-١). تبصره المتعلمين: ٨١، كتاب الجهاد. [١]

٢-٢). راجع وقعه صفتين لابن مزاحم: ١٦٦-١٦٧، طبعه مصر.

بل أنّ الإسلام يعطى الحقّ لكلّ مسلم أن يمنح الأمان لمن شاء، ولو كان لغير الهدف المذكور.

قال المحقّق الحلّي فى الشرائع:

«و يجوز أن يذم الواحد من المسلمين لآحاد من أهل الحرب». (١)

و قال فى المختصر النافع:

«و يذم الواحد من المسلمين للواحد و يمضى ذمامه على الجماعة و لو كان أدونهم». (٢)

ثمّ إنّ ما يدلّ على مدى عنايه الإسلام و حرصه على الدماء أنّه يجير حتى من دخل فى حوزة المسلمين بشبهه الأمان و ظنه، فهو مأمون حتى يرد إلى مأمنه دون أن يصيبه أذى.

قال المحقّق فى الشرائع:

«و كذا كلّ حربى دخل فى دار الإسلام بشبهه الأمان، كأن يسمع لفظاً فيعتقده أماناً، أو يصحب رفقه فيتوهمها أماناً». (٣)

و قال فى المختصر النافع:

«و من دخل بشبهه الأمان فهو آمن حتى يردّ إلى مأمنه». (٤)

و تدل على هذا، أحاديث منها:

ما عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«لو أنّ قوماً حاصروا مدينه فسألوهم الأمان، فقالوا: لا، فظنوا أنّهم قالوا:

ص: ١٤٩

١- ١). شرائع الإسلام: ٣١٣/١، كتاب الجهاد، [١] فى الذمام، طبعه البقال؛ و راجع الجواهر: ٩٦/٢١. [٢]

٢- ٢). المختصر النافع: ١١٢، كتاب الجهاد.

٣- ٣). الشرائع: ٣١٣/١-٣١٤، كتاب الجهاد. [٣]

٤- ٤). المختصر النافع: ١١٢، كتاب الجهاد.

نعم، فنزلوا إليهم كانوا آمنين». (١)

و من مظاهر العدل و المساواه أنّ الإسلام يجيز أمان العبد المسلم، كما يجيز أمان الحرّ المسلم سواء بسواء.

و تدلّ على هذا الحكم الإسلامى العظيم، روايات عديدة، منها:

ما عن الإمام الصادق عليه السلام لما سأله السكونى عن معنى قول النبى صلى الله عليه و آله و سلم يسعى بدمتهم أدناهم، قال عليه السلام:

«لو أنّ جيشاً من المسلمين حاصروا قوماً من المشركين فأشرف رجل، فقال: أعطوني الأمان حتى صاحبكم و أناظره، فأعطاه أدناهم الأمان، ووجب على أفضلهم الوفاء به». (٢)

و عن الصادق عليه السلام أيضاً أنه قال:

إنّ علياً عليه السلام أجاز أمان عبد مملوك لأهل حصن من الحصون، و قال: هو من المؤمنين». (٣)

و لقد روى ابن الأثير فى تاريخه الكامل: أنّ المسلمين نزلوا بجند يسابور فأقاموا عليها يقاتلونهم، فرمى إلى من بها من عسكر المسلمين بالأمان. فلم يفجأ المسلمين إلّا- و قد فتحت أبوابها، و أخرجوا أسواقهم و خرج أهلها، فسألهم المسلمون، فقالوا: رميتم بالأمان، فقبلناه، و أقررنا بالجزية على أن تمنعونا.

فقال المسلمون: ما فعلنا....

و سأل المسلمون فيما بينهم، فإذا عبد يدعى كثيفاً كان أصله منهم، فعل

ص: ١٥٠

١-١). الوسائل: الجزء ١١، الباب ٢٠ من أبواب جهاد العدو، الحديث ٤. [١]

٢-٢). الوسائل: الجزء ١١، الباب ٢٠ من أبواب جهاد العدو، الحديث ٢، ١. [٢]

٣-٣). الوسائل: الجزء ١١، الباب ٢٠ من أبواب جهاد العدو، الحديث ٢، ١. [٣]

هذا.

فقالوا: هذا عبد.

فقال أهلها: لا نعرف العبد من الحرّ، وقد قبلنا الجزية، و... فإن شئتم فاغدروا. فكتبوا لعمر فأجاز أمانهم، فأمنوهم، وانصرفوا عنهم.»

(١)

و هذا هو نموذج واحد من سلوك المسلمين في هذا المجال و يجد نظائره كلّ من راجع التاريخ الإسلامى.

هذه إمامه عابره بملامح الجهاد فى القرآن الكريم و فلسفته و غايته.

ص: ١٥١

(١ - ١). الكامل فى التاريخ: ٥٥٣/٢. [١]

شخصيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم و سيرته

فى القرآن الكريم

تمر علينا هذه الأيام، ذكرى عطره هى ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، هذه الولاده التى دخلت التاريخ من أوسع بابه واستطاعت أن تُنقذ البشريه من براثن الإلحاد و الشرك إلى التوحيد و العدل. فإقامه الاحتفال فى هذه المناسبه العظيمه، و إلقاء الخطب و القصائد فى مدحه، و ذكر جهوده فى إنقاذ الأمه كُلها من مظاهر حبّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى هو أصل من أصول الإسلام، و من دعا إلى الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبر القرون فقد انطلق من هذا المبدأ، و جسّد حبّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى أمر به القرآن و السنه و على ذلك جرى علماؤنا السابقون.

يقول الديرار بكرى فى هذا الصدد: لا- يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده، و يعملون الولائم، و يتصدّقون فى لياليه بأنواع الصدقات، و يُظهرون السرور، و يزيدون فى المبرات، و يعنون بقراءه مولده الشريف، و يظهر عليهم من كراماته كلّ فضل عظيم.

(١)

و قال ابن حجر القسطلانى: و لا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه السلام

ص: ١٥٢

يعملون الولائم، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور، ويزيدون المبرات، ويعتنون بقراءه مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم... فرحم الله امرئ اتخذ ليالى شهر مولده المبارك أعياداً، ليكون أشدّ عله على من فى قلبه مرض و أعياه داء. (١)

إِنَّ حَبَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ الْإِسْلَامِ وَتَكْفَى فِي ذَلِكَ الْآيَتَانِ:

قال سبحانه:

«قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ رِضْوَانِهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» ٢.

قال سبحانه: «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» ٣.

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وأهله والناس أجمعين». (٢)

فالاحتفاء بميلاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان مجرداً عن كل ما يخالف الإسلام فإنما هو تجسيد للحب الذى فرض علينا، ولا أقول إنه المظهر المنحصر لا غير وإنما أقول إن الاحتفال من أحد مظاهر الحب.

ص: ١٥٣

١- (١). المواهب اللدنية: ٢٧/١. [١]

٢- (٢). جامع الأصول: ٢٣٨/١.

و هذا هو كعب بن زهير ينشد قصيده طويله فى مدح رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم منطلقاً من حبه له و رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يستمع إليه، قال: بانث سعادً فقلبى اليوم مَثْبُول

إلى آخر ما ذكره.

و ما ربما يتوهم أنّ الاحتفال بدعه لم يرد فى القرآن و السنّه، فإنّما هو غفله عن حقيقه البدعه و تحديدها، فهى عباره عمّا لم يرد فى السنه بخصوصه و عمومه، و أمّا إذا ورد بصوره عامه و تركت التفاصيل و الجزئيات إلى الأجيال فهذا ليس بدعه، فقد أمر الناس بحبّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم و تركت مظاهره إلى مقتضيات العصر.

هذا إلى جانب أنّه سبحانه يصف النبى صلى الله عليه و آله و سلم بقوله: «وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» ٢ و هذا يدلّ على أنّ رفع ذكر النبى صلى الله عليه و آله و سلم أمر مطلوب قام به سبحانه بإعطائه النبوه، و تكريمه بالرساله، فنحن أيضاً نقتفى أثره و نرفع ذكره بإقامه المجالس و الاحتفالات ليكون رفعاً لذكره و ذكر أهل بيته.

فلما ذا لا نقتدى بالقرآن؟

أليس القرآن قدوه و أسوه لنا؟

هذا... و ليس لأحد أن يقول: إنّ رفع ذكره صلى الله عليه و آله و سلم خاص بالله سبحانه و لا يشمل غيره، لأنّ ذلك يشبه أن يقول: إنّ نصر النبى خاص بالله سبحانه، و لا يجوز لأحد من المسلمين أن ينصره، و قد قال تعالى: «وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا» ٣.

ص: ١٥٤

فعلى ذلك نحتفل بذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ببيان سيرته و شخصيته فى القرآن الكريم، فنقول:

لقد استأثرت حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم باهتمام عدد كبير من المفكرين الإسلاميين وغيرهم على مرّ العصور، فكتبوا حول هذه الشخصية العظيمة، موسوعات و كتباً و رسائل كل يتناول جانباً من جوانب حياة هذه الشخصية بنحو قلما تجد له مثيلاً فى التاريخ البشرى، و لو جمعت هذه الدراسات بمختلف اللغات لشكّلت مكتبته عامره و ضخمه يجد فيها الإنسان بغيته فى التاريخ النبوى و ما يمت إليه بصله.

إنّ أوثق المصادر فى دراسته سيرته هو القرآن، فقد وردت آيات مختلفة، تشير إلى شخصيته و سيرته، و إلى أخذ الميثاق من النبيين على الإيمان به، و إلى ثقافته قومه و حضاره بيئته، و إلى العراقيل و الموانع الموجودة حيال دعوته و معرجه و إسرائته، و هجرته إلى يثرب و اشتباكه المسلح مع اليهود، و غزواته و براءته من المشركين و جهاده فى الإسلام و تبليغ رسالته إلى ملوك عصره، إلى غير ذلك ممّا يجده الباحث فى غضون آيات القرآن.

فإذا كان القرآن هو كلام الله سبحانه الموحى إلى عبده الذى لا يتطرق إليه الخطأ و السهو و لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، فالقرآن هو أفضل محك لمعرفة صحيح سيره النبي صلى الله عليه وآله وسلم، عن سقيمها فعلى ضوء ذلك يجب أن يطبق ما ورد فى كتب السير و التاريخ حول حياته، على القرآن الكريم كى يرد ما خالفه و يقبل ما لم يخالفه.

فالقرآن الكريم يتتبع سيره حياته فى فصول ثلاثة:

أ: من ولادته إلى بعثته.

ب: من بعثته إلى هجرته.

ص: ١٥٥

ج: من هجرته إلى رحلته.

و بما أنّ دراسه هذه الفصول الثلاثة فى ظل الكتاب العزيز و نقد ما خالفه من الروايات يحوجنا إلى تأليف مفرد أو محاضرات
عده، فنكتفى بالفصل الأول من فصول حياته الثلاثة و نحيل الباقي إلى كتابنا «سيد المرسلين».

أ: من ولادته إلى بعثته

إشارة

نجد فى القرآن الكريم إشارات عدّه إلى حياته فى هذا المقطع الزمانى.

١. عاش يتيماً فأواه.

٢. كان ضالاً فهداه.

٣. كان عائلاً فأغناه.

٤. كان أمياً لا يجيد القراءة و الكتابة.

إليك دراسه هذه الجوانب فى أوليات حياته أى من الولاده إلى البعته.

الأول: الإيواء بعد اليتيم

قال سبحانه: «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ» ١ .

فما هو السر فى أنّه عاش يتيماً؟!؟

و يمكن أن يكون وجهه هو أنّ هذا الطفل سيقى عليه فى مستقبل حياته قول ثقيل، كما قال سبحانه: «إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا
ثَقِيلًا» ٢ .

ص: ١٥٦

و أى قول أثقل من هدايه الأئمه الأئمه إلى معالم السعاده، و التى لا يقوم بهذا العبء الثقيل إلا الأمثل فالأمثل من الشخصيات التى ملاً روحها الصمود و الثبات، و لا تحصل تلك الحاله إلا بعد تذوق مراره الدهور و مآسى الأيام حتى يقع فى بوتقه الأحداث و يخرج مؤهلاً لحمل عبأ الرساله و هدايه الناس و قد صار كزير الحديد، عركته المحن و حنكته التجارب.

كما يمكن أن يكون وجهه أنه ولد يتيماً و نشأ يتيماً حتى يقف على الوضع المأساوى السائد على الأيتام فى عامه الأجيال، و لذلك يقول:

«أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى» ثم يرتب عليه «فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ» .

و روى عن الإمام الصادق عليه السلام وجه ثالث لتولده يتيماً و عيشه كذلك، فقال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَيُّتَمَ نَبِيَّهُ لَكِي لَا يَكُونُ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ طَاعَةٌ». (١)

و من غرائب التفسير، تفسير اليتيم فى الآيه بالوحيد، كما يقال «الدرّه اليتيمه»، و لكنّه تفسير بالرأى لا يناسب قوله «فآوى» كما لا يناسب مع ما رتب عليه من النهى عن قهر اليتيم.

الثانى: الهدايه بعد الضلاله

و يشير إلى هذه الحقبه من حياته، قوله سبحانه: «وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى» فالمهم تفسير هذه الضلاله التى أعقبتها الهدايه، فإنّ الضلاله تطلق على معنيين يجمعها فقد الهدايه.

الأول: هيئه نفسانيه تحيط بالقلب فيكفر بالله سبحانه و آياته و حججه الباهره و أنبيائه و رسله، فالضلاله بهذا المعنى هى الهيئه الراسخه فى قلوب الكفّار

ص: ١٥٧

و المنافقين فهم منحرفون فى التصورات و العقائد، كما أنهم منحرفون فى الخلق و السير.

الثانى: الضلاله بمعنى فقد الهدايه فى مورد يقبلها، كما هو الحال فى الاطفال و الاحداث فهم يفقدون الهدايه التفصيليه لا الفطريه، فتشملهم هدايه العقل و الشرع.

فالله سبحانه يصف النبى صلى الله عليه و آله و سلم بكونه ضالاً، ثم شملته الهدايه، فيريد من الضلاله فقد الهدايه الذاتيه لا الهيئه النفسيه الوجوديه، و هذا شأن كل موجود امكانى لا يملك الكمال من صميم ذاته و إنما يُفاض إليه من جانب علته، فقد كان النبى صلى الله عليه و آله و سلم فاقداً لتلك الهدايه الذاتيه، ثم أُفيضت إليه من لدن ان كان فطيماً.

كما يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «و لقد قرن الله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم و محاسن أخلاق العالم ليلاً و نهاراً». (١)

و على ذلك فوزان قوله «و وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى» و زان قوله سبحانه:

«أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى» ٢ .

و قوله سبحانه: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» ٣.

فالخسران فى الآيه لا يشير إلى ولاده الإنسان كافراً بالله سبحانه، بل يهدف إلى عدم حيازته لهدايه ذاتيه.

نعم لو عاش و اكتمل رشده و رفض دعوه الرسل و أنكر آيات الله لتبدل الخسران الذاتى إلى هيئه ظلمانيه تحدد بالقلب و الروح، فالضلاله بالمعنى الأول

ص: ١٥٨

١-١). نهج البلاغه: الخطبه ١٩٣. [١]

ذاتيه، وبالمعنى الثانى: مكتسبه.

و بما ذكرنا يتضح معنى الآية الأخرى التى اتخذ منها المخطئ ذريعه لنفى عصمته قبل أن يُبعث، أعنى قوله سبحانه: «وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مِمَّا الْكِتَابُ وَ لَا الْإِيمَانُ وَ لَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَ إِنَّكَ لَنَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» ١.

فقد وقعت الآية ذريعه لنفى العصمه عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم و تمسكوا فى ذلك بأمرين:

١. ما تدرى ما الكتاب.

٢. و(ما كنت تدرى) الإيمان.

لكن الاستدلال مخدوش من جهتين:

الأولى: أنّ حياته المشرقه بالتوحيد و الإيمان-قبل البعثه- تدلّ على أنّه كان مؤمناً بالله، متعبداً إياه، لم يسجد لصنم، و لم يقترف سيئه، فهل يمكن أن يكون مثله مجانباً عن الإيمان بوجوده سبحانه أو توحيده، و قد كان-صلوات الله عليه- يعتكف قبل البعثه فى غار حراء شهر رمضان، و لو أردنا أن نذكر جلّ ما ورد فى التاريخ حول تلك الحقبه من حياته لطال بنا الكلام، و لخرجنا عمّا هو المقصود.

الثانيه: ليست فى الآية المباركه أية إشاره إلى ادعاء المخطئ فضلاً عن الدلاله، لأنّه سبحانه بدأ كلامه فى هذه الآية بقوله: «كَذَلِكَ» أى كما قد أوحينا إلى من تقدم من الأنبياء، كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا، و المراد من الروح، هو القرآن الموحى إليه، و سمى روحاً لأنّه قوام الحياه الأخرويه كما أنّ الروح قوام الحياه الدنيويه.

ص: ١٥٩

ثم يقول: «ما كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ» أى لو لا الوحي ما كان من شأنك الوقوف على تفاصيل ما فى الكتاب، ولا على تفاصيل ما يجب الإيمان به، فالعلم التفصيلى بمضامين الكتاب و ما فيه من الأصول و التعاليم و القصص ثم الإذعان و الإيمان بتلك التفاصيل حصل عند نزول الوحي، و لولاه لما كان هناك علم و لا إيمان.

و بما أنّ القرآن يفسر بعضه بعضاً، فهناك آيتان تفسران كلاً من الأمرين.

أمّا قوله: «ما كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ»، فيفسره قوله «تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتُ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ» ١ فالآية صريحة فى أنّ النبى لم يكن عالماً بتفاصيل الأنباء و إنما وقف عليها عن طريق الوحي، فعبر عن عدم وقوفه عليها فى هذه الآية، بقوله: «ما كُنْتُ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ».

و أمّا قوله: «وَلَا الْإِيمَانُ» فيفسره قوله: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ قَالُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ» ٢ فقوله: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ» صريح فى أنّ متعلق الإيمان الحاصل بعد الوحي، الإيمان بما أنزل إليه من تفاصيل الكتاب، لا الإيمان بالله و توحيده.

و جميع هذه الآيات تشير إلى تكريمه سبحانه نبيه و إنعامه عليه الذى جاء فى الآية التالية: «وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا» (١).

ص: ١٦٠

الثالث الإغناء بعد العيلولة

يذكر سبحانه من منته الكبرى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان فقيراً فأغناه الله بالكسب، وهذا أمر واضح لمن طالع سيرته حتى أنّ عمّه أبا طالب حينما خطب خديجه لابن أخيه، فوصفه بالقول التالي:

هذا محمد بن عبد الله لا يوازي برجل من قريش إلا رجح عليه، ولا يقاس بأحد منهم إلا عظم عنه، وإن كان في المال مُقلاً، فإنّ المال ورق حائل، وظلّ زائل. (١)

وحصيله البحث: أنّ هذه الآيات الثلاث، أعني قوله سبحانه: «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى* وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى* وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى» تعرب عن الود والحب والرحمة والإيناس التي عمّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها في أوان حياته.

الرابع: أمية النبي صلى الله عليه وآله وسلم

إشاره

القرآن الكريم يصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكونه أمياً في آيتين، ويقول: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ» ٢.

فهذه الآيه تصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصفات عشر:

١. رسول، ٢. نبي، ٣. أمي، ٤. مكتوب اسمه في التوراه والإنجيل، ٥. منعت فيهما بأنه يأمر بالمعروف، ٦. وينهى عن المنكر، ٧. ويحلّ لهم الطيبات، ٨.

ص: ١٦١

(١-١). بحار الأنوار: ٦/١٦ [١] نقلاً عن مناقب ابن شهر آشوب: ١/٢٦. [٢]

و يحزّم عليهم الخبائث، ٩. و يضع عنهم إصرهم، ١٠. و يضع عنهم الأغلال التي كانت عليهم.

كما أنّه سبحانه يصرح بكونه أمياً في آيه ثانيه، و يقول:

«فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ كَلِمَاتِهِ وَ اتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» ١ .

إنّما الكلام فيما هو المراد من الأمي.

و الأمي هو المنسوب إلى الأم، و يراد منه بقاء الإنسان على ما ولدته أمه، و بما أنّ الإنسان الذي لا يجيد القراءة و الكتابة فهو باقٍ على ما ولدته أمه يطلق عليه الأمي، و على ذلك فتفسير الأمي بمن لا يقرأ و لا يكتب تفسير باللائم.

كما أنّ تفسير الأُمّه العربيّه يوم نزول القرآن بالأُميه بهذا المعنى أى الباقون على ما ولدتهم أمهاتهم، قال الرازي: إنّّه تعالى وصف محمداً صلى الله عليه و آله و سلم في هذه الآيه بصفات تسع (١)، إلى أن قال: الصفه الثالثه كونه أمياً، قال الزجاج: معنى الأمي الذي هو على صفه أمّه العرب، قال عليه الصلاه و السلام: إنّنا أمّه أميه لا نكتب و لا نحسب، فالعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون و لا يقرءون، و النبي كان كذلك، فللهذا السبب وصفه بكونه أمياً. (٢)

هذا هو المعنى المعروف للأمّي بين المفسرين، غير أنّ ثمة رأياً آخر يخالف ما عليه مشاهير المفسرين و هو:

الأمي منسوب إلى أمّ القرى

و هذا القول يفسر الأمي بالمنسوب إلى أمّ القرى التي هي من أعلام مكه،

ص: ١٦٢

١- ٢). لا بل عشر كما عرفت.

٢- ٣). مفاتيح الغيب: ٣٠٩/٤. [١]

يقول سبحانه:

«وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا» ١

و على ذلك فالآيتان تهدفان إلى بيان موطن النبي صلى الله عليه وآله وسلم و مولده و أنه مكى، و على ذلك فلا دلالة في هذا الوصف على أنه لم يكن يقرأ و يكتب.

لكن هذا القول يخالف الصواب، لو جهين:

الأول: إنَّ أُمَّ الْقُرَىٰ ليست من أعلام مكة و إن كان يطلق عليها، لكنه من قبيل إطلاق الكلى على مصداقه، و لذلك يقول ابن فارس: «كَلَّ مدينه هى أُمُّ ما حولها من القرى»، و يدل على ذلك قوله سبحانه: «وَ مَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا» ٢، و الضمير يرجع إلى القرى، فهى صريحه فى أنَّ أُمَّ الْقُرَىٰ ليست علماً لموضع خاص، و ذلك لأنَّ مشيئته سبحانه فى إهلاك الأمم و إبادتهم بعد إنذارهم ببعث الرسل، تعمُّ الأمم جميعاً و لا تختص بمكان خاص دون مكان.

الثانى: لو افترضنا أنها من أعلام مكة، فالصحيح عند النسبه إليها هو القروى لا الأُمى، يقول ابن مالك فى ألفيته: و انسب لصدر جملة و صدر ما

و حاصل كلام ابن مالك هو أنَّ الاسم المركب إن كان مركباً تركيباً جملة أو تركيباً مزجاً حذف عجزه و ألحق صدره ياء النسبه، فتقول فى تأبط شراً، تأبطى،

ص: ١٦٣

و فى بعلبك بعلى.

و إن كان مركب إضافه فإن كان صدره ابناً أو أباً أو كان معروفاً بعجزه حذف صدره و الحق عجزه ياء النسبه فتقول فى ابن الزبير، زبيرى، و فى أبى بكر، بكرى و فى غلام زيد زيدى. (1)

و أم القرى من قبيل الثانى أى المركب إضافه مصدراً بأم، ففى مثله يقال قروى لا أمى فتلحق ياء النسبه بعجزها و يقال: قروى لا بصدرها حتى يقال: أمى.

على أن وصف النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى الآيه المباركه بكونه أمياً بمعنى منسوباً إلى مكه لا- يتناسب مع سائر الصفات، أعنى كونه رسولاً- نبياً آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، محلاً- لهم الطيبات، و محرماً عليهم الخبائث، و واضعاً عنهم إصرهم و الأغلال التى كانت عليهم، بخلاف ما إذا فسرناه بمن لا يقرأ و لا يكتب، إذ يكون عندئذ مشيراً إلى برهان رسالته فهو مع أنه لا يقرأ و لا يكتب، أتى بشريعه كافله لسعاده الناس.

الرأى الآخر فى تفسير الأمى

و هناك رأى آخر فى تفسير الأمى لا يقل فى الضعف عن الرأى الماضى، و هو خيره الدكتور عبد اللطيف الهندى فى مقال كتبه حول أميه النبى صلى الله عليه و آله و سلم باللغه الانكليزيه، و قال: الأمى من لم يعرف المتون العتيقه الساميه و لم ينتحل مله أو كتاباً من الكتب السماويه، و الشاهد عليه ان الله جعل الأمى فى الكتاب العزيز مقابل أهل الكتاب و يستظهر منه بحكم المقابله ان المراد منه هى الأمه العربيه الجاهليه

ص: ١٦٤

بما فى زبر الأولين من التوراه و الإنجيل لا من لا يقدر على التلاوه و الكتابه.

أقول:المتبادر من الأُمى حسب تصريح علماء اللغه من لا يعرف القراءه و الكتابه على الإطلاق حيث بقى على ما ولدته أُمّه لا من يجيد قراءه لغته و كتابتها و فى الوقت نفسه لا- يجيد سائر اللغات و إلا- يلزم وصف قاطبه الناس بالأُميه،لأنّ السائد عليهم هو اتقانهم لغتهم أو لغتين أو ثلاث مع الجهل بسائر اللغات.

و بعباره أخرى:ليست الأُميه أمراً نسبياً حتى يكون الواقف على لغه العرب أُمياً بالنسبه إلى سائر اللغات،فتفسير الأُمى بخصوص الجاهل بالمتون الساميه تفسير بالرأى.

و أُمياً ما استدللّ به من أنّه سبحانه جعل الأُمى فى مقابل أهل الكتاب،فهو ناظر إلى قوله سبحانه: «وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ الْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ» ١ .

و لكن الآيه لا- تدلّ على مقصود المستدل،فإنّ الأُميين فى الآيه هم العاجزون عن القراءه و الكتابه على الإطلاق،و ذلك لأنّ القاطنين بيثرب و ما حولها كانوا يقسمون إلى طائفتين:

أهل الكتاب و كان السائد عليهم معرفه القراءه و الكتابه.

طوائف عربيه و كان السائد عليها الجهل بالقراءه و الكتابه.

و هذا هو التاريخ يوقفنا على عدد الذين يعرفون مجرد القراءه و الكتابه فى الجزيره العربيه فى عصر الرساله،و قد أتى الإمام البلاذرى فى فتوح بلدانه بأسماء العارفين بالقراءه و الكتابه فى العهد الجاهلى فما تجاوز عدتهم عن ١٧ رجلاً فى مكه و ١١ رجلاً فى يثرب. (١)

ص:١٦٥

١-٢). فتوح البلدان:٢٥٧.

و على هذا فالمراد من الأئمين المقابل لأهل الكتاب من لا يجيدون القراءة و الكتابه بشهاده سريان الأميه إلى قاطبه العرب فى عصر الرساله لا من يجيد القراءة و الكتابه و لكنّه لا يعرف العبرى و لا السريانى.

من وراء الكواليس

قد أكرم الله نبيه و أعظمه و أنعم عليه ما لم ينعم على غيره، و لكنّه سلب عنه موهبه القراءة و الكتابه، و ما ذلك إلا لهدف سام و هو نفي ريب المبطلين و شك المشككين، إذ لو كان الرسول فى برهه من عمره تالياً للكتب و ممارساً لها لصار للبسطاء من أمته و المعاندين أن يرتابوا فى رسالته و قرآنه، و يتوهموا أنّ ما جاء به من السور و الآيات فإنّما تلقاها من الصحف الدينيه و صاغها و سبكاها فى قوالب فصيحته تهترتها النفوس و ترتاح إليها القلوب.

فلازاحه هذه التهمه و سدّ باب هذا الوهم سلب عنه سبحانه هذه الموهبه، و لذلك كان النبى صلى الله عليه و آله و سلم يحتج على أنّ كتابه، رساله سماويه و ليس من صنيع نفسه و فكره بما أمره الله إليه أن يقول:

«قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أ فَلَا تَعْقُلُونَ» ١ .

كما أنّه سبحانه يذكر ما ذكرناه من حكمه السلب بقوله: «وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأْتَابَ الْمُبْطِلُونَ» ٢ .

و من المعلوم أنّ النكره فى سياق النفى تفيد العموم، حيث يقول: «وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ» .

و مع أنّ النبي صلى الله عليه وآله و سلم لم يقرأ و لم يكتب قبل بعثته و لو مرّه واحده، و مع ذلك كان المعاندون يتهمونه بوضع الكتاب و نسبته إلى الله، كما يحكيه سبحانه عنهم: «و قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَ أَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَ زُورًا» وَ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا» ١ .

فهو على رغم أنّه لم يقرأ و لم يكتب، اتهموه-ظلماً-بوضع الكتاب و دسّه و نسبته إلى الله، فكيف إذا كان ممارساً للقراءة و الكتابة أمام الناس منذ طفولته إلى شبابه ثم كهولته!؟

إنّ سلب نعمه الكتابة و القراءة عن النبي صلى الله عليه وآله و سلم كسلب نضد الشعر عنه، يقول سبحانه: «و مَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَ مَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ» ٢ .

و ينبغي الإشارة إلى أنّ سلب القراءة و الكتابة لا يعنى عدم علمه بأسرار الكون و رموزه و ما يسود عليه من نظام و قوانين، بل أنّ الله سبحانه قد أوقفه على حقائق الموجودات من طريق آخر غير الكتابة و القراءة، و بذلك انتفت الحاجة إليهما، و قد عرفت ما فى كلام أمير المؤمنين عليه السلام فى حقّه صلى الله عليه وآله و سلم لما قال: «و لقد قرن الله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم و محاسن أخلاق العالم ليله و نهاره». (١)

و كفى فى علم النبي صلى الله عليه وآله و سلم أنّه سبحانه وصف علمه بالعظمه، و قال:

«و أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا» ٤ .

ص: ١٤٧

فالمراد من الفضل فى الآيه هو علمه، وكفى فى عظمه علمه أنه عاين آيات الله بأَمِّ عينيه حينما عرج إلى السماء، وقال سبحانه: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»^١.

وقال سبحانه: «عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى - إِلَى أَنْ قَالَ - لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى»^٢.

إنَّ القراءه و الكتابه أداه من ليس له سبيل إلى معرفه ما فى الكون من الأسرار إلاَّ التعلّم و الإمساك بالقلم و الدواه للكتابه، أمّا من كان له سبيل إلى معرفه حقائق الكون أوسع من ذلك فلا يضره عدم التمكن من القراءه و الكتابه.

كلّ ما ذكرنا من حديث الأُمّيه، ليرجع إلى قبل البعثه، و أمّا بعدها فهو خارج عن موضوع بحثنا فلنطو الكلام عنه.

و فى الختام نأتى بكلمه قصيره و هى انّ سورهُ «الضحى» كانت هى المصدر الوحيد للتعرف على أوصاف النبى صلى الله عليه و آله و سلم قبل البعثه، و لأجل ذلك نشير إلى ما فى تلك السوره من النكته، و هى أنه سبحانه حلف بالضحى و الليل، و ذلك لغايه ما جاء فى جواب القسم، أعنى:

قوله: «ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ ما قَلَى * وَ لِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى * وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» فيقع السؤال ما هى الصله بين المقسم به أعنى الضحى و الليل إذا انتشر و بين الجواب، فإنّ من الأمور الدقيقه فى أقسام القرآن، هو كشف الصله بين المقسم به و المقسم عليه و قد ترك أكثر المفسرين بيان النكته من أقسام القرآن.

و يمكن أن يقال أنّ الوجه هو:

١. أنّ نزول الوحي يناسب الضحى كما أنّ انقطاعه يناسب الليل.

٢. أنّ عماد الحياه هو مجيء الليل عقب النهار، لا استدامه النهار و لا استدامه الليل، فهكذا الحال فى عماد الحياه النبويه الذى هو نزول الوحي نجومًا تثبتًا لقلب النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

٣. أنّ الضحى و الليل نعمه من نعم الله سبحانه منّ بها على عباده لما لهما من تأثير مباشر فى استقرار الحياه، و هكذا الحال فى نزول الوحي نجومًا.

جعفر السبحانى

ص: ١٦٩

علّي عليه السلام

فى الكتاب و السنّه

(١)

اللّهم لك الحمد و الثناء، و لك المجد و البهاء، و الصلاه على سيد رسلك، و على الأصفياء من عتره نبيك، محمّد و آله الطاهرين: الذين أذهبت عنهم الرجس و طهّرتهم تطهيراً.

أمّا بعد، لقد كانت دعوه الرسول الأعظم، دعوه عالميه، و رسالته خاتمه الرسالات التى اختصه بها من بين سائر الرسل، فهو خاتم الأنبياء، و كتابه خاتم الكتب، و شريعته خاتمه الشرائع.

كانت دعوه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فى بدء البعثه، خاصه بأهله و عشيرته غالباً ممثلاً لأمره سبحانه: «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ». ٢

و لمّا نزل قوله: «فَاصْبِرْ لِمَا تُؤْمَرُ وَ اصْبِرْ لِمَا نَهَىٰ عَنْهُ فَإِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» ٣ جهر بدعوته بين الناس و ناداهم باتّباع شريعته، و بدأت الدعوه تخطو خطوات حثيئه، تجذب قلوب الشبان و تستهوى أفئدتهم، غير أنّ المناوئين لرسالات الله عامه، و رساله الرسول الأعظم خاصه، عقدوا العزم على الإطاحه بدعوته بمختلف

ص: ١٧٠

الأساليب و السبل، من اتهام صاحب الرساله بالسحر و الجنون، إلى تعذيب المعتنقين و المؤمنين بها، إلى ضرب الحصار الاقتصادي عليهم، للحيلولة دون وصول الوافدين إلى مكه لسماع دعوته، إلى أن أجمعوا أمرهم على إنهاء حياته و إطفاء نوره بقتله في داره غيله، لكن الله سبحانه حال بينهم و بين أمميتهم الخبيثه، و رد كيدهم إلى نحورهم، فخبث رجاءهم ياخبار الرسول بالمؤامره و المكيد، فلم ير النبي الأعظم بدءاً من مغادره مكه متوجّهاً إلى يثرب، و لثما نزل دار مهجره، اجتمع حوله رجال من الأوس و الخزرج فبايعوه و وعدوه بالنصر و المؤازره، تأكيداً للبيعه التي أجراها نقباؤهم مع النبي صلى الله عليه و آله و سلم في «منى» أيام إقامته في مكه فصار النصر حليفه، و التقدم في مسير الدعوه أليفه.

و لكن خصماءه الألداء ما تركوه حتى بعد مغادره موطنه، فأخذوا يشنون عليه الغاره المره بعد الأخرى، و يحزبون الأحزاب عليه، و يستعينون باليهود و بمشركى الجزيره عامه ليطفئوا نور الله، و الله متم نوره و لو كره الكافرون، فهم أرادوا شيئاً، و الله سبحانه أراد شيئاً آخر، فإذا قضى أمراً إتما يقول له كن فيكون.

و عندئذ أخذت الدعوه الإلهيه بالتقدم و الانتشار فى أكثر الأصقاع و الربوع من الجزيره العربيه، بعونه و مشيئته سبحانه، و بهمه أصحابه و أتباعه و تضحياتهم فبدت بوادر اليأس على الأعداء و أذعنوا إلى حد ما بأنهم ليسوا قادرين على إيقاف ركب الدعوه و عرقله مسيرها إلا أنه بقيت لهم نافذه رجاء هى أن صاحب الدعوه -على حدّ زعمهم- ليس له عقب يخلفه، فهو يموت و تموت معه دعوته، و يعود الأمر على ما كان عليه، و تصبح الأرض خالصة للوثن و الوثنيين فكانوا ينتظرون ذلك اليوم، و إليه يشير سبحانه: «أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ * أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ

كان المشركون يحلمون بتحقيق هذه الأمنية الشيطانية، و يتربصون به ريب المنون لا يشكون في أنّ دعوته ستموت بموته، لأنه في نظرهم ملك في صورته نبى، و سلطته سلطه في صورته دعوه إلهيه، فلئن مات أو قتل انقطع أثره و حمد ذكره، كما هو المشهود من حال الملوك و الجبابره مهما تعالى أمرهم، و بلغوا في التكبر و التجبر و ركوب رقاب الناس، مبلغاً عظيماً و كانوا على هذه الحاله حتى جاء أمين الوحي فأدهشهم و طارت عقولهم، إذ أمر النبي بتنصيب على عليه السلام لمقام الولاية الإلهيه، و استخلافه في أمر المسلمين بعده، مخاطباً إياه بقوله: «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ». ٢

فقام النبي صلى الله عليه و آله و سلم في محتشد عظيم من الناس التفّ حوله وجوه المهاجرين و الأنصار و أخذ بيد على عليه السلام و رفعها، و قال: أ لست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: اللهم بلى. فقال: من كنت مولاه فهذا على مولاه. اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله. (٢)

فصار عمل النبي صلى الله عليه و آله و سلم و قيامه بواجبه في تنصيب على عليه السلام مقام القيادة بعد وفاته، سبباً لياس المشركين قاطبه فأذعنوا أنّ النبي نور لا يُطفأ، و سراج لا يخبو، و أنّ كتابه فرقان لا يخمد برهانه، و تبيان لا تهدم أركانه، و عزّ لا تهزم أنصاره، و حقّ لا تخذل أعوانه. و قد نزل أمين الوحي يبشّر النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم عن قنوط المشركين

ص: ١٧٢

١- (١). الطور: ٣٠-٣٢. [١]

٢- (٣). لاحظ مصادر حديث الغدير [٢] في موسوعه «الغدير» ج ١، ص ١٤-١٥١. [٣]

و يَأْسَهُمْ. إِذْ قَالَ سُبْحَانَهُ: «الْيَوْمَ يَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَ اَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا». (١)

و حيث إنّ هذه الواقعة التاريخيه الكبرى وقعت -عند منصرف النبي من حجّه الوداع- فى مكان يسمّى بغدير خمّ، سمّيت بواقعه الغدير و اشتهرت بين الأجيال بهذا الاسم، و جاء ذكرها فى أغلب القصائد و الأشعار.

لم يكن يوم الغدير أوّل يوم نوّه فيه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بمقام علىّ عليه السلام و فضله و منقبته، و لا آخره، بل كانت النبوه و الإمامه منذ فجر الدعوه الإلهيه سنوين. فقد أصحّر النبي بإمامه وصيه و وزاره وزيره يوم جهر بدعوته بين قومه و أسرته فى السنه الثالثه من بعثته، يوم أمره سبحانه بإنذار الأقربين من عشيرته. فدعا الأقربين إلى داره فخاطبهم بقوله: «و الله الذى لا إله إلاّ هو إنّى رسول الله إليكم خاصّه و إلى الناس عامّه... فأيتكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصيى و خليفتى فيكم، فأحجم القوم عنها جميعاً، و قلت و إنّى لأحدثهم سنّاً، و أرمصهم عيناً... أنا يا نبى الله... فأخذ برقبتي، ثمّ قال: إنّ هذا أخى و وصيى و خليفتى فيكم». (٢)

كان النبي الأعظم واقفاً على خطوره الموقف و عظم مقام القياده فكان يهتئ زعيم الأئمه و القائم بعده بأعباء الخلافه حيناً بعد حين، بأساليب مختلفه، فتارّه يشبهه بهارون (٣)، و أخرى بآئه و أولاده أحد الثقلين (٤)، و ثالثه بأنهم كسفيينه نوح (٥)

ص: ١٧٣

١- ١. المائده: ٣. [١]

٢- ٢. تاريخ الطبرى: ٦٣/٢، [٢] مسند الإمام أحمد: ١/١٥٩.

٣- ٣. مستدرک الحاكم: ١٠٩/٣، و صححه الذهبى فى تلخيصه على شرط مسلم.

٤- ٤. مسند الإمام أحمد: ٥/١٨٢ و ١٨٩. من حديث زيد بن ثابت بطريقين صحيحين.

٥- ٥. مستدرک الحاكم: ٣/١٥١، من حديث أبى ذر.

إلى غير ذلك من نصوصه المباركه حول إمام المتقين و أولاده المعصومين.

كَلَّ ذلك يعرب عن أنّ النبي لم يترك مسأله الوصايه سدى، و لم يفوضها إلى شورى الأُمّه و مفاوضاتها أو منافساتها، أو إلى بيعه رجل أو رجلين أو بيعه عدّه من المهاجرين و الأنصار، بل عالج مسأله الخلافه فى حياته بأحسن الوجوه و الأساليب و عرّف الأُمّه زعيمها و قائدها من بعده فى أخريات أ أيامه الشريفه فى محتشد عظيم لم يكن له نظير فى تاريخ الرساله حتى ينقله الحاضرون-عند وصولهم إلى أوطانهم-إلى الغائبين و ينتشر خبر الولاية بين الأُمّه جمعاء حتى لا يبقى لمريب ريب.

الأُمّه الإسلاميه و الخطر الثلاثى

هذا ما قادتنا إليه دراسه النصوص النبويه التى رواها الحفّاظ من الأُمّه، و لك أن تستشف الحقيقه من طريق آخر، و هو تحليل الأوضاع السائده على الأُمّه قبيل وفاه النبي صلى الله عليه و آله و سلم فإنّها تقضى بأنّ المصلحه العامه كانت فى تنصيب القائد لا فى تفويض أمر الزعامه إلى الأُمّه أو تركه سدى و عدم النبس فيه بكلمه.

إنّ الدوله الإسلاميه الفتيه يوم ذاك كانت محاصره من جهتي الشمال و الغرب بأكبر امبراطوريتين عرفهما التاريخ-آنذاك-و كانتا على جانب كبير من القوّه و العده و هما الامبراطوريتان الروميه و الساسانيه.

هذا من الخارج، و أمّا من الداخل فكان الإسلام و المسلمون مهتدين من جانب المنافقين الذين يشكّلون العدو الداخلى المبطن، بنحو ما يسمّى الآن بالطابور الخامس، و خطر العدو الداخلى لم يكن بأقلّ من خطر العدو الخارجى من الروم و الفرس، و هذا الخطر الثلاثى الرهيب، كان يفرض على النبي صلى الله عليه و آله و سلم أن

يقف موقف قائد يحبط بتدبيره الرصين، كل مؤامره محتمله ضد الدعوه الناشئه و أمته الفتية، إذ كان من المحتمل جداً أن يتفق العدو الخارجي مع الداخلى و يتحد هذا الثلاثى الناقم على الإسلام على محو الدين و هدم كل ما بناه الرسول الأكرم طيله ثلاثه و عشرين عاماً و يُضيع كل ما قدمه المسلمون من تضحيات غاليه فى سبيل إقامه صرح الدين.

أفيصح عند ذاك ترك أمر الزعامه إلى الأمه الفتية التى لم تمرّ عليها إلا عدّه أعوام قليله و لم تكتسب فيها تجارب كافيه و لم تتدرع أمام الأخطار المحدقه؟ و هو يعلم أنه لو توفر للأمه قائد محنك متفق عليه لقامت فى وجه الأعداء قيام رجل واحد، و صدّت جميع محاولاتهم العدوانيه بنجاح، و بالتالى ستنجو الأمه من التفرق و التشرذم و السقوط و الفشل بعد غياب رسول الله.

النزعه القبليه و مشكله القيادة

لقد برزت فى حياه المسلمين مشكله أخرى كانت تصدّ النبى عن تفويض القيادة إلى رأى الأمه، و هى مشكله النزعه القبليه التى كانت سائده على المجتمع الإسلامى يومذاك و التى تتميز بالخضوع المطلق لسيد القبيله و زعيمها و رفض سلطه الآخرين.

فهل يسوغ للنبي صلى الله عليه و آله و سلم أن يترك مصير الخلافه لأمه هذه حالها، خصوصاً بعد ما كان النبى واقفاً على ما بين الأوس و الخزرج من نزاع و ما بين المهاجرين و الأنصار من خلاف، و قد شهد خلافهم بأمر عينيه فى غزوه بنى المصطلق، (١) كما شاهد نزاع الحيين (الأوس و الخزرج) فى قصه الإفك (٢) إلى غير ذلك من المشاجرات

ص: ١٧٥

١-١. السيره النبويه: ٩١/٢. [١]

٢-٢. صحيح البخارى: ١٠١/٥.

المعاصره لحياء النبي و بعده ممّا سجلها التاريخ.

و لا أظن أنّ قائداً يقيم لدعوته وزناً، و يضجّ في سبيلها بالنفس و النفيس يقف على تلك المشاكل و يرحل إلى ربّه من دون أن يفكر في قياده أمّته بعد رحيله.

فضائل الإمام و مناقبه في كتب الحديث

هذا ممّا دعا النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم إلى تنصيب القائد المحنك لمسند الخلافة، كما دفعه إلى التعريف بفضائله و مناقبه في مواطن شتى ليقطع بذلك عذر المتعلّين و يتم الحجّه على الجميع و لله الحجّه البالغه.

و مع هذه الجهود الجيّاره التي بذلها النبي صلى الله عليه و آله و سلم في سبيل التعريف بخليفته و الإشاده بفضائله، عمدت السلطات الجائره من أمويّه و عباسيّه في مختلف القرون إلى إخفاء فضائله و مناقبه، و لم يكتفوا بذلك بل عمدوا إلى جعل الحديث، و نسبه تلك الفضائل و المناقب إلى الآخرين، كلّ ذلك بالترغيب و التهيب و بذل الأموال الطائله للمرتزقه من وعاظ السلاطين و تجّار الحديث.

و من قرأ تاريخ الدولتين و ما بذل أصحاب السلطه فيهما من الأموال في تشويه سمعه أمير المؤمنين على عليه السلام و الحطّ من مكانته و تبجيل خصومه عرف أنّ ما ذكرناه بعض الحقيقه لا- كلّها، و أذعن أنّ انتشار فضائله و مناقبه بهذا الحجم، معجزه من معاجز الله، حيث أراد أن يبطل كيد الأعداء و يخيب آمالهم حتى انتشرت فضائله في عاصمه الأمويين و بين أعدائه الغاشمين و الله غالب على أمره.

قيض سبحانه ثله من المحدثين الحفّاظ في كلّ عصر ممّن يطلبون الحقّ و الحقيقه و لا يعتنون برضا الناس و سخطهم، فألّفوا كتباً و رسائل في مناقب الإمام على بن أبي طالب عليه السلام و فضائله حتى زحرت المكتبه العربيّه بهذه الكتب، بل

المكتبة الإسلامية عامّة على اختلاف لغاتها و ألسنتها،فانتشرت مناقبه بطرق صحيحة لم يكن خصومه يحلمون بها،حتّى قال الإمام الحافظ أحمد بن حنبل و الشيخ النسائي و أضرابهما بأنّه ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله من الفضائل بطرق صحيحة ما جاء لعلی بن أبی طالب. (١)

و قد أحس بعض المحدثين بمسئوليته الدينيه أمام الله سبحانه و أمام أمّته،فقام بنشر فضائله و إن بلغ الأمر ما بلغ و إن انجرّ إلى استشاده و قتله في سبيل نشر فضائل المرتضى.

هذا و التاريخ يوقفنا على لفيف من المحدثين الذين استشهدوا في هذا السبيل نذكر ما يلي:

١. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالحافظ النسائي (المتوفى عام ٣٠٣هـ) أحد أصحاب الصحاح و السنن غادر مصر في أخريات عمره نازلاً- مدينه دمشق،فوجد الكثير من أهلها منحرفين عن الإمام فأخذ ينشر مناقبه و فضائله،فألقي محاضرات متواصله في فضائل الوصى،و بعد أن فرغ من تأليف كتابه و نشره،سئل عن معاويه و ما روى من فضائله فقال:أما يرضى معاويه أن يخرج رأساً برأس حتى يفضل؟!

و في روايه أخرى:لا أعرف له فضيله إلا،لا أشبع الله بطنه.فهمجوا عليه.يضرّبونه بأرجلهم في خصيه حتى أخرجوه من المسجد فقال:

احملوني إلى مكّه،فحمل إليها و توفى بها. (٢)

٢.الحافظ فخر الدين أبو عبد الله محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجي

ص:١٧٧

١- ١). الاستيعاب:٢/٤٦٦، [١]الصواعق المحرقة:١١٨ و [٢]غيرهما من المصادر.

٢ - ٢). خصائص النسائي:ص ٢٤ - ٢٥ طبع النجف،و [٣]قد طبع أيضاً بمصر عام ١٣٤٨هـ.ق بمطبعه التقدم؛صحيح النسائي،المقدمه،صفحه ه بشرح جلال الدين السيوطي.

الشافعي. فقد قتل عام ٦٥٨هـ في سبيل نشر فضائل أمير المؤمنين. فألف كتاباً باسم «كفايه الطالب في مناقب علي بن أبي طالب»، وكتاباً آخر باسم «البيان في أخبار صاحب الزمان» فنشرهما في دمشق الشام، فقتل في جامعه بلا مبرر ولا مسوغ، سوى أنه قام بواجبه في نشر فضائل علي عليه السلام.

قال في أول كتابه: «لَمَّا جَلَسْتُ يَوْمَ الْخَمِيسِ لَسْتُ بِقَيْنٍ مِنْ جَمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ٦٤٧هـ بِالْمَشْهَدِ الشَّرِيفِ بِالْحِصْبَاءِ مِنْ مَدِينَةِ الْمَوْصَلِ وَدَارِ الْحَدِيثِ الْمَهَاجِرِيَّةِ، حَضَرَ الْمَجْلِسَ صُدُورُ الْبَلَدِ مِنَ النِّقْبَاءِ وَالمُدْرَسِينَ وَالفُقَهَاءَ وَأَرْبَابَ الْحَدِيثِ، فَذَكَرْتُ بَعْدَ الدَّرْسِ أَحَادِيثَ وَخَتَمْتُ الْمَجْلِسَ بِفَصْلِ فِي مَنَاقِبِ أَهْلِ الْبَيْتِ، فَطَعَنَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ لِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِ بِعِلْمِ النُّقْلِ فِي حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ فِي غَدِيرِ خَمٍّ وَفِي حَدِيثِ عَمَّارٍ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «طُوبَى لِمَنْ أَحْبَبَكَ وَصَدَقَ فِيكَ»، فَدَعَنْتِي الْحَمِيَّةَ لِمَحَبَّتِهِمْ عَلَى إِمْلَاءِ كِتَابٍ يَشْتَمِلُ عَلَى بَعْضِ مَا رَوَيْنَاهُ مِنْ مَشَايخِنَا فِي الْبُلْدَانِ مِنْ أَحَادِيثٍ صَحِيحَةٍ مِنْ كِتَابِ الْأَثْمَةِ وَالحَفَازِ فِي مَنَاقِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ. (١)

سيره مؤلف الكتاب

وَمَنْ قَامَ بِالتَّأْلِيفِ فِي هَذَا الْمَجَالِ الْحَافِظُ الْمَوْفَّقُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي سَعِيدِ إِسْحَاقَ بْنِ الْمُؤَيَّدِ الْمَكِّيِّ الْحَنْفِيِّ الْمَعْرُوفِ بِأَخْطَبِ خَوَارِزْمٍ، فَقَدْ سَجَّلَ لَهُ كِتَابَهُ هَذَا ذِكْرًا خَالِدًا فَتَرْجَمُهُ أَصْحَابُ الْمَعَاجِمِ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَوْفُوا حَقَّهُ، وَلَكِنْ فِيمَا نَذَكَرَهُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ فِي حَقِّ الرَّجُلِ تَسْلِيْطَ لِبَعْضِ الضُّوْءِ عَلَى شَخْصِيَّتِهِ الْعِلْمِيَّةِ وَالأَدْبِيَّةِ

ص: ١٧٨

(١-١). كفايه الطالب: ١٢، طبع النجف، [١] تحقيق محمّد هادي الأميني.

و الحدِيثه و مشايخه و تلامذته، و نذكر نصوصهم حسب الترتيب التاريخي:

١. قال ابن عساكر (المتوفى ٥٧١هـ) في ترجمه الحسن بن سعيد بن عبد الله بن بندار أبي علي الديار بكرى:

فمما أنشدني لنفسه ممّا كتب به إلى خطيب خوارزم أحمد بن مكى و كان مشهوراً بالفضل، جواباً له عن أبيات كتبها إليه ثم ذكر جواب الحسن أولاً و أبيات الخطيب ثانياً، و إليك أبيات الخطيب: هدى علم الدين المفخّم شأنه

و يظهر ممّا أجاب به الحسن بن سعيد (١)، كون المجيب مقراً لفضله و مقامه، فقد عرفه بقوله: إمام له فى الفضل أشرف رتبه

٢. قال جمال الدين القفطى (المتوفى ٥٤٦هـ):

«الموفق بن أحمد بن محمد المكي الأصل، أبو المؤيد خطيب خوارزم، أديب

ص: ١٧٩

١-١). و للشاعر (الحسن بن سعيد) ترجمه فى «مجمع الآداب فى معجم الألقاب» الجزء الرابع، القسم الأول لابن الفوطى، ص ٥٧٥.

فاضل، له معرفه تامه بالأدب و الفقه، يخطب بجامع خوارزم سنين كثيره و ينشئ الخطب به. أقرأ الناس علم العربية و غيره، و تخرج به عالم فى الآداب. منهم أبو الفتح ناصر بن أبى المكارم المطرزي الخوارزمي، و توفى الموفق بخوارزم فى حادى عشر صفر سنه ثمان و ستين و خمسمائه». (١)

٣. و نقل «ابن الفوطى كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق الشيبانى الحنبلى (٦٤٢-٥٧٢٣هـ)» نشرًا للمؤلف فى وصف أستاذه الزمخشري:

«قال صدر الأئمة الموفق بن أحمد المكي فى وصفه: خوارزم كانت قبل فخرها بأبى بكرها، صادقته فى زهوها به سن بكرها، تعدّه لغرائبها من رغائبها و تعدّه لرغائبه عن غرائبها». (٢)

٤. و قال عبد القادر بن أبى الوفاء القرشى (٦٩٦-٥٧٧٥هـ):

«الموفق بن أحمد بن محمّد المكي خطيب خوارزم أستاذ ناصر بن عبد السيد صاحب المغرب أو المؤيد المطرزي مولده فى حدود سنه أربع و ثمانين و أربعمائه ذكره القفطى فى «أخبار النحاه». ثم ذكر عبارته القفطى التى نقلناها آنفاً. (٣)

٥. روى الذهبى عن هذا الكتاب فى «ميزان الاعتدال» فى ترجمه «الحسن بن غفير المصرى العطار» كما روى عنه فى لسان الميزان فى ترجمه الحسن أيضاً. (٤)

٦. «و قال تقى الدين محمد بن أحمد الحسينى الفاسى المكي الموفق بن أحمد

ص: ١٨٠

١- ١). إنباه الرواه [١] على أبناء النحاه: ٢٣٢/٣، رقم الترجمة ٧٧٩، طبع القاهره عام ١٣٧٧هـ.

٢- ٢). تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب: [٢] تحقيق الدكتور مصطفى جواد، و فى التعليقه ترجمه للخطيب على نحو الإجمال.

٣- ٣). الجواهر المضيه فى طبقات الحنفية: ١٨٨/٢، طبع الهند، عام ١٣٣٥هـ.

٤- ٤). ميزان الاعتدال: ٥١٧/١، طبع الحلبي، مصر؛ لسان الميزان: ٢٤٣/٢، طبع الهند.

ابن محمد المكي أبو المؤيد العلامة خطيب خوارزم كان أديباً فصيحاً مفوهاً، خطب بخوارزم دهرًا و أنشأ الخطب و أقرأ الناس، و توفي بخوارزم في صفر سنة ثمان و ستين و خمسمائه، و ذكره هكذا الذهبي في تاريخ الإسلام (١) و ذكره الشيخ محيي الدين عبد القادر الحنفي في «طبقات الحنفية»، ثم نقل، ما ذكره القفطي في «أخبار النحاه» و أضاف في آخره: من مؤلفاته «مناقب الإمام أبي حنيفة». (٢)

٧. و قال الحافظ جلال الدين السيوطي (المتوفى ٩١١هـ) في بغية الوعاة:

«الموفق بن أحمد بن أبي سعيد إسحاق أبو المؤيد المعروف بأخطب خوارزم. قال الصفدي: كان متمكنًا في العربية، غزير العلم، فقيهاً، فاضلاً، أديباً، شاعراً، قرأ على الزمخشري و له خطب و شعر.

قال القفطي: و قرأ عليه ناصر المطرزي. ولد في حدود سنة أربع و ثمانين و أربعمائه، و مات سنة ثمان و ستين و خمسمائه». (٣)

٨. و قال محمد بن عبد الحي اللكنوي الهندي في فوائده البهية:

«أحمد بن محمد موفق الدين خطيب خوارزم مولده في حدود سنة أربع و ثمانين و أربعمائه، و كان أديباً فاضلاً، له معرفة تامة بالفقه، أخذ عن نجم الدين عمر النسفي، و أخذ علم العربية عن جار الله محمود الزمخشري، و أخذ عنه ناصر الدين صاحب المغرب. مات سنة ثمان و تسعين و خمسمائه، (قال الجامع) ذكره السيوطي في «بغية الوعاة» في طبقات النحاه في من اسمه الموفق و قال: «ثم ذكر

ص: ١٨١

١- ١. قال محقق الكتاب: هذه السنة من السنوات الساقطة من نسخه تاريخ الإسلام للذهبي المخطوطه بدار الكتب المصريه.

٢- ٢. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: ٣١٠/٧ تحقيق فؤاد سيد- [١] القاهرة- طبع ١٣٨٧.

٣- ٣. بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاه: ٣٠٨/٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، [٢] طبع مصر.

نص السيوطى الذى عرفته. (١)

٩. وقال «الخوانسارى» فى روضات الجنّات:

و أمّا الأخطب فهو لقب الشيخ المحدث المتقن المتبحر صدر الأئمة عند العامه أخطب خوارزم، و الخوارزمى أو ابن خوارزم موفّق بن أحمد المكيّ و غيره. (٢)

١٠. و قال العلامة «الأميني»:

«الحافظ أبو المؤيد و أبو محمّد موفّق بن أحمد بن أبى سعيد إسحاق بن المؤيد المكيّ الحنفيّ المعروف بأخطب خوارزم، كان فقيهاً عزيز العلم، حافظاً طائلاً الشهره محدثاً كثير الطرق، خطيباً طائر الصيت متمكناً فى العريه خبيراً على السيره و التاريخ، أديباً شاعراً له خطب و شعر مدوّن. (٣)

١١. و قال السيد محمّد رضا الموسوى الخراسان فى مقدمته على المناقب للخوارزمى:

«الإمام الأجل الصدر ضياء الدين شمس الإسلام، ناصح الخلفاء مفتى الأئمة مقتدى الفريقين، صدر الأئمة، وفاء بالوعد، أخطب الخطباء الحافظ الموفق ابن أحمد بن محمّد البكرى المكيّ الحنفيّ فروعاً و الأشعريّ أصولاً المعروف بأخطب، إلى أن قال: تخرّج به عالم فى الآداب من الأفاضل الأكابر فقهاً و أدباً و الأماثل الأكارم حسباً و نسباً». (٤)

ص: ١٨٢

١ - ١). «الفوائد البهيه فى تراجم الحنفيه: ٤١، ألفه عام ١٢١٩هـ.

٢ - ٢). روضات الجنّات فى أحوال العلماء و السادات: ١/٦٤، [١] فى التعليقه و ٢٨٩ - ٢٩٠ فى المتن، نشر مكتبه إسماعيليان، قم - إيران.

٣ - ٣). الغدير: ١/٣٩٨، الطبعه الثالثه - [٢] بيروت.

٤ - ٤). المناقب للخوارزمى: ١٦، المقدمه، طبع النجف.

هذا بعض ما وقفت عليه من النصوص حول المترجم له، وقد خصّه غير هؤلاء من أصحاب المعاجم بالثناء والإطراء، ولا أرى حاجة لنقل كلماتهم و من أراد التوسع فليرجع إلى المصادر المذكورة في الهامش. (١)

تسليط الأضواء على جوانب من حياة المؤلف

إشاره

و لأجل تسليط الضوء على بعض خصوصيات المؤلف و مشايخه في الروايه و الرواه عنه، نأتى بما يلي:

أ:الاختلاف في اسمه

يلاحظ الاختلاف في اسمه بين أصحاب المعاجم، فعرفه «ابن عساكر» و محمّد بن عبد الحى اللكنوى الهندي - كما عرفت - ب «أحمد بن مكى»، لكن غيرهم عزّفوه ب «موفق بن أحمد»، و الظاهر المتضافر هو الثانى و أكثر المعاجم عليه، و ذكر العلّامه الأمينى فى تعليقه أنّ الشاعر اسمه فى شعره موفّقاً، و لكن لم يذكر شعره الذى جاء فيه اسمه. (٢)

ب:الاختلاف فى اسم جدّه

و يلاحظ الاختلاف أيضاً فى اسم جدّه، فهل هو «محمّد» كما عليه القفطى،

ص: ١٨٣

١ - (١). هـديه العارفين: ٤٨٢/٢؛ ریحانه الأُدب: ٤٧/١؛ دائره المعارف للأُعلمى: ٣١١/٣، معجم المطبوعات: ١٨١٧/٢؛ العباة: ٥٧٨/٦. نقلاً عن العماد الاصفهانى و المجلد الثانى من مجموعه رسائل رشيد الدين الوطواط فيها قصيدتان فى مدح المؤلف كل ذلك يعرب عن مكانه المؤلف العلميه و سمو مقامه و شهرته الطائله التى دفع أصحاب المعاجم إلى التنويه باسمه و كتبه و مشايخه و تلامذته و إن لم يستوفوا حقّه، و سيوافيك أسماء مشايخه و الرواه عنه.

٢ - (٢). الغدير: ٣٩٨/٤. [١]

و القرشى و الفاسى، أو أنّ اسمه أبو سعيد إسحاق، كما عليه جلال الدين السيوطى، و العلامه الأمينى؟ و الظاهر هو الأوّل.

ج: عام وفاته

تضافرت نصوص أصحاب المعاجم على أنّ وفاته كان عام ٥٦٨، و لكن صاحب «الفوائد البهيه» أرّخه ب«٥٩٨»، و الظاهر أنّه تصحيف و قد نقل هو نفسه عن السيوطى عام وفاته كما ذكرناه.

د: ما هو لقبه؟ خطيب خوارزم أو أخطب خوارزم؟

عرفه «القرشى» و «الفاسى» كما عرفت بخطيب خوارزم، و السيوطى بأخطب خوارزم، و المرمى واحد و من عبّر عنه بصيغه التفضيل يريد تبجيله و يعرب عن تضلّعه فى إنشاء الخطب.

ه: مشايخه فى الروايه

قام الشيخ الأمينى -قدس الله سرّه- باستخراج مشايخه من كتبه فأنهاهم إلى خمس و ثلاثين شيخاً، كما قام بعده السيد محمّد رضا الخرسان باستدراك ما فات من شيخنا الأمينى فأنهاهم إلى خمس و ستين شيخاً، و فيما تحمّله من الجهود فى استخراج مشايخه كفايه فى التعرّف على مكانه المؤلّف و موقفه من الحديث و الروايه، و أنّ ما أسبغ عليه من نعوت و ألقاب، لم يكن على وجه التبرّع بل كان الرجل حقيقاً بها.

و إليك فهرس مشايخه حسب ما ذكره الباحثان الكبيران و استخراجاه من

خلال السبر في المعاجم، وكتب المؤلف، وغيرهما:

١. إبراهيم بن علي الرازي نزيل همدان.
٢. أبو الحسن بن بشران العدل، لقيه ببغداد و أخذ عنه الحديث.
٣. أبو علي الحدّاد.
٤. أبو الفضل بن عبد الرحمن الحفر بندي إجازة.
٥. أبو القمر حمزه بن أبي طاهر مكاتبه من همدان.
٦. أبو المعالي المصري.
٧. أبوه أحمد بن محمد بن المؤيد المكي الحنفي.
٨. أحمد بن أبي مسعود محمد الحافظ الاصفهاني مكاتبه من أصفهان.
٩. أحمد بن إسماعيل سماعاً منه بجرجان.
١٠. أحمد بن محمد بن بندار. (١)
١١. أحمد بن محمد بن أحمد القمي المدني سمع منه في طريق الحج.
١٢. بكر بن محمد بن علي الزرنجري مكاتبه من بخارى.
١٣. جار الله محمود بن عمر الزمخشري، سمع منه و قرأ عليه بخوارزم.
١٤. الحسن بن علي بن الحسن العماري، إجازة.
١٥. حماد بن إبراهيم بن إسماعيل الصفار الوائلي البخاري، مكاتبه من بخارى.

ص: ١٨٥

(١ - ١). هكذا ذكره السيد الخراسان في قائمه مشايخه، و لكن المؤلف نفسه عبّر عنه في الفصل التاسع عشر ب«كمال الدين أبو ذر أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن بندار».

١٦. الحسن بن علي بن عبد العزيز المرغيناني، مكاتبه من بخارى.

١٧. الحسن بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن محمد العطار الهمداني المقرئ، إجازة.

١٨. سعيد بن عبد الله بن الحسن المروزي الثقفي الشافعي الهمداني مكاتبه من همدان.

١٩. سعيد بن محمد بن أبي بكر الفقيمي، إجازة.

٢٠. شهردار بن شيرويه الديلمي، إجازة و مكاتبه من همدان.

٢١. العباس بن محمد بن أبي منصور الغضاري الطوسي، مكاتبه من نيسابور.

٢٢. عبد الحميد بن ميكائيل بن أحمد البراتقيني، قراءة عليه بخوارزم.

٢٣. عبد الرحمن بن أميرويه الكرمانى، قراءة عليه بخوارزم.

٢٤. عبد الرحيم بن محمد بن أحمد الاصفهاني، مكاتبه من مرو.

٢٥. عبد الكريم بن محمد السمعاني مكاتبه من مرو.

٢٦. عبد الملك بن أبي القاسم بن أبي سهل الكروخي الهروي، فقد لقيه و سمع منه بداره على شط دجلة ببغداد عند منصرفه من مكة المكرمة.

٢٧. عبد الملك بن علي بن محمد الهمداني نزيل بغداد، إجازة.

٢٨. عبد الواحد بن الحسن الباقرجي.

٢٩. عثمان بن أحمد الاسفرايني، مكاتبه.

٣٠. عثمان بن أحمد الصرام الخوارزمي، سماعاً منه بخوارزم.

٣١. علي بن أحمد بن حمويه الجويني البزدي.

٣٢. على بن أحمد الكرباسي الخوارزمي، إملاء عليه بخوارزم.

٣٣. على بن الحسن الغزنوي الملقب بالبرهان، فقد لقيه وسمع منه بداره ببغداد في رباط الميمون بمشرعه باب الأرج سلخ ربيع الأول سنة ٥٤٤ هـ راجعاً من الحج.

٣٤. على بن أحمد العاصمي.

٣٥. على بن عمر بن إبراهيم العلوي الزيدي، فقد لقيه بالكوفة، كان يقرأ عليه و هو يسمع.

٣٦. عمر بن أبي بكر الزرنجري، مكاتبه من بخارى.

٣٧. عمر بن بكر بن علي ابن الفضل الزرنجري، مكاتبه من بخارى.

٣٨. عمر بن محمد بن أحمد النسفي، مكاتبه من سمرقند.

٣٩. الفضل بن سهل بن بشر الحلبي الاسفرايني، إجازته ببغداد.

٤٠. فضل بن محمد الاسترآبادي.

٤١. الفضل بن محمد الزيادي، إجازته.

٤٢. المبارك بن محمد السقطي، قراءه عليه بدير العاقول.

٤٣. محمد بن إبراهيم الوبري الخوارزمي.

٤٤. أخوه محمد بن أحمد الملكي، قراءه عليه و إملاء.

٤٥. محمد بن إسحاق السراجي الخوارزمي، قراءه عليه بخوارزم.

٤٦. محمد بن الحسن البخاري، مكاتبه من بخارى.

٤٧. محمد بن الحافظ أبي مسعود الاصبهاني مكاتبه من اصبهان.

٤٨. محمد بن الحسن بن أبي جعفر بن أبي سهل الزورقي-الزورني خ ل-

مكاتبه من مرو.

٤٩. محمد بن أبي الربيع المازني المقرئ، قرأ عليه بخوارزم كتاب «العالم و المتعلم» لأبي حنيفة.

٥٠. محمد بن الحسن الختني البخاري، مكاتبه من بخاري.

٥١. محمد بن الحسين الاسترآبادي، سماعاً منه بمدينة الري.

٥٢. محمد بن الحسين بن محمد البغدادي، مكاتبه من همدان.

٥٣. محمد بن أبي جعفر الطائي مكاتبه من همدان.

٥٤. محمد بن جامع بن أبي نصر الصيرفي مكاتبه من نيسابور.

٥٥. محمد بن سمان بن يوسف الهمداني مكاتبه.

٥٦. محمد بن عبد الملك بن الشعار.

٥٧. محمد بن عبيد الله بن نصر الزاغوني، لقيه ببغداد و سمع منه عند منصرفه من حج بيت الله الحرام.

٥٨. محمد بن علي بن محمد بن المطهر بن المرتضى الحسيني مكاتبه من الري.

٥٩. محمد بن عمر بن أبي علي الجمحي مكاتبه.

٦٠. محمد بن محمد الشيعي الخطيب بمرو، مكاتبه من مرو.

٦١. محمد بن ناصر بن محمد بن علي السلامي لقيه ببغداد و سمع منه هناك.

٦٢. محمد بن منصور بن علي المقرئ المعروف بالديواني لقيه بالري و سمع منه بداره في محله نصرآباد.

ص: ١٨٨

٦٣. محمود بن سليمان بن محمد الخيام الهمداني، مكاتبه من همدان.

٦٤. مسعود بن أحمد الدهستاني مكاتبه من دهستان.

٦٥. منصور بن نوح الشهرستاني لقيه بشهرستان و سمع منه منصرفه من الحجّ غرّه جمادى الآخرة سنة ٥٤٤هـ.

و هذا العدد الغفير من مشايخ الروايه يعرب عن انكباب الرجل على علم الحديث و صرف شطر كبير من عمره فيه، و لا يقاس بمن سمع حديثاً أو كتاباً أو نقل أحاديث ارتجالاً دون أن يمت إلى علم الحديث بصله.

و: تلامذته و الرواه عنه

أطبقت النصوص الماضيه على أنّ «برهان الدين بن أبي المكارم المطرزي الخوارزمي» صاحب كتاب «المغرب في ترتيب المعرب» (المتوفى عام ٥١٠هـ) من تلامذته، و لكنهم قَصِدُوا القول في المقام، و قد نهض شيخنا العلامة الأميني و بعده السيد الخراسان باستخراج أسماء من قرأ عليه أو أخذ عنه من غضون الكتب لا سيما «المناقب» للشيخ «ابن شهر آشوب» و بعض الإجازات، و إليك أسماؤهم:

١. برهان الدين أبو المكارم ناصر بن عبد السيد المطرزي الخوارزمي، المولود سنة ٥٣٨ و المتوفى في ٢١ جمادى الأولى سنة ٦١٠ أو ٦١١، كما عرفت النص عليه عن غير واحد.

٢. مسلم بن علي بن الأخت فقد روى عنه كتاب «المناقب» كما في إجازته (١) أحد تلامذته الشيخ «نجيب الدين يحيى بن سعيد الحلبي» (المتوفى سنة ٥٨٩هـ)

ص: ١٨٩

١ - ١). الإجازة للسيد محمّد بن الحسن بن محمّد بن أبي الرضاء العلوي، على ما ذكره العلامة المجلسي في كتاب إجازات البحار، ص ٣٠.

للشيخ «شمس الدين محمد بن جمال الدين أحمد» أستاذ الشهيد الأول.

٣. طاهر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي الخوارزمي، فإنه يروى عنه كتابه «المناقب» كما في إجازته تلميذ الحلبي آنف الذكر.

٤. عبد الله بن جعفر بن محمد الحسنی. فقد روى عنه كتابه «المناقب» كما في إجازته آنفه الذكر.

٥. محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (٤٨٨-٥٨٨هـ) و كانت بينه و بين المؤلف مكاتبات، فقد كاتبه «الموفق» بأربعينه كما في صريح ابن شهر آشوب في مناقبه، ج ١، ص ١٢.

٦. جمال الدين بن معين، فإنه روى عنه مقتله كما في «فرائد السمطين».

٧. ناصر بن أحمد بن بكر النحوى (المتوفى سنة ٦٠٧هـ) فقد قرأ على المترجم له كما في «بغية الوعاة»، ص ٢-٤.

٨. أبو القاسم بن أبي الفضل بن عبد الكريم، فقد روى عنه إجازته، و عن أبي القاسم هذا و عن المطرزي يروى الجويني بواسطه أو واسطتين أو أزيد و بهذا يكون «الموفق» من مشايخ الإجازة، ذكر ذلك «البهاري» في مقدمه الطبعة الأولى من كتاب المناقب، ص ٣.

٩. ولده أحمد المؤيد ذكره السماوي في مقدمه مقتل الخوارزمي ص ٢ من الجزء الأول.

هذا ما تيسر لنا الاطلاع عليه من أسماء تلامذه الموفق و الرواه عنه (١) و سيوافيك أسماء خصوص من رووا عنه كتاب الفضائل.

ص: ١٩٠

١-١). لاحظ الغدير: ٤/٤٠١، و مقدمه الطبعة الثانيه، ص ٢٢، ٢١.

إنَّ للموفق تأليف في الفضائل و التاريخ و ردت أسماؤها في المعاجم و الكتب، و قد قضى الدهر على أكثرها:

١. مناقب الإمام أبي حنيفة طبع في حيدرآباد سنة ١٣٢١هـ.

٢. ردّ الشمس لأمير المؤمنين: نقل عنه ابن شهر آشوب في المناقب ج ١ ص ٤٨٤.

٣. الأربعون في مناقب النبي الأمين و وصيه أمير المؤمنين عليه السلام: يروي عنه ابن شهر آشوب و ينقل عنه في مقتله.

٤. كتاب قضايا أمير المؤمنين: ينقل عنه ابن شهر آشوب في مناقبه، ج ١-٢، ص ٤٨٤.

٥. مقتل أمير المؤمنين: ينقل عنه الميرزا عبد الله الأفندي في «رياضه» و «الجواهر» في دائره المعارف على ما في مقدمه الطبعة الثانيه.

٦. مقتل الإمام السبط الشهيد: المطبوع في النجف الأشرف سنة ١٣٦٧ في جزءين.

٧. المسانيد على البخارى: ذكره السماوى في مقدمه مقتل الحسين، و توجد منه نسخه في مكتبه جامعه طهران.

٨. ديوان شعره: ذكره الچلبى في كشف الظنون ج ١، ص ٥٢٤. قال: ديوانه جيد، و كان في الشعر في طبقه معاصريه.

٩. «الكفايه» في علم الإعراب: على نهج «المفصل» للزمخشري في الأسماء و الأفعال و الحروف، ذكره في «كشف الظنون» ج ٢/١٤٩٨، منه نسخه في جامعه طهران برقم ٦٩٦٧ يستظهر أنها من نسخ القرن التاسع و العاشر، و منها أيضاً

نسخه في مكتبه مدرسه الفيضيه بقم.

١٠. فضائل الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام: المعروف ب«المناقب» طبع مرّه على الحجر في «تبريز» سنة ١٣١٣، و على الحروف في النجف الأشرف مع تقديم «محمد رضا الموسوى الخراسان».

و ينبغي إبداء بعض التوضيحات حول هذا الكتاب:

١. إنّ كتاب «الفضائل» اكتسب شهره عظيمه بين المحدثين، فرواه لفيف من الأعلام عن المؤلف بلا واسطه، كما نقله عنه لفيف آخر مع الواسطه.

أمّا الذين رووه عن المؤلف بلا واسطه، فمنهم:

١. الشيخ مسلم بن على بن الأخت.

٢. الشيخ أبو الرضا طاهر بن أبي المكارم عبد السيد الخوارزمي.

٣. السيد أبو محمّد عبد الله بن جعفر الحسيني.

٤. الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد الحلّي (المتوفّى ٩٨٩هـ). قال: قرأت كتاب «المناقب» للخوارزمي على الشيخ أبي محمّد عبد الله بن جعفر بن محمّد الحسيني في سنة ٥٩٣هـ. (١)

٥. برهان الدين أبو المكارم ناصر بن أبي المكارم المطرزي.

٦. محمّد بن على بن شهر آشوب المازندراني (المتوفّى ٥٨٨هـ).

و أمّا الذين نقلوا عن الكتاب أو رووه عن المؤلف مع الواسطه فحدّث عنهم و لا - حرج، و قد عرفت نصّ الذهبي في «ميزان الاعتدال» في ما سبق، و ذكره «الجلبي» في «كشف الظنون»، و ينقل عنه مفتى الحرمين صاحب «كفايه

ص: ١٩٢

(١ - ١). الظاهر أنّه تصحيف لأنّ الحلّي ولد عام ٦٠٠ أو ٦٠١.

الطالب» في غير واحد من فصول كتابه، كما ينقل عنه رضى الدين ابن طاوس (المتوفى ٦٦٤هـ) في كتابه «على أمير المؤمنين» إلى غير ذلك من الشخصيات البارزة في الحديث و التاريخ، وقد ذكر أسماء شطر منهم شيخنا الأمينى في غديره، ج ٤، ص ٤٠٥.

٢. و ربما يحتمل أنّ كتاب الفضائل الذى نحن بصدد نشره هو نفس الكتاب الثالث أى الأربعون فى مناقب النبى الأمين و وصيه أمير المؤمنين، و الذى نقل عنه كثيراً أبو جعفر ابن شهر آشوب فى كتابه «مناقب آل أبى طالب».

غير أنّ العلامة الأمينى ذهب إلى خلاف ذلك، و قال: نحن راجعنا فى الأحاديث المنقوله عنه فى فضائل أمير المؤمنين عليه السلام كتاب مناقبه الدائر السائر فما وجدناها فيها، فاحتمال اتحاد الكتابين فى غير محلّه.

أقول: إنّ اتحاد كتاب المناقب مع الأربعين من الوهن بمكان، لأنّ عدد روايات المناقب تزيد على الأربعين، و لكن هناك احتمال آخر و هو أنّ كتاب «المناقب» المطبوع كان أوسع ممّا بأيدينا، و كان الكتاب موسوعه كبيره تشمل فضائل النبى، و وصيّيه و آله، و إنّما بقى فى أيدينا هذا المقدار الموجود، و يؤيد ذلك أمران:

الأوّل: إنّ المؤلف يقول فى الفصل الثانى من كتابه عند سرد نسب على بن أبى طالب: «و قد ذكرنا نسب عبد المطلب فى باب فضائل النبى» مع أنّه لم يذكر قبل هذا الفصل شيئاً من نسب عبد المطلب كما لم يذكر فيه فضائل النبى فكيف يحيل إليه؟

الثانى: إنّ النسخه المخطوطه فى مكتبه وزيرى فى مدينه يزد، تشتمل على قسم من فضائل النبى.

و هذان الأمران يعربان عن أنّ الكتاب كان أوسع من الموجود بين أيدينا، و على هذا فإماطه اللثام عن وجه الحقيقة بحاجه ماسه إلى التتبع فى المكتبات العامه فى العالم و جمع كل ما يرجع إلى المؤلف فى باب الفضائل حتى يتبين الحق، و لعلّ الله يقبض بعض أصحاب الهمم العاليه للقيام بهذه المهمه و يسدى إلى الأمه خدمه جليله فى سبيل إشاعه فضائل النبى و آله الطاهرين.

٣. قد طبع الكتاب على الحجر لأول مره بصوره غير مرغوبه، و كان المترقب من الطبعه الثانيه، التى قوبلت مع نسخ صحيحه مخطوطه و التى طبعت على الحروف، أن تكون مصححه غير مغلوطة، و لكن يا للأسف لم تكن الطبعه الثانيه بأصح من الطبعه الأولى لو لم نقل أنّ الأمر كان على العكس، و المزيه التى نالتها الطبعه الثانيه هى اشتغالها على مقدمه مبسوطه حول كتب المناقب فى الإسلام، و ترجمه مفصّله عن المؤلف، و أمّا الاهتمام بالمتن و تطبيق نصوصه على النسخ و المراجعه إلى المصادر الحديثيه فلم يظهر لنا منه شىء. و لعلّ الملابسات و الظروف الحرجه يوم ذاك فى النجف الأشرف لم تسمح للسيد الخراسان بذلك، و لأجل ذلك أصبحت الطبعه الثانيه كالطبعه الأولى مشتمله على سقطات كثيره.

جعفر السبحانى

قم- مؤسسه سيد الشهداء عليه السلام

يوم العشرين من صفر المظفر سنه ١٤١٠هـ.ق

ص: ١٩٤

إشارة

نظره عامه فى حديث

لا تجتمع أمتى على الضلالة

دليل حجبه الإجماع عند أهل السنه

استدل الأصوليون من أهل السنه على حجبه الإجماع بما هو هو، بأمر نذكر منها أمرين:

الأمر الأول: قوله سبحانه: «وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصِِّلِهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا» ١ حيث إن الآية توجب اتباع سبيل المؤمنين، فإذا أجمع المؤمنون على حكم، فهو سبيلهم، فيجب اتباعه.

يلاحظ عليه بوجهين:

أولاً: أن الآية بمنطوقها و مفهومها تقسم الأمة إلى قسمين:

أ. من يشاقق الرسول و يخالفه و يعاديه من بعد ما تبين له الهدى و ظهر له

الحقّ والإسلام وقامت له الحجّة على نبوته ورسالته، ويتبع طريقاً غير سبيل المؤمنين (سبيلهم هو الإيمان به ونصرته و مؤازرته) فجزاؤه أنّه سبحانه يكله إلى من تولّى له و أكل عليه من الأوثان و الأصنام و يلزمه بدخول جهنم عقوبه له.

ب. من يطيع الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و لا يعاديه من بعد ما تبين له اعلام الحق و يتبع سبيل المؤمنين فى الإيمان بالنبي و مؤازرته فى المواقف، فمصيره إلى الجنّة، و أين هذا من حجّيه اتفاق فقهاء الأمّة على حكم شرعى؟!!

و المستدلّ أخذ جزءاً من الآية و هو قوله: «وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ» و قطع النظر عن أنّه عطف على قوله: «وَمَنْ يُشَاقِقِ» و الآية تندّد بالمعاندة و التابع لغير سبيل المؤمنين، و تمدح مقابله و ليس المراد من سبيل المؤمنين فى هذه الآية شىء سوى الإيمان بالنبي و مناصرته و مؤازرته. و أين هو من حجّيه اتفاق العلماء على حكم شرعى لعامه الناس؟!!

ثانياً: أنّ الآية لا تشير إلى حجّيه إجماع الأمّة بعد عصر الرسول و إنّما توجب تبعيه سبيل المؤمنين فى عصره، لأجل أنّ سبيلهم فى ذلك العصر هو سبيل نفس الرسول، فكان الرسول و المؤمنون فى جانب و المنافقون و المشركون فى جانب آخر، و من المعلوم أنّ تبعيه غير ذلك السبيل ضلال و وبال و تبعيه مقابله هدايه و سعادته، و أين ذلك من كون نفس سبيل المؤمنين مجزّداً عن الرسول حجّيه، و الآية ناظره إلى عصره و هى بحكم القضيّه الخارجيه بقريته قوله: «وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ» لا الحقيقيه.

الأمر الثانى: ما روى عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «انّ أمتى لا تجتمع على ضلاله» رواه أصحاب السنن و لكن فى طرق الجميع ضعف صرح به المحقّقون.

قال الشيخ العراقى (1) فى تخريج أحاديث البيضاوى: جاء الحديث بطرق فى كلها نظر.

ص: ١٩٦

(١ - ١). لاحظ تعليقه محققى سنن ابن ماجه: ١٣٠٣/٢.

و بما أنّ الروايه تعد مصدراً في باب الإمامه لخلافه الخلفاء كما عد مصدراً بعد الإجماع من مصادر التشريع، نبحت عنها من كلتا الجهتين سنداً و دلاله و إن طال بنا المقام.

أسانيد الحديث

أشاره

قد روى هذا الحديث في السنن و المسانيد، و غيرهما من كتب الحديث، و الأصول، و الاستدلال فرع ثبوت الحديث سنداً، و دلاله، فلنتطرق إلى الحديث من كلا الجانبين.

١. سنن ابن ماجه

روى الحديث الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧-٢٧٥هـ) في «سننه»، قال: حدثنا العباس بن عثمان الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا معان بن رفاعه السلامي، حدثني أبو خلف الأعمى، قال: سمعت أنس ابن مالك، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَيَّ ضَلَالَةً، فَإِذَا رَأَيْتُمْ اخْتِلَافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ».

و ينقل محقق الكتاب عن كتاب «مجمع الزوائد» للهيثمي: في إسناده أبو خلف الأعمى، و اسمه حازم بن عطا، و هو ضعيف. و قد جاء الحديث بطرق في كلّها نظر. قاله شيخنا العراقي في تخريج أحاديث البيضاوي. (١)

أقول: أبو خلف الأعمى، قال عنه الذهبي: يروى عن أنس بن مالك، كذّبه يحيى بن معين، و قال أبو حاتم: منكر الحديث. (٢)

ص: ١٩٧

١- ١). ابن ماجه: السنن: ١٣٠٣/٢، الحديث ٣٩٥٠.

٢- ٢). ميزان الاعتدال: ٥٢١/٤، برقم ١٠١٥٦.

و أما السواد الأعظم فى متن الروايه هو الجماعه الكثيره، و إنما أمر بالتمسك بهم باعتبار أن اتفاقهم أقرب إلى الإجماع.

قال السيوطى فى تفسير السواد الأعظم: أى جماعه الناس و معظمهم.

و قد استعمل الإمام على عليه السلام هذا المعنى فى بعض خطبه، و قال:

«ألزموا السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعه، و إياكم و الفرقه، فإن الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب، ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه و لو كان تحت عمامتى هذه». (١)

٢. سنن الترمذى

روى الترمذى (٢٠٩-٢٩٧هـ) فى «سننه»، قال: حدثنا أبو بكر بن نافع البصرى، حدثنى المعتمر بن سليمان، حدثنا سليمان المدنى، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، قال: «إن الله لا يجمع أمتى، أو قال: أمته محمد صلى الله عليه و آله و سلم على ضلاله، و يد الله مع الجماعه، و من شدَّ شدَّ إلى النار».

قال أبو عيسى (الترمذى): هذا حديث غريب من هذا الوجه، و سليمان المدنى هو عندى سليمان بن سفيان، و قد روى عنه أبو داود الطيالسى، و أبو عامر العقدى، و غير واحد من أهل العلم.

ثم أضاف و قال: و تفسير الجماعه عند أهل العلم، هم أهل الفقه و العلم و الحديث، قال: و سمعت الجارود بن معاذ، يقول: سمعت على بن الحسن، يقول: سألت عبد الله بن المبارك، من الجماعه؟ قال: أبو بكر و عمر، قيل له: قد مات أبو بكر و عمر؟ قال: فلان و فلان، قيل له: قد مات فلان و فلان؟ فقال عبد الله بن

ص: ١٩٨

١- ١). نهج البلاغه، [١] ط عبده، الخطبه برقم ١٢٣؛ و فى طبعه صبحى الصالح برقم ١٢٧.

المبارك: أبو حمزه السكري جماعه.

ثم أضاف: أبو حمزه، هو محمد بن ميمون، و كان شيخاً صالحاً، وإنما قال هذا في حياته عندنا. (١)

أقول: فيما ذكره تأمل واضح.

أولاً: إن سليمان بن سفيان المدني قد عزفه الذهبي قائلاً: قال ابن معين: ليس بشيء، و قال مره: ليس بثقه، و كذا قال النسائي.

و قال أبو حاتم، و الدارقطني: ضعيف، و ليس له في السنن و المسانيد غير حديثين. (٢)

ثانياً: كيف يفسر الأئمة بأهل الفقه و العلم و الحديث، مع أن الأئمة تشمل جميع من آمن برسالة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم؟!

و أعجب منه تفسير عبد الله بن المبارك بالخليفين أبي بكر و عمر، ثم تفسيره بفلان و فلان، و لم يعلم أنه ما ذا أراد منهما؟ و أشدَّ عجباً تطبيقه على أبي حمزه السكري، و هل هذا إلا الغلو؟!

و قد صار الحديث ذريعه لتصويب خلافة الخلفاء.

٣. سنن أبي داود

روى أبو داود (٢٠٢-٢٧٥هـ) قال: حدثنا محمد بن عوف الطائي، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثني أبي، قال ابن عوف: و قرأت في أصل إسماعيل، قال حدثني ضمضم عن شريح، عن أبي مالك -يعنى الأشعري- قال: قال

ص: ١٩٩

١- (١). الترمذي: السنن: ٤/٤٦٦ برقم ٢١٦٧، كتاب الفتن.

٢- (٢). ميزان الاعتدال: ٢/٢٠٩، الحديث ٣٤٦٩.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ اللَّهَ أَجَارَكُمْ مِنْ ثَلَاثٍ خِلَالَ: أَنْ لَا يَدْعُوا عَلَيْكُمْ نَبِيَكُمْ فَتَهْلِكُوا جَمِيعًا، وَأَنْ لَا يَظْهَرَ أَهْلَ الْبَاطِلِ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ، وَأَنْ لَا تَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلَالِهِ».

(١)

و في السند محمد بن عوف الطائي، ذكره الذهبي، قال: محمد بن عوف، عن سليمان بن عثمان، مجهول الحال. (٢)

و أيضاً فيه ضمضم، ذكره الذهبي، و قال: ضمضم بن زرعه عن شريح بن عبيد. وثقه يحيى بن معين، و ضعفه أبو حاتم، روى عنه جماعة. (٣)

و قد اتفقت السنن الثلاث على لفظ «ضلاله» دون لفظ خطأ.

٤. مسند أحمد بن حنبل

روى أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) في مسنده، قال: حدثنا أبو اليمان، حدثنا ابن عياش، عن البختری بن عبيد بن سليمان، عن أبيه، عن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: «اثنان خير من واحد، و ثلاثة خير من اثنين، و أربعة خير من ثلاثة، فعليكم بالجماعة، فإن الله عزّ و جلّ لن يجمع أمتي إلا على هدى».

(٤)

و في السند ابن عياش الحميري، قال عنه الذهبي: مجهول. (٥)

و في السند أيضاً البختری، و هو البختری بن عبيد، ذكره الذهبي، و قال: ضعفه أبو حاتم، و غيره تركه، فأما أبو حاتم فأنصف فيه، و أمّا أبو نعيم الحافظ

ص: ٢٠٠

١-١. سنن أبي داود: ٩٨/٤ برقم ٤٢٥٣. [١]

٢-٢. ميزان الاعتدال: ٦٧٦/٣ برقم ٨٠٣٠.

٣-٣. ميزان الاعتدال: ٣٣١/٢ برقم ٣٩٦٠.

٤-٤. مسند أحمد بن حنبل: ١٤٥/٥. [٢]

٥-٥. ميزان الاعتدال: ٥٩٤/٤ برقم ١٠٨٢١.

فقال: روى عن أبيه موضوعات.

وقال ابن عدى: روى عن أبيه قدر عشرين حديثاً عامتها مناكير، منها: اشربوا أعينكم الماء، ومنها: الأذنان من الرأس، ثم قال: وله عند ابن ماجه حديث عن أبيه عن أبي هريره: صلوا على أولادكم. (١)

ولعل الروايه منقوله بالمعنى، وقد عرفت اتفاق السنن الثلاث على لفظ «الضلاله» وعبر عنها ب: لن يجمع أمتي إلا على هدى.

٥. مستدرک الحاكم

روى الحاكم النيسابورى (٣٢١-٥٤٠٥)، فى مستدرکه على الصحيحين هذا الحديث، بمسانيد تشارك فى المعتمر بن سليمان قال:

فيما احتج به العلماء على أن الإجماع حجّه، حديث مختلف فيه على المعتمر ابن سليمان قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم الأصبى ببغداد، حدثنا جعفر بن محمد بن شاکر، حدثنا خالد بن يزيد القرنى، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يجمع الله هذه الأمة على الضلاله أبداً، وقال: يد الله على الجماعه، فاتبعوا السواد الأعظم، فإنه من شدّ شدّ فى النار». (٢)

قال الحاكم -بعد نقله للحديث بأسانيده السبعه: فقد استقر الخلاف فى إسناد هذا الحديث على المعتمر بن سليمان، وهو أحد أركان الحديث من سبعة أوجه، لا يسعنا أن نحكم أنّ كلّها محموله على الخطأ بحكم الصواب، لقول من

ص: ٢٠١

١-١. ميزان الاعتدال: ٢٩٩/١ برقم ١١٣٣.

٢-٢. المستدرک: ١١٥/١. [١]

قال عن المعتمر عن سليمان بن سفيان المدني، عن عبد الله بن دينار، ونحن إذا قلنا هذا القول، نسبنا الراوى إلى الجهالة فوهن به الحديث، ولكننا نقول: إنَّ المعتمر بن سليمان، أحد أئمة الحديث، وقد روى عنه هذا الحديث بأسانيد يصحّ بمثلها الحديث، فلا بدّ من أن يكون له أصل بأحد هذه الأسانيد، ثمَّ وجدنا للحديث شواهد من غير حديث المعتمر لا- ادّعى صحتها ولا- أحكم بتوهينها، بل يلزمنى ذكرها لإجماع أهل السنّة على هذه القاعده من قواعد الإسلام.

فمن روى عنه هذا الحديث من الصحابه: عبد الله بن عباس، ثمَّ ذكر حديث ابن عباس.

و أمّا معتمر الذى وقع فى سند الحديث، ذكره الذهبى، وقال: معتمر بن سليمان التيمى البصرى أحد الثقات الأعلام.

قال ابن خراش: صدوق يخطئ من حفظه، وإذا حدّث من كتابه فهو ثقّه.

قلت: هو ثقّه مطلقاً. ونقل ابن دحيه، عن ابن معين: ليس بحجّه. (١)

هذا ما لدى أهل السنّة إذا اقتصرنا من الحديث على صورته المسند منه، و أمّا نقله مرسلًا فقد تضافر نقله فى كتبهم و أرسلوه إرسالاً مسلماً.

١. رواه الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥هـ) فى «المستصفى»، قال: تضافرت الروايه عن رسول الله بألفاظ مختلفه مع اتفاق المعنى فى عصمه هذه الأئمّه من الخطأ. (٢)

٢. وقال فى «المنخول»: ومِمّا تمسّك به الأصوليون، قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا- تجتمع أمتى على ضلاله» و روى «على خطأ» ولا طريق إلى ردّه بكونه من أخبار الآحاد، فإنّ القواعد القطعيه يجوز إثباتها بها، وإن كانت مظنونّه.

ص: ٢٠٢

١-١. ميزان الاعتدال: ١٤٣/٤ برقم ٨٦٤٨.

٢-٢. المستصفى: ١١١/١. [١]

فإن قيل: فما المختار عندكم في إثبات الإجماع؟

قلنا: لا مطمع في مسلك عقلى إذ ليس فيه ما يدل عليه، و لم يشهد له من جهة السمع خبر متواتر و لا نص كتاب، و إثبات الإجماع بالإجماع تهافت، و القياس المظنون لا مجال له في القطعيات. (١)

يلاحظ على ما ذكره:

أولاً: أن الوارد في السنن و المسانيد هو لفظ «ضلاله» و لم نقف على لفظ «على خطأ» و على ذلك فالرواية ترجع إلى الأصول و العقائد التي تدور عليها الهدايه و الضلاله، لا المسائل الفقهيه التي لا يعدد المخالف للحكم الواقعي ضالاً، فالتمسك به في إثبات حجيه الإجماع كما ترى.

و ثانياً: وجود التناقض في كلامه حيث قال: «إن القواعد القطعيه يجوز إثباتها بأخبار الآحاد و إن كانت مظنونه» و هذا يناهض ما قاله أخيراً: «القياس المظنون لا مجال له في القطعيات».

وجه التناقض أن الخبر الواحد و القياس من حيث إفاده الظن سيان، فكيف تثبت القواعد القطعيه بالظن مستنداً إلى خبر الواحد، و لا يثبت بالقياس؟!!

و أعجب منه ثبوت القواعد القطعيه بالظن، مع أن النتيجة تابعه لأخس المقدمتين.

٣. و قال تاج الدين السبكي عبد الوهاب بن علي (المتوفى ٧٧١هـ) في كتابه «رفع الحاجب عن ابن الحاجب»، فإنه بعد ذكر طرق الحديث و رواته قال:

ص: ٢٠٣

١- ١). المنحول: ٣٠٥-٣٠٦، طبع دار الفكر.

أمّا الحديث فلا أشك أنّه اليوم غير متواتر، بل لا يصحّ، أعني لم يصح منه طريق على السبيل الذي يرتضيه جهابذه الحفاظ، و لكنى اعتقد صحّه القدر المشترك من كلّ طرقه، و الأغلب على الظن أنّه «عدم اجتماعها على الخطأ». و أقول: مع ذلك جاز أن يكون متواتراً في سالف الزمان ثمّ انقلب آحاداً. (١)

الحديث في كتب الشيعة

إشاره

أمّا الشيعة فلم تنقله مسنداً، إلاّ الصدوق في خصاله، و منه أخذ صاحب الاحتجاج و نقله فيه.

و روى أيضاً في رساله الإمام الهادي عليه السلام التي كتبها في الرد على أهل الجبر و التفويض، نقلها ابن شعبه الحراني في «تحف العقول»، مرسلًا لا مسنداً؛ و نقله أيضاً الأصوليون من الشيعة عند البحث في الإجماع، و إليك ما وقفنا على نصوصهم بصدد هذا الحديث:

١. خصال الصدوق

روى الصدوق (٣٠٦-٣٨١هـ) في «الخصال» قال: حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحسنى، قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن حفص الخنعمى، قال: حدثنا الحسن بن عبد الواحد، قال: حدثنى أحمد بن التغلبى (٢)، قال: حدثنى أحمد بن عبد الحميد، قال: حدثنى حفص بن منصور العطار، قال: حدثنا أبو سعيد الوراق، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه،

ص: ٢٠٤

١-١. رفع الحاجب عن ابن الحاجب، ورقه ١٧٦ ب المخطوط في الأزهر.

٢-٢. هو أحمد بن عبد الله بن ميمون التغلبى، قال ابن حجر: ثقّه زاهد.

عن جدّه، قال: «لَمَّا كان من أمر أبي بكر وبيعه الناس له، وفعلمهم بعليّ بن أبي طالب عليه السلام لم يزل أبو بكر يظهر له الانبساط، و يرى منه انقباضاً، فكبر ذلك على أبي بكر، فأحب لقاءه و استخراج ما عنده و المعذرة إليه لما اجتمع الناس عليه و تقليدهم إياه أمر الأمّة، و قله و رغبتة و زهده فيه.

أتاه في وقت غفله، و طلب منه الخلوه- ثمّ نقل بعض ما دار بينهما من الكلام- إلى أن قال: فقال له علي عليه السلام: «فما حملك عليه إذا لم ترغب فيه، و لا حرصت عليه، و لا وثقت بنفسك في القيام به، و بما يحتاج منك فيه؟».

فقال أبو بكر: حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «إنّ الله لا يجمع أمتي على ضلال» و لما رأيت اجتماعهم اتبعت حديث النبي صلى الله عليه و آله و سلم و أحلت أن يكون اجتماعهم على خلاف الهدى و أعطيتهم قود الإجابة، و لو علمت أنّ أحداً يتخلف لامتنعت.

فقال علي عليه السلام: «أمّا ما ذكرت من حديث النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «إنّ الله لا يجمع أمتي على ضلال» أفكنت من الأمّة أو لم أكن؟» قال: بلى، قال: «و كذلك العصابه الممتنعه عليك من سلمان و عمار و أبي ذر و المقداد و ابن عباده و من معه من الأنصار؟» قال: كلّ من الأمّة.

فقال علي عليه السلام: «فكيف تحتج بحديث النبي صلى الله عليه و آله و سلم و أمثال هؤلاء قد تخلفوا عنك، و ليس للأمّة فيهم طعن، و لا في صحبه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و نصيحتة منهم تقصير؟!». (1)

يلاحظ عليه: أنّ السند مشتمل على رجال مجهولين، أو مهملين، فلا يمكن الاحتجاج بهذا الحديث على صحّه ما ورد فيه.

أضف إلى ذلك أنّه من المحتمل أن يكون قبول الإمام للحديث من باب

ص: ٢٠٥

٢. تحف العقول لابن شعبه الحراني

إن الحسن بن علي بن الحسين بن شعبه الحراني من أعلام الشيعة في القرن الرابع الهجري، يروي عن أبي علي محمد بن همام، (المتوفى سنة ٥٣٣٦هـ) المعاصر للصدوق (المتوفى ٥٣٨١هـ)، أستاذ الشيخ المفيد (٣٣٦ - ٤١٣هـ) قد روى في كتابه القِيم «تحف العقول» رساله الإمام الهادي إلى الأهوازيين في الرد على أهل الجبر و التفويض، و جاء فيه ما نصّه: و قد اجتمعت الأمة قاطبه لا اختلاف بينهم أن القرآن حق لا - ريب فيه عند جميع أهل الفرق، و في حال اجتماعهم مقرون بتصديق الكتاب و تحقيقه، مصيبون، مهتدون، و ذلك بقول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «لا - تجتمع أمتي على ضلالة» فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حق، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً. (١)

و الرساله مرسله لم نجد لها سنداً، و نقلها الشيخ الطبرسي في «الاحتجاج» (٢) بلا - اسناد أيضاً، كما رواها المجلسي في «البحار» مرسلًا. (٣)

هذا ما يرجع إلى تلك الروايه في كتب الشيعة الحديثيه، و قد عرفت أن السند في «الخصال» مشتمل على مجاهيل و مهملين، و المرسل منها لا ينفع ما لم يحرز ثبوت الرساله إلى الإمام.

و أما غير الكتب الحديثيه فقد نقلها غير واحد منهم في كتبه، منهم:

أ. الشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠هـ) فقد نقل الحديث عند البحث عن حجيه الإجماع في نظر أهل السنّه، فقال: و استدلوا أيضاً على صحّه الإجماع بما

ص: ٢٠٦

١ - ١. تحف العقول: ٤٥٨، باب ما روى عن الإمام الهادي عليه السلام.

٢ - ٢. الاحتجاج: ٤٧٨/٢، رقم ٣٢٨.

٣ - ٣. البحار: ١٥/٤.

روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا تجتمع أمتي على خطأ» و بلفظ آخر: «لم يكن الله ليجمع أمتي على الخطأ» و بقوله: «كونوا مع الجماعة» و بقوله: «يد الله على الجماعة» و ما أشبه ذلك من الألفاظ.

ثم أجاب عن الاستدلال بهذه الأحاديث و قال:

و هذه الأخبار لا يصحُّ التعلُّقُ بها لأنَّها كلُّها أخبار آحاد لا توجب علماً، و هذه مسأله طريقها العلم.

و ليس لهم أن يقولوا إنَّ الأُمَّه قد تلقَّتها بالقبول و عملت بها.

لأنَّنا أوَّلاً: لا نسلم أنَّ الأُمَّه كلُّها تلقَّتها بالقبول.

و لو سلمنا ذلك لم يكن أيضاً فيها حجَّه، لأنَّ كلامنا في صحَّه الإجماع الذى لا يثبت إلا بعد ثبوت الخبر، و الخبر لا يصحُّ حتى يثبت أنَّهم لا يجمعون على خطأ.

إلى أن قال: و لو سلم من جميع ذلك، لجاز أن يحمل على طائفه من الأُمَّه، و هم الأئمه من آل محمد صلى الله عليه وآله و سلم، لأنَّ لفظ الأُمَّه لا يفيد الاستغراق على ما مضى القول فيه، و ذلك أولى من حيث دلَّت الدلاله على عصمتهم من القبائح.

و إن قالوا: يجب حملة على جميع الأُمَّه لفقد الدلاله على أنَّ المراد بعض الأُمَّه.

كان لغيرهم أن يقولوا: أنا أحمل الخبر على جميع الأُمَّه من لدن النبي إلى أن تقوم الساعة، حيث إنَّ لفظ الأُمَّه يشملهم و يتناولهم، فأين هو من أنَّ إجماع كلِّ عصر حجَّه؟

و أما الخبر الثانى من قوله: «لم يكن الله ليجمع أمتي على خطأ» فصحيح و لا يجيء من ذلك أنَّه لا يجمعون على خطأ.

و ليس لهم أن يقولوا: إنَّ هذا لا اختصاص فيه لأمتنا بذلك دون سائر

الأُمم، لأنَّ الله تعالى لا يجمع سائر الأُمم على الخطأ.

و ذلك أنَّه و إن كان الأمر على ما قالوه، فلا يمتنع أن يخص هؤلاء بالذكر و من عداهم يعلم أنَّ حالهم كحالهم بدليل آخر، و لذلك نظائر كثيره في القرآن و الأخبار.

على أنَّ هذا هو القول بدليل الخطاب الذي لا يعتمدُه أكثر من خالفنا. (١)

و قد عدَّ العلامة في فصل خصائص النبي من كتاب النكاح، أنَّ من خصائصه أنَّ أُمَّته لا تجتمع على الضلالة. (٢)

و قد نقل المحقق التستري أنَّ العلامة نقل الحديث في كتابيه «الألفين» و «المنتهى».

أقول: أمّا كتاب الألفين فقد ذكر أنَّ من فوائد الإمام عصمه الأُمه، قال ما نصه: امتناع الخطأ و الإمامه (٣) مع تمكن الإمام من المكلف... إلى آخر ما ذكره. (٤)

فهو يعدُّ الأُمَّه معصومه لأجل وجود الإمام من دون إشاره إلى الحديث.

و أمّا «المنتهى» فلم نعر فيه على الحديث.

و قال المحقق التستري: و أقوى ما ينبغي أن يُعتمد عليه من النقل حديث: «لا تجتمع أُمَّتى على الخطأ» و ما في معناه لاشتهاره و قوّه دلّالته.

و تعويل معظمهم و لا سيما أوائلهم عليه، و تلقّيه لهم له بالقبول لفظاً و معنى و ادعاء جماعه منهم تواتره معنى... إلى أن قال: حكى بعض المحدّثين من التحف مرسلًا عنه عليه السلام أنَّه قال أيضاً: «إنَّ الله قد احتج على العباد بأُمور ثلاثه: الكتاب، و السنّه، و ما أجمع عليه

ص: ٢٠٨

١-١. الطوسى: العده: ٦٢٥/٢-٦٢٦، [١] نقلناه بتلخيص، طبع عام ١٤١٧هـ.

٢-٢. التذكرة: ٥٦٨/٢، [٢] رقم الخصيصة ١٧٥.

٣-٣. كذا في النسخه المطبوعه في مؤسسه دار الهجره، و لعلّ الصحيح: (على الأُمَّه).

٤-٤. الألفين: ٢١١. [٣]

المسلمون»، وقد روى في هذا الباب أخبار آخر من طرقنا تقتضى حجّيه الإجماع الواقع على الحكم بنفسه، ووجوب العمل بخبر أجمع على العمل به أو على روايته مع قبوله كما تقتضى إمكان وقوع الإجماع و العلم به و هى أخبار شتى، إلى أن قال: مؤيده بما ورد في المنع من فراق الجماعة وغيره، و لتطلب جميعاً من كتاب المناهج، وفق الله سبحانه لإتمامه. (1)

هذا ما وقفنا عليه في كتب أصحابنا إلى أواخر القرن الثالث عشر.

نعم جاء ذكر هذا الحديث في الكتب الأصولية الاستدلالية لكلا الفريقين، و لا داعى للإطالة بالنقل عنها.

حصيلة البحث:

إنّ للقارئ أن يستنتج من هذا البحث الضافى حول الرواية الأمور التالية:

الأول: أنّ الرواية من أخبار الآحاد، لم تنقل بسند صحيح في كتب الفريقين، و قد عرفت وجه الضعف عند نقلها عن كتب الصحاح و المسانيد.

الثانى: أنّ المنقول مسنداً هو لفظ «الضلالة» لا لفظ «الخطأ»، أو «على غير هدى» كما فى مسند الإمام أحمد، و إنّما جاء الخطأ فى غير الكتب الحديثية.

الثالث: أنّ الحديث على فرض ثبوته يرجع إلى المسائل العقائدية التى عليها مدار الهداية و الضلالة، أو ما يرجع إلى صلاح الأمة من وحده الكلمه و الاجتناب عن التشتت فيما يمسّ وحده المسلمين.

و أما المسائل الفقهيّة فلا يوصف المصيب و المخطئ فيها بالهداية و الضلالة، كما لا يكون مصير الشاذ فيها مصير النار، أو نصيب الشيطان.

ص: ٢٠٩

(١ - ١). كشف القناع: ٦-٧، طبع عام ١٣١٦هـ. [١]

و على ذلك فالاستدلال به على حجيه الإجماع فى المسائل الفقهيّه غير تام.

الرابع: لو سلّمنا سعه دلالة الحديث فالمصون من الضلاله هو الأُمّة بما هي أُمّة، لا الفقهاء فقط، و لا أهل العلم، و لا أهل الحل و العقد، و على ذلك ينحصر مفاد الحديث بما اتفقت عليه جميع الأُمّة فى العقائد و الأصول.

الخامس: أنّ مصونيه الأُمّة كما يمكن أن يكون لكمال عقلها، يمكن أن يكون لوجود معصوم فيهم، و الروايه ساكنه عنه فلا يمكن أن يستدل بالروايه على أنّ الأُمّة مع قطع النظر عن المعصوم مصونه عن الخطأ، بل لما ثبت فى محلّه أنّ الزمان لا يخلو عن إمام معصوم تكون عصمه الأُمّة بعصمه الإمام.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اللّهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّه إمّا ظاهراً مشهوراً، و إمّا خائفاً مغموراً لئلاّ تبطل حجج الله و بيّناته». (١)

روى الكششى باسناده إلى إسماعيل بن جابر عن أبى عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يحمل هذا الدين فى كلّ قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين، و تحريف الغالين، و انتحال الجاهلين، كما ينفى الكبير (٢) خبث الحديد.» (٣)

تمّت الرسالة بيد الفقير إلى رحمة الله جعفر السبحانى ابن الفقيه

محمد حسين الخيابانى التبريزى، غفر الله له و لواليه

حرّرت فى ١٣ رجب المرجب ميلاد وليد الكعبه

على عليه الصلاه و السلام

من شهور عام ١٤١٨هـ

ص: ٢١٠

١-١. نهج البلاغه: [١] قسم الحكم برقم ١٤٧.

٢-٢. الكبير: جلد غليظ ذو حافات ينفخ فيه الحداد.

٣-٣. الكششى: الرجال: ١٠ برقم ٥، فصل فضل الروايه و الحديث.

أبو بصير

شخصيته و ثقافته

السُّنَّةُ الشَّرِيفَةُ هِيَ الْحِجَّةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي اسْتَأْثَرَتْ بِاهْتِمَامِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَ هِيَ وَحْيٌ بِمَعْنَاهَا لَا بِلَفْظِهَا، خِلَافًا لِلْقُرْآنِ فَهُوَ وَحْيٌ بِلَفْظِهِ وَ مَعْنَاهُ، وَقَدْ أَمَرَ سَبْحَانَهُ الْأَخْذَ بِكُلِّ مَا أَمَرَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أَوْ نَهَى عَنْهُ، وَقَالَ: «وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» . (١)

السُّنَّةُ هِيَ الْحَدُّ الْمَائِزُ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ، وَ الْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ لِرُؤَادِ الْحَقِّ وَ الْحَقِيقَةِ لَا يِعَادِلُهَا شَيْءٌ بَعْدَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

السُّنَّةُ هِيَ الْمَرْجِعُ لِبَيَانِ مَجْمَلَاتِ الْكِتَابِ وَ الْمَوْضُوحَةِ لِعُمُومَاتِهِ وَ مَطْلَقَاتِهِ، فَلَوْ تَرُكْتُ السُّنَّةُ وَ أُهْمِلْتُ عَلَى الْإِطْلَاقِ أَوْ اقْتَصَرْتُ عَلَى السُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ لَانْدَثَرَتِ الشَّرِيعَةُ وَ مُحِيتْ أَحْكَامُهَا.

السُّنَّةُ هِيَ فَصْلُ الْخُطَابِ وَ الْحِجَّةُ الْقَاطِعَةُ فِي مَقَامِ التَّشْرِيعِ وَ الْقَضَاءِ، وَ تَبْيِينُ شُرُوطِ الْعِبَادَاتِ وَ مَوَانِعِهَا، فَلَا غِنَى لِمُسْلِمٍ عَنِ السُّنَّةِ، كَمَا لَا غِنَى لَهُ عَنِ الْكِتَابِ.

وَ هُنَاكَ كَلِمَاتٌ مَأْثُورَةٌ عَنْ أُمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَكْشِفُ بَوْضُوحَ عَنِ الْمَقَامِ

ص: ٢١١

السامى الذى حازته السنّه نقتطف منها ما يلى:

١. قال الإمام الباقر عليه السلام: «كلّ من تعدّى السنّه رد إلى السنّه».

٢. و قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما من شىء إلّا فيه كتاب أو سنّه».

٣. و قال عليه السلام أيضاً فى شأن السنّه: «فيها كل ما يحتاج الناس إليه، و ليس من قضيه إلّا فيها حتى أرش الخدش».

فقد دوّن حديث رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم الإمام على بن أبى طالب عليه السلام بإملاء منه صلى الله عليه وآله و سلم و قد سمعها من فلق فمه. و هى المسمّاه ب«الجامعه».

ارتحل رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و لبّى دعوه ربّه و خلف بين الأئمّه كنزىن ثمينين، و قال: «إنّى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، و عترتى» فالعتره هم حفاظ السنّه و ميّنيها عبر القرون و الأجيال، و قد تلقّاه منهم الأمثل فالأمثل من تلاميذهم و خريجي مدرستهم ما لا يحصيه إلّا الله سبحانه، و قد ذكر الحسن بن الوشاء أنّه أدرك فى مسجد الكوفه تسعمائه شيخ، كلّ يقول: حدّثنى جعفر بن محمد. (١)

و ممّن تخرّج على يدى الإمامين الهمامين الباقر و الصادق عليهما السلام هو الراويه المعروف ب«أبى بصير» و قد وقع فى أسناد كثير من الروايات تناهز ٢٢٧٥ مورداً أو أكثر، و هو يروى عن أبى جعفر الباقر عليه السلام و أبى عبد الله الصادق عليه السلام و أبى الحسن موسى الكاظم عليه السلام.

فإذا كانت هذه مكانه الرجل و منزلته، فيجب أن نقف على أحواله من خلال كلمات الرجالين و الروايات المأثوره عنه.

فنقول:

أدعى أنّ أبى بصير كنيه مشتركه بين رجال خمسّه:

أشاره

١. يحيى بن أبى القاسم الأسدى.

ص: ٢١٢

٢. ليث بن البختری المرادی الكوفی.

٣. يوسف بن الحارث.

٤. عبد الله بن محمد الأسدي.

٥. حماد بن عبد الله بن أسيد الهروي.

فلو صحَّ اشتراك لفظ «أبي بصير» بين هؤلاء لصار مشتركاً بين الثقة وغيره، وعندئذ تسقط أكثر الروايات المرويّة عنه بلفظه «أبي بصير» من دون أن يقترن بلقب يميّزه عن غيره. فإنّ الأوّلين ثقتان بلا- كلام دون الثلاثة الأخيره، فلم تحرز وثاقتهم غير أنّ بعض المحقّقين ذهب إلى انصراف لفظه «أبي بصير» عند إطلاقه إلى الأوّلين فحسب، وعلی هذا كلّما أُطلق أبو بصير، فإنّ تبين المراد فهو، وإلا فالأمر يتردّد بين يحيى بن أبي القاسم الثقة، وليث بن البختری المرادی الثقة، فلا أثر للتردّد. (١)

و لأجل تحقيق هذا الكلام، نستعرض كلمات الرجالين في هذا الصدد.

١. أبو بصير يوسف بن الحارث

لقد عدّ الشيخ الطوسي يوسف بن الحارث من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام وكناه بأبي بصير، وقال: يوسف بن الحارث، بترى يكنى أبا بصير. (٢)

وقد تبعه العلامة في «الخلاصه» (٣)، و ابن داود في رجاله (٤)، و الميرزا الاسترآبادي في «منهج المقال». (٥)

ص: ٢١٣

١-١. معجم رجال الحديث: ٤٧/٢١ برقم ١٣٩٥٩. [١]

٢-٢. رجال الشيخ: ١٥٠، أصحاب الباقر عليه السلام، باب الياء برقم ١٧.

٣-٣. الخلاصه: ٢٦٥ برقم ١.

٤-٤. رجال ابن داود: ٢٨٥ برقم ٥٥٧.

٥-٥. منهج المقال: ٣٨٤، [٢] قسم الكنى.

و الظاهر أنّ مصدر الشيخ هو رجال الكشي، فإنه ذكره في عداد البتريين، وقال: و قيس بن الربيع بترى، كانت له محبه، فإما مسعده بن صدقه بترى-إلى أن قال: و أبو نصر بن يوسف بن الحارث بترى.

و على هذا فقد تطرق التحريف إلى كلام الشيخ من وجهين:

أ: تصحيف «أبي نصر» ب «أبي بصير».

ب: اسقاط لفظه «ابن» على وجه صار «أبو بصير» كنيه يوسف، مع أنه في كلام الكشي كنيه ابن يوسف.

و أول من تنبه إلى ذلك هو المحقق القهبائي، و اعتذر عن وقوع التحريف في كلام الشيخ بأنّ عجلته الديثيه صارت سبباً لهذا التحريف، ثمّ قال: و على هذا التحريف اشتهر عند الطائفة ضعف حديث أبي بصير، لاعتقادهم أنّ أبا بصير مشترك بين أربعة، منهم هذا البتري، فاشترك الحديث بينه و بين غيره. (١)

و قال أيضاً في ترجمه محمد بن إسحاق بن يسار المدني الذي جاء في ترجمته ذكر أبو نصر بن يوسف بن الحارث البتري: «هكذا في نسخ هذا الكتاب (رجال الكشي) و هي متعدده عندنا، و اشتبه على الشيخ قدس سره في أصحاب الباقر عليه السلام و تبعه غيره، مثل العلامه في الخلاصه، و ابن داود في رجاله، و غيرهما، فقرأوا هكذا: أبو بصير يوسف بن الحارث بترى، فصار حينئذ أبو بصير في مرتبه من يروى عن الإمام الصادق عليه السلام، و هذا خلاف الواقع». (٢)

و احتمال تطرّق الاشتباه إلى نسخه الكشي بعيد جداً، و قد قام بتصحيحه المحقق الشيخ حسن المصطفوي بعرضها على سبع نسخ مصححه و غير مصححه

ص: ٢١٤

١-١. مجمع الرجال: ٢٧٩/٦، قسم التعليقه.

٢-٢. مجمع الرجال: ١٤٩/٥، قسم التعليقه بتصريف يسير.

و التي يرجع تاريخ كتابه بعضها إلى سنة ٥٧٧هـ. (١)

و بذلك تبين أنّ ما يظهر من الشيخ و غيره من كون يوسف بن الحارث من المكّنين بأبي بصير، ممّا لا وجه له.

٢. أبو بصير عبد الله بن محمد الأسدي

و ممّن كُنّي بأبي بصير من الرواه هو عبد الله بن محمد الأسدي، و هذا ما نراه في عنوان رجال الكشي، بهذه الصورة: في أبي بصير عبد الله بن محمد الأسدي.

طاهر بن عيسى، قال: حدثني جعفر بن أحمد الشجاعى، عن محمد بن الحسين، عن أحمد بن الحسن الميثمى، عن عبد الله بن وضاح، عن أبي بصير، سألت أبا عبد الله عليه السلام عن مسأله في القرآن... (٢)

هذا و لكنّ في صحته نظراً.

أولاً: أنّ من المحتمل كون العنوان راجعاً إلى التّساخ لا إلى المؤلف أى الكشي.

ثانياً: لو كان العنوان من المؤلف نفسه، فقد اشتبه الأمر على الكشي، لأنّ المراد من أبي بصير في السند هو يحيى بن أبي القاسم، لا عبد الله بن محمد الأسدي، و ذلك لأنّ عبد الله بن وضاح ممّن يروى عن يحيى بن أبي القاسم كثيراً، بشهاده قول النجاشى: عبد الله بن وضاح، أبو محمد، كوفى، ثقة، من الموالى صاحبّ أبا بصير يحيى بن القاسم كثيراً و عرف به، له كتب يعرف منها: كتاب الصلاة، أكثره عن أبي بصير. (٣)

ص: ٢١٥

١-١. رجال الكشي: ص ٢٠، [١] قسم التعليقه.

٢-٢. رجال الكشي: ١٧٤ برقم ٢٩٩.

٣-٣. رجال النجاشى: ١٠/٢ برقم ٥٥٨.

فالعنوان لا ينطبق على السند الذى نقل بعده.

و يؤيد ذلك ما رواه على بن إبراهيم فى تفسيره فى آخر سورة الكهف عن جماعه، منهم: الحسين بن أبى العلاء، و عبد الله بن وضاح، و شعيب العرقوفى، جميعاً عن أبى بصير، عن مولانا أبى عبد الله عليه السلام. (١)

فإنّ شعبياً العرقوفى ابن أخت أبى بصير يحيى بن أبى القاسم، كما ذكره النجاشى. (٢)

و يؤيده أيضاً كون الحسين بن أبى العلاء فى تلك الجماعه، فإنّ الشيخ يروى مناسك الحجّ لأبى بصير عن طريقه.

قال فى الفهرست: يحيى بن القاسم يكنى أبا بصير، له مناسك الحجّ، رواه على بن أبى حمزه، و الحسين بن أبى العلاء. (٣)

و على هذا فلم نجد دليلاً على إطلاق أبى بصير على عبد الله بن محمد الأسدى غير وجود لفظ «أبى بصير» فى العنوان فقط.

نعم كناه الشيخ الطوسى بأبى بصير، و قال: «عبد الله بن محمد الأسدى» كوفى، يكنى أبا بصير. (٤)

و لعلّ الشيخ تبع ما وجدته من العنوان فى رجال الكشى، فكناه به.

ثم إنّ عبد الله بن محمد الأسدى غير عبد الله بن محمد الحجاج الذى يصفه النجاشى، بقوله: عبد الله بن محمد الأسدى، مولاهم، كوفى، الحجاج، المزخرف «أبو محمد»، و قيل: إنّه من موالى بنى تميم، ثقّه ثقّه، ثبت، له كتاب يرويه عدّه من

ص: ٢١٤

١-١. تفسير القمى: ٤٧/٢. [١]

٢-٢. رجال النجاشى: ٤٣٥/١ برقم ٥١٨.

٣-٣. الفهرست: ١٧٨ برقم ٧٧٦. [٢]

٤-٤. رجال الشيخ ١٢٩، أصحاب الإمام الباقر عليه السلام برقم ٢٦. [٣]

أصحابنا. (١)

و عدّه البرقى من أصحاب الرضا عليه السلام، قائلًا: عبد الله بن محمد الحَجَّال أخو عبد الله، و من ولده أحمد بن عبد الله الكرخى. (٢)

كما عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، و قال: عبد الله بن محمد الحَجَّال، مولى «بنى تيم الله» ثقه. (٣)
فأين الحَجَّال من الأسدى الذى هو من أصحاب الباقرين عليهما السلام.

و بذلك ظهر أمران:

الأول: عدم صحّته تكيه عبد الله بن محمد الأسدى بأبى بصير.

الثانى: عدم ثبوت وثاقه عبد الله بن محمد الأسدى، و أمّا الموثق فى كلام النجاشى و الشيخ، فهو الحَجَّال من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام .

٣. أبو بصير حماد بن عبيد الله بن أسيد الهروى

(٤)

و الأصل فى وصفه ب«أبى بصير» ما نقله الكشى فى ترجمه يونس بن عبد الرحمن، قال: روى عن أبى بصير حماد بن عبيد الله بن أسيد الهروى، عن داود بن القاسم، أنّ أباً جعفر الجعفرى، قال: أدخلت كتاب يوم و ليله الذى ألفه يونس ابن عبد الرحمن على أبى الحسن العسكرى عليه السلام فنظر فيه و تصفّحه كلّ ثمّ قال: «هذا دينى و دين آبائى و هو الحقّ كلّ». (٥)

ص: ٢١٧

١- (١). رجال النجاشى: ٣٠/٢ برقم ٥٩٣.

٢- (٢). رجال البرقى: ٥٥.

٣- (٣). رجال الشيخ: باب أصحاب الرضا، باب العين، برقم ١٨. و قد جاءت لفظه: «مولى بنى تيم الله» فى رجال البرقى فى موارد لاحظ ص ٥٤.

٤- (٤). من النسخه المصحّحه المحقّقه فى النسخه القديمه «عبد الله».

٥- (٥). رجال الكشى: ٤٨٤ برقم ٩١٥.

و الظاهر تطرّق التصحيف إلى العبارة، فإنّ هذه الفقره من متمّات الجمل السابقه، و إليك نصها:

«سمعت الفضل يقول: ما نشأ في الإسلام رجل من سائر الناس كان أفقه من سلمان الفارسي و لا نشأ رجل بعده أفقه من يونس بن عبد الرحمن رحمه الله [روى عن أبي بصير]. و أمّا ما بعده، أعنى: حماد بن عبيد الله بن أسيد الهروي، عن داود بن القاسم إلى أبي جعفر الجعفرى، قال:

أدخلت كتاب يوم و ليله...» فهو جمله مستقله لا صلّه لها بما سبق، و إنّما تطرّق الخطأ من قبل النسخ حيث جعلوا قوله: «روى أبو بصير» مقطوعاً عمّا قبله و راجعاً إلى ما بعده.

مضافاً إلى أنّ في بعض النسخ «أبو نصر» مكان أبو بصير، و على فرض الصحه فهو من مشايخ الكشى، الذى كان من علماء النصف الأوّل من القرن الرابع، و لا صلّه له بمن يروى عن الإمامين مباشره و بلا واسطه.

إلى هنا تبين أنّه لم يثبت كون أبو بصير كنيه أحد من الرواه غير: يحيى بن أبي القاسم، و ليث البخترى، و بما أنّ الرجالين اتفقوا على توثيقهما، فإذا صح السند إليه يحكم عليه بالصحّه سواء علمنا أنّ المراد من هو أم لم نعلم.

إنّ الكتاب المائل بين يديك هو مسند أبو بصير المشترك بين شخصين ثقتين، فيلزم علينا تسليط المزيد من الأضواء على ترجمتهما و بيان شيء من أقوال الرجالين في حقّهما، و الإشارة إلى من تخرّج عليهما فى الحديث.

١.

٤. أبو بصير: يحيى بن أبي القاسم الأسدى

إشارة

عرّفه الرجاليون بالوثاقه تماماً، قال النجاشى: يحيى بن القاسم أبو بصير

ص: ٢١٨

الأسدي، وقيل: أبو محمد، ثقته، وجهه، روى عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام، وقيل: يحيى بن أبي القاسم، واسم أبي القاسم إسحاق، و روى عن أبي الحسن موسى عليه السلام، له كتاب يوم و ليله، أخبرنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا أحمد بن محمد ابن سعيد، قال: حدثنا يحيى بن زكريا بن شيبان، قال: حدثنا الحسن بن علي بن أبي حمزه، عن أبي بصير بكتابه، و مات أبو بصير سنة خمسين و مائه. (١)

و عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قائلًا: يحيى بن القاسم أبو محمد، يعرف بأبي بصير الأسدي مولاهم، كوفي، تابعي، مات سنة خمسين و مائه بعد أبي عبد الله عليه السلام. (٢)

و قال في الفهرست: يحيى بن القاسم، يُكنى أبا بصير، له كتاب مناسك الحجّ، رواه علي بن أبي حمزه، و الحسين بن أبي العلاء، عنه. (٣)

و قال العقيقي: يحيى بن القاسم الأسدي، مولاهم، ولد مكفوفاً رأى الدنيا مرتين، مسح أبو عبد الله عليه السلام على عينيه، و قال أنظر ما ترى، قال: أرى كؤّه في البيت و قد أرايتها أبوك من قبلك. (٤)

و عدّه الكشي من أصحاب الإجماع، و قال: اجتمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر عليه السلام و أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، و انقادوا لهم بالفقه، فقالوا: أفقه الأولين سته: زراره، و معروف بن خربوذ، و بريد، و أبو بصير الأسدي، و الفضيل بن يسار، و محمد بن مسلم الطائفي، قالوا: أفقه الستة زراره، و قال بعضهم: مكان أبي بصير الأسدي: أبو بصير المرادي، و هو ليث بن

ص: ٢١٩

١-١. رجال النجاشي: ٤١١/٢، برقم ١١٨٨.

٢-٢. رجال الطوسي: ٣٣٣، أصحاب الصادق عليه السلام، باب الياء، برقم ٩.

٣-٣. الفهرست: ٣٦٢، برقم ٧٨٧. [١]

٤-٤. الخلاصه: ٢٦٤، القسم الثاني برقم ١٦٨٧.

فقد تبين من ذلك منزله الرجل و مكانته و هو ممن اتفقت العصابة على تصديقه.

غير ان هناك إبهامات تحوم حول شخصيته، و هي:

الأول: هل اسم والده: القاسم أو أبو القاسم؟

قد وقفت على أن الشيخ في الرجال و الفهرست و هكذا العقيقي، عبّروا عنه بالقاسم، و هكذا النجاشي، غير أنه نقل قولاً بأن كنيه أبيه أبو القاسم و اسمه إسحاق. و الظاهر هو صحه الثاني، لوجوه:

١. أن الشيخ سمّاه بأبي القاسم عند ذكره في أصحاب الإمام الباقر عليه السلام قال: يحيى بن أبي القاسم، يكتنى أبا بصير، مكفوف، و اسم أبي القاسم: إسحاق.

٢. و عدّه الشيخ المفيد من أصحاب أبي جعفر عليه السلام قائلاً: و أبو بصير يحيى ابن أبي القاسم، مكفوف، مولى لبنى أسد، و اسم أبي القاسم إسحاق، و أبو بصير كان يكتنى بأبي محمد. (٢)

٣. و قال الكشي في ترجمه ليث بن البخترى: محمد بن مسعود (العياشي) قال: سألت علي بن الحسن بن فضال عن أبي بصير، قال: كان اسمه يحيى بن أبي القاسم فقال: أبو بصير، كان يكتنى أبا محمد، و كان مولى لبنى أسد. (٣)

٤. و قد ورد في اسناد الفقيه يحيى بن أبي القاسم، روى الصدوق بسنده

ص: ٢٢٠

١- (١). رجال الكشي: ٢٠٦. [١]

٢- (٢). الاختصاص: ٨٣.

٣- (٣). رجال الكشي: ١٧٣ برقم ٢٩٦.

الصحيح، عن أبان الأحمري، عن أبي بصير يحيى بن أبي القاسم الأسدي، عن أبي جعفر عليه السلام. (١)

٥. وروى بسنده الصحيح عن الحسن بن علي بن أبي حمزه، عن أبيه، عن يحيى بن أبي القاسم، عن جعفر بن محمد عليه السلام.

(٢)

و هذه الوجوه تثبت ان اسم أبيه إسحاق، وكنيته أبو القاسم، فهو يحيى بن أبي القاسم لا يحيى بن القاسم.

٦. و قد عبر عنه البرقي في رجاله، بقوله: أبو بصير يحيى بن أبي القاسم الأسدي. (٣)

الثاني: هل يحيى بن أبي القاسم هو يحيى الحذاء أو غيره؟

قد وقفت على منزله أبي بصير عند الأصحاب و أئمة الحديث، و ربما يحكم على حديثه بالضعف بتصور أنه هو يحيى بن أبي القاسم الحذاء الذي عدّه الشيخ من أصحاب الكاظم، و قال: يحيى بن القاسم الحذاء واقفي. (٤)

و قال الكشي: حمدويه ذكر عن بعض أشياخه يحيى بن القاسم الحذاء الأزدي، واقفي.

و لأجل ذلك نرى أنّ الشهيد الثاني يذكر بأنّ أبا بصير الذي روى عن

ص: ٢٢١

١-١. الفقيه: ٤، باب ما يجب من إحياء القصاص، الحديث ٢٢١.

٢-٢. الفقيه: ٤، باب الوصيه من لدن آدم، الحديث ٤٥٧.

٣-٣. رجال البرقي: ١١. نعم ورد بعد الجملة التي أشرنا إليها قوله: و اسم أبي القاسم: يحيى بن القاسم، و لعلّه من تصحيف النسخ، و لعلّ الصحيح اسم أبي القاسم إسحاق ثمّ ابتدأ بترجمه شخص آخر، و هو يحيى بن القاسم، و لا صلة له بأبي بصير المتقدم عليه.

٤-٤. رجال الشيخ: ٣٤٦، أصحاب الكاظم عليه السلام، باب الياء، برقم ١٦.

الصادق عليه السلام مشترك بين اثنين: ليث بن البختری المرادی، و هو المشهور بالثقه، و ليث بن القاسم الأسدى و هو واقفى، ضعيف، مخلط. (١)

و لكن الحقّ تعدّدهما، و ذلك للوجه التاليه:

الأول: ما يظهر من عباره الكشى أنّهما متعدّدان حيث قال فى عنوان بحثه.

(فى يحيى بن أبى القاسم أبى بصير و يحيى بن القاسم الحذاء) ثمّ ذكر الأحاديث. (٢)

فإنّ مقتضى سياق الكلام تعدّد المعنون، لظهور العطف فى المغايره أولاً، و تكنيه الأول بأبى بصير دون الآخر ثانياً، و تخصيص الروايه التى نقلها عن حمدويه بالحذاء، حيث قال: حمدويه ذكره عن بعض أشياخه: يحيى بن القاسم الحذاء الأزدي، واقفى ثالثاً، و تقييد الثانى بالحذاء دون الأول رابعاً.

كلّ ذلك يشعر بتعدّد المعنوين.

الثانى: كلام الشيخ فى رجاله، فقد جاء فيه:

يحيى بن القاسم الحذاء، واقفى.

يوسف بن يعقوب، واقفى.

يحيى بن أبى القاسم، يكتنى أبا بصير. (٣)

فإنّ الفصل بينهما بأجنبى، أى يوسف بن يعقوب دليل التعدّد، مضافاً إلى تكنيه الثانى بأبى بصير دون الأول.

الثالث: إنّ أبا بصير مات سنه خمسين و مائه، و الوقف إنّما حصل بعد زمان

ص: ٢٢٢

١-١. المسالك: ٢/٤١٣. [١]

٢-٢. رجال الكشى: ٤٧٤، برقم ٩٠١.

٣-٣. رجال الشيخ: ٣٤٦ أصحاب الكاظم عليه السلام، برقم ١٨، ١٧، ١٦.

وفاه الإمام موسى الكاظم عليه السلام وقد استشهد عليه السلام سنة ١٨٣هـ، فعلى ذلك فلا يمكن أن يوصف من مات على رأس خمسين بعد المائة بالوقف.

كل ذلك يدعم بأنّ أبا بصير الأسدي غير يحيى بن القاسم الحدّاء.

الرابع: قد عرفت أنّ النجاشي عنون أبا بصير الأسدي و وصفه بأنّه ثقة وجيه، ولكن الشيخ وصف يحيى بن القاسم الحدّاء بالوقف، و من طبيعه الحال أنّ النجاشي كان واقفاً على حكم الشيخ بالوقف على الحدّاء، فلو كان المعنونان متحدّين كان على النجاشي أن يشير إلى نظر الشيخ، مع أنّه سكت عن ذلك.

هذه الوجوه و غيرها ممّا ذكرها المحقّق الكلباسي (المتوفّى ١٣٥٦هـ) في كتابه يثبت تعدد المعنوين و أنّ هذا لا يوجب الشك في صحه روايه أبي بصير الأسدي.

و هناك وجه آخر و هو أنّ أبا بصير أدرك عصر أبي جعفر الباقر عليه السلام الذي توفّى عام ١١٤هـ و أدرك عصر الإمام الصادق عليه السلام و بعده بسنتين، و توفّى سنة ١٥٠هـ.ق.

فلو كان يحيى بن القاسم الحدّاء هو نفس أبي بصير الأسدي كان على الشيخ أن يذكره في عداد أصحاب الإمام أبي جعفر الباقر و الصادق عليه السلام، و لا يخصّه بأصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.

نعم ذكر في أصحاب الإمام الباقر يحيى بن القاسم الحدّاء، و لكنّه لم يصفه بالوقف، و هو يعرب أنّ الحدّاء المطلق غير الحدّاء الموصوف بالوقف.

و قد حقّق الموضوع غايه التحقيق الشيخ الكلباسي (المتوفّى عام ١٣٥٦هـ) في كتابه حيث [\(١\)](#) ثبت تعدّد المعنوين و أنّ هذا لا يوجب الشك في صحه روايه أبي بصير الأسدي. و قد صدرنا في هذا البحث عن تحقيقاته الشافيه قدس سره

ص: ٢٢٣

مع المراجعته إلى المصادر و المدارك.

.٢

٥. أبو بصير ليث بن البختری

ليث بن البختری المرادی، أحد الثقات المختبين.

قال الكشي بعد عنوانه بالنحو التالي:

في أبي بصير ليث بن البختری المرادی. (١)

ثم نقل عن جميل بن دراج، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «بشّر المختبين بالجنة: بريد بن معاوية العجلي، و أبو بصير ليث بن البختری، و محمد بن مسلم، و زرارته؛ أربعه نجباء، أمناء الله على حلاله و حرامه، لو لا هؤلأء انقطعت آثار النبوه و اندرست». (٢)

و قال النجاشي: ليث بن البختری المرادی (أبو محمد) و قيل أبو بصير الأصغر، يروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام له كتاب، يرويه جماعه منهم: أبو جميله المفضل بن صالح. (٣)

و قال الشيخ في الفهرست: ليث المرادی، يكنى أبا بصير، يروى عن أبي عبد الله و أبي الحسن موسى عليهما السلام له كتاب. (٤)

و قال في أصحاب الإمام الباقر عليه السلام: ليث بن البختری المرادی، يكنى أبا

ص: ٢٢٤

١-١. انّ العنوان و إن كان خاصاً بليث بن البختری و لكن الروايات التي أوردها تحت ذلك العنوان تعمّه و أبو بصير الأسدي، و هذا يدلّ على سقوط الأسدي من العنوان.

٢-٢. رجال الكشي: ١٦٩، برقم ٢٨٥-٢٨٦.

٣-٣. رجال النجاشي: ١٩٣/٢ برقم ٨٧٤.

٤-٤. الفهرست: ١٣٠ برقم ٥٧٤. [١]

بصير، كوفى.

و قال فى أصحاب الإمام الصادق عليه السلام: ليث بن البخترى المرادى، أبو يحيى، و يكتنى أبا بصير، أسند عنه.

و ذكر فى أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام: ليث، يكتنى أبا بصير.

و قد ذكر الكشى روايات فى مدحه منها ما عرفت، و منها ما سنذكر.

قال: روى عن سليمان بن خالد الأقطع، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما أحد أحميا ذكرنا و أحاديث أبى عليه السلام، إلا زرارته، و أبو بصير ليث المرادى، و محمد بن مسلم، و بريد بن معاوية العجلي، و لو لا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا، هؤلاء حفاظ الدين و أمناء أبى عليه السلام على حلال الله و حرامه، و هم السابقون إلينا فى الدنيا و السابقون إلينا فى الآخرة. (١)

مميزات المحدثين: الأسدى و المرادى

قد عرفت أن أبا بصير المذكور فى الأسانيد كنيه مشتركه بين يحيى الأسدى و ليث المرادى و لا يتجاوز عنهما، و أن كلاً منهما ثقة بلا كلام، و لذلك لا فائده مهمه تنطوى على تميز أحدهما عن الآخر. و لكن ثمة قرائن يُستشف منها تعيين المراد منه فيما إذا أطلق لفظه أبى بصير.

فيما يميز به الأسدى عن المرادى

إشارة

إن الطريق الواضح لتعيين المراد من أبى بصير عند الإطلاق هو التعرف

ص: ٢٢٥

على الذى ينقل عنه الروايه،فانّ طائفه من الرواه تخرّجوا على يدي يحيى الأسدى،و أخرى على يدي ليث المرادى.و ها نحن نذكر أسماء من تخرّج على الأسدى:

١.على بن حمزه البطائنى

إنّ على بن حمزه البطائنى كان قائد أبى بصير،و قد أكثر الروايه عنه مصرّحاً باسمه.

يقول النجاشى:على بن أبى حمزه«و اسم أبى حمزه سالم البطائنى»كوفى،و كان قائد أبى بصير يحيى بن القاسم،و له أخ يسمّى جعفر بن أبى حمزه. (١)

و قد روى الصدوق فى «كمال الدين»روايات أبى حمزه عن يحيى بن أبى القاسم (٢)،كما صرح باسمه فيما رواه الصدوق عن ابن أبى حمزه فى الخصال. (٣)

٢.شعيب العرقوفى

إنّ شعيباً العرقوفى ابن أخت أبى بصير يحيى بن أبى القاسم،قال النجاشى:شعيب العرقوفى،أبو يعقوب ابن أخت أبى بصير يحيى بن القاسم،روى عن أبى عبد الله عليه السلام و أبى الحسن عليه السلام،ثقه،عين. (٤)

٣.الحسين بن أبى العلاء

ذكر الشيخ فى ترجمه يحيى بن القاسم،قال:يكنّى أبا بصير،له كتاب

ص:٢٢٦

١-١. رجال النجاشى:٢/٦٩،برقم ٦٥٤.

٢-٢. لاحظ كمال الدين:١/٢٥٩،الحديث ٤؛و ج ٢/٣٤٠،الحديث ٢٠. [١]

٣-٣. الخصال:٢/٤٤٣،الحديث ٣٦.

٤-٤. رجال النجاشى:١/٤٣٥،برقم ٥١٨.

مناسك الحج، رواه علي بن أبي حمزه و الحسين بن أبي العلاء عنه. (١)

٤. الحسن بن علي بن أبي حمزه

ذكر النجاشي أنه يروى عن أبي بصير عن طريق الحسن بن علي بن أبي حمزه، قال في بيان طريقه إلى يحيى بن القاسم الأسدي: أخبرنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا يحيى بن زكريا بن شيبان، قال: حدثنا الحسن بن علي بن أبي حمزه، عن أبي بصير بكتابه. (٢)

٥. المعلى بن عثمان

روى الكليني في الكافي في باب «الثوب يصيبه الدم» بسند ينتهي إلى المعلى بن عثمان عن أبي بصير، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام وهو يصلي، فقال قائدي: إن في ثوبه دمًا، فلم يأنصرف، قلت له: إن قائدي أخبرني أن بثوبك دمًا، فقال لي: إن لي دماميل و لست أغسل ثوبي حتى تبرأ. فإن الظاهر أنه الأسدي، لأنه المحتاج إلى القائد فتأمل. (٣)

فيما يميّز به المرادى عن الأسدي

إشارة

ليس هناك قرينه خاصه يميّز بها المرادى عن الأسدي سوى ذكر الراوى اسم أبي بصير بعد كنيته، وها نحن نذكر كلّ من روى عن أبي بصير المرادى

ص: ٢٢٧

١-١. الفهرست: ٢٠٧، برقم ٧٩٧.

٢-٢. رجال النجاشي: ٤١١/٢، برقم ١١٨٨.

٣-٣. سماء المقال: ٣٨٤/١.

مصرحاً باسمه و إليك قائمه بأسمائهم:

الأول: عبد الله بن مسكان

روى عبد الله بن مسكان عن أبي بصير ٢١ حديثاً مصرحاً باسمه و هي مبثوثة في أبواب كثيرة:

١. عن عبد الله بن مسكان عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.

الكافي: ٢/٦٠، باب الرضا بالقضاء من كتاب الإيمان، الحديث ٢.

٢. عن ابن مسكان عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.

بحار الأنوار: ٣٣٣/٧٢، باب ذم الشكايه من الله تعالى من أبواب الإيمان و الكفر، ح ١٩.

٣. عن عبد الله بن مسكان عن أبي بصير يعني ليث بن البختری المرادي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ١/٢٦، الباب ٢ من أبواب مقدمات العبادات، ح ٢٠ نقله عن المحاسن.

٤. عن عبد الله بن مسكان عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ٢/٨٩٩، الباب ٧٥ من أبواب الدفن، ح ٣، نقله عن الكافي.

٥. عن ابن مسكان عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.

التهذيب: ١/٢٠٩، باب صفة التيمم، ح ١١.

٦. عن عبد الله بن مسكان عن ليث المرادي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام.

التهديب: ٢٥٨/١، باب تطهير الثياب، ح ٣٧.

٧. عن عبد الله بن مسكان عن ليث المرادى عن أبي عبد الله عليه السلام.

التهديب: ٢٠٩/١، باب التيمم، ح ١١.

٨. عن ابن مسكان، عن ليث عن أبي عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ١٣٨/٣، باب ١٨ من أبواب المواقيت، ح ٩، نقله عن علل الشرائع.

٩. عن عبد الله بن مسكان عن ليث المرادى قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ١٨١/٣، الباب ٤٤ من أبواب المواقيت، ح ١.

١٠. عن ابن مسكان عن ليث، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.

التهديب: ١٦٨/٢، باب تفسير ما تقدم ذكره في الصلاة من المفروض و المسنون، ح ١٢٥.

١١. عن عبد الله بن مسكان عن ليث المرادى، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام.

الكافي: ٤٦٨/٦، باب الخواتيم من كتاب الزى و التجمل، ح ٦.

١٢. عن ابن مسكان عن ليث المرادى، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ٩٠٩/٤، الباب ٧ من أبواب السجود، ح ٦ نقله عن علل الشرائع.

١٣. عن عبد الله بن مسكان عن أبي بصير المرادى عن أبي عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ١١٩/٥، الباب ١٨ من أبواب صلاة العيد، ح ١، نقله عن كتاب الإقبال.

١٤. عن ابن مسكان عن ليث المرادى، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.

الكافي: ١١٠/٤، باب الصائم يسعط و يصيب في أذنه الدخن أو يحتقن، ح ٤.

١٥. عن عبد الله بن مسكان عن ليث المرادى عن أبي عبد الله عليه السلام.

الكافي: ١٢٨/٤، باب من صام في السفر بجهاله، ح ٣.

١٦. عن ابن مسكان عن أبي بصير يعنى المرادى، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام.

الفتاوى: ٣٠٠/٢، باب الحلق و التقصير، ح ١.

١٧. عن ابن مسكان عن ليث المرادى، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.

التهذيب: ٤٩٠/٥، باب الزيادات في فقه الحج، ح ٤٠١.

١٨. عن ابن مسكان عن ليث المرادى عن أبي عبد الله عليه السلام.

التهذيب: ٤٧/٧، باب البيع بالنقد و النسيئه، ح ٩.

١٩. عن ابن مسكان عن أبي بصير يعنى المرادى، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام.

الفتاوى: ٢٠٧/٤، باب ميراث الأجداد و الجدات، ح ٢٠.

٢٠. عن ابن مسكان عن ليث المرادى، و عبد الأعلى بن أعين عن أبي عبد الله عليه السلام.

التهذيب: ١٨٧/١٠، باب القود بين الرجال و النساء من كتاب الديات، ح ١.

٢١. عن عبد الله بن مسكان عن ليث المرادى عن أبي عبد الله عليه السلام.

الثاني: المفضل بن صالح (أبو جميله)

روى أبو جميله المفضل بن صالح عن أبي بصير المرادي ١٦ حديثاً مصرحاً باسمه و هي مبثوثة في أبواب مختلفه:

١. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.

التهذيب: ٣٤٩/١، باب الأحداث الموجهه للطهاره، ح ٢٢.

٢. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ٢٥١/١، الباب ٣٥ من أبواب أحكام الخلو، ح ١.

٣. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ٦١١/٢، الباب ٢ من أبواب النفاس، ح ١.

٤. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ٩٧٦/٤، الباب ٢٠ من أبواب السجود، ح ٣.

٥. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.

الكافي: ٣/٤٦٠، باب صلاه العيدين و الخطبه، ح ٤.

٦. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.

الكافي: ٣٤٢/٤، باب ما يلبس المحرم من الثياب و ما يكره له لباسه من كتاب الحج، ح ١٦.

٧. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.

التهذيب: ٣٣٩/٥، باب الكفار من خطأ المحرم من كتاب الحج، ح ٨٨.

٨. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادى، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.
الكافي: ٢٠٨/٦، باب صيد البزاه و الصقور من كتاب الصيد، ح ١٠.
٩. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادى، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.
التهذيب: ٢٥٢/١٠، باب ديات الأعضاء و الجوارح و القصاص فيها من كتاب الديات، ح ٣١.
١٠. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادى، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.
الكافي: ١٦٨/٦، كتاب الطلاق، باب العبد إذا تزوج بإذن مولاه، ح ٢.
١١. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادى، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.
الوسائل: ١٨٩/١٩، باب ١٦ من أبواب موجبات الضمان، ح ٢.
١٢. عن أبي جميله عن ليث المرادى، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام.
البحار: ١٢٩/٢٢، تاريخ نبينا صلى الله عليه و آله و سلم، باب ما جرى بينه و بين أهل الكتاب، ح ١٠٥ نقله عن الكافي.
١٣. عن أبي جميله عن ليث المرادى، عن أبي عبد الله عليه السلام.
البحار: ٧٢، باب الكبر من كتاب الإيمان و الكفر، ح ٥، نقله عن الكافي.
١٤. عن أبي جميله عن ليث المرادى، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.
التهذيب: ١٦٥/١، باب حكم الحيض و الاستحاضه و النفاس و الطهاره، ح ٤٥.
١٥. عن أبي جميله عن ليث المرادى، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام.

الكافي: ٤٠٣/٦، باب لبس الحرير و الديباغ من كتاب الزى و التجمل، ح ٢.

١٦. عن أبي جميله عن ليث المرادى، عن أبي عبد الله عليه السلام.

الكافي: ٣٠٩/٢، باب الكبر من كتاب الإيمان و الكفر، ح ٥.

الثالث: عاصم بن حميد

روى عاصم بن حميد روايات مختلفه عن أبي بصير المرادى مصرحاً باسمه:

١. عن عاصم بن حميد عن أبي بصير يعنى المرادى عن أبي جعفر عليه السلام.

الوسائل: ٥٦٩/١٥، الباب ١٥ من أبواب الكفارات، ح ٤، نقله عن فقه الرضا عليه السلام.

٢. عن عاصم بن حميد عن أبي بصير يعنى المرادى عن أبي عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ٤١/١٨، الباب ٧ من أبواب صفات القاضى، ح ١٠.

٣. عن عاصم بن حميد عن أبي بصير يعنى المرادى عن أبي عبد الله عليه السلام.

البحار: ٣١١/٦٤، باب الذباب و البق و الزنبور من كتاب السماء و العالم، ح ٣ نقله عن التهذيب.

٤. عن عاصم بن حميد عن أبي بصير ليث المرادى، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.

التهذيب: ١٨٥/٤، باب علاقه وقت فرض الصيام و أيام الشهر، ح ٣.

٥. عن عاصم بن حميد عن أبي بصير يعنى ليث المرادى عن أبي جعفر عليه السلام.

الوسائل: ٥٥/٦، الباب ١ من أبواب من تجب عليه الزكاه و من لا تجب

عليه، ح ٦.

٦. عن عاصم بن حميد عن أبي بصير يعنى المرادى، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ١٢٩/٩، الباب ٤٧ من أبواب تروك الإحرام، ح ٦، نقله عن علل الشرائع.

٧. عن عاصم بن حميد عن أبي بصير يعنى المرادى، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ١٨٥/١٣، الباب ٢ من أحكام المضاربه، ح ١، نقله عن الفقيه.

هؤلاء هم الذين أكثروا النقل عن أبي بصير المرادى مصرحين باسمه، وهناك من نقل روايه أو روايتين مصرحين باسمه.

الرابع: حميد بن المثنى العجلي المعروف بأبي المعز

١. عن أبي المعز حميد بن المثنى عن أبي بصير يعنى المرادى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ١٤/٣، الباب ٥ من أبواب أعداد الفرائض و نوافلها، ح ٢، نقله عن معانى الأخبار.

٢. عن أبي المعز عن ليث المرادى عن أبي عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ١٧٣/٨، الباب ٣ من أبواب أقسام الحج، ح ٧.

الخامس: أبان بن عثمان

عن أبان عن ليث المرادى عن أبي عبد الله عليه السلام.

ص: ٢٣٤

السادس: رفاعه بن موسى الأسدي النخاس

عن رفاعه بن موسى عن ليث المرادي عن أبي بصير (١)، قال سمعته يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

المحاسن: ٣٧، ثواب ما جاء في التسييح، ح ٤٠.

السابع: أبو أيوب الخزاز و عبد الله بن بكير

أبو أيوب الخزاز و عبد الله بن بكير عن ليث المرادي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.

الكافي: ٣١٠/٧، باب المسلم يقتل الذمي أو يجرحه و الذمي يقتل المسلم أو يجرحه من كتاب الديات، ح ١١.

التهذيب: ١٨٦/١٠، باب القود بين الرجال و النساء من كتاب الديات، ح ٢٧.

و نستخلص ممّا سبق أمرين:

الأول: هؤلاء هم الذين رووا عن أبي بصير مصرّحين باسمه في بعض الأحيان، و ليكن هذا قرينه على أنّ المراد هو ليث البختری عند الإطلاق فيما إذا انتهت سلسله السند إليهم.

الثاني: أنّ السبر في المسانيد المنتهيه إلى أبي بصير يكشف عن حقيقه، و هي

ص: ٢٣٥

أنهم يطلقون أبا بصير ولا يصرحون باسمه إلا إذا كان المراد منه هو ليث المرادى.

ولعل هذا قرينه على أنّ المطلق ينصرف إلى الأسدى، وكأنه غنى عن التصريح بالاسم لشهرته بين الرواه، دون المرادى فهو بحاجة إلى ذكر الاسم، ويؤيد ذلك تسميه الأسدى بأبى بصير الكبير و المرادى بأبى بصير الصغير، ولعلّ ملاكهما هو كبر السن وصغره أو كثره نقل الروايات أو قلّتها. والله العالم.

ولما كان أبو بصير ممن أكثر الروايه عن أئمة أهل البيت عليهم السلام و يعد راويه كبيره و قد أثرت حوله إبهامات قام غير واحد من المحققين بتأليف رسائل أو تدوين بحوث نفيسه حوله، وإليك بعض أسماء تلك الرسائل و البحوث:

١. عديمه النظير فى ترجمه أبى بصير: للعلامة السيد مهدي الخوانسارى (المتوفى عام ١٢٤٦هـ) ألفه عام ١٢٣٠ هـ. (١) طبعت فى آخر الجوامع الفقيهيه.

٢. رساله فى المكنين بأبى بصير: تأليف المحقق الخبير الشيخ محمد تقى التستري (١٣٢٠-١٤١٦هـ).

٣. سماء المقال فى علم الرجال: تأليف المحقق أبو الهدى الكلباسى (المتوفى سنه ١٣٥٦هـ)، و قد أفاض بالبحث فى الجزء الأول من كتابه. (٢)

٤. معجم رجال الحديث: تأليف المرجع الأعلى السيد أبو القاسم الخوئى (١٣١٧ - ١٤١٣هـ) فقد عالج فى موسوعته الروايات الوارده فى حقّ أبى بصير المشعره بالذم و المدح. (٣)

ص: ٢٣٦

١-١. الذريعة: ١٤٨/٤. [١]

٢-٢. لاحظ سماء المقال: ٢٩٨/١ - ٣٩٢.

٣-٣. لاحظ معجم رجال الحديث: ١٤٠/١٤ - ١٥١.

كما أكمل بحوثه فى أجزاء آخر. (١)

ولأجل ذلك لم نستعرض حال الأحاديث التى وردت فى حقّ أبى بصير التى نقلها الكشى فى ترجمته.

و يشبه أن تكون هذه الروايات مثل ما ورد فى حقّ زرارته من الدم صوتاً لنفسه و نفيه، أو من وضع الوضّاعين الحاقدين على شيعه أهل البيت.

و فى الختام نتقدم بالشكر إلى الفاضل الجليل ولدنا الخير بالحديث الشيخ بشير المحمدى المازندراني الذى شمر عن ساعد الجد بإحياء المسانيد المأثوره عن أصحاب الأئمة عليهم السلام شكر اللّهم سعيه و أجزل أجره. و هو حفظه الله دءوب فى عمله، مقبل على شأنه، و قد أتحف المكتبة الإسلاميه بمسند يضم فى طياته قرابه (٣٠٠٠) حديث من أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام.

و هذا العدد الهائل من الروايات الذى هو ضعف ما روى عن زرارته بن أعين و محمد بن مسلم، فإنما هو لأجل أنّ المسند جمع أحاديث محدّثين كبيرين، هما: يحيى بن أبى القاسم الأسدى، و ليث بن البخترى المرادى رضوان الله عليهما.

جعفر السبحانى

قم- مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

فى ظهيره ٢٧ من شعبان المعظم عام ١٤٢٠هـ

ص: ٢٣٧

(١-١). معجم رجال الحديث: ٤٤/٢١-٤٤-٤٤.

إشارة

ترجمه العلامة المجلسي رحمه الله

مجدد المذهب في القرن الحادي عشر

الحمد لله و الصلاة و السلام على خير رسله، و أفضل بريته، محمد و آله الذين هم حفظه سننه، و عييه علمه، صلاه دائمه ما دامت السماوات و الأرض.

أما بعد،

فهذه كلمه موجزه في ترجمه الإمام العلامة شيخ الإسلام المولى محمد باقر المجلسي رحمه الله (١٠٣٧-١١١٠هـ).

و لا- تعنى الكلمه بترجمه سيرته و آثاره العلميه التى تركها، فإنّ ذلك يحوجنا إلى تأليف مفرد، بل تعنى بتسليط الأضواء على جانب خاص من جوانب حياته كما يتضح فيما بعد.

و قد قام غير واحد من أعلام الطائفة بتأليف كتاب أو مقال أو ترجمه مفصله حول حياته.

فقد ألف شيخنا العلامة النورى (١٢٥٤-١٣٢٠هـ) كتاباً باسم «الفيض القدسى في ترجمه العلامة المجلسي» ألفه عام ١٣٠٢هـ، ذكر فيها ترجمته و تصانيفه، كما ذكر ترجمه مشايخه و تلاميذه و جملة من أقربائه، و قد طبع فى الجزء

ص: ٢٣٨

الأول من أجزاء البحار ذى الطبعه القديمه.

كما قام زميلنا الشيخ عبد الرحيم الرّبّانى الشيرازى بترجمته ترجمه وافيه، و طبع مع الجزء الأول من البحار ذى الطبعه الحديثه.

و قد كفانا هذان التأليفان، مضافاً إلى ما ذكره أصحاب المعاجم و التراجم فى حقّه.

و لذلك فقد كترّسنا البحث على جانب خاص بقى مغمور الذكر عند معظم أصحاب التراجم و إن أشاروا إليه على وجه الإجمال فى ثنايا كلامهم. ألا و هو الجانب الإبداعى و الابتكارى من شخصيه العلامه المجلسى قدّس الله نفسه الزكيه.

و قبل استعراض هذا الجانب، لا بدّ من الإشاره إلى نكته و هى: أنّ العبقري هو من تمتّع بذكاء مفرط و حدّه فى الذهن جعله متفوّقاً على الآخرين بكماله و حذقه و براعته، و يعلم ذلك من خلال منجزاته العلميه.

فلو كان هذا هو الملاك لوصف المرء بالعبقريه، فشيخنا المجلسى يعدّ فى طليعتهم، فقد نال إعجاب العلماء بموسوعته الكبيره المسّماه بـ«بحار الأنوار» وفاق الآخرين بآثاره التى قلّما يوجد لها نظير.

و ناهيك عن ذلك فإنّ الإبداعات و الابتكارات العلميه التى قام بها و التى خلّدتها فى التاريخ جعلته من النوادر الذين يُشار إليهم بالبنان، ها و نحن نشير إلى أهمّهما:

١. ابتكار دائره معارف شيعيه

إنّ كتاب البحار دائره معارف إسلاميه بصبغه شيعيه جمع فيها و لأوّل مرّه

ص: ٢٣٩

ما يرجع إلى الكتاب و السنه من فنون الفقه و التفسير و الحديث و الرجال و أصول العقائد و الكلام و أصول الفقه و التاريخ إلى غير ذلك من فنون رائجه بين المسلمين إلى عصره.

لقد ظهر هذا النمط من تدوين العلوم و ضمها في دوائر المعارف عند اليونانيين، ثم أعقبهم المسلمون حيث قاموا بتأليف دوائر معارف مختلفه ضموا فيها جميع العلوم الرائجه، و نذكر منها ما يلي:

١. رسائل إخوان الصفا: و هي مجموعه تشتمل على إحدى و خمسين رساله في علوم مختلفه ألفتها جمعيه إخوان الصفا أواسط القرن الرابع.

٢. إحصاء العلوم للمعلم الثاني أبو نصر محمد بن طارخان الفارابي (المتوفى عام ٣٣٩هـ).

٣. «شمس العلوم» لنشوان بن سعيد بن نشوان الحميري (المتوفى ٥٧٣هـ) في ١٨ مجلدًا.

٤. «نفائس الفنون في عرائس العيون» لمحمد بن محمود الآملي (المتوفى ٥٧٣هـ).

٥. «لسان الخواص» لآقا رضى القزوينى محمد بن الحسن (المتوفى ١٠٩٦هـ) في عدّه أجزاء. (١)

إلى غير ذلك من موسوعات كبيره بين ما يختص بقسم من العلوم كالفلسفه و الآداب و بين ما يعم أغلب العلوم.

غير أنّ جميع دوائر المعارف تلك تتمحور حول العلوم و الأفكار البشريه التي لها قيمتها الخاصه، إلا أنّ شيخنا المجلسى اتخذ طريقاً آخر، و هو جمع ما ورد

ص: ٢٤٠

١-١). لاحظ الذريعه: ٣/٨-١٥ [١] حيث ذكر فيها لمحّه تاريخيه عن دوائر المعارف.

فى دائره الوحى من الآيات و الروايات، و التحقيق حولها و بسط الكلام فى مضامينها و معضلاتها.

و على كل تقدير فالموسوعه صورته ناطقه عن عبقرية مؤلفها و طول باعه و قوه تفكيره و علو همته، و قد استسهل فى سبيل تأليفها كل المشاقّ و المصاعب.

فها هو شيخنا المؤلف يصف جهوده المبذوله فى ترصيف هذا الأثر يقول: فطفقت أسأل عنها- عن الكتب- فى شرق البلاد و غربها حيناً، و ألحّ فى الطلب لدى كلّ من أظن عنده شيئاً من ذلك، و إن كان به ضنيناً، و قد ساعدنى على ذلك جماعه من الإخوان، ضربوا فى البلاد لتحصيلها، و طلبوها فى الأصقاع و الأقطار طلباً حثيثاً حتى اجتمع عندى بفضل ربّى كثير من الأصول المعتمده التى كان عليها معول العلماء فى الأعصار الماضيه، و إليها رجوع الأفاضل فى القرون الخاليه، فألفيتها مشتمله على فوائد جمه خلت عنها الكتب المشهوره المتداوله، و أطلعت فيها على مدارك كثير من الأحكام، اعترف الأكثرون بخلو كلّ منها عما يصلح أن يكون مأخذاً له، فبذلت غايه جهدى فى ترويجها و تصحيحها و تنسيقها و تنقيحها. (١)

٢. ابتكاره للتفسير الموضوعى

كان التفسير الرائج بين المفسرين هو تفسير القرآن الكريم حسب ترتيب السور، فبادر المفسر إلى تفسير سورة الحمد ثمّ سورة البقره و هكذا. فمنهم من يحالفه النجاح و ينهى تفسيره إلى نهايه القرآن الكريم، و منهم من يخفق فى إتمام هذه المهمه.

ص: ٢٤١

و على كل حال فقد كان هذا هو التفسير المتداول بين معظم المفسرين إلى عصر المجلسي. إلا أن المجلسي ابتكر أسلوباً جديداً في التفسير، وهو تفسير القرآن حسب الموضوعات التي يطرحها من خلال جمع آيات كل موضوع في محل واحد، ثم تفسيرها دفعه واحده، و حلّ إبهام الآيات بعضها ببعض.

و هذا النمط من التفسير له مزيته الخاصه كما أنّ للتفسير الترتيبي مزيه، غير أنّ الوقوف على الهدف المنشود من الآيات التي تحوم حول موضوع واحد إنّما يتبين من خلال التفسير الموضوعي، حيث يقف المفسّر على ما هو المقصود دفعه واحده، بعرض الآيات بعضها على بعض و الخروج بحصيله معينه.

هذا هو الذي قام به شيخنا المجلسي على وجه موجز حيث صنف الآيات القرآنيه حسب الموضوعات و بثّها في أبواب بحار الأنوار، و فسرها على وجه الإيجاز حسب ما سمح به الوقت، و قد اعتمد في ذلك على تفسير «مجمع البيان» للطبرسي (المتوفى ٥٤٨هـ) و تفسير «أنوار التنزيل و أسرار التأويل» للبيضاوي (المتوفى ٥٦٨٥هـ) و غيرهما من التفاسير.

نعم التفسير الموضوعي في إطار ضيق قد سبقه إليه الفقهاء في تفسير خصوص آيات الأحكام، فقد ألف جمال الدين المقداد بن عبد الله السيوري الحلبي (المتوفى ٨٢٦هـ) كتاب «كنز العرفان في فقه القرآن» فهو يتعرض لآيات الأحكام فقط، و لا يفسر الآيات سوره فسوره على حسب ترتيب المصحف ذاكراً ما لكلّ سوره من آيات الأحكام، كما فعل الجصاص و ابن العربي، بل طريقته في تفسيره أنّه يعقد أبواباً كأبواب الفقه، و يدرج في كلّ باب منها الآيات التي تدخل تحت موضوع واحد، فمثلاً يقول: باب الطهاره ثم يذكر ما ورد في الطهاره من الآيات القرآنيه، شارحاً كلّ آيه منها على حده، مبيّناً ما فيها من الأحكام، على

حسب ما تذهب إليه الإماميه الاثنا عشرية في فروعهم مع تعرضه للمذاهب الأخرى، و رده على من يخالف ما يذهب إليه الإماميه الاثنا عشرية. (١)

و جاء بعده المحقق الأردبيلي فألف «زبد البیان فی أحكام القرآن» على غرار «كنز العرفان».

و على كل حال فهذا النمط من التفسير الموضوعي كان في إطار خاص، كما قام بعض علماء الأخلاق بهذا النوع في التفسير الموضوعي، لكن في إطار الموضوعات الأخلاقية، كما فعله الغزالي (المتوفى ٥٠٥هـ) في «إحياء العلوم».

و أما المنهج الذي سلكه الشيخ المجلسي فقد استوعب جميع الموضوعات الواردة في القرآن الكريم، حسب نظره و حسب ما ورد فيه الروايات، فصدر كل باب بآياته و تفسيره ثم نقل رواياتهم، فهذا النوع ابتكار منه في هذا المضمار، و لو قام باحث بإخراج ما في بحار الأنوار من التفسير الموضوعي لجا بموسوعه كبيره و إن كان تفسيره على وجه الإيجاز.

٣. ابتكار العمل الجماعي في التأليف

إنّ الرائج بين العلماء في التأليف و التصنيف هو العمل الفردي، فيتصدى كل واحد منهم بهمه قعاء لتأليف موسوعه كبيره و ربما ينجح فيها بعض النجاح، و لكن العمل الفردي مهما كابد فيه المؤلف لا يخلو من نقص.

و أمّا إذا أشرف على هذا العمل فريق من المحققين ذوي اختصاصات مختلفه فربما يكون أقلّ نقصاً و أكثر فائده، و قد تقدم أنّ جماعه إخوان الصفا شاركوا في تأليف موسوعه فلسفيه كبيره، و تسربت تلك الفكره إلى الغرب و راجت بينهم

ص: ٢٤٣

(١-١). التفسير و المفسرون: ٢/٤٦٥. [١]

المشاركه فى تأليف الموسوعات كما فى دوائر المعارف، و قد جسد شيخنا المجلسى تلك الفكره فى موسوعته «بحار الأنوار»، فاستعان بليف من تلامذته الذين ناهز عددهم المائتين بين مجتهد، و محدث، و مفسر، و لغوى، و مؤرخ، و ناسخ، و مصحح، إلى غير ذلك، و انفرده هو بتفسير معضلات الأحاديث و مشكلاتها، و لذلك نرى فى النسخ الأصلية أنّ الحديث كتب بخط، و شرحه بخط آخر هو خط المجلسى نفسه، و هذا يعرب عن وجود برنامج منسق للتأليف يبين فيه مسئوليته كل واحد فى ترصيف هذه الموسوعه الإسلاميه الكبيره.

٤. إبداع التأليف باللغه الفارسيه

لا شك أنّ اللغه العربيه هى لغه القرآن الكريم و الحديث النبوى و حديث الأئمه الطاهرين عليهم السلام، و هى إحدى الأواصر التى تجمع المسلمين، و لذلك انبرى علماء الإسلام على اختلاف ألسنتهم على التأليف بلغه الضاد، و هيمنت اللغه العربيه على معظم مصنفاتهم و تأليفهم.

و هناك من لم يقتصر على التأليف باللغه العربيه فحسب، بل صنف بلغه أبناء جلدته غير العرب، لماً أحسّ من أنّ كثيراً من المسلمين لا يجيدون اللغه العربيه و هم بحاجة ماسه إلى فهم مقاصد الشريعه و تعاليمها، و لذلك عادوا يؤلفون كتباً كثيره بلغه قومهم خدمه لهم.

و شيخنا المجلسى أحد من شارك فى هذا المصمار، فقد ألف كتباً باللغه الفارسيه يناهز عددها ٥٣ بين كتاب و رساله منها «عين الحياه» و «حقّ اليقين» و «حليه المتقين» و «حياه القلوب» و «جلاء العيون» إلى غير ذلك من الكتب و الرسائل التى ذكرت فى ترجمته. (١)

ص: ٢٤٤

إنّ مقاصد الشريعة تتجلّى في القرآن الكريم و الحديث الشريف، و قد قام المسلمون بتفسير القرآن الكريم، و جمع الحديث، و لكن لم يكن اهتمامهم بتفسير الحديث كاهتمامهم بتفسير القرآن الكريم.

نعم قام غير واحد من أهل السنه بتبيين غوامض أحاديث البخارى، منهم أحمد بن على بن حجر العسقلانى (٧٧٣-٨٥٢هـ) حيث قام بشرح صحيح البخارى أسماه «فتح البارى»، و قد طبع فى عشره أجزاء.

كما قام أبو زكريا يحيى بن شرف النووى الشافعى (٦٣١-٦٧٦هـ) بشرح صحيح مسلم.

إلى غير ذلك من الشروح على الصحاح و السنن التى يطول ذكرها.

و أمّا الشيعة الإماميه فقد كان الرائج فى أوساطهم هو تدوين الحديث دون شرحه، و قد راج تفسير الحديث و شرحه بصورة موسوعات كبيره فى القرن العاشر الذى نشطت فيه الحركة الاخباريه، فقد قام والد الشيخ المجلسى محمد تقى بن مقصود على المجلسى (١٠٠٣-١٠٧٠هـ) بشرح «من لا يحضره الفقيه» و أسماه «روضه المتّقين فى شرح من لا يحضره الفقيه» فى ١٢ جزءاً.

كما قام نجله محمد باقر المجلسى بشرح أصول الكافى أسماه «مرآه العقول» فى ٢٦ جزءاً، كما شرح «تهذيب الأحكام» للشيخ الطوسى و أسماه «ملاذ الأخيار فى شرح تهذيب الأخبار» و قد طبع فى عشره أجزاء.

كما و سار على نفس المنهج أيضاً فى موسوعته «بحار الأنوار» و بذلك أسدى للشيعة خدمه كبيره فى حلّ معضلات الأخبار و مشاكلها، و تمييز صحيحها عن سقيمها خصوصاً فى كتاب «مرآه العقول».

فمن راجع ذلك الكتاب الذى طبع فى ٢٦ جزءاً يرى أنه تحمل عبئاً ثقيلاً فى تفسير لغات الأحاديث و تبين غوامضها إلى غير ذلك من المباحث الهامه التى يزخر بها الكتاب الذى يعد من أنفس ما تركه المجلسى فى حقل الحديث.

نعم، كتابه الآخر، أعنى: «ملاذ الأخيار فى شرح تهذيب الأخبار» دون هذا الكتاب فى الشرح و البسط، و التوضيح و التحقيق و إن كان له قيمته الخاصه.

و قد سبق العلامه المجلسى والده كما أشرنا إليه، و المحدث الفيض الكاشانى (١٠٠٧ - ١٠٩١هـ) فى كتابه «الوافى» حيث جمع أحاديث الكتب الأربعة، فكان لا يمرّ بحديث إذا كان فيه إعضال إلا و قد أحله، و لا إبهام إلا رفعه.

و هذا النهج الذى سلكه هؤلاء الأعلام الثلاثة لو اختطه من أعقبهم من المحدثين و استمروا على ضوئه، لانتضح كثير من المعضلات و المشاكل التى تواجه الأحاديث، و لزداد التراث الحديثى غنى.

٦. إحياء التراث الحديثى

كان مطلع القرن الحادى عشر مسرحاً للتيارات الفكرية المختلفه، فمن مكب على العلوم الطبيعیه كالنجوم و الرياضيات و الطب، إلى آخر متوغّل فى الحكمه و العرفان و المعارف العقلية التى لا- تدرك إلا- بقسطاس العقل، إلى ثالث مقبل على علم الشريعة من خلال نافذه العقل مع يسير من النقل.

هذا و ذاك صار سبباً إلى ظهور الحركة الاخبارية التى كانت تعارض هذه العلوم و مبادئها، و بالرغم من ذلك كان لها دور مهم فى تفعيل النشاط الحديثى، و قد ربّت تلك الحركة محدّثين كبار، أمثال: الفيض الكاشانى، الشيخ محمد تقى

المجلسي، الشيخ الحرّ العاملي، السيد هاشم البحراني. و في مطلع الأكمه شيخنا المجلسي قدس سره، فقد أحيا التراث الديني بمنجزاته الحديثيه و راج سوق الحديث و مدارسته و كتابته، حتى أَلْف بعض تلاميذه، أعنى: الشيخ عبد الله بن نور الدين البحراني موسوعه «عوامل العلوم» التي تبلغ مائه مجلد، و قد سلك منهج أستاذة في البحار، إلاّ أنّ هذه الموسوعه لم تر النور إلاّ بعض أجزاءها عسى أن يقبض الله سبحانه ذوى الهمم العاليه بإخراجها بحله قشيبه.

لم يقتصر العلامة المجلسي على التأليف و التصنيف فحسب بل أكبَّ على التدريس و تربيه جيل من رواد العلم، و الإجازات الموجوده تكشف عن أنّه كان مدرساً معروفاً سنه (١٠٧٠هـ) أى قبل أربعين سنه من وفاته، و بقى مكباً على الدرس و التدريس حتى أيامه الأخيره على الرغم من كثره مسؤولياته بسبب زعامته الدينيه التي غطت دنيا الشيعه في ذلك العصر، فلم تمنعه الشواغل الاجتماعيه عن تربيه جيل ممتاز من العلماء و المحدثين ناهز عددهم حسب ما ذكره المحدث النورى في كتابه المعروف «الفيض القدسي» ٢٩ تلميذاً و سرد أسماءهم و ترجم لهم.

و أعقبه شيخنا المجيز الطهراني في كتابه «طبقات أعلام الشيعه» فذكر ما كتبه النورى، و أضاف عليه ما وجدته من المعلومات في المصادر المتوفره لديه.

و كان السيد مصلح الدين الاصبهاني أكثر استيعاباً في كتابه الفارسي «زندگينامه علامه مجلسي» فانه ترجم لمائه و واحد و ثمانين تلميذاً بالإضافة إلى عدد ممن احتمل أنهم من تلامذته.

كما قام السيد أحمد الحسيني الأشكوري بترجمه مائتين و أحد عشر تلميذاً في كتابه «تلامذه العلامة المجلسي و المجازون منه».

و هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أنه بذل جهوداً جبّاره في تنشيط الحركة

العلمية الحديثية فتركت بصمات واضحة على التراث الشيعي برمته.

كلمه ختاميه

و قبل أن نختم البحث نود الإشارة إلى أمرين:

الأول: ربما يشار سؤال حول كتاب بحار الأنوار و سائر كتبه و هو أنّ كتاب البحار يضمّ في طياته أخباراً ضعافاً مخالفه لأكثر الموازين العلميه، فلم نقلها الشيخ المجلسي في كتابه؟

و الإجابة عن هذا السؤال واضح، و هي أنّ المؤلف قبل كلّ شيء كان بصدد الجمع و النظم و صيانه التراث الشيعي من الضياع، و لم يكن بصدد النقد، و قد جمع مكثبات كثيره في موسوعه كبيره، و ترك التحقيق للأجيال التي تعقبه.

مضافاً إلى أنّه لم يترك التعرض إلى ضعف الخبر أو نقده كلّما سمح له الوقت، و لذلك ترى أنّ منهج بحثه في «البحار» غير منهجه في «مرآه العقول»، فقد صار في الكتاب الأخير بصدد التحقيق و النقد فلا يمرّ بحديث إلاّ و يوضح سنده و متنه و مدى اعتباره و مقدار دلالتة و موافقته أو مخالفته للموازين العلميه.

فعلى القارئ الكريم أن ينشد الغرض المتوخى من تأليف الكتاب، فالغرض من تأليف البحار غالباً هو النضد و الجمع، و لكن الهدف من تأليف مرآه العقول هو النقد و التحقيق.

الثاني: أنّ بعض المستشرقين ك«ادوارد برون» مؤلف تاريخ «أدبيات إيران» و الكتياب الجيدّ الذين لا يروق لهم نشر ماثر أهل البيت عليهم السلام استهدفوا المجلسي بسهام النقد، و لم يكن في كنانتهم إلاّ - رمية بسباب مقذع، بعيداً عن روح النقد الموضوعي، و ما هذا إلاّ لأنهم لم يجدوا ثغره ينفذون من خلالها إلى شخصيه

المجلسي، فعادوا يقرعون بالترهات و السفاسف دون جدوى، و كل ذلك لا يحط من منزله شيخ الإسلام المجلسي فقد قيل: «من ألف فقد استهدف».

و لو كان شيخنا المؤلف بصدد جلب رضا هؤلاء لكان عليه أن يعزف عن كل جهوده، و لكن لم يكن رائده في هذا السبيل إلا رضا الله سبحانه و رسوله و رضا الأئمة المعصومين عليهم السلام، و لسان حاله: إذا رضيت عنى كرام عشيرتى فلا زال غضبان على لثامها

جعفر السبحانى

قم- مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

٢٨ شهر رمضان المبارك

من شهور عام ١٤٢٠هـ

ص: ٢٤٩

زياره النساء للقبور

فى الشريعة الإسلاميه

لقد أسعفتنى الحظ هذا العام (١٤٢١هـ) بزياره بيت الله الحرام لأداء العمره المفرده، و التشرّف بزياره النبى صلى الله عليه وآله وسلم و أئمه البقيع عليهم السلام و بقيه المشاهد المباركه، و قد استرعى انتباهى عند زيارتى البقيع منع النساء من دخولها من قبل السلطات السعوديه، و ذلك بفتوى بعض فقهاء الحنابله مع أنّ الأدله الشرعيه على خلافها، و هى تدلّ على كون الرجال و النساء فى ذلك سواسيه، و من حسن الحظ فقد التقيت بأحد الأمرين بالمعروف فى البقيع و دار حوار بينى و بينه حول زياره النساء للقبور، و قد تبادلنا فيه بعض الرسائل، و لذلك عزمت على كتابه رساله مفصله فى هذا الموضوع استعرض فيها أدلّه الموافق و المخالف على وجه لا يبقى لمشكك شك، و لا لمرتاب ريب.

هذه هى الرساله التى أقدمها لطلاب الفقه فى الجامعه الإسلاميه فى المدينه المنوره عسى أن تنال رضاهم.

المؤلف

ص: ٢٥٠

اتفق المسلمون على استحباب زياره القبور تأسيًا بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله و فعله.

«قال النووى تبعاً للعبدري و الحازمى و غيرهما: اتفقوا على أنّ زياره القبور للرجال جائزه.

نعم حكى عن ابن أبى شيبه و ابن سيرين و إبراهيم النخعى و الشَّعبى، الكراهه، حتّى قال الشعبى: لو لا نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لزرت قبر ابنتى...

و كأنّ هؤلاء لم يبلغهم الناسخ». (١)

و سيوافيك تضافر الأدله على استحبابها لما فيها من الأمر و البعث و الأثر البناء، أعنى تذكر الآخره، و الزهد فى الدنيا. و ما أبعد هذا القول عما حكى عن ابن حزم أنّ زياره القبور واجبه و لو مرّه واحده، لورود الأمر بها، و بما أنّ استحبابها للرجال أمر متفق عليه إلا من شدّ من الذين لم يبلغهم قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم و فعله، فلا نطيل الكلام فيها.

إنّما الكلام فى استحبابها أو جوازها للنساء، فأكثر أهل السنّه على الاستحباب.

قال ابن حجر: و اختلف فى النساء، فقليل دُخلن فى عموم الإذن، و هو قول

ص: ٢٥١

الأكثر، وقيل الإذن خاص بالرجال، ولا يجوز للنساء زياره القبور، وبه قال الشيخ أبو إسحاق في المهذب. (١)

وقال السندي في شرحه على سنن النسائي عند شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها». فيه جمع بين الناسخ والمنسوخ، والإذن بقوله «فزوروها»، قيل: يعم الرجال والنساء، وقيل: مخصوص بالرجال، كما هو ظاهر الخطاب، لكن عموم عله التذكير الوارده في الأحاديث قد يؤيد عموم الحكم، إلا أن يمنع شمول قوله «و تذكر الآخرة» للنساء لكثرة غفلتهن. (٢)

و نقل النووي في شرحه على «صحيح مسلم» أقوالاً ثلاثه:

أ. الحرمه، ب. الكراهه، ج. الجواز. (٣)

هذه الكلمات تعرب عن اختلاف الآراء وإن كان الأكثر على الجواز، وهو الحق المتعين للأدلة التاليه:

١. حديث عائشه

أخرج النسائي في سننه عن عائشه، أنها قالت: أ لا أحدثكم عنى وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم؟ قلنا: بلى، قالت: لما كانت ليلى التى هو عندى - تعنى النبى صلى الله عليه وآله وسلم - انقلب فوضع نعليه عند رجله، وبسط طرف إزاره على فراشه، فلم يلبث إلا ريثما ظن قد رقدت، ثم انتعل رويداً، وأخذ رداءه رويداً، ثم فتح الباب رويداً، وأخرج رويداً، وجعلت درعى فى رأسى و اختمرت و تقنعت إزارى، وانطلقت فى أثره،

ص: ٢٥٢

١-١. ابن حجر، فتح البارى: ٣/١٤٨.

٢-٢. النسائي، السنن، بشرح السيوطى و السندي: ٤/٨٩.

٣-٣. النووي، شرح صحيح مسلم: ٧/٤٩.

حتى جاء البقيع، فرفع يديه ثلاث مرات فأطال، ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهورل فهورلت، فأحضر فأحضرت، و سبقته فدخلت فليس إلا أن اضطجعت، فدخل فقال: ما لك يا عائشه حشيا راييه؟.

قالت: لا، قال: لتُخبرني أو ليُخبرني اللطيف الخبير، قلت يا رسول الله: بأبي أنت و أمي فأخبرته الخبر، قال: فأنت السواد الذي رأيت إمامي، قالت: نعم. فلهزني في صدري لهزه أوجعتني، ثم قال: أظننت أن يحيف الله عليك و رسوله، قلت: مهما يكتنم الناس فقد علمه الله.

قال: فإن جبرئيل أتاني حين رأيت و لم يدخل عليّ، و قد وضعت ثيابك فناداني فأخفي منك، فأجبتة فأخفيتة منك، فظننت ان قد رقدت و كرهت أن أوقظك و خشيت أن تستوحشي، فأمرني أن آتي البقيع فأستغفر لهم، قلت: كيف أقول يا رسول الله؟

قال: قولي: السّلام على أهل الدّيار من المؤمنين و المسلمين، يرحم الله المستقدمين ممّا و المستأخرين، و إنّنا إن شاء الله بكم لاحقون. (١)

وجه الدلالة: إنّ تعليم الزياره آيه جواز العمل بها.

مضافاً إلى أنّ قوله: «و كرهت أن أوقظك» مشيراً إلى أنّه صلى الله عليه و آله و سلم كره إيقاظها لتشاركه في زياره البقيع.

نعم ليس في الروايه ما يدل على دخولها البقيع، و إنّما خرجت من بيتها للاطلاع على حال الرسول، و أنّه إلى أين ذهب، لكن الاستدلال ليس منصباً على دخولها البقيع و زيارتها مع النبي، بل هو منصب على أنّه صلى الله عليه و آله و سلم علمها الزياره،

ص: ٢٥٣

١ - ١). سنن النسائي: ٩١/٤، الأمر بالاستغفار للمؤمنين؛ صحيح مسلم: ٦٤/٣، باب ما يقال عند دخول القبور و الدعاء لأهلها. و اللفظ في المتن للنسائي، و بين النقلين اختلاف طفيف. قوله «حشياً»: مرتفعه النفس.

و عندئذٍ لا يخلو الحال من صورتين:

الصورة الأولى: علّمها و كانت الزيارة للنساء مستحبه أو جائزه.

الصورة الثانيه: علّمها و كانت الزيارة لهنّ محرمة.

فعلى الأولى يثبت المطلوب، و على الثانيه يلزم اللغويه كما هو واضح، لأنّه صلى الله عليه و آله و سلم كيف يعلمها الزيارة المحرمة، و هذا أشبه بتعليم الحرام!؟

و ربما يتصور: أنّما تعلّمت لتزور البقيع من بعيد، و لكن هذا التصوّر من السخافه بمكان، لأنّ الزيارة عباره عن حضور الزائر لدى المزور، فما معنى الزيارة من بعيد؟! و لو كانت الغايه من التعليم هو ذاك النوع من الزيارة كان عليه صلى الله عليه و آله و سلم أن ينهاها و يأمرها بذلك.

على أنّ معنى قولها: «كيف أقول؟» أى: كيف أقول عند زيارتى البقيع كزيارتك إيّاه؟ فعلمّها الرسول نفس ما كان يقوله عند زيارته.

٢. حديث بريده

أخرج مسلم فى صحيحه، عن بريده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها. (١)

و أخرجه النسائى فى سننه عنه مثل ذلك، و زاد: فمن أراد فليزر و لا تقولوا هجرًا. (٢)

٣. حديث أبى هريره

و أخرج ابن ماجه فى سننه، عن أبى هريره، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «زوروا

ص: ٢٥٤

١-١. صحيح مسلم: ٦٥/٣، باب استئذان النبى ربّه فى زياره قبر أمّه.

٢-٢. سنن النسائى: ٨٩/٤، باب زياره القبور.

القبور فإنها تذكركم الآخرة».

و في نقل آخر: فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت. (١)

٤. حديث ابن مسعود

أخرج ابن ماجه في سننه، عن ابن مسعود، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا و تذكركم الآخرة». (٢)

قال ابن حجر: وقد أخرج مسلم حديث بريدة، وفيه نسخ النهي عن ذلك، و لفظه: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» و زاد أبو داود و النسائي في حديث أنس: «فإنها تذكركم الآخرة»، و للحاكم من حديث فيه: «و ترقُّ القلب و تدمع العين، فلا- تقولوا هجراً» أي كلاماً فاحشاً.

و له من حديث ابن مسعود: «فإنها تزهد في الدنيا»، و لمسلم من حديث أبي هريره مرفوعاً: «زوروا القبور فإنها تذكركم الموت». (٣)

وجه الاستدلال هو عموم الخطاب للرجال و النساء و لا يضرّ تذكير الضمير، لما ثبت في محله من أنّ خطابات القرآن و السنّه تعمّ الصنفين إلّا ما خرج بالدليل، و قوله سبحانه: «وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ» ٤؛ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ» ٥؛ «أَلَا تَتَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً» ٦ إلى عشرات الأمثال، يعم الصنفين بلا ريب و منه هذا الحديث.

ص: ٢٥٥

١-١. سنن ابن ماجه: ٥٠١/١، حديث ١٥٧٢.

٢-٢. سنن ابن ماجه: ٥٠١/١، حديث ١٥٧١.

٣-٣. فتح الباري: ١٤٨/٣.

أضف إلى ذلك أنّ التعليل في الحديث آية الشمول، لأنّ قوله: «فإنّها تذكّر كم الآخره» لا يقبل التخصيص، وقد قرر في علم الأصول أنّ العله تعمم و تخصّص، و هل يصحّ في منطق العقل الصريح، اختصاص ما يذكّر الآخره بالرجال و حرمان النساء منه؟!

٥. حديث أنس بن مالك

أخرج البخارى في صحيحه، عن أنس بن مالك، قال: أمرّ النبي بامرأه تبكى عند قبره، فقال: اتقى الله و اصبرى، قالت: إليك عنى فأنك لم تُصب بمصيتى و لم تعرفه.

ف قيل لها: إنّه النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم، فأتت باب النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: إنّما الصبر عند الصدمه الأولى. (١)

قال ابن حجر في تفسيره: قوله: الصدمه الأولى: «و في روايه الأحكام عند أوّل صدمه» و نحوه لمسلم، و المعنى إذا وقع الثبات أوّل شيء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع، فذلك هو الصبر الكامل الذى يترتب عليه الأجر، و أصل الصدم ضرب الشيء الصلب بمثله، فاستعير للمصيبة الوارده على القلب. (٢)

وجه الدلالة: أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم أوصاها بالتقوى و الصبر، و كأنّها قالت فى كلامها شيئاً يخالف التقوى.

قال القرطبي: الظاهر أنّه كان فى بكائها قدر زائد من نوح أو غيره، و لهذا

ص: ٢٥٦

١-١. صحيح البخارى: ٧٩/٢، باب زياره القبور

٢-٢. فتح البارى: ١٤٩/٣، باب زياره القبور.

أمرها بالتقوى.

قال ابن حجر: و يؤيده أنّ في مرسل يحيى بن كثير: «سمع منها ما يكره فوقف عليها» فلو كان وقوفها على القبر و زيارتها له أمراً محرماً كان عليه أن يردعها عنه، مع أنّه صلى الله عليه و آله و سلم أمرها في كلا اللقاءين بالصبر.

٦. زيارة عائشه قبر أخيها

أخرج الترمذى فى سننه، عن عبد الله بن أبى مليكه، قال: توفى عبد الرحمن بن أبى بكر ب «حبشى»، قال: فحمل إلى مكه فدفن فيها، فلما قدمت عائشه، أتت قبر عبد الرحمن بن أبى بكر، فقالت: و كنا كندمانى جذيمه حقبه

ثم قالت: و الله لو حضرتك ما دفنت إلا حيث مت، و لو شهدتك ما زرتك. (١)

و المتبادر من العبارة أنّها لما قدمت مكه ذهبت إلى زياره قبر أخيها لا أنّها مرّت عليه عفواً فى طريقها إلى مكه.

و أمّا قولها: «و لو شهدتك لما زرتك» فهو بمعنى أنّى بما ان لم أؤدى حقك فى حال حياتك، فلذلك أزورك بعد مماتك و لو كنت مؤديه لحقك لما تحملت عبء زيارتك.

ص: ٢٥٧

١-١). سنن الترمذى: ٣/٣٧١، باب ما جاء فى الرخصه فى زياره القبور، حديث ١٠٥٥. [١]

٧. زيارة السيدة فاطمه عليها السلام قبر حمزه

أخرج الحاكم في مستدركه، عن علي بن الحسين، عن أبيه: إن فاطمه عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت تزور قبر عمها حمزه كل جمعه و تبكى عنده.

قال الحاكم بعد نقل هذا الحديث: «رواته عن آخرهم ثقات». (١)

هذه الروايات العديده الصحيحه تدل بوضوح على جواز الزيارة للنساء، و من أمعن النظر فيها يقف على أن المسأله من الوضوح بمكان غير أنه إكمالاً للبحث نذكر دليل المخالف، و هي ليست إلا شهباً طارئه.

دليل من لم يجوز زياره القبور للنساء

احتج المخالف بوجه:

الأول: بما أخرجه الترمذى، عن أبي هريره أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن زوّارات القبور. (٢)

و أخرجه ابن ماجه عن حسان بن ثابت، و عن ابن عباس و اللفظ فى الجميع واحد.

قال الترمذى صاحب السنن: و قد رأى بعض أهل العلم أنّ هذا كان قبل أن يرخص النبي فى زياره القبور، فلما رخص دخل فى رخصته الرجال و النساء.

و قال بعضهم: إنّما كره زياره القبور للنساء لقله صبرهنّ و كثره جزعهنّ. (٣)

ص: ٢٥٨

١- ١). الحاكم: المستدرک: ٣٧٧/١، كتاب الجنائز.

٢- ٢). سنن الترمذى: ٣٧١/٣، باب ما جاء فى كراهيه زياره القبور للنساء من كتاب الجنائز، حديث ١٠٥٦. [١]

٣- ٣). المصدر نفسه. [٢]

و قال القرطبي: لم يلعن النبي كل امرأه تزور القبور بل لعن المرأه التي تزور القبور دوماً، و الدليل على ذلك قوله صلى الله عليه و آله و سلم: زوّارات القبور، و كلمه «زوار» هي صيغه المبالغه و تدلّ على الكثره و التكرار. (١)

أقول: إنّ أمر هذا الحديث دائر بين كونه منسوخاً أو مخصصاً، فلو ورد قبل الترخيص كان عموم الترخيص «فزوروا» ناسخاً و الحديث منسوخاً و إن ورد بعد الترخيص يكون مخصصاً، فإذا دار أمره بين كونه متروكاً أو معمولاً به فلا يحتج به.

الثاني: ما أخرجه ابن ماجه عن أبي الحنفية بن علي، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فإذا نسوه جلوس، فقال: ما يجلسكنّ؟ قلن: ننتظر الجنازه.

قال: هل تغسلن؟ قلن: لا، قال: هل تحملن؟ قلن: لا.

قال: هل تدلين فيمن يدلي؟ قلن: لا.

قال: فأرجعن مأزورات غير مأجورات. (٢)

إنّ الحديث قاصر سنداً و دلاله.

أمّا السند ففيه دينار بن عمر (أبو عمر).

قال أبو حاتم في حقه: إنه ليس بالمشهور، و قال الأزدي: متروك، و قال الخليل في الإرشاد: كذاب، و قال ابن حبان: يخطئ.

فهل يمكن أن يستدل بحديث كهذا.

و أمّا الدلاله ففيها أولاً: أنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم يذم النسوه اللواتي لم يكن لهنّ أيّه مسئوليه في تجهيز الميّت، و إنّما جلسنّ للنظر و المشاهده، و إلاّ فلو كان لهنّ مهمه

ص: ٢٥٩

١-١). القرطبي.

٢-٢). سنن ابن ماجه: ١/٥٠٢، باب ما جاء في اتباع النساء الجنائز، الحديث ١٥٧٨.

معينه فتعكس القضية، ويكُنّ مأجورات لا مأزورات، ولذلك سألهن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن وجه جلوسهن فلما علم حالهن ندد بهن.

و ثانياً: أنّ غايه ما يمكن حمل الروايه عليها هو النهى عن اتباع النساء الجنائز، وقد نقله الترمذى أيضاً تحت هذا العنوان و هو أمر مكروه بالاتفاق، ويدلّ عليه حديث أم عطيه حيث قالت: «نهينا عن اتباع الجنائز، ولم يعزم علينا». (١)

قوله: «و لم يُعزم علينا» أى و لم يوجب علينا، والمراد أنّه لم يقطع علينا بالنهى ليكون حراماً فهو مكروه تنزيهاً. (٢)

و أين هذا ممّا نحن فيه من زياره القبور للنساء حيناً بعد حين!؟

و ختاماً نلفت نظر القارئ إلى نكته، وهى: أنّ الإسلام دين الفطره، و الشريعه السهله السمحه.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ هذا الدين لمتين فأوغلوا فيه برفق».

فمنع المرأة المؤمنه الصالحه التى دفنت فلذه كبدها تحت ركام من التراب عن زياره قبر ولدها على طرف النقيض من الشريعه السهله السمحه، التى لا تجبر أحداً على كبت أحاسيسه و عواطفه فى قلبه دون إظهارها.

الآن حصحص الحقّ و بان بأجلى مظاهره و تبين أنّ القول بالجواز هو القول الحقّ المتعين.

أرجو من الله سبحانه أن يحقّ الحقّ و يبطل الباطل و يجمع شمل المسلمين، و يرزقهم توحيد الكلمه كما رزقهم كلمه التوحيد، و المسلمون-مع تفرّقهم فى الفروع و الأحكام-تجمعهم مشتركات عديده.

ص: ٢٦٠

١-١. سنن ابن ماجه: ٥٠٢/١، باب ما جاء فى اتباع النساء الجنائز، الحديث ١٥٧٨.

٢-٢. سنن ابن ماجه: ٥٠٢/١، باب ما جاء فى اتباع النساء الجنائز، الحديث ١٥٧٨.

و لنعم ما قال شاعر الأهرام: إنا لتجمعنا العقيدة أمّه

و فى الختام نعكس رأى الإماميه فى مسأله زياره القبور للنساء و نكتفى بكلمه العلامه الحلى فى كتاب «منتهى المطلب» الذى ألفه فى الفقه المقارن، قال:

الرابع: يجوز للنساء زياره القبور، و عن أحمد روايتان: إحداهما: الكراهه.

لنا: ما رواه الجمهور عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم: «كنت نهيتكم عن زياره القبور فزوروها» و هو بعمومه يتناول النساء.

و عن ابن أبى مليكه أنه قال لعائشه: يا أم المؤمنين من أين أقبلت؟ قالت: من قبر أخى عبد الرحمن، فقلت لها: قد نهى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن زياره القبور؟ قالت: نعم، قد نهى ثم أمر بزيارتها. (١)

و من طريق الخاصه: ما رواه الشيخ عن يونس، عن أبى عبد الله عليه السلام، قال: إن فاطمه عليها السلام كانت تأتى قبور الشهداء فى كل غداه سبت، فتأتى قبر حمزه و ترحم عليه و تستغفر له (٢). (٣)

ص: ٢٤١

١- ١). المستدرک: للحاكم: ٣٧٦/١؛ سنن البيهقى: ٧٨/٤.

٢- ٢). مرّ مصدر الروايه و لاحظ التهذيب للشيخ الطوسى: ٤٦٥/١ برقم ١٥٢٣.

٣- ٣). منتهى المطلب: ٤٣٠/٧. [١]

معجم المصطلحات

لكلّ علم مصطلحاتٌ خاصّة يستعين بها الأستاذ و المدرّس عند ما يريد أداء المعنى الكثير باللفظ القليل... وهذا هو في الحقيقة دور «الاصطلاح و المصطلح» في جميع المعارف و العلوم، و لأجل ذلك لا ترى علماء إلاّ و فيه مصطلحات خاصه لمفاهيم معيّنه قام بوضعها البارعون في ذلك العلم بهدف التسهيل و التيسير في مقام الإفاده و التعليم.

و من هنا ينبغي أن يقوم المعلّم و المدرس بتبيين المصطلحات المهمه قبل تدريس المادّه العلميه، ليكون ذلك و سيله فعّالّه و ناجعه لفهم ما سيمرّ على المتعلّم في أثناء الدرس بسهولة و يسر.

من هذا المنطلق نهض ثلّة من العلماء بجمع و نضد المصطلحات الموضوعه في العلوم خدمه لهذا الهدف العظيم.

غير أنّ بين المؤلّفين من جمع مصطلحات العلوم المدارجه في كتاب واحد، و هناك من اقتصر على تبين مصطلحات علم أو علمين بينهما صله.

و ممّا أُلّف في المجال الأوّل:

١- «كشاف اصطلاحات الفنون» تأليف: محمد أعلى بن علي التهانوي، من

منشورات الخيام، وقد طبع بالأوفست على طبعه كلكتا عام ١٨٦٢ م.

٢- «مصباح السعادة و مفتاح السيادة» تأليف: طاش كبرى زاده (المتوفى ٩٦٢م).

٣- «جامع العلوم و الحكم» المعروف ب«دستور العلماء» تأليف: أحمد نكريك.

٤- «التعريفات» تأليف: السيد شريف الجرجاني (المتوفى ٨١٦هـ).

و مما أُلّف في المجال الثاني:

١- «رساله الحدود و الحقائق» تأليف: الشريف المرتضى، و هي مطبوعه ضمن رسائل الشريف نفسه.

٢- «المقدمه للألفاظ المتداوله بين المتكلمين» تأليف الشيخ الطوسي رحمه الله (المتوفى ٤٦٠هـ).

٣- «الحدود و الحقائق في شرح الألفاظ المصطلحه بين متكلمي الإماميه» تأليف القاضي أشرف الدين صاعد البريدي الآبي، ذكره الشيخ منتجب الدين في الفهرست، و قال عنه: «فاضل متبحر، له تصانيف» (١).

و قد طبع بتحقيق الدكتور حسين علي محفوظ ببغداد مطبوعه المعارف عام ١٩٧٠م.

٤- «الحدود» تأليف الشيخ معين الدين، أستاذ الشيخ رشيد الدين عبد الجليل الرازي الذي هو من مشايخ الشيخ منتجب الدين الذي كان حياً في سنة ٥٨٥هـ، و توفي بعد ذلك بقليل فيكون المؤلف من مشايخ أواخر القرن الخامس (٢).

ص: ٢٦٣

١- ١. منتجب الدين: الفهرست، ص ١٠٠ برقم ٢٠٢. [١]

٢- ٢. المصدر نفسه: ص ١٥ برقم ١٥. [٢]

٥-«الحدود» تأليف: الشيخ زين الدين أبي الحسن علي بن عبد الجليل البياضى، المتكلم، نزيل دار الرقابه فى الرى، ذكره الشيخ منتجب الدين فى فهرسته (١).

٦-«الحدود» تأليف النقيب أبى طالب الاسترآبادى ترجمه ابن شهر آشوب فى «معالم العلماء» و ذكر من تصانيفه: المقدمه، و الحدود، و الأبواب، و الفصول لذوى الألباب و العقول (٢).

٧-اصطلاحات الصوفيه» تأليف: الشيخ كمال الدين أبى الغنائم عبد الرزاق بن جمال الدين الكاشى (المتوفى سنة ٧٣٠ هـ) (٣).

٨-«الحدود» تأليف: الشيخ الإمام قطب الدين المقرئ النيسابورى من مشايخ السيد ضياء الدين أبى الرضا فضل الله الراوندى (المتوفى حدود ٥٤٧ هـ) ذكره الشيخ منتجب الدين فى فهرسته (٤).

و هذا هو الكتاب الذى يزفه الطبع الآن إلى القراء الكرام.

و قد كاد هذا الكتاب أن تعصف به عواصف الزمان و تؤدى به طوارق الحدثان لو لا أن شيخنا المحقق الدكتور محمود «يزدى فاضل» دام علاه، شمر عن ساعد الجد، فقام-بعد العثور على نسخه فريده فى بابها منه-بتحقيقه و التعليق عليه و تصحيحه بعنايه فائقه، جديره بالتقدير، و سيقف القارئ بنفسه على خصوصيه تلك النسخه و ميزاتها فى مقدمته كما يقف على ترجمه المصنّف فيها على

ص: ٢٦٤

١-١. المصدر نفسه: ص ١١٤ برقم ٢٣٦. [١]

٢-٢. معالم العلماء: ١٣٦ برقم ٩٣٢. [٢]

٣-٣. الجلبى: كشف الظنون ١١/١. [٣]

٤-٤. الفهرست: ١٥٧ برقم ٣٦٣. [٤]

حد ما وقف عليه المحقق في المعاجم.

و مما تجدر الإشارة إليه أنّ هذه الكتب و أمثالها المؤلفة في مختلف المجالات كانت النواه الأولى لتأليف دائره المعارف الرائجه في هذه العصور.

فإنّ مؤلّفى دائره المعارف استمدّوا و يستمدّون من تلك الكتب و المصنّفات في تبيين مصطلحات العلوم من دون عناء و بذل جهد كبير.

و في الختام نتقدم بالشكر للأستاذ الفاضل المحقق إذ سدّ فراغاً موجوداً في المكتبه الكلاميه بتحقيق و نشر هذا الكتاب، فإنّ بعض ما أُلّف في هذا المجال قد عفا عليه الدهر، و لم يبق منه إلاّ الاسم في معاجم الكتب و المؤلّفين، بل إنّ قسماً منها لم يدخل حتى في هذه المعاجم، فلله درّ المؤلف، حيث قد أوضح في كتابه القيم هذا (٤٤٤) مصطلحاً كلامياً مبثوثاً في كتب المنطق و الكلام و الفلسفه.

فسلام الله على المؤلّف، و المحقق و لهما منّا جميعاً الشكر الجزيل و التقدير الصادق الخالص.

جعفر السبحاني

٢٨/ محرم الحرام ١٤١٤ هـ

قم - مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

ص: ٢٤٥

المدرس الخيابانى

رائد العلم و الأدب

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على خير خلقه محمد و آله الطاهرين، الغر الميامين

أما بعد، فإنه سبحانه - بمقتضى حكمته - لم يخلق الإنسان سدى، و هو القائل: «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا» ١ و «مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ». ٢

ثم إنه سبحانه عزّز تحقيق تلك الغايه الساميه ببعث أنبيائه و رسله، و إنزال الكتب معهم لئرى معالم الحق و مزالق الباطل عبر القرون و الأجيال، إلى أن بعث الله سبحانه محمداً - نذيراً و بشيراً بالحق - لإنجاز عدته و إتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهوره سماته، كريماً ميلاده، و أهل الأرض يومئذ ملل متفرقه، و أهواء منتشره، و طرائق متشتته، بين مشبه لله بخلقه، أو ملحد فى أسمائه، أو مشير إلى غيره، فهداهم به من الضلاله، و أنقذهم بمكانه من الجلاله.

بعثه سبحانه بدلائل ساطعه، و معاجز باهره، يحتج بها على الناس، و من معاجزه الخالده شريعته المتبلوره فى الواجبات و المندوبات و المكروهات

ص: ٢٦٦

و المحرمات على مختلف الأصعدة.

إنَّ شريعته كشرعيه الإسلام و التي تلبي كاهه متطلبات الإنسان في ماضيه و حاضره و مستقبله لا يمكن أن تصدر عن إنسان مهما بلغ من الفكر و التعقّل ما لم تدعمه السماء، و يتجلّى ذلك بوضوح في شموليتها للأحكام الفرديه و الاجتماعيه و السياسيه و الاقتصاديه و غيرها من جوانب حياه الإنسان.

لا- شكّ أنّ القرآن هو معجزه النبي صلى الله عليه و آله و سلم الخالده بيد أنّ هناك معاجز أخرى غير القرآن و من أبرزها تشريعات الإسلام و أحكامه الوارده في الكتاب و السنّه لا سيما المرويه عن أئمه أهل البيت عليهم السلام، فإنّ تلك الثمار اليانعه التي تتجاوب مع فطره الإنسان و لا تختلف عنها قيد شعره، لدليل واضح على أنّها ليست ثمره تؤتى أكلها في حين دون حين، بل هي ثمره شجره طيبه أصلها ثابت و فرعها في السماء.

ثمّ إنّ الفقهاء على مرّ العصور تداولوا أمر هذه الشريعه بالبحث و الدراسه و التحليل حتى خرجوا بنتائج باهره في مجال الفقه و الأحكام فكتبوا موسوعات و كتباً و رسائل لغايات شتى.

فالموسوعه لمن رام خوض غمار الفقه و اقتحام لجبته، و الكتب الفقيهيه للمتوسطين في هذا الفن، و أمّا الرسائل و المتون الفقيهيه فقد وضعوها للمبتدئين.

و من حسن الحظ أنّ مؤلفنا الكبير-الذي نحن بصدد تسليط الأضواء على جانب من سيرته-أعنى:الإمام جمال الدين أبا منصور الحسن بن يوسف بن المطهر المعروف بالعلامة الحلّي (٦٤٨-٧٢٦هـ) قد برع في هذا الفن براعه لا يدانيه أحد، فألف موسوعات فقيهيه ذات مجلدات ضخمه ك«تذكره الفقهاء»، و«منتهى المطلب» و غيرها.

كما ألف كتباً متوسطه في الفقه بين الاختصار و الاستيعاب ك«قواعد

الأحكام في معرفه الحلال»، و«تحرير الأحكام الشرعيه على مذهب الإماميه»، و«نهايه الأحكام في معرفه الاحكام».

كما قام بتأليف متون مختصره للمبتدئين ك«إرشاد الأذهان إلى أحكام الإسلام» و«تبصره المتعلمين».

و هذا الكتاب الأخير الذي نحن بصدد التقديم لشرح من شروحه قد استأثر باهتمام واسع حيث أكتب عليه العلماء بالدراسه و التعليقه و الشرح حتى تجاوزت الشروح و التعاليق عليه ٣٠ شرحاً، أورد أسماء طائفه كبيره منها الشيخ الطهراني في ذريعته (١)، كما تجد أسماء ٣١ شرحاً في مقدمه محقق كتاب شرح التبصره للشيخ ضياء الدين العراقي. (٢)

كما ذكر قسماً منها زميلنا المغفور له السيد عبد العزيز الطباطبائي (٣).

و هذا الإقبال الواسع من قبل العلماء و الفقهاء دليل على أنّ الكتاب قد حاز شهره واسعاً في الأوساط العلميه.

هذا و يعرفه مؤلفه العلامة الحلبي بقوله: هذا الكتاب الموسوم بتبصره المتعلمين في أحكام الدين وضعناه لإرشاد المبتدئين و إفاده الطالبين مستمدين من الله المعونه و التوفيق فإنه أكرم المعطين. (٤)

تزامن الجمود و الازدهار في عصر واحد

انتاب الفقه في البيئات الشيعيه في القرن السادس و السابع موجه من

ص: ٢٤٨

١- ١. الذريعه: ٣/٣٢١-٣٢٢. [١]

٢- ٢. شرح التبصره: للشيخ ضياء الدين العراقي: ١/١١، قسم المقدمه.

٣- ٣. مكتبه علامه الحلبي: ٧٦.

٤- ٤. تبصره المتعلمين: خطبه الكتاب. [٢]

الازدهار و النضوج على يد فقهاء كبار.

كالشيخ نجيب الدين محمد بن جعفر بن هبه الله بن نما المشتهر بابن نما (المتوفى عام ٥٦٤٥هـ).

و جعفر بن حسن بن عيسى المشتهر بالمحقق الحلبي (٦٠٢-٥٦٧٦هـ) صاحب كتاب الشرائع و هو غنى عن الإطراء و التعريف.

و نجيب الدين يحيى بن سعيد الهذلي (٦٠١-٥٦٩٠هـ).

إلى غير ذلك من مشايخ الفقه و الاجتهاد.

و قد تربي العلامة على يد الأخيرين من مشايخه فى الحلة التى بلغ عدد الفقهاء فيها يومذاك ما يربو على ٤٤٠ فقيهاً. (١) فكان عصره عصر الازدهار الفقهى حيث تم فيه تخريج حجم هائل من الفروع على وجه لا نجد له مثيلاً من بين سائر العصور.

و هذا كتابه «تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية» مشحون بتخريج الفروع و استنباط الأحكام من الأصول.

فى حين أنّ الفقه السنّى فى ذينك القرنين دخل مرحله الخمود و الجمود و ضمور الإبداع، يقول مصطفى أحمد الزرقاء فى معرض حديثه عن القرن السابع: و فى هذا الدور أخذ الفقه بالانحطاط، فقد بدأ فى أوائله بالركود و انتهى فى أواخره إلى الجمود، و قد ساد فى هذا العصر الفكر التقليدى المغلق، و انصرفت الأفكار عن تلمس العلل و المقاصد الشرعية فى فقه الأحكام إلى الحفظ الجاف، و الاكتفاء بتقبل كلّ ما فى الكتب المذهبية دون مناقشه، و طفق يتضاءل و يغيب ذلك النشاط الذى كان لحركة التخريج و الترجيح و التنظيم فى فقه المذاهب، و أصبح مرید الفقه

ص: ٢٦٩

(١-١). رياض العلماء: ٣٦١/١.

يدرس كتاب فقيه معين من رجال مذهبه فلا ينظر إلى الشريعة و فقها إلا من خلال سطوره، بعد أن كان مرید الفقه قبلاً يدرس القرآن و السنه، و أصول الشرع و مقاصده.

و قد أصبحت المؤلفات الفقيهية-إلا القليل-أواخر هذا العصر اختصاراً لما وجد من المؤلفات السابقة أو شرحاً له، فانحصر العمل الفقهى فى ترديد ما سبق، و دراسته الألفاظ و حفظها، و فى أواخر هذا الدور حلّ الفكر العامى محلّ الفكر العلمى لدى كثير من متأخرى رجال المذاهب الفقيهية. (١)

المصنف فى سطور

إنّ العلامه الحلى غنى عن الإطراء و التعريف، فقد ذكره غير واحد من كبار علماء الفريقين.

فهذا هو الصفدى يعرفه بقوله: الإمام العلامه ذو الفنون، عالم الشيعه و فقيهم، صاحب التصانيف التى اشتهرت فى حياته، إلى أن قال: و كان إماماً فى الكلام و المعقولات. (٢)

و عرّفه ابن حجر فى لسان الميزان بقوله: عالم الشيعه و إمامهم، و مصنفهم، و كان آيه فى الذكاء، و كان مشتهر الذكر، حسن الأخلاق. (٣)

لقد كان العلامه الحلى ملماً بشتى العلوم الإسلاميه المعروفه آنذاك دراسته و تدریساً و تأليفاً و كان أثره واضحاً على جميع من تلمذ عنده، أمثال:

١. فخر المحققين (٦٨٢-٥٧٧هـ)، و كفى فى جلاله قدره و طول باعه ما

ص: ٢٧٠

١- ١. المدخل الفقهى العام: ١٨٦/١-١٨٧، ط دار الفكر.

٢- ٢. الوافى بالوفيات: ٨٥/١٣، برقم ٧٩. [١]

٣- ٣. لسان الميزان: ٣١٧/٢.

ذكره الفيروزآبادي (٧٢٩-٨١٧هـ) صاحب «القاموس المحيط» في حقه، حيث قال: ... عن شيخى و مولائى، علامه الدنيا، بحر العلوم، و طود العلى، فخر الدين، أبى طالب، محمد بن الشيخ الإمام الأعظم، برهان علماء الأمم، جمال الدين أبى منصور، الحسن بن يوسف بن المطهر الحلى. (١)

٢. مجد الدين أبو الفوارس محمد بن على بن الأعرج الحسينى، يعرفه ابن الفوطى بقوله: اجتمعت به عند النقيب على بن موسى بن طاوس، و قال: رأيتُه جميل السمه، وقوراً، دِيناً، عالماً بالفقه. (٢)

ورثاه صفى الدين الحلى بقصيده مطلعها:

صروف الليالى لا يدوم لها عهد و أيد المنايا لا يطاق لها ردّ (٣)

٣. ولد أبى الفوارس عميد الدين بن عبد المطلب (٦٨١-٧٥٤هـ).

٤. نجله الآخر ضياء الدين بن عبد المطلب (كان حياً ٧٤٠هـ).

٥. مهناً بن سنان بن عبد الوهاب الحسينى المدنى (المتوفى عام ٧٥٤هـ).

و قد أَلَفَ كتاباً أجاب فيه على عدّه مسائل، أسماه «المسائل المهنايه».

إلى غير ذلك من الشخصيات اللامعه فى سماء الفقه و الأصول و الكلام.

لا- شكّ أنّ العلامة الحلى قد خلّف تراثاً علمياً ضخماً أغنى المكتبه الشيعيه، تمثل فى مؤلفاته و تصانيفه فقد خاض فى أكثر العلوم الإسلاميه من فقه و كلام و أصول و رجال و تفسير و فلسفه و منطق إلى غير ذلك.

و كفى أنّه أَلَفَ فى حقل المعقول و الكلام ما يربو على ٢٠ كتاباً و رساله، كما

ص: ٢٧١

١-١). الجاسوس على القاموس، تأليف أحمد فارسى أفندى: ١٣٠.

٢-٢). مجمع الآداب فى معجم الألقاب: ٥١٩/٤. [١]

٣-٣). ديوان صفى الدين الحلى: ٣٧١.

أنه أُلّف في حقل الفقه عدة دورات بين موسوعه و كتاب و مختصر.

فآثاره المتنوعه تنم عن نبوغه و نظره الثاقب و استيعابه كافه العلوم.

و قد سردنا أسماء مصنفاته في المعقول عند تقديمنا لكتاب «نهايه المرام في علم الكلام» كما ذكرنا أسماء مصنفاته في الفقه في كتابنا «تذكره الأعيان». (١)

و من آثاره الفقيهيه المختصره كتاب «تبصره المتعلمين في أحكام الدين». و الكتاب بوجازته و سلاسه ألفاظه صار موضع اهتمام الفقهاء منذ عصر مؤلفه إلى يومنا هذا فتولوه بالشرح و التعليق، و الذي منها شرح أستاذنا الكبير، العلامة المحقق الشيخ محمد علي بن محمد طاهر الخياباني التبريزي المشهور بالمدرس (١٢٩٦-١٣٧٣هـ).

و بما أنّ الشارح أحد أساتذتي الكبار و كان قدوه لي، و إرشاده معيناً لي على شقّ طريقي الحافل بالأشواك، فيسرنى أن أكتب شيئاً عن سيرته و ترجمته و ما عاناه من الظروف الحالكة التي مرّت به، و زادت عليه أنه بقي مغمور الذكر، مجهول القدر رغم تضلّعه و براعته في أغلب العلوم الإسلاميه.

ترجمه الشارح و سيرته الذاتيه

ولد قدس سره في مدينه تبريز عام ١٢٩٦هـ، فقرأ الأدب الفارسي و العربي في مسقط رأسه على مشايخ عصره، فبلغ في الأدب العربي مقاماً شامخاً حيث درس المعلقات السبع و المقامات الحريريه و غيرها من كتب الأدب، و من فرط شغفه بها أنه راح يحفظ عن ظهر قلب كلّ ما وقع عليه بصره، من المتون، كتهذيب المنطق،

ص: ٢٧٢

(١-١). تذكره الأعيان: ٢٥١-٢٦٢. [١]

و ألفيه بن مالك و غيرهما.

و فى ظل اختماره بالأدب العربى ألف كتاب «غايه المنى فى تحقيق الكنى» فقد جمع فى ذلك الكنى الرائجه فى لغه العرب المستعمله فى غير الإنسان.

كما قام بجمع ما آثر من الأشعار عن أئمه أهل البيت عليهم السلام و جمعها فى ١٢ باباً على عدد الأئمه الاثنى عشر، فشرح لغاتها المشكله.

و الحق أنه كان أستاذاً بارعاً فى الأدب العربى بالمعنى الرائج فى ذلك الزمان، و لم يكتف بذلك بل أنه راح يتردد على أنديه دروس الفقه و الأصول لمراجع عصره و فطاحل دهره، أمثال:

١. المرجع الدينى الفقيه السيد أبو الحسن المعروف بالأنجى (١٢٨٢-١٣٥٧هـ).

٢. المرجع الدينى المحقق الآغا ميرزا صادق التبريزى (١٢٧٤-١٣٥١هـ).

فقد طوى عليهما من عمره الشريف أعواماً لا يستهان بها فألف فى مجال الفقه طيله تتلمذه على العلمين الجليلين كتاب «حياض الزلائل فى رياض المسائل» تعليقه على الشرح الكبير المعروف ب«رياض المسائل»، ألفه عام ١٣٢٤ و قد ناهز من العمر ٢٨ عاماً.

إنّ شيخنا الأستاذ مع أنّه كان فقيهاً أصولياً و لكن شغفه بتعلّم ما راج من العلوم دفع به إلى الحضور فى دروس المعقول و الكلام على يد الشيخ ميرزا على اللكرانى الذى كان من تلاميذ الفيلسوف الكبير المعروف ب«جلوه»، كما برع فى الرياضيات و الهيئه على يد الأستاذ ميرزا على المعروف ب«المنجم» و قد بلغ ولعه بالعلوم الإسلاميه بمكان أنّه قام بمفرده بكتابه دائره معارف أسماها «قاموس

كلمات العلماء في حقّه

١. يعرّفه معاصره المؤرّخ الحاج ميرزا على الواعظ الخيابانى بقوله:

عالم، محقق، نحري، و فاضل مضطلع خبير، حبر أديب أعلم، و بحر زاخر عيلم، جامع فنون الفضائل و الكمالات، حائز قصب السبق في مضامير السعادات، عالم، بارع، جامع، ما من علم من العلوم إلّا قد حلّ في أعماقه، و ما من فنّ من الفنون إلّا و قد شرب من عذبه و زعافه، كانت له في اقتناء العلم و الأدب همه تراحم الأفلاك و تراعم بعلوّ قدرها الأملاك. (١)

٢. و يعرّفه أيضاً سيدنا الجليل السيد محمد الحجه في إجازته له بقوله: لقد استجاز منّي في الروايه و نقل أحاديث أهل بيت العصمه العالم العامل، و الفاضل الكامل أبو الفواضل و الفضائل، قره عين الفضل و الكمال، و قره جبين العلم و الإفضال، صاحب المقامات العلميه و العمليه و حاوى المكارم الصوريه و المعنويه. (٢)

٣. كما يعرّفه العلامة الحجه السيد هبه الدين الشهرستاني بقوله: شيخنا الأجل الأفضل انموذج عصابتنا البجائه في العصر الأوّل، حضره العالم الفاضل و المحدث المحقّق الكامل، صفوه المؤلفين الأمثال، ولينا الصفى الروحاني، المولى محمد على التبريزي الخيابانى (حياه الله و جباه بنيل الرغائب و الأمانى). (٣)

ص: ٢٧٤

١-١. العلماء المعاصرون: ٤٠٥.

٢-٢. ريحانه الأدب: [١] مقدمه الجزء الثامن.

٣-٣. المصدر نفسه.

مشايخ روايته

لقد استجاز قدس سره من مشايخ عصره فأجازوا له الروايه بأسانيدهم المذكوره فى إجازاتهم، منهم:

١. العلامة الحجّه السيد محمد الحجّه الكوهكمري (١٣٠١-١٣٧٢هـ) فقد أجازوه وصرّح بكونه ممّن ارتقى من حضيره التقليد إلى أوج الاجتهاد.

٢. السيد السند آيه الله السيد صدر الدين الموسوى العاملى (١٢٩٩-١٣٧٣هـ)، فقد أجازوه أن يروى عنه كما صرح فى اجتهاده.

٣. المرجع الدينى السيد محسن الحكيم (١٣٠٦-١٣٨٩هـ) فقد أجاز له أن يروى عنه كلّما صحت روايته عنه.

٤. الشيخ و المصلح الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (١٢٩٤-١٣٧٣هـ) فقد أجازوه أن يروى عنه.

٥. العلامة الحجّه الشيخ عبد الحسين الرشتى.

إلى غير ذلك من مشايخ إجازته الذين أجازوا للمؤلف و أطروه و قدروا جهوده و ثمنوا كتبه.

و قد طبعت صور الإجازات فى مقدمه الجزء الثامن من كتابه ريحانه الأدب.

آثاره العلميه

لقد كان شيخنا الفقيه يرضن بوقته الثمين منذ أوان شبابه إلى أن وافته المتيه. فلم يكن يهتم إلا بالتدريس و المطالعه و الكتابه، و قلما تجده يغادر داره إلا لحاجات ضروريه، و بلغ به الأمر أنه كان يعقد أنديه دروسه فى داره، و لأجل ذلك

خلف آثاراً جليله في مختلف العلوم، و كان بعض تأليفه بمفرده يستوعب عمر كاتب، و إليك الإشاره إلى تلك الآثار وفقاً لتسلسلها الزمني:

١. «حياض الزلائل في رياض المسائل» تعليقه على قسم الطهاره من رياض المسائل، الذي كان كتاباً دراسياً في أكثر الجامعات الإسلاميه نظراً لعمقه و دقته. و هو مشحون بالأمر بالتأمل في أكثر مسائله، و قد فرغ شيخنا الأستاذ من تعليقه عام ١٣٢٤ هـ، و يقع في ٤٢٨ صفحه من القطع الوزيري، و هو بعد لم ير النور.

٢. «غايه المنى في تحقيق الكنى» و الكتاب لبيان الكنى العربيه المستعمله في غير الإنسان، فرغ منه عام ١٣٣١ هـ.

٣. «قاموس المعارف» و هو بيت القصيد في تأليفه، و يعد دائره معارف باللغه الفارسيه يحتوي على ٤٥٠٠٠ عنوان دارجاً في اللغه الفارسيه سواء أ كان أصيلاً أم دخيلاً، فقد قام بشرح ما يرجع إلى الكلام و الفلسفه، و الملل و النحل، و النجوم، و الرياضيات، و العروض، و التاريخ، و الأدب و غير ذلك، و فرغ منه عام ١٣٤٥ هـ.

و قد سمعت منه قدس سره أنه استغرق تأليفه ١٧ عاماً و اشتملت مقدمته على قواعد اللغه الفارسيه، و هي جديره بطبعها على حده، و الكتاب يقع في ستة مجلدات ضخام، يبلغ عدد صفحاتها ٤٠٠٧ صفحات. و الكتاب لم ير النور عسى أن يقبض الله له الهمم العاليه لنشره و تحقيقه.

و هو قدس سره يصف الظروف الصعبه التي قام بتأليف هذا الكتاب فيها بقوله:

«و شرعت بعد الاستمداد من العنايه الإلهيه في تأليف كتاب «قاموس المعارف» الذي يحكى لفظه عن معناه و اسمه عن مسماه حتى انتهت

ص: ٢٧٤

أيام حياتي إلى سنه ست و ثلاثين من هجره سيد البشر (١٣٣٦هـ) التي وقائعها انموذج من وقائع المحشر، فابتليت بحوادث جمّه و فجائع عمه، و اختلت الأحوال بحيث صار الفؤاد في غشاء من نبال، و ذلك لتلاطم أمواج الفتن، و تراكم سحائب المحن في كاهه بلاد إيران و لا سيما آذربايجان و خصوصاً، و الاخوان، فلقد جرّد الدهر عليهم سيف العدوان، فطرح الأوراق في زوايا الهجران متلهفاً على فراق الأحبه، و متأسفاً على مفارقه الأعزّه.

مضافاً إلى القحط الشديد و الغلاء الأكيد مع شيوع مرض الحصبه فهلك جمع كثير وجم غفير بين الوباء و الجوع، فبقيت على تلك الحال غريقاً في لجج الملال، بحيث لا أعرف اليمين من اليسار، و لا الليل من النهار.

ثمّ يذكر أنّه عاد إليه شغفه و شوقه بالدراسه و الكتابه، فرجع إلى ما جمع و أكمل الكتاب بفضل من الله سبحانه. (١)

و يشير شيخنا الأستاذ إلى الظروف الصعبه التي مرّ بها، و تلخص في النقاط التاليه:

١. نشوب الحرب العالميه الأولى و تطاير شررها من الغرب إلى الشرق حتى وصلت إيران، فأصبحت ميداناً تجول فيه القوات الغازيه كالقوات العثمانيه و التزاريه و الانكليزيه في ظروف مختلفه.

٢. تفشّي الوباء و الجوع في المنطقه.

٣. نشوب الفتن و الحروب الداخليه بين مؤيدي ثوره الدستور و مخالفهم، و كان لآذربايجان السهم الأوفر من هذه الفتن و المحن حيث دارت الحروب الأهليه في مدينه تبريز شهوراً بل أعواماً على قدم و ساق.

ص: ٢٧٧

١- (١). ترجمه المؤلف في آخر التحفه المهدويه بقلمه: ١١٤.

ففى خضمّ هذه الأوضاع الصعبة للغاية قام المؤلف بتأليف «قاموس المعارف» بعد نكسه ألّمت به إبان تأليفه، مما ينم عن شغفه بالعلم، و تفانيه فى التأليف.

٤. «فرهنگ نوبهار» معجم باللغه الفارسىه يحتوى على ١٩ ألف كلمه، طبع عام ١٣٤٨هـ فى تبريز فى جزءين.

٥. «فرهنگ بهارستان» جمع فىه الكلمات المترادفه فى اللغه الفارسىه على غرار «سرّ الأدب» للثعالى فى اللغه العربىه، فرغ منه عام ١٣٤٨هـ.

٦. «الدر الثمين أو ديوان المعصومين» جمع فىه الأشعار المنسوبه إلى أئمه أهل البيت عليهم السلام و بيّن لغاتها و أوضح معانيها، و الكتاب بديع فى بابيه و هو ينم عن تضلّعه بالأدب العربى، و قد طبع الجزء الثانى منه تحت عنوان «التحفه المهدويه» عام ١٣٥٤هـ دون الجزء الأوّل.

٧. «نثر اللآلى فى شرح نظم اللآلى» و المتن للسيد أبى القاسم المقرئ المعروف فى عهد شاه عباس الثانى، فرغ من تأليفه ١٣٦٣هـ و قد طبع على الحجر بخط الكاتب طاهر خوشنويس، و قد قرأت المتن على يد شيخنا الأستاذ و كان يبيّن فى ذلك الحين شرحه.

٨. «فرهنگ نگارستان» معجم كبير باللغه الفارسىه فى ٥ مجلدات كبار من القطع الوزيرى يحتوى على ٥٥ ألف لغه بين مفرد و مركب، و قد بلغ عدد صفحاته ٣٣١٥ صفحه، فرغ منه عام ١٣٥٩هـ، و الكتاب نفيس فى بابيه لم ير النور.

٩. «الأمثال و الحكم» الدارجة فى اللغه التركيه الآذريه، يقع فى ٣٠٧ صفحات أورد فىه الأمثال و الحكم الشائعه بين الآذريين جمعها من الكتب و أفواه

١٠. «ريحانه الأدب في تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب»، و الكتاب يحتوي على تراجم العلماء و الفقهاء و الفلاسفه و الحكماء، و العرفاء و الأطباء و الشعراء و الأدباء و المحدثين و أصحاب أئمة أهل البيت الذين اشتهروا بالكنية أو اللقب، و الكتاب باللغه الفارسيه فريد في بابه، طبع عدة مرات.

و هو من أهم المصادر في التراجم اعتمد عليه-منذ نشر-العديد من المحققين و الكتاب، يقع في ثمانية أجزاء من القطع الوزيري، فرغ من تأليفه عام ١٣٦٤هـ، و مع ذلك فكان يملأ ما تخلله من نقص بإضافات هامه.

و الناظر في الكتاب يقف على مدى ما كابد و عانى في سبيل تأليف هذا الكتاب و جمع شوارده، و قد ضمَّ إلى ترجمته ما وقف على صور المترجمين و خطوطهم و قد كان هذا النوع من التأليف جديداً في بابه يوم ذاك، و كان يتمثل في التعريف بهذا الكتاب بقول القائل: و قد اهديت ريحاناً ظريفاً

١١. «كفايه المحصلين في تبصره أحكام الدين» و هو شرح مزجي لتبصره العلامة الحلّي في جزئين فرغ من تأليفه عام ١٣٤٩هـ.

و هو قدس سره يبيّن ملامح شرحه لهذا الكتاب، و يقول:

إنّي رأيت كتاب «تبصره المتعلمين في أحكام الدين» للعالم البارع، و النور الساطع، حافظ ناموس الهدايه، و كاسر ناقوس الغوايه، مكسّر شوكة المخالفين جمال المله و الدين آيه الله في العالمين، العلامة على الإطلاق المشتهر في الآفاق

أبى منصور حسن بن الشيخ صدر الدين يوسف بن على بن مطهر الحلبي قدس سره مع إيجازه محتويًا على رءوس الأحكام الدينيه و أمهاتها، مع اختصاره مشتملاً على جلّ الفروع الفقهيه و مهمّاتها، و لم يكن له شرح يكشف الحجاب عن معضلاته، و يرفع النقاب عن مشكلاته، فحداني ذلك إلى كتابه و جيزه فاتحه لمغلقه، و مقيدته لمطلقه. فاستعنت الله و توكلت عليه، و أضفت هذه الفوائد إليه، مراعيًا فيه شريطه الاختصار، و متجافياً عن وصمه الإطاله و الإكثار، فإنّ الإيجاز قد يُخلّ، و الإطناب قد يُملّ، و لم أعتد في الأغلب إلا على تنقيح مقاصده و مبانيه، و توضيح ألفاظه و معانيه، فإنّ التفسير غير الرد، و التقرير غير النقد. (١)

و قد طبع الجزء الأول منه عام ١٣٥٤هـ بالطبعه الحجريه، و منذ ذاك الحين تداولته الأيدي بالمطالعه و الدراسه، و بقى الجزء الثانى مغموراً، محفوظاً فى مكتبته قدس سره كسائر آثاره التى لم تر النور.

و لما كان لهذا الكتاب عنايه خاصه بتبيين مقاصد الماتن على وجه يزيل كلّ إبهام و غموض، و ذلك بجعل الشرح ممزوجاً فى المتن كأنهما صدرا من كاتب واحد، طلب غير واحد من أساتذته الجامعات الإسلاميه من نجله الفاضل الأستاذ على أصغر مدرس طبع الجزءين بصوره تتلاءم مع روح العصر. و قد أوكل -حفظه الله- هذه المهمه إلى فبعث بالكتاب مع الجزء المخطوط، و بقى عندى إلى أن اقترحت على زميلنا العزيز الدكتور مهدي محقق أستاذ جامعه طهران، و رئيس قسم صيانه الآثار الوطنيه، أن يقوم بنشر هذا الكتاب لما للمؤلف من حقوق على العلم و أهله عامه، و عليه خاصه. و قد استجاب لطلبى مشكوراً على أن يطبع الكتاب تحت إشرافى بحله قشيبه.

ص: ٢٨٠

١- ١). مقدمه كفايه المحصلين فى تبصره أحكام الدين. [١]

فقامت لجنه التحقيق فى مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام بتحقيق الكتاب و تشكيل ما أبهم من الكلم، و فصل المتون عن الشرح بأقواس خاصه مع تخريج مصادره، و جعل عناوين فى الكتاب للمسائل الهامه إلى غير ذلك من المهام الرائجه فى تحقيق الآثار الخطيه.

و مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام تقدم باقه الزهور هذه لرؤاد الفقه فى الجامعه الإسلاميه على أمل أن تعطر مشامهم برياحينها شاكره للأستاذ الدكتور مهدي محقق مساهمته فى سبيل نشر الكتاب على وجه لولاه لبقى الكتاب رهين الرفوف كسائر آثار المؤلف المخطوطه.

ملامح من سيرته

كان لشيخنا الفقيه ملامح خاصه فى حياته، تعد من أبرز سمات حُلُقهِ و سلوكه، و نحن نشير إلى ما لمسناه منه طيله مصاحبتنا و تتلمذنا عليه.

١. كان قدس سره مولعاً بالعلم، مشغولاً بالمطالعه و الكتابه، و كان يثمن وقته و لا يضيعه و لا يصرفه إلا فيما هو ضرورى، و قد لازمته عده سنين فما رأيتُهُ إلا بين مطالع و كاتب و حافظ للمتون و الأسفار، أو محاضر يلقى محاضراته على تلامذته، و يكفى فى شغفه بالعلم أنه إذا وقف على نكته علميه أو كشف مجهولاً يلتدُّ به أكثر مما يلتدُّ به الملوک عند فتح البلدان و الاستحواذ على كنوزها، و كان لسان حاله فى تلك اللحظات السعيده، قول القائل: أين الملوک و أبناء الملوک.

٢. شارك قدس سره فى أكثر العلوم الرائجه المتداوله فى ذلك الزمان فكان متضللاً فى بعضها و مشاركاً فى البعض الآخر، فهو فى الأدب العربى أديب ماهر، و فى الفقه فقيه بارع، و فى الرياضيات و النجوم أستاذ محنك، و فى التاريخ أستاذ بلا منازع،

و فى الأدب الفارسى ذا باع طويل قَلما يدانىه أحد.

إلى غير ذلك من العلوم و الفنون التى حازها و حفظ نكاتها و استجلى غوامضها، فكنت أتعجب من إحاطته بشوارد العلوم و غوامضها.

و من الجميل أن نتمثل فى حقه بقول شاعر المعرّه حينما زار بغداد و عاد إلى موطنه و سُئِل عن الشريف المرتضى بعد عودته فقال: يا سائلى عنه فيما جئت تسأله

٣. غادر المترجم قدس سره موطنه عام ١٣٦٤هـ و نزل العاصمة «طهران» و سكن فى إحدى المدارس القديمه بغيه طبع كتابه «ريحانه الأدب»، و قد قارب عمره السبعين فكان لا- يعرف الغربه و لا- العزله و لا- الحرمان من الطعام و الشراب و لا مفارقه الأهل و العيال، و قد تحمل العناء المُضنى فى سبيل نشر كتابه و قام بمفرده بتقديم ملازم الكتاب إلى المطبعه و تصحيح أخطائه مره بعد أخرى، و تنظيمه و ترتيبه إلى أن خرج آخر جزء منه من المطبعه، و قد استغرق من عمره سنين.

و فى الوقت نفسه كان يلقى محاضرات لطلاب المدرسه كى يستحلّ بذلك السكن فيها.

و قَلما نجد إنساناً طاعناً فى السن يترك الأهل و العيال و يغادر موطنه و يعيش غريباً و حيداً فى زاويه من زوايا المدرسه لغايه علميه إلا- الأمثل فالأمثل من الرجال الذين لهم همم عاليه تسمو على هذه العلائق و الرغبات، و تُقدم الأُمنيه على الراحة، و كان شيخنا الأستاذ من أبرز هؤلاء.

٤. كان رحمه الله مثلاً بارزاً لإبائه النفس، و إظهار الغنى، و كان ذلك سبباً

لقضاء معظم حياته بالفقر من دون أن يطَّلِع عليه أحد من جيرانه و لا أقربائه.

و كان يتموّل بما يرجع إليه الناس في تحرير ما يحتاجون إليه في مجال الزواج و النكاح و الأقرارير و الوصايا إلى غير ذلك ممّا كان دارجاً في عصره، و كان المرجع في ذلك عالم البلد من دون أن يكون هناك مؤسسه خاصه تتبني هذه الأعمال.

و لم يكن يستفد من ذلك إلاّ الشىء القليل الذى يسدُّ به رمقه و حياته، لأنّه كان يرى ذلك سبباً لتضييع الوقت.

٥. أنه تمعّ بذهنيه منفتحته، و كان يرحّب بالوسائل و الأساليب الجديده في عالم التعليم و التربيه أو سائر مظاهر الحياه، إذا لم يكن مخالفاً للدين، و يرى الرغبه عنها جهلاً بالمصالح، و قد لاقى في ذلك قدس سره من المحن و الكوارث ما لا يروقنى ذكرها.

٦. كان قدس سره يتمتع بذاكره وقّاده لا ينسى ما حفظ، و لأجل ذلك يقرأ عن ظهر قلب كلّ ما حفظه أو ان شبابه و كهولته و شيخوخته من دون أن ينسى كلمه أو يقرأ آيه أو شعراً خطأ، و بذلك كُنّا نسمع منه غرائب الأمثال و عجائب الحكايات و بدائع الأشعار في جميع الأبواب.

٧. بما أنّ شخصيته كانت ذائبه في العلم و العرفان و الكتابه و التدريس فكانت سائر الأمور عنده أمراً هامشياً، لذلك كان زاهداً في لباسه و مسكنه و مأكله فلا يظهر الرغبه في شىء من زخارف الدنيا إلاّ إذا كان سبباً لنيل بغيته.

و من عجيب الأمر أنّ المترجم عاش في بيئه زحرت بالعلم و العلماء و مراجع التقليد، و على الرغم من ذلك فقد شاءت الأقدار أن يغمر ذكر العديد منهم و يجهل قدرهم دون أن يعلم بهم الناس، أمثال:

أ: العلّامه الأوحّد الشيخ موسى بن جعفر بن أحمد التبريزى من تلاميذ

شيخنا الأنصاري و المرجع الكبير السيد حسين الكوهكمري مؤلف «أوثق الوسائل في شرح الرسائل» فقد كان بحراً عليمًا في الفقه و الأصول، و مع ذلك كان مغمور الذكر إلا شيئاً لا يذكر.

ب: السيد الجليل ميرزا محمود بن شيخ الإسلام ميرزا علي أصغر الطباطبائي (المتوفى ١٣١٠هـ) أحد الأوحديين في الأدب و التفسير و الفقه، المعروف بشيخ الإسلام، و قد رأيت له كتاباً في اللغة على غرار «النهاية» لابن الأثير في جزءين كبيرين قدمه أحد أحفاده إلى السيد الجليل السيد حسين البروجردى قدس سره ليقوم بطبعه، و لكن حالت الأقدار بينه و بين ما يرمى إليه، و كان رحمه الله كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات: تبريز دار لأهل الجهل مُكرمه

ج: الشيخ العلامة علي بن عبد الله العلياري (١٢٣٦-١٣٢٧هـ) أحد تلاميذ شيخنا الأنصاري كان فقيهاً، أصولياً، متكلماً، رياضياً، طبيباً، ماهراً جامعاً للمعقول و المنقول مؤلف «إيضاح الغوامض في تقسيم الفرائض» الذي طبع عام ١٣١٨هـ.

و كتابه الكبير في الرجال، أعنى: «بهجه الآمال في شرح زبده المقال» يعرب عن تضلعه في علم الرجال إلى غير ذلك من الآثار التي خلفها. و المذكوره في مقدمه كتابه «بهجه الآمال».

و هو قدس سره يصف موطنه و ما لاقى فيه من المصائب و المتاعب، بقوله: فسكنت في أقصاه حتى لا أرى

و المصرع الأخير يعرب عن أنّ البلد مع سعته قد ضاق عليه كسَمّ الأبره.

د:الفقيه البارع الشيخ محمد إسماعيل المعروف ب«الفقيه» صاحب الآثار الجليله في الفقه و الهيئه و النجوم (١٢٩٤ - ١٣٦٠هـ) كان أحد أقطاب العلم في تبريز و على الرغم من ذلك فقد جُهل قدره كسائر أقرانه.

و العجب أنّه أيضاً كتب شرحاً للتبصره أسماه «التكملة في شرح التبصره» و قال في مقدمته: «و لم يكن له شرح يكشف حجابيه» (١) و قد ذكر تلك الجملة شيخنا المدرس في مقدمه شرحه مما يعرب عن عدم اطلاعه على ما كتبه الآخر من الشرح بالرغم من معاصرته له و إقامتهما في نفس البلده، و قد طبع الجزء الأول من شرح الفقيه عام ١٣٣٨هـ.

إلى غير ذلك من علماء فطاحل أهملهم الناس، و لكنّهم على مضض الزمان كانوا بين التأليف و التدريس و التحقيق و لم يكن بخس الناس حقّهم مانعاً عن أداء الواجب و دفعهم عجله العلم نحو الامام.

هذا نزر يسير من أسماء هذه الطبقة الذين جاد بهم الزمان و أنكرت العامه فضلهم و حقوقهم، فعاشوا في زوايا الخمول دون أن يقدر جهودهم و لعلّها سيره سائده في أكثر البلاد، و لذلك نرى أنّ أكثر العلماء يشكون في كتبهم من مواطنهم

ص: ٢٨٥

(١ - ١). التكملة الصفحه الأولى.

و مواطنيهم، و نعم ما قال الشاعر: لو كان للمرء من عزّ و مكرمه في داره لم يهاجر سيد الرسل

أسرته

لقد أعقب شيخنا المدرس ولدين بارّين كالكوكبين في سماء العلم و الأخلاق، أحدهما صديقنا الأستاذ على أصغر (١٣٣١-...) أحد خريجي جامعه طهران قسم الحقوق و العلوم السياسيّه و له آثار، منها:

١. الأحوال الاجتماعيّه للعرب قبل الإسلام.

٢. تاريخ القضاء في إيران من العهد القديم إلى عهد الدوله القاجاريّه.

٣. تاريخ اليابان.

٤. التعاليم الإسلاميّه.

٥. الحق و القانون.

و هو بعدُ كاتب قدير و محاضر يجذب القلوب، و له في الأدب العربي يد غير قصيره، و قد سألته مرّه عند ما زار قم المشرفه في الحرم الشريف عن شعر الزمخشري، فقلت: ما ذا يعنى صاحب الكشاف من هذا البيت. و مذ أفلح الجهال أيقنت أنّى أنا الميم و الأيام أفلح أعلم (١)

فقال ما هذا مثاله:

إنّ الزمخشري يشتكى زمانه، و يقول: فمن زمن بعيد تصدّر الجهال منصّه الأمور، أيقنت أنّ مثلى و الأيام كمثل الميم و الأفلح و الأعلم.

ص: ٢٨٦

و الأفلح من سُقَّتْ شفته العليا، و الأعلم من سُقَّتْ شفته السفلى، فمن كان كذلك فلا يتمكن من التفوّه بالميم لأنها من الحروف الشفوية، فبينهما مضاده، فهكذا الحال بيني و بين الأيام.

و الأستاذ بعد حي يُرزق مدّ الله في عمره.

و النجل الآخر الحاج محمد الشاعر البارع باللغتين الفارسيه و التركيه.

و من نماذج شعره ما رثى به والده قدس سره. سحرگاه تیری پرید از کمانی

ص: ٢٨٧

«مدرس نمرده است هرگز» نمیرد «که ماندست آثار وی جاودانی» (۱)

هكذا كانت أيام شيخنا المدرس و هكذا مضت و هكذا طويت أوراق عمره فقد عاش سعيداً و مات سعيداً، و قد اختطفته المنية عام ١٣٧٣هـ، و دفن في أحد مقابر تبريز ثم نُقل إلى قم المشرفة فدفن في مقبره «شيخان» و قد حك على صخره قبره، هاتان البيتان: إن الذي صنع الجميل مخلد

فسلام الله عليه يوم ولد و يوم مات و يوم يبعث حياً.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

جعفر السبحاني

قم- مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

١٥ ربيع الثاني من شهر عام ١٤٢١هـ

ص: ٢٨٨

١- ١). ريحانه الأدب: ١٤/٨-١٥. [١]

التعدّديه الدينيه

نقد و تحليل

(١)

التعدّديه الدينيه msilarulP suoigileR من المسائل الكلاميه حديثه الظهور، وقد جرت مؤخراً على الألسن، و صدرت حولها كتب و مقالات مختلفه فى بيانها أو نقدها. يتكون عنوان (البيئوراليزم الدينى) من كلمتين، هما: «بيئوراليزم» و «دينى» و المفهوم الثانى واضح نوعاً ما، إلا أنّ المفهوم الأول يحتاج إلى بيان.

تستخدم كلمه LARULP اسماً أو صفه، و كذلك تأتى بمعنى «الجمع أو الكثره». (٢) و الحقيقه أنّ الكلمه المذكوره تشير إلى «الكثره» و «التعدد». و تكملتها msī تعنى تياراً، من هنا استخدمت فى مجالات مختلفه أعمّ من الدين، الفلسفه، الأخلاق، الحقوق و السياسه. فمثلاً:

(البيئوراليزم السياسى) نوع من التعدديه السياسيه. كما تشير إلى تعدّد الأحزاب و التشكيلات. و المقصود من «التعدّديه الدينيه» ما يقابل الوجدانيه و التفرد، أو ما يصطلح عليه «الانحصاريه فى الدين» فى مقابل «الشموليه».

من الضرورى قبل تناول المصطلح الإشاره إلى جملة قضايا تعتبر مقدمات

ص: ٢٨٩

١- ١). كان هذا المقال باللغه الفارسى و نقلته إلى العربيه مجله «التوحيد» و نشر فى العدد ١٠٥، السنه التاسعه عشره، خريف ١٤٢١

٢٠٠٥ / م.

٢- ٢). لغتنامه.

١. ولاده التعدديه و مراحلها التاريخيه.

٢. تفسير مصطلحي الدين و الشريعه.

٣. الهدف من إثارة الموضوع.

٤. استعراض الموضوع في ضوء خطابات الأنبياء.

المسار التاريخي للتعدديه

علينا أولاً أن نحدّد مكان ولاده التعدديه، و هل المتكلمون الغربيون هم أول من أثاروا الموضوع ثم دخل دائره علم الكلام، أو أنّ للمسأله جذوراً في الفلسفه أو الكلام الإسلامى أيضاً، أو كلاهما أثار المسأله دون أن يقتبس أحدهما من الآخر، و من غير «توارد خواطر»؟

هناك قراءات و تفاسير متعدده «للبيلوراليزم الدينى»، فلا يمكن أن يكون جميعها ذا جذر في الكلام أو الفلسفه الإسلاميين. و قد نُقشت البيلوراليزم تحت عناوين أخرى و بنفس المواصفات. و هناك من يتصوّر أنّ المسأله قد تناولتها الأوساط العلميه في الشرق، و قد ذكر أسماء من نُسب إليهم الموضوع كما يلي:

١. كان يوحنا الدمشقى مبتكر هذه المسأله، و قد كتب رساله فيها. و يوحنا الدمشقى - كما تجدر الإشارة - كان من المسيحيين المقربين للخلفاء العباسيين، مثل المأمون و المعتصم و الواثق و المتوكل، و قد استرعى اهتمام الخلفاء به معلوماته الباهره في الطب، و هو الذى أثار فتنه «قدم القرآن» و «عدم حدوث كلام الله»، لكى يثبت ب «قدم كلام الله» «قدم المسيح» كلمه الله، و قد توفّى الرجل في سامراء

و لما كانت رسالته مفقوده فلا- يمكننا محاكمتها، و مع فرض صحّحه نسبتها له. فربما كان يهدف منها الدعوه إلى حياه مسالمة، ليعيش المسيحيون الساكنون في البلاد الإسلاميه في ظلها بعزه و كرامه. و من الممكن أن يكون هدفه مشابهاً لهدفه في مسأله «خلق القرآن» إذ أراد من خلال قوله: (إنّ اتباع جميع الأديان موجب للسعاده) أراد أن يخفّف من حده تعصّب المسلمين، و أن يجعل أتباع الأديان الأخرى في مستوى المسلمين.

هكذا قيل، و كلّه مجرد حدس، و لا يعلم الواقع إلّا الله تعالى.

٢. تعرض إخوان الصفا في رسائلهم إلى مسأله التعدديه الدينيه، إذ قالوا: الحقّ موجود في كلّ دين، و الحقّ يجرى على كلّ لسان، و من الممكن أن تعرض الشبهه على كلّ إنسان.

أخى: إنّ بيان الحقّ لصاحب الدين و المذهب، أو من هو متعلّق به و إزاله الشبهه العارضه على ذهنه، مشروط بأن تكون قادراً على هذا العمل، و إلّا فتخلّ عنه، و لا تدعى قدره عليه، و إذا احتملت وجود دين أفضل ممّا أنت عليه عليه فلا تقتنع، و الأفضل لك أن تبحث، فمتى وجدته فلا تصرّ على الدين المفضول و عليك أن تدّين بالدين الأفضل و تحبه، و لا تنشغل بعيوب الناس، بل انظر إلى دينك بعيداً عن العيوب.

إنّ العبارة الأساسيه التي تفيد وجود نوع من الحقّ لجميع الأديان هي قولهم: ليس الحقّ منحصرّاً بدين واحد من بين جميع الأديان، و ليست الأديان الأخرى لا

ص: ٢٩١

تمتلك نصيباً من الحقّ، وإنّما هناك قدر مشترك بين جميع الأديان السماويه. وهذا الكلام ليس جديداً وإنّما نادى به الإسلام. إذ دعا القرآن أهل الكتاب إلى القدر المشترك، وهو «التوحيد في العباده».

ثمّ إنّ كلامهم اللاحق يفرض على كلّ إنسان اتّباع القانون الأفضل، والسعى للتعرف عليه، وهذا الكلام يؤكّد أنّ هؤلاء من دعاه الانحصاريه في الدين و ليس التعدّديه الدينيه.

٣. ذكر الغزالي في بعض كتبه أنّ جميع الفرق الإسلاميه ناجيه ما عدا واحده. و اعتبر القراءتين اللّتين وردتا في ذيل حديث (ثلاث و سبعين فرقه) صحيحتين. قال في ذيل حديث: «ستفترق أمتي إلى ثلاث و سبعين فرقه»: و هنا عبارتان كلاهما صحيح:

أ. الناجيه منها واحده.

ب. الهالكه منها واحده.

و الجمله الأولى تحصر الحقّ في فرقه واحده، بينما الثانيه تعتبر الجميع على حقّ، و الهالكه واحده. (١)

يتضح أنّ الغزالي يؤمن بنوع معين من «التعدّديه المذهبيه» بخصوص (٧٢) فرقه إسلاميه. لكن في كلامه ما يدلّ على أنّه يعتبر إحدى الفرق على الحقّ، و هي الفرقة التي ستدخل الجنه من غير حاجه إلى شفاعه أو عذاب مؤقت في النار. و أمّا الفرق الأخرى فإنّها ستطرد لقصور في عقيدتها، و لا تدخل الجنّه إلاّ في ظل شفاعه الشفعاء، أو بعد أن تعذب في النار بشكل مؤقت و تتطهر من الرجس. (٢)

هذا الكلام ليس جديداً و ليس له علاقه بالتعدّديه الدينيه، لأنّه لا يُخلّد

ص: ٢٩٢

١-١. فيصل التفرقه بين الإسلام و الزندقه: ١٠٦. [١]

٢-٢. المصدر نفسه: ١٠٧. [٢]

فى النار، من وجهه نظر الكلام الإسلامى، إلا الكافر، و غير الكافر-على اختلافه-سيخرج من النار و يدخل الجنة.

يقول الغزالى فى كتاب: «المنقذ من الضلال»: أنّ اختلاف الناس على الأرض فى الدين، أو اختلاف الأمم الإسلاميه فى المذهب، مع كثرتها تشبه بحراً عميقاً يغرق فيه أكثر الناس، و لا ينجو منه إلا القليل، و كل فرقه تتصور أنّها الناجيه منه، و كل حزب فرح بما عنده. (١)

و هذا الكلام ينافى التعدديه الدينيه، لأنّ أكثر الناس، فى رأى الغزالى، سيغرقون فى بحر الضلاله، و لا تنجو إلا مجاميع صغيره جداً.

و لم نشاهد قبل عام ١٩٥٠م أى إشاره لهذه القضيه فى صحف بلادنا، ممّا يؤكد أنّ البيلوراليزم فكره غريبه بشكل كامل، ثمّ تسللت إلى الفكر الشرقى. كما أنّ تعدد التفاسير و كثره القراءات أبعد القضيه عن الأصاله الإسلاميه، و إلا لو كانت ذات جذر إسلامى لتناولها المسلمون خلال ١٤ قرناً و لكانت أكثر وضوحاً.

إنّ أول من أثار التعدديه الدينيه فى إيران هو الدكتور ميمندى نجاد فى النصف الثانى من القرن العشرين. و استدل بالآيه الآتية على نجاه جميع أتباع الديانات السماويه، و كانت الآيه أهمّ دليل لديه:

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ». (٢)

و الاستدلال بالآيه ليس من ابتكاراته، بل أشار إليه المفسرون المسلمون خلال تفسيرهم للآيه، التى جاء مضمونها أيضاً فى سور أخرى (٣)، كما أشاروا

ص: ٢٩٣

١-١. المنقذ من الضلال: ١٧-١٨، مكتبه طه.

٢-٢. البقره: ٦٢. [١]

٣-٣. المائده: ١٦٩؛ الحج: ١٧.

تصريحاً أو تلميحاً أنّ هذا الفهم هو فهم خاطئ للآية، حتى وصفه أبو الأعلى المودودي بأنه أكبر افتراء على القرآن. (١) كما أنّ كاتب هذه السطور قد تحدّث في كتابه «مفاهيم القرآن» (٢) عن العالم و خاتمة الشريعة المحمدية، وجاء بالآية كدليل للمخالفين، ثمّ حللها و ناقشها.

لقد افتتح في طهران في عام ١٩٦٦ (مركز التوحيد العالمي)، الذي أداره شخص كان صاحب امتياز لإحدى المجلات الدينية ثمّ انقلب على عقبه. و كانت المؤسسة ذات طابع سياسى، و هدفها تضعيف عقائد الشباب الثوريين، الذين كانوا في حرب مع النظام. أمّا اليوم فهناك كتابان سادا وسطنا الفكرى هما:

١. فلسفه الدين ل (جون هيك) و هو مسيحي من مواليد عام ١٩٢٢، و قد طرح المسأله فى كتابه كفهم جديد للكتب السماويه الموحاه، ثمّ سعى إلى إثبات كلامه بقوه.

٢. صراطهاى مستقيم «السرط المستقيم جمع صراط». تأليف الدكتور عبد الكريم سروش، الذى تبنى رأى جون هيك و أعاد صياغه أفكاره على شكل حكايات و تمثيلات.

و هذا الكتاب لو تجاوزنا محتواه فإنّ عنوانه يتعارض مع القرآن الكريم الذى حصر النجاه و السعاده بطريق واحد. يقول تعالى: «وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ». (٣)

و كان من الأفضل للمؤلف المحترم أن لا يسمّى كتابه بهذا الاسم كى لا يقع فى تعارض صريح مع القرآن الكريم.

ص: ٢٩٤

(١-١). الإسلام فى مواجهه التحديات المعاصره: ١٩٠-٢٠٦.

(٢-٢). مفاهيم القرآن: ٣/٢٠٠-٢١٤.

(٣-٣). الأنعام: ١٥٣. [١]

هذان الكتابان إضافته إلى الكتب الكلامية المترجمه و صيروره الثقافه ثقافه عالميه، كل ذلك كان وراء انتشار هذه القضية، و كان السبب أيضاً وراء كتابه رسائل و مقالات مختلفه حول الموضوع نفسه.

الدين و الشريعه

من المصطلحات التي ينبغي تحديد معانيها أولاً: (الدين) و (الشريعه) و ما لم يتضح مفهومهما الواقعي لا نستطيع أن نقرر شيئاً بشأن «وحدانيه الدين» أو تعدده. فمن تحدث عن «التعدديه الدينيه» لم يفرّق بين الدين و الشريعه، و لم يوضح بأيّهما يختص الحديث حول الوحده و الكثره.

لقد اعتبر القرآن الكريم، و هو أوثق و ثيقه لتفسير هذين المصطلحين، اعتبر الدين واحداً و الشريعه متعدده، و أكد (أى القرآن) أنّ جوهر الدين واحد فى جميع العصور، و قد أمر جميع الأنبياء بتبليغه، و لم يحدث مجيء الأنبياء -واحداً بعد الآخر- أى تغيير أو اختلاف فيه، و ظل شامخاً و ثابتاً و محكماً على مدى العصور و لا يطاله النسخ، لهذا لم يرد لفظ الدين فى القرآن إلا بصيغه المفرد، و لم يرد قط بصيغه الجمع. فالدين واحد و لا يقبل الكثره و حقيقته: «التسليم لله تعالى» صاحب السلطه و الحاكميه و الخلق و الربوبيه، و كلّ أمّه قد دعيت لهذه الحقيقه، كلّ حسب قدرتها و استعدادها. و يمكننا التأكد من ذلك من خلال الإمعان بالآيات الكريمه، و نحن سنشير لها فيما بعد بإيجاز.

التوحيد: الدين القيم

وصفت بعض الآيات التوحيد بالدين القيم، أى الدين الذى لا يتزلزل و لا

يتخلخل. فمثلاً يقول يوسف عليه السلام إلى رفيقيه في السجن: «إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» ثم يقول: «ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ». ١

فإذا كان التسليم للحقّ تعالى و نفى التسليم لغيره هو الدين القيم، إذاً فيجب أن يبقى بالقوّه نفسها في جميع العصور.

و يعتبر القرآن التوحيد في آيه أُخرى أمراً فطرياً فطره خالق البشر و أودعه فيهم «فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» ثم أردفها بقوله:

«ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ». (١) و يتلخّص الدين القيم الثابت بالتوحيد في العباده.

الدين دين الإسلام فقط

حصرت بعض الآيات الدين بالإسلام «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ». (٢) و الآيه ليست ناظره إلى عصر الرسول الخاتم صلى الله عليه و آله و سلم فقط، بل هي حقيقه مستمره في جميع العصور، و إذا كان الدين واحداً و الشرائع و المذاهب السماويه، متعدده فسيكون معنى الدين -إذاً- هو العقائد التوحيديه أو المعارف الإلهيه التي دعى جميع الأنبياء، إلى تبليغها، و سيكون محورها التسليم لله تعالى، و عدم عباده أو إطاعه غيره.

و جاء في آيه أُخرى: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ» ٤، و هذا الحكم لا يقتصر على عصر الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و إنما يسرى إلى جميع العصور، لذا أكد القرآن أنّ إبراهيم عليه السلام كان شخصاً مسلماً و لم يكن يهودياً أو نصرانياً و لا مشركاً. (٣)

ص: ٢٩٤

[١-٢]. الروم: ٣٠. [١]

[٢-٣]. آل عمران: ١٩. [٢]

[٣-٥]. آل عمران: ٦٧. [٣]

فإذا كان الدين واحداً، والشرائع متعددة فسيكون معنى الدين هو الاعتقاد بالتوحيد والتسليم لله تعالى، على أن تشكل طاعته وعبادته البنية التحتية لجميع الشرائع. وجميع الأنبياء مكلفون بالدعوة لذلك: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ». (١)

الدين الحق هو دين التوحيد

فسيرت بعض الآيات الدين الحق بالتوحيد، وذكرت أن هدف إرسال النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم هو تغليب دين التوحيد على الشرك، وأكدت الآيات أن هذا الأمر جزمي وإن كره المشركون. (٢)

وربما نزل هذا النوع من الآيات لبيان معنى الدين، ولتأكيد أن الدين نمط من التعاليم العقيدية يقع التوحيد في مقدمتها. وبما أن النصوص العقائدية والمعرفية تعكس واقعيتها، فلا يمكن أن تكون مختلفة، وإنما هي ثابتة وواحدة.

ما هي الشريعة؟

«الشريعة» و«الشرع» يقال للطريق الموصل إلى الماء. والقرآن الكريم بعد ما يؤكد وحده الدين يشير إلى تعدد الشرائع ووجود الشرعات والمناهج، والمراد بها: التعاليم العملية والأخلاقية التي تنظم علاقات الإنسان الفردي والاجتماعية وتحدد مسؤوليته أمام الله والناس.

و السبب في اختلاف الشرائع هو الاختلاف في الاستعدادات والقدرات والظروف المختلفة الحاكمة فيهم، لهذا نجد الشيء حراماً في هذه الشريعة وحلالاً في الأخرى. وعلى هذا الأساس تنسخ الشرائع،

ص: ٢٩٧

١-١. النحل: ٣٦. [١]

٢-٢. النور: ١١.

لكن النسخ لا يطال جميع التعاليم العمليه و الأخلاقيه للشريعه، و إنما ينسخ القسم الملازم لتطور الزمان و الإمكانيات و اختلاف الظروف.

و قد صرح القرآن الكريم باختلاف الشرائع: «لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَا جَاءَ» ١ ، «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيْعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا». ٢
مما تقدم نخلص إلى أنّ الدين المتعلق بعقيدته الإنسان حول الله و صفاته و أفعاله واحد، لا يقبل الاختلاف، و قد أرسل جميع الأنبياء لتبليغه.

بينما الشريعه، التي هي تعاليم عمليه، مختلفه رغم وجود المشتركات بين جميعها. و لا يطال النسخ جميع أحكامها و إنما ينسخ القسم الملازم لمقتضيات الزمان و تفاوت القدرات الفكرية و العقلية للأمم.

أهداف إثارة موضوع التعدّديه

إشاره

ليس الهدف من إثارة مسأله التعدّديه الدينيه، مع تعدّد تفسيراتها، واحداً بل يحتمل أن يكون لكلّ قراءه أو تفسير هدف خاص، و هنا سنشير إلى بعضها:

١. هدف علم الاجتماع

كلّما فُتّرت التعدّديه الدينيه تفسيراً سلوكياً (أي أن يعيش أتباع الديانات المختلفه بعضهم مع بعض حياه مسالمه، و يتحمل بعضهم الآخر) فسيكون هدفها من زاويه علم الاجتماع، هو تحجيم التعصب الدينى لدى اتباع الديانات المختلفه.

ص: ٢٩٨

و الشاهد على ذلك تحركات البابا من أجل استئصال التعصّب الديني، إذ سعى البابا إلى تبرئه ساحه اليهود من قتل عيسى عليه السلام، وقد جاء في بيان شوري الفاتيكان الثاني الصادر سنة ١٩٦٣م بشأن التعايش السلمى بين المسيحيين و المسلمين:

«تطلب هذه الشورى المقدسه من كلا الطرفين نسيان الماضى، و على المسيحيين و المسلمين أن يسعوا من الآن إلى إقرار صيغ للتفاهم، و التعاون على تحمّل مسئوليّه المحافظه على مصالح جميع الأفراد فى طريق العداله الاجتماعيه و الأخلاق، و الصلح و الحرّيه»^(١).

بعد ان اتسعت العلاقات بين المجتمعات- و لا سيما بعد الحروب الدينيه القاسيه، أعمّ من الحروب الصليبيه بين المسلمين و المسيحيين، و الحروب التى وقعت بين المذاهب المسيحيه و ما زالت مشتعله بين الكاثوليك و البروتستانت بالأخص فى الآونه الأخيره فى ايرلنده، و ما خلّفته تلك الحروب- تبلورت فكره مفادها الاعتراف بالأديان الأخرى و التصالح معها، لأنّ من صالح المجتمع أن تعيش جميع الأديان و المذاهب بعضها مع بعض. فكانت الحروب هى السبب وراء قبول التصالح بين الأديان من أجل تحجيم الأرضيه المؤججه لها.^(٢)

٢. توجيه ما جاء فى الكتاب المقدس

أنّ إحدى أزمات المتكلمين المسيحيين هى تعاليم الكتاب المقدس

ص: ٢٩٩

١-١). برخورد آراى مسلمانان و مسيحيان: ٢٥١. و قد نقل «جون هيك» هذا البيان بصيغه أُخرى. انظر: فلسفه الدين: ٢٤٢-٢٤٣.
٢-٢). كتاب نقد (٤) المقاله الأولى.

المخالفه للعقل،فهى تعاليم تستعصى على التوجيه بأى معيار،بالأخص ما يتعلّق بصفات و أفعال الله تعالى،و قد استخدم معارضو الكنيسه من العلمانيين و غيرهم هذا السلاح ضد الدين الكنسى،و اعتبروا الكتاب المقدس مجموعه من الأساطير و الخرافات.

و عند ما أثارَت التعدّديه الدينيه مسأله جوهر الدين و صدف الدين،لم تعتبر الاختلافات شيئاً مهماً،لأنّ المسئول عن التحول فى شخصيه الإنسان هو جوهر الدين و تبقى النصوص الدينيه أحكاماً لإثبات صدقيته من أجل الحفاظ على جوهره،لأنّ أهميه الدين فى جوهره،لا- فى صدفه.لذا ينبغى الكفّ عن مراجعه و نقد التعاليم الدينيه،و عدم اعتبارها نظريات علميه،و قطع التحدّث عن صدقها و كذبها،و يجب أن تحظى هذه التعاليم بالاحترام ما دامت تؤثر فىنا.

يقول مؤلّف كتاب (العقل و الاعتقاد الدينى) حول بيان التعدّديه من وجهه نظر هيكل:«يعتقد هيكل أنّ التعاليم لا تمثل جوهر الدين، المسئول عن إيجاد التحوّل فى شخصيه الإنسان،و يؤكّد أنّنا لا- نتجاوز الحدود عند مراجعه التعاليم الدينيه مثل (التجسيد)،لأنّها ليست كالنظريات العلميه إمّا أن تكون صادقه أو كاذبه.و ما دام للإنسان أسئله حول الحياه و الأوامر الإلهيه،فعلى العقيده الدينيه الإجابّه عن هذه الأسئله.

و ما دامت هذه العقائد و التعاليم تؤثر فى رؤيتنا للحياه فهى صادقه.

و بعباره أُخرى،اعتقد أنّ هيكل قد ارتكز إلى الأبعاد الوجوديه و التحوّل الذاتى للدين قبل الاعتماد على الحقائق الكلاميه (المبينه على شكل قضايا).و تكمن أهميته أنّه استبدل الحياه التى محورها الإنسان بحياه محورها الله.

و على هذا فليس المهم عقائد الإنسان فقط،لأنّ عقيدته كلّ فرد هى خلاصه تجاربه و ثقافته و مقولاته المصاغه بشكل أسطورى و المكتسبه من الواقع،و على هذا

فالدعوة إلى دين واحد و التزام الناس بدين واحد لا معنى له، و ما هو مهم أن يتأثر واقعنا لكى يتغير. (١)

فالإخلاصه أنّ المهم هو جوهر الدين و تحول شخصيه الإنسان إلى شخصيه محورها الله، و أمّا تعاليم و نصوص الكتاب المقدّسه فى مجال العقيدة و الأحكام العمليه و الأخلاقيه فجميعها هدف للدين، و إنّما هى مهمه بالنسبه لنا لأنّها تحافظ على جوهر الدين، و أمّا كونها صادقه أو كاذبه، ضدّ أو نقيض، فليست مهمه بالنسبه لنا.

٣. مبررات التعدّيه الدينيه

ليس هدف هذه المسأله هو إثبات ما هو الحقّ أو الباطل أو بيان ضلال و نجاه الإنسان، و إنّما هدف المسأله هو إيجاد طريق لتصحيح تعدّد الأديان أو الشرائع، لأنّ مصدر الدين واحد، و شهوده «أمر مطلق» و يتعالى على التعبير عنه ب«التجربه الدينيه»، لكن فهم هذا الشهود متعدد و مختلف، و سببه أنّه كلما كانت التجربه الدينيه قادره على التعبير عن نفسها بصيغه معبره فهى لا بدّ أن تتأثر بالظروف التاريخيه و اللغويه و الاجتماعيه و الجسمانيه، لهذا تختلف النصوص الدينيه، فبعضها يدعو إلى التوحيد و بعضها يدعو إلى التثليث.

و هذه الفكره قد اعتمدت على مبدأ «كانت» المعروف (أنّ الشىء فى نفسه يغير ما هو موجود لدينا). و الأشياء التى ترد الذهن عن طريق الحس تتأثر بالقوالب الذهنيه السابقه، و سيكون هناك اختلاف بين الواقع و ما ندركه منه.

يقول جون هيك فى إحدى مقالاته: أنّ التعدديه، من زاويه علم الظواهر،

ص: ٣٠١

هى الواقع الذى يعبر عنه تاريخ الأديان بتعدّد المذاهب و كثره ما يترشّح عن كلّ واحد منها. و هذا المصطلح ناظر، من زاويه فلسفيه، إلى قسم خاص من العلاقه بين المذاهب و ما تدّعيه و نقائضها.

و هذا المصطلح يعكس النظرية التى تقول إنّ للأديان العالميه تفسيرات مختلفه حول الحقائق الإلهيه الخافيه. (١)

و يقول: الأديان المختلفه عباره عن تيارات مختلفه للتجربه الدينيه، و كلّ واحد منها قد بدأ فى إحدى مراحل التاريخ البشرى، و تفتّح و عيه العقلى داخل فضائه الثقافى. (٢)

لكن هيك لم يستطع فى نقده إلاّ أن يفسيّر اختلاف الأديان فى قضايا العقيدته فقط، دون التعاليم العمليه و الأخلاقيه، لأنّ الاختلاف فى الأحكام لا يمكن أن يكون معلولاً للعوامل الأربعة التى تؤثر فى التعبير عن شهود الأمر المطلق.

التعاليم الدينيه و أقوال الأنبياء

حاولت التعدديه الدينيه أن تناقش قضيه الرسل و رسالاتهم فى مجال العقيدته و العمل و اعتبرت (شهود الحقيقه المطلقه) مصدر الدين، و اعتبرت رسالات الأنبياء انعكاساً للفهم المختلف من الحقيقه الغائيه، الإلهيه الخافيه. كلّ ذلك من دون الرجوع إلى الرسل و محاورتهم و الاستماع إلى أحاديثهم و أقوالهم.

التعدديه ليست مسأله فلسفيه خالصه يمكن دراستها و نقدها فى غرف

ص: ٣٠٢

١-١. دين پژوهى، ترجمه بهاء الدين خرمشاهى: ٣٠١.

٢-٢. جون هيك: فلسفه الدين: ٢٣٨.

مغلقة دون الرجوع إلى أقوال الرسل و حفاظها، وإنما ينبغي الاستماع إلى أقوالهم بدقه، و من ثمّ نجلس للقضاء.

إنّ ما يقوله التعدديون في تحليلاتهم لا يعدو كونه قضايا حدسيه، لا تدعمها أي وثائق تاريخيه.

و اليوم قد استبدلوا البرهان و الدليل بالحدس و الظن و فسروا حركة الأنبياء و كتبهم و تعاليمهم بالتجربه الدينيه (شهود الموجود المطلق)، و اعتبروا تعاليمهم انعكاساً لما يفهمونه من الحقيقه، و ليس لها علاقه بذات الموجود المطلق، بينما يقول الأنبياء: إنّ ما نقوله ليس له علاقه بنا، و مهمتنا فقط نقل الأوامر و الخطابات، و شعارنا: «إِن أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ» ١ و «اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ». (١)

و عند ما طلب إلى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم أن يبدل أوامر الله أجاب: «ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي». (٢)

إلى هنا انتهينا من بيان المقدسات و نبدأ بمعالجه موضوع التعدديه و القراءات المتعدده لها:

القراءه الأولى للتعدديه الدينيه

ذكرنا سابقاً أنّ نظريه التعدديه الدينيه «البيئوراليزم» تحمل تفسيرات و قراءات متعدده، و ما لم نتناولها واحده واحده لا يمكننا أن نحكم لها أو ضدها.

إنّ أوّل تفسير لها هو التعدديه السلوكيه، و تعنى أنّ جميع أتباع الأديان (حسب تعبير المنظرين) أو الشرائع (في ضوء تعبيرنا)، قادرون على العيش

ص: ٣٠٣

[١-٢]. الأنعام: ١٠٦. [١]

[٢-٣]. يونس: ١٥. [٢]

بعضهم إلى البعض الآخر على أساس ما لديهم من مشتركات، و أن يتحمل أحدهم الآخر، أو باصطلاح السياسيين إيجاد حياه مسالمه، و قد يندفعون أكثر فيعتبرون العلمانيين نوعاً من أصحاب الديانات المتوهمه، و لهم أن يعيشوا مع الآخرين عيشه مسالمه.

و نحن لا- ننكر وجود المشتركات بين الشرائع، و بتعبير الآخرين بين الأديان، و كما قال «وليم ألتسون» هناك تقارب واضح بين الأديان، إلا- أنه يكون أكثر وضوحاً بين الأديان التوحيديه الكبرى، أى اليهوديه و المسيحيه و الإسلام، كما هناك اختلافات بينها، و لا سيما فى نظرتها إلى فعل الله فى التاريخ. لكن الاختلاف لا يقتضى التضاد بشكل كامل أو أنّ أحدها ينفى الآخر. بل هناك اشتراك أيضاً بين أديان الشرق الأقصى التى تختلف فيما بينها، و بينها و بين الأديان التوحيديه. فالتأكيد أكثر من القدر اللازم على الفوارق بين الأديان سيفضى إلى تجاهل المشتركات التى يمكن للأديان الاتفاق عليها. و جميع هؤلاء يرفضون الفكر الطبيعى الذى يقول: «لا توجد حقيقه ممتده فى أبعاد الزمان و المكان». (١)

إنّ التعدديه بهذه القراءه يقبلها العقل و الدين و الشريعة، و قد دعا القرآن أهل الكتاب إلى حياه مسالمه تحت خيمه التوحيد، لأنّه أصل مشترك بين جميع الشرائع السماويه، يقول: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ». (٢)

و قد اعترف الفقه الإسلامى، الذى يركز إلى الكتاب و الحديث، بأهل

ص: ٣٠٤

١- ١. مجله كيان، العدد: ٥٠، ص ٧.

٢- ٢. آل عمران: ٦٤. [١]

الكتاب و دعا إلى احترام حقوقهم، بما لا يزيد عليه، ففى كتب الفقه فصل خاص عن أهل الذمه و شروطهم، يعكس مدى تعاطف الإسلام مع هذه الشرائح الاجتماعيه.

عند ما كان الإمام على عليه السلام يتجول فى شوارع المدينه رأى رجلاً أعمى يستعطى الناس، فسأل: ما هذا؟ فقيل: رجل نصرانى، فأجاب الإمام: «عجباً، استعملتموه حتى إذا كبر و عجز منعتموه! اصرفوا عليه من بيت الله لتصونوا وجهه». (١)

إنّ الحياه المسالمة لا- تختص بأهل الكتاب بل جوّز القرآن ذلك للمشرّكين أيضاً، شريطه عدم اشتراكهم فى حرب ضدّ المسلمين، و عدم خروجهم من بيوتهم، و حينها يجب معاملتهم بالحسنى و العدل و القسط، لأنّ الله يحبّ المقسطين. (٢)

و هذا السلوك لا ينطوى على شىء من النفاق، و إنّما هو من صميم الدين الإسلامى، بل كان هذا أحد الأسباب المشجعه على اعتناق الإسلام. و ليس أجمل من كلام الإمام على و هو يخاطب واليه على مصر، إذ يقول: «و اشعر قلبك الرحمة للرعيه و المحبه لهم، و اللطف بهم، و لا تكون عليهم سبعا ضارياً تغتمم أكلهم فانهم صنفان:

أ. إمّا أخ لك فى الدين.

ب. أو نظير لك فى الخلق». (٣)

ص: ٣٠٥

١- ١). وسائل الشيعه، ج ١١، باب ١٩، من أبواب الجهاد، ص ٤٩، [١] الحديث ١.

٢- ٢). الممتحنه: ٨. [٢]

٣- ٣). نهج البلاغه، [٣] تنظيم صبحى الصالح، قم، دار الأسوه، الكتاب ٥٣، ص ٥٩٠.

لكن بعض دعاه البيلوراليزم يرفضون هذه القراءة، ويعتبرونها خارجة عن الموضوع، ويقولون: ليست المسألة أن نجد حلاً يساعد على وجود الأديان المختلفه جنباً إلى جنب. وإذا أردنا أن نصل إلى حلّ عملي من أجل حياه مشتركه مسالمة، فعلينا أن نركز إلى مبدأ التسامح (ecnareIoT)، وهو مغاير للبيلوراليزم. ففي التسامح يحترم الإنسان و الحريه و حقوق الآخرين، ورغم أنّ الجميع يعتقد أنّ الحقيقه معه. (١)

و لكن لا- يمكن للواقعين فرض تفسير آخر للتعدديه و لا سيما بالنسبه إلى المؤمنين بمبادئهم الدينيه إيماناً كاملاً، سواء سُمّي المفهوم بالتساهل أو التعدديه.

و المهم أنّ التساهل أو الحياه المسالمة، أو الاعتراف بحقوق أهل الكتاب لا يعنى الجزم بفوزهم و نجاتهم، لأنّ مسأله التساهل و التغاضى و مواجهه الخلافات قضيه مرتبطه بالحياه الدنيا من أجل الحفاظ على كرامه الإنسانيه، أما كيف يكون مستقبل الإنسانيه فليس له علاقته بهذه المسأله.

و هنا أضيف شيئاً إلى هذا التفسير: على الرغم من حرص زعماء الشرائع السماويه و علماء الدين على توفير حياه مسالمة إلا أنّهم تناولوا الأصول المختلف عليها، ارتكازاً إلى المبادئ المسلمه و المنطق الصحيح، و فصلوا بعيداً عن التعصب بين ما هو صحيح و ما هو غير صحيح.

و جاء فى القرآن الكريم بعد أن دعانا إلى التعدديه: «فَبَشِّرْ عِبَادِ* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ» ٢. و هذا هو فقط منطق حوار الحضارات و الأديان و الشرائع.

ص: ٣٠٦

التفسير الثاني للتعدديه «اليلوراليزم»، هي التعدديه المخلصه، وفيها أثبتت مسأله الخلاص و السعاده التي توفرها جميع الشرائع في جميع العصور، فيقولون يكفي في سعاده الإنسان أن يؤمن بالله، وأن يلتزم في حياته بإحدى تعاليم الشرائع-أو كما يعبرون الأديان-و الظاهر أن الشهيد مطهري يفهم التعدديه-كما جاء في بعض خطبه-بهذا الشكل.

يقول بعض المثقفين: إن جميع الأديان السماويه واحده في جميع الأوقاف من حيث اعتبارها، و مفاد ذلك هناك عدد من الأديان الحقه في كل زمان، و يستطيع الإنسان في أى زمان أن يدين بأى دين يريد.

و يقولون في كلام آخر: يكفي للإنسان أن يعبد الله، و أن ينتسب لأحد الأديان السماويه النازله منه تعالى، و أن يعمل بأوامرها، أما شكل هذه الأوامر فلا أهميه لها، و يتبنى هذه الفكره كل من جورج جرداق صاحب كتاب الإمام على عليه السلام، و جبران خليل جبران الكاتب اللبناني المسيحي المعروف، و آخرون.

و هذا الادعاء الكبير، لا أنه عار فقط من الدليل، بل هناك شواهد كثيره على ضعفه، نشير لها:

أولاً: هل أن أصحاب الشرائع يعترفون بوجود حدود معينه لشرائعهم، أم يقولون أنها شرائع عالميه و توفر السعاده للإنسان في جميع العصور؟

إن جوابهم سيضع حداً للنزاع. لكن الغريب ان التعددين يقررون أشياء لشرائع الأنبياء و ينسبون لهم أخرى دون الرجوع إليهم!

ثانياً: هناك خمس محاور يذكرها تاريخ الشرائع، يقع على رأس كل واحد منها رسول صاحب شريعته، يرافقه حتى ظهور المحور الثاني عدد كبير من

الأنبياء، تنحصر مهمتهم بالتبليغ، وليس لهم أحكام جديدة. و المحاور الخمسه هم: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد صلى الله عليه و آله و سلم. و كل واحد منهم صاحب شريعته. و بدأ نزول الكتب و الشرائع منذ نوح، و ختمت ببعثه نبي الإسلام، و قد تعرض القرآن لهذه القضية بشكل واضح، يقول: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ وَ ما وَصَّينا بِهِ إِبراهيمَ وَ موسى وَ عيسى أَنْ أقيموا الدِّينَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...» ١

فالآيه ذكرت محاور تاريخ النبوات الخمس، و لم تذكر أسماء الأنبياء الآخرين، لأنهم ليسوا أصحاب شرائع و لا محاور أساسيه، و تنحصر وظيفتهم بالتبليغ.

إن اختلاف الاستعدادات و القابليات هو السبب وراء تعدد الشرائع. و لم يعث الله الكامل المطلق فى يوم ما شريعته ناقصه، بل كل دين هو فى غايه الكمال بالنسبه إلى أتباعه، حتى ينتهى الفيض المعنوى بالحلقه الأخيره، لكى تتمكن الشريعته المرسله أن تدير المجتمع الإنسانى إلى يوم البعث، و أن تجيب على جميع الحاجات الماديه و المعنويه، و من هنا اختتم باب النبوه و انقطع الوحي. فى ضوء هذا التفسير، و من خلال المسار التاريخى للنبوات، نستطيع أن نشير إلى أخطاء هذه النظرية. (أى نظريه التعدديه بالتفسير الثانى).

١. أن القول بخلود و استمرار كل شريعته يفضى إلى إلغاء فائده تشريع الشرائع المتعدده و إرسال الرسل المحوريين، و سوف لا نجنى من ذلك شيئاً سوى التشويش و بث الفرقه.

٢. إذا قلنا يكفى فى تحقيق السعاده اتباع أيه شريعته، فلما ذا تحدد مسئوليته

كل نبي بمجيء النبي الآخر بل والتبشير به.

٣. إذا كانت كل الشرائع خالده فلا موجب لنسخ الأحكام، ولو بشكل إجمالي، ولما قال المسيح: «وَلِأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ». ١

٤. إذا كانت شريعته عيسى صالحه و معترفاً بها رسمياً حين نزول الشريعة اللاحقه فلا وجه لدعوه اليهود و النصارى لاتباع دين محمد صلى الله عليه و آله و سلم، مع أن القرآن يصرح بكفر أهل الكتاب ما لم يؤمنوا بالدين الجديد: «فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا». (١)

٥. عند ما تراجع نصوص الكتاب المقدس و القرآن الكريم و أقوال و رسائل النبي صلى الله عليه و آله و سلم نجد أن هذه النظرية من الهشاشه إلى درجه لا- يصدقها إلا- من يطلق الأحكام جزافاً ثم يبحث عن الدليل و يتشبث من أجل نجاته بكل غث فيؤمن بهذه النظرية.

٦. تتوقف حياه الإنسان في الآخرة على عقيدته صحيحه و عمل صالح، و تحققهما موجب للثواب. و هنا نسأل: كيف يمكن للتضاد في العقيدة أو العمل بحكمين متضادين أن يضمن الحياه المعنويه للإنسان؟ و كيف يسعد الإنسان في الدارين بتبنى التوحيد على جميع الأصعدة مع الإيمان بالتثليث و بتثليث الرب، أو تجنب الشراب و الربا مع الإدمان و أكل الربا؟

٧. لو أعرضنا عن هذا، فإن واقعيه السعاده التي ستوفرها هذه الأديان ستكون مشروطه بعدم تحريفها، فهل هذا الشرط صادق في الأديان السابقه؟ مع أن الإنجيل سجل لتاريخ حياه المسيح و ليس الإنجيل الحالى كتابه أو خطابه، و قد

ص: ٣٠٩

كتبه بعض تلامذته، فكل واحد من الأناجيل الأربعة ضبط حياه المسيح بشكل خاص، و ذكر صلبه و دفنه و عروجه إلى السماء.

فهل يمكن للإنجيل الذى خطته يد البشر أن يسعد جميع الإنسانيه على وجه الأرض؟ و التوراه أيضاً حامت حول مستقبل الإنجيل، فالتوراه الحاليه قُرئت و كتبت على يد أحد حفاظ التوراه فى زمان نبوخذنصر بعد اختفاء النسخه الأصلية، و هذه النسخه تعرضت بعد مرور سبعين سنه للتحريف، و اشتملت على أحكام و نصوص تخالف العقل، و قد انتقدها القرآن باعتبارها عاجزه عن توفير السعاده و الهدايه.

٨. و لو أعرضنا عن كل ما تقدم نقول: «إن الأديان التاريخيه الكبيره هى بمنزله مجموعه معرفيه تتشكل من منظومه عقيديه واحده» إلا أننا متى شخصنا الأكمل من بينها فعلىنا بحكم العقل أتباعها، و هذه الحقيقه صرح بها بعض أنصار البيلوريزم. يقول «ويليم الستون»: أنا لا اعتقد أن جميع الأديان التى امتدت على طول التاريخ ستستمر حتى اليوم، و هى متساويه بذلك من منظار معرفي.

و يقول: و من الممكن أن نرجح ملاحظات الآخرين على قسم من هذه المنظومه على البعض الآخر. (١)

سؤال و جواب

إن البعض ينهر بالواقعيه و يحاول أن يجد دليلاً مؤيداً لما يدّعيه، فيطرح قضايا، بمعزل عن أدلته الآخرين، ليؤثر فى الناس البسطاء، و من هذا المنطلق

ص: ٣١٠

يتشبه دعاه السعاده الشموليه ببعض الآيات ليتأثر بها الآخرون، منها:

١. يتساوى المؤمنون و اليهود و النصارى أمام الله تعالى:

اعتبر القرآن (المؤمن و اليهودى و النصرانى و الصابئى) متساوين أمام الله تعالى، و جعل نجاه الجميع متوقفه على الإيمان بالله و العمل الصالح: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ». (١)

إذاً يكفى شيان فى تحقق السعاده: الإيمان بالله و العمل الصالح، و كلا الأمرين ثابت فى جميع الشرائع. لكن ينبغى الانتباه، ان الآيه المذكوره تهدف إلى شىء لا علاقته له بالتعدديه، و عند ما نراجع الآيات الوارده فى النصارى و اليهود نضع أيدينا على هدف هذه الآيه:

أولاً: ادعى اليهود و النصارى انهم أبناء و أحباء الله: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ». ٢

ثانياً: ادعوا ان النار لا تمس المجرمين منهم إلا أياماً قلائل:

«وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً». (٢)

ثالثاً: حصروا الهدايه بالنصارى و اليهود، و قالوا يكفى فيها الانتساب إلى إحدى الفرقتين، كما نسبوا إبراهيم عليه السلام إلى إحداهما: «وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا». (٣)

و هنا يؤكد البارى عزّ و جلّ أمام هذه الدعاوى الأنانيه، ان السعاده ليست

ص: ٣١١

١-١. البقره: ٦٢. [١]

٢-٣. البقره: ٨٠. [٢]

٣-٤. البقره: ١٣٥. [٣]

منحصره بهما، و ليس اليهود و لا- النصارى أبناء الله و أحبائه، و الهدايه لا تحوم حول اليهوديه و النصرانيه، و إنما تتوقف على الإيمان بالله و العمل الصالح، لا- على شروطهم و تمنياتهم: «تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ». (١)

فهدف الآيه ليس الاعتراف ببعض هذه الأديان، بل هدفها تأكيد شرطى السعاده فى جميع الشرائع، بالإيمان و العمل الصالح، و ليس الانتساب إلى اليهوديه و النصرانيه أو أى فصيل آخر، لأن الإيمان لا يجدى نفعاً ما لم يكن مصحوباً بالعمل الصالح.

بل انّ اليهود المتكبرين يعتقدون أنّهم الشعب المختار و أحبائه الله، و عليهم أن يستعبدوا الآخرين. و تصوّر النصارى، فى ضوء عقيدتهم - بأنّ المسيح فدى نفسه لتفادى الذنوب، و قضيه العشاء الربانى و صكوك الغفران التى يمنحها القساوسه- أنّهم مصانون. و النتيجة انّ كلا الفريقين قد جانب التعاليم الإلهيه من الناحيه العمليه، لذا حدّر القرآن من هذا النمط من الفكر الذى يعيق التغيير فى الروح الإنسانيه، و أكد انّ ما تقدّم ليس ملاكاً فى النجاه و إنّما النجاه مشروطه بالإيمان و العمل الصالح.

فليس للآيه الكريمه أدنى ارتباط بالاعتراف بهذه الشرائع على مدى الازمان، بل تريد الآيه أن تؤكد أصلاً واحداً معتبراً فى جميع الشرائع، و هو انّ الأسماء و الألقاب و الأنساب ليست دواعى للنجاه، بل على الجميع أن يتسلّحوا بالإيمان و العمل الصالح، و الآيه ليست بصدد بيان خصائص الشريعه التى يجب أن نتبعها فى حياتنا و لا خصوصيات العمل الصالح، و ما هو مصدره من بين الشرائع.

ص: ٣١٢

إِنَّ أَحَدَ أَوْهَامِ هَذَا الْفَرِيقِ قَوْلُهُ إِنَّ الْقُرْآنَ قَدْ اعْتَبَرَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ هُدًى وَ نُورًا، يَقُولُ تَعَالَى: «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَ نُورٌ». (١)

«آتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَ نُورٌ». ٢ فكلا الآيتين تشير إلى أن كلا الكتابين لم يتجزّدا، في عصر الرسول، من النور و الهدايه، و ما زال إلى يومنا هذا. و هذا نمط استدلال في مقابل استدلال اليهود و النصارى الذين رفعوا في حياتهم شعار: نؤمن ببعض الكتاب و نكفر ببعض» و قالوا «نؤمن بموسى و نكفر بعمسى و محمد». (٢) و هذا الفريق (دعاه التعدديه) لم يعتنوا بالآيات الواردة في هذا الموضوع و تعلقوا باشعار ضعيف فيها، سيزول سريعاً لو راجعنا سياق الآيات و أسباب النزول.

هناك مجموعه من الآيات في القرآن الكريم تبدأ من الآية (٤١) من سوره المائده و تنتهى في الآية (٥٠)، و كلّها تنتقد سلوك اليهود الذين غيروا الأحكام الإلهيه و أخفوها. فمثلاً- بدلوا حكم الزانيه المحصنه، التي حكمت التوراه برجمها، بدلوه بتسويد الوجه، و كانت الديه عندهم على شكلين، فإذا قتل شخص من (بنى النضير) أخذوا ديه كامله، و إذا قتل شخص من (بنى قريظه) أخذوا نصف ديه، لأنّ القبيله الأولى قويه و الثانيه ضعيفه، بينما ديه الإنسان في التوراه واحده للجميع. ففي عصر الرسول وقع رجل في زنى امرأه محصنه منهم، فجاءوا إلى الرسول ليحاكمهما في ضوء التوراه، فسألهم الرسول ما حكم التوراه في هذا الموضوع؟ قالوا: «تسويد الوجه» فقال: كذبتكم، بل حكمكم الرجم. فقال أتونى بالتوراه، فجاءوا بها فقرأها رجل اسمه (ابن سوريا)، فلما وصل إلى حكم الزنا

ص: ٣١٣

١- (١). المائده: ٤٤. [١]

٢- (٣). تفسير المنار: ٨/٦.

وضع يده عليه، و بعد الإصرار رفع يده فأقر الجميع أنّ حكم الزنا فى التوراه هو الرجم، لكنهم أخفوه، و قد أمر الله تعالى نبيه أن ينفذ حكم الله بينهم.

بهذا الشكل يكون القرآن و التوراه و الإنجيل سبباً للهدايه. يقول تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا». فهذه الآيه و نظائرها ناظره إلى الآيات التى لم تحرّف فى هذين الكتابين، و قد اعترف بها شريعه الإسلام، و ليس كلّ ما هو موجود فى ذلك اليوم أو هذا اليوم. و الملاحظ أنّ القرآن يفرّق بين هذين الكتابين باعتبارهما محرّفين، و بين القرآن، فيقول فى خصوص التوراه و الإنجيل: «فيها هدى و نور» أو «فيه هدى و نور» و ليس جميعه هدى و نوراً. بينما يعبر عن نفسه «وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا». (١)

و هنا نخلص إلى أنّ التوراه و الإنجيل ينطويان على حقائق نورانيه رغم تحريفهما، و قد انتقل قسم منهما إلى الشريعه الإسلاميه، و تسمى بالمشتركات و هى تشكّل جزءاً يسيراً من أحكام الكتابين، لكن هذا لا يعنى الاعتراف بالشرائع السابقه أو أنّها غير محرّفه.

و هناك سؤال آخرى يقول: إذا كانت الهدايه منحصره بالشريعه الأخيره فيلزم أن يعاقب و يعذب أغلب الناس يوم القيامه، و سيحرمون من رحمه الله، بينما رحمته أوسع من أن يلقى جميع الناس فى العذاب.

و الجواب: إذا كانت الرساله الخاتمه تعترف للشرائع السابقه بالهدايه، و تلبس الأديان السابقه لباس الحقّ، فكيف يقول: تؤمنون ببعض الكتاب و تكفرون ببعض؟

لكن القرآن يصرح بوضوح: «وَ مَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَ لَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ» ٢ ،

ص: ٣١٤

و بين جزاء الكافر و المؤمن المعاند، فلم يبق إلا أن نجرد الشريعة من الحق، أو نسلم لهؤلاء.

و قد أجاب القرآن عن هذا السؤال بوضوح، لأنّ العذاب للكافر المقصر، الذى يعرف الحقيقه لكنه يستسلم للهوى و لا يأتمر بأوامر الله. و أما الإنسان القاصر، الذى لا يحتمل وجود حق آخر، أو ليس لديه ما يساعده للوصول إليه، فلا شكّ أنّه مستثنى من عذاب الله.

و قد أشار القرآن و الأحاديث إلى «المستضعفين»، و درس الباحثون المسلمون هذا الموضوع بالتفصيل، فهؤلاء الذين يشكل الكافرون أغلبيتهم مستثنون. و طالما استثناهم القرآن خلال تأكيده دخول الكافرين النار، فيقول: «إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَشَاءُ اللَّهُ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ حَيْلَهُمْ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا» ١، و فى آيه أخرى أنّهم مرجون لرحمه الله: «وَأَخْرَجُوا مُرَجُومًا لِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِمَا يُعَذِّبُهُمْ وَإِنَّمَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ». (١)

فالمستضعفون إذاً على أقسام:

١. لا يوجد فى الأرض التى بصر بها العالم ما يؤهله للتعرف على الدين الصحيح.

٢. لا يمكن أن يقوم بوظيفته لعدم وجود فقيه عالم فى بلاده يهديه.

٣. يعتقد بسبب أجوائه التربويه أنّ شريعته محكمه إلى درجه لا- يتسرب إليها الشكّ، كما فى بعض مناطق شرق آسيا، حيث لا يحتملون أنّ الشريعة الحقّه خارجه عن دائرتهم.

ص: ٣١٥

٤. وكذلك من المستضعفين من لا تسعفه قواه العقلية على التفكير. (١)

القراءه الثالثه للتعدديه

القراءه الثالثه للتعدديه فى المجال المعرفى، و التى سيكون الدين، فى ضوئها، واحداً واقعاً. و يعود السبب فى تعدده إلى الفهم المختلف للأنبياء الإلهيين.

و هذا التفسير هو آخر قراءه للتعدديه «اليلوراليزم»، و الظاهر أنه المقصود من قبل مؤسسى هذه النظرية، التى ارتكزت إلى مبدأ الفيلسوف الألمانى كانت (١٧٢٤-١٨٠٤هـ) الذى يقول: «إنّ الشىء فى نفسه غير الشىء عندنا»، لذا لا يمكن أن نصل إلى الحقائق التى لم تقع بأيدينا و إنّما نعى ما ندركه وفق قوالب ذهنيه سابقه، لهذا لا يمكن للإنسان أن يصيب الحقيقه.

و هذا الحكم يسرى إلى الأنبياء، لأنهم سيتأثرون خلال بيانهم لما يتلقونه من شهود الوجود المطلق، سيتأثر بعوامل أربعه، و بالتالى سيكون فهم أحدهما يغاير فهم الآخر. من هنا تتعدد الأديان، و لا يمكن إلباس أحدهم لباس الحق أو الباطل، لأنّ كلّ واحد يطرح ما يفهمه وفق تجربته الدينيه.

يقول «جون هيك» هنا: لقد استطاع كانت (و إن لم يقصد ذلك) أن يطور الفلسفه، لأنها اتسعت و تكاملت فى ضوء هذه الفرضيه، و هو يفرّق بين العالم الموجود فى نفسه (و يسمّيه العالم المعقول) و بين العالم الذى يتجلّى لوعى و شعور الإنسان (و يسمّيه العالم الظاهر). (٢)

و قبل أن نبدأ بنقد هذه النظرية سنتناول أولاً الأساس الذى ترتكز إليه هذه

ص: ٣١٦

(١-١). للمزيد راجع: بحار الأنوار: ٦٩، الباب ١٦٢ من أبواب المستضعفين.

(٢-٢). جون هيك: فلسفه الدين: ٢٤٥.

القراءة ثم نعود لأصل القراءة.

إنّ نظريه «كانت» التي تعدّ إحدى مفاخر هذا الفيلسوف الألماني لا تعدو كونها جزءاً من التشكيك. ورغم أنّ «كانت» شخص واقعي إلاّ أنّه وضع مبدأ لا ينتج إلاّ الشكّ، لأنّه يقول: «الشيء في الخارج غير الشيء في إدراكنا». فإذا كان هذا المبدأ صحيحاً فكيف ندعى أنّ الحقائق في العالم الخارجى موجوده، ثمّ نقول إنّ معرفتنا بها نسبيه؟ و إذا كنّا نعى جميع إدراكاتنا بواسطة قوالب ذهنيه، مسبقه فكيف نقول: ما هو عندنا-و لو بشكل نسبي- هو نفسه الذي في الخارج؟

لقد أحيا «كانت» بنظريته شك «بيرهون»، فعلى الرغم من أنّه لم ينفِ الوجود الخارجى إلاّ أنّه يقول من الممكن أن تكون الأشياء في الخارج شيئاً و ما ندركه شيئاً آخر. و بيرهون كان متردداً في طرحه، بينما طرح «كانت» نظريته بشكل نهائى و جزمى.

لا شكّ أنّ فلسفه «كانت» عجزت عن إثبات الشيء في نفسه، فانسحبت إلى المثاليه، و قد أشكل عليه من جاء بعده من المثاليين، ك «نيتشه» و «هيجل»، و قالوا: إنّ فلسفه «كانت» فلسفه مثاليه و ليست واقعيه. و «كانت» كان يعتقد بالشيء في نفسه، و يحكم بوجوده، لكنّه يقول:

إنّه غير قابل للمعرفه، و هذه قضيه متناقضه لأنّ الحكم بوجود الشيء في نفسه نوع من معرفه الشيء في نفسه.

كانت و كوبرنيك

يشبه «كانت»، منهجه بمنهج «كوبرنيك»، و يقول: إنّ كلانا استطاع بقلب الفرضيات السابقه أن ينجح في إزاله مشاكل كثيره. لكن ينبغي أن يعلم أنّ «كوبرنيك» استطاع بنظريته الجديده أن يقصى ما سببه علماء الفلك السابقين من

ص: ٣١٧

إشكالات، بينما واجه «كانت» بنظريته سيلاً من الإشكالات، التي كان ينزعج منها لكنّه وجّهها بشكل منطقي.

من المؤسف أنّ فلسفه الغرب اليوم، التي تشكل البحوث المعرفيه أغلب موضوعاتها- وقد انتقلت إلى الشرق كهديه فكريه- لا تفضى إلاّ إلى الشكّ و التزوير. و لو أُتيح للغربيين أن يطلعوا على بحوث الفلاسفه المسلمين في موضوع الوجود الذهني، لحصلت ثوره كوبرنيكيه أُخرى في فلسفتهم. (1)

و أمّا حول نقد نظريه «كانت» فنقول: هناك نوع من المعارف الإنسانيه، لم تؤخذ من الخارج، و لو فرض أنّها أخذت من الخارج، فلم تتأثر بأيّ قالب فكري سابق، مثل:

١. امتناع اجتماع النقيضين.

٢. امتناع اجتماع الضدين.

٣. بطلان الدور و التسلسل.

٤. احتياج كلّ ممكن إلى علّه.

فهذا النوع من المعارف في الحكمه النظرية لم يُصغّ وفق قوالب ذهنيه، لذا هي قضايا مطلقه و صادقه في كلّ زمان.

و هنا نسأل «كانت»: قيل هناك اختلاف بين (نومن) و (فنومن)، و لا يمكن للأشياء الخارجيه أن ترد إحساسنا دون أن تتغير، فهل القانون يشمل هذه النظرية أم لا-؟ لأنّه يؤكد في نظريته الواقع الخارجي، الذي لا- شكّ أنّه يرد الحسّ عن طريق الجهاز الفكري، فيكون حينئذٍ محكوماً لقانون (نومن) و (فنومن)، و في هذه الصوره سوف لا يكون هذا الفكر واقعياً، فإذا كان نسيباً، فلا يمكن أن نقول إنّ

ص: ٣١٨

باقى إدراكات الإنسان نسبيه، إذ لو كان هذا الفكر مطلقاً لاستطعنا أن نحكم بنسبيه الكل، لكنّه ليس فكراً مطلقاً بل نسبيّ فحينئذٍ لا يتضرّر إطلاق النظريات الأخرى. (١)

أمّا بالنسبه إلى القراءه الثالثه لهذه النظرية، فخلاصتها أنّ هناك حقيقه اسمها الإشراق و الاتصال بالوجود المطلق، و شهود و إدراك الله بدون واسطه. و يعبرون عن هذه العمليه بالتجربه الدينيه، غير أنّ التعدّديه الدينيه لها علاقه بفهم الأنبياء، و هناك أربعه عوامل لوجود الاختلاف فى الفهم بينهم.

و بعباره أخرى: «انّ اتصال الأنبياء بهذا الموجود المجهول، أو الشعور بالارتكاز مطلقاً إلى موجود متعال حقيقه واحده و لا تستبطن الكثره، لكن يحصل الاختلاف عند ما يراد التعبير عن هذه الحقيقه و صبها فى قالب لغوى». يقول جون هيكر (و هو أكثر المهتمين بهذا الموضوع):

١. التعدّديه الدينيه، من زاويه معرفيه، هى هذه الحقيقه، و هى أنّ تاريخ الأديان هو استعراض لتعدّد المذاهب و كثره ما بها من تشعبات، و هذا الإصلاح ناظر، من زاويه فلسفيه، إلى نظريه خاصه فى العلاقه بين المذاهب و ما تدّعيه و نقائضها. و هو يعادل النظرية التى تدّعى أنّ مقوم الأديان العالميه الكبيره هو الفهم المختلف للحقيقه الغائيه، الإلهيه المجهوله. (٢)

٢. الأديان المختلفه تيارات متباينه للتجربه الدينيه، و قد بدأ كلّ واحد منها فى مرحله معينه من التاريخ البشرى، و الوعى العقلى لها يتفتح داخل فضائها الثقافى. (٣)

ص: ٣١٩

١-١. نقدنا هذه النظرية بشكل واضح فى كتاب المعرفه، فيمكن مراجعته.

٢-٢. تعدد الأديان عند جون هيكر: ٣٠١.

٣-٣. فلسفه الدين: ٣٣٨.

٣. وهذا يعنى أننا واقعاً لا- نستطيع أن نتحدث عن صحّته أو خطأ أحد الأديان، فكيف نتحدث عن صحّته و خطأ إحدى الحضارات، لأنّ الأديان، كتيارات دينيه ثقافيه متميزه فى تاريخ البشريه، تعكس تنوع البشريه و طبائع الأفكار، وهذا الاختلاف الذى يتجلّى بين الذهنيه الشرقيه و الغربيه فى الصور العقليه و اللغويه و الاجتماعيه و السياسيه و الفنيه المختلفه، يحتمل أن يكون نابعاً من الاختلاف بين الدين الشرقى و الغربى. (١)

٤. هناك تفاوت بين المذاهب الدينيه الكبرى، و لا- سيما بين التيارات العرفانيه، حول فهم الحقيقه المحضه أو الغايه المطلقه أو هيكل الربوبيه، تلك الحقيقه التى جرّبها أفراد البشر.

و الاحتمال القوى أنّ الحقيقه الغائيه لا متناهيه و من هنا فهى أسمى من إدراك و تفكير و لغه البشر.

و لو فرضنا أنّ الحقيقه المطلقه واحده، إلّا أنّ إدراكنا و تصوّرنا لهذه الحقيقه متعدّد و مختلف، فهذا يقوى الفرضيه التى تقول إنّ التيارات المختلفه للتجربه الدينيه تؤكد أنّ الاختلاف فى إدراكنا للحقيقه المتعاليه اللامحدوده هو انعكاس لما يدركه الإنسان منها فى ضوء التاريخ الثقافى المختلف، الذى يتأثر به و يؤثر فيه. (٢)

نقد و تحليل للقراءه الثالثه

١. إذا لم يتمكّن أحد من الوصول إلى الحقيقه، و كلّ شخص ينظر إليها بمنظار خاص، فيجب أن نقول: إنّ جميع الشرائع أو الأديان ستكون (طرقاً) غير

ص: ٣٢٠

١- (١). المصدر نفسه: ٢٣٤.

٢- (٢). المصدر نفسه: ٢٤٣- ٢٤٥.

مستقيمه و معارف غير ثابتة و تفاسير قلقة من شهود الحقيقه المطلقه، و لم يعثر الإنسان على الحقيقه منذ ولادته، و هو يتخبط دائماً فى بحر الجهل، و سيقى فى ضلاله إلى يوم يبعثون.

و إذا كانت جميع الشرائع أو الأديان فى صف واحد، و جميع الرسائل مختلفه بسبب العوامل، فينبغى أن نقول: لا فرق حينئذ بين اليهوديه و المسيحيه و الإسلام و الأديان الأخرى مثل البوذيه و الهندوسيه، بل حتى المذاهب الإلحاديه مثل الماديه و الواقعيه الحديثه، لأنّ الجميع يشتركون فى رسم صورته خطأ للوجود، و عليه سيكون الإنسان مخيراً فى اختيار تثليث المسيحيه و توحيد الإسلام و ألوهيه براهما و بوذا. و هذا التفسير يعكس وجود أزمه فكريه لدى صاحب هذه النظرية.

٢. لو فرضنا صحه هذه النظرية، فإنّ التعدديه ستختص فى التعاليم العقيديه كالتوحيد و التثليث، و الجبر و الاختيار، و التنزيه و التجسيم، و لا- تشمل الأحكام العمليه و الأخلاقيه، لأنّ من الممكن أن يستوحى الإشراق و الارتباط بالوجود المطلق، إحياءات مختلفه من العلاقه بهذا الوجود المطلق. أى من الممكن أن يكون إدراك كل واحد من هؤلاء المرسلين (كما يعبر هيك) لذات و صفات و أفعال الحقيقه المتعالیه اللامحدوده يختلف بشكل كامل، لكنهم لم يختلفوا فى فهم الأحكام العمليه المتعلقه بشئون المجتمع و إصلاح أخلاق الإنسان.

و بتعبير آخر أنّ النصوص العقائديه تشتمل على جنبه خبريه، و تقول: اللّٰه واحد، أو اللّٰه ثلاثه، و هكذا القضايا الأخرى فى العقيديه، إلّا- أنّ النصوص فى التعاليم العمليه و الأخلاقيه إنشائية، و بلا- فاصله يقول الأنبياء: افعل أو لا تفعل. مثلاً: صلّ، صم، اعط الزكاه، لا تظلم، لا تراء، لا تغتب. فكيف يمكن لهذه النصوص المختلفه أن ترتبط بالتجربه الدينيه، و يكون ارتباط الأنبياء بالوجود المطلق؟ و هل يمكن للّٰغه أو الثقافه أن تؤثر فى هذه التعاليم؟ و إذ كنا لا نفهم

شيئاً من هذه النصوص (حتى يصبح ان الشيء في نفسه غير الشيء عندنا) فكيف يطالب المجتمع بأشياء؟

٣. لو افترضنا ان القضايا العقائديه انعكاس لما يفهمه الانبياء من التجربه الدينيه، فكيف يكون للإشراق و العلاقه بالوجود المطلق نتائج متناقضه، أحد الانبياء يدعو إلى التوحيد و الآخر إلى التثليث؟

إن أحد دعاه التعدديه ينسب التضاد إلى الله و يقول: «إن أول من بذر بذور التعدديه في العالم هو الله، و الله هو الذي أرسل أنبياء مختلفين، فتجلى لكل واحد بشكل، و أرسل كل واحد إلى مجتمع، و جعل على كل لسان و ذهن تفسيراً خاصاً، و بهذا الشكل أجمع بودقه التعدديه». (١)

و لازم هذا الكلام ان الله أوحى إلى أحدهم التوحيد و أوحى إلى الآخر الشرك، بينما نجد جميع الانبياء قد عبثوا أنفسهم لدعوه التوحيد، فهل يمكن أن ننسب هذا الكلام إلى فاعل هادف؟

إن إحدى مشكلات البيلوراليزم هي وجود التناقض في دعوات الانبياء (لانهم يعتقدون أن المسيح دعا إلى التثليث)، و طالماً أخفقوا في حل هذه الأزمه.

يقول «ويليم الستون» في حوار أجرته معه مجله كيان الإيرانيه رداً على سؤال أثاره مراسل المجله عن وجود التناقض بين الدعوه إلى التوحيد في الإسلام، و دعوه التثليث في المسيحيه، يقول: إذا كان هناك نضان متناقضان فيما بينهما فلا يمكن أن يكون كلاهما صادقاً بشكل كامل، و هذا الحد الأدنى الذي نفهمه من مفهوم الصدق، أما المثال الذي ذكرته فإنه مهم، إذ طالعت أخيراً كتاباً يتكون من خمسة أجزاء لأحد الباحثين البريطانيين، و هو كتاب ذو أجزاء كبيره، فالجزء الثاني من

ص: ٣٢٢

الكتاب جاء تحت عنوان (المسيح المقدس و الفتح الإلهي)، حيث استدلّ المؤلف بقوه، و هو باحث انجليزي، أنّ المسيح قد عرّف نفسه لمعاصريه باعتباره رسول الله و من سلسله أنبياء بنى إسرائيل. و قد عرض رساله بديعه و مختلفه بالقياس إلى أسلافه، و لما قدّم نفسه رسولاً من قبل الله تعامل معه مخاطبوه في ذلك الزمان على هذا الأساس. و هذا الكلام كان قبل الصلب و ما تعلق به من قضايا.

بناء على هذا ليس خطأ أن نعبر ب(المسيح النبي). و أنا لا أقول إنّ هذه النظرية مقبولة من قبل جميع المسيحيين، لكن لو قلنا ذلك من زاوية تاريخيه فلا يعد بدعه، و ليس خطأ أن نقول عنه رسول الله. فالنظره التاريخيه، طبقاً لعقائد المسيحيين في الوقت الحاضر، لا تحكى تمام الحقيقه حول المسيح. و إذا ادّعى أحد أنّ الرساله قد انتهت فأنّه سيعارض بذلك تعاليم المسيحيه. (1)

و الهدف من نقل هذا الكلام هو التأكيد أنّ دعاه التعدّديه قلقون أيضاً من قضيه التضاد و التناقض.

و أمّا قولهم: «إنّ الرؤيه التاريخيه لا تعكس تمام الحقيقه حول المسيح...» فهي محاوله فاشله لإثبات أنّ المسيح، بنظر الإنسان و من زاويه أُخرى، هو نفس الله. بينما المسيح لا يعدو كونه حقيقه تاريخيه، و لا يمكن للشئ الموجود في ظرف الزمان و المكان أن ينسلخ عن حقيقته و ينتقل إلى مقام الألوهيه.

٤. تقول البيلوراليزم: «الحقيقه الدينيه واحده في مقام الشهود و الشعور بالارتكاز المطلق إلى الموجود المتعال، لكنّها تتأثر بالثقافه السائده أثناء التعبير عنها» بينما نحن نلاحظ خلاف ذلك بالنسبه لاثنين من الأنبياء:

أ. رسول الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم: إذ بعث الرسول في قوم كان دينهم وثنيه و شركاً، لكنّه

ص: ٣٢٣

(١ - ١). مجله كيان، العدد: ٥٠، ص ٧.

دعاهم إلى التوحيد على خلاف الثقافه السائده فى المجتمع.

ب.المسيح عليه السلام:الذى عاش وسط بنى إسرائيل الموحدين،لكنّه (حسب عقيدته البيلوراليزم) دعاهم إلى تثليث الله.فكلا النبيين، أحدهم بنظر الجميع و الآخر بنظر هؤلاء،دعا قومه إلى خلاف الثقافه السائده.

٥.إذا اعتبرنا فهم كلا النبيين فى مقام الإشراق واحداً،لكن العوامل الأربعة:(الثقافه،اللغه،التاريخ،الوضع الجسمى) هى التى تسبب الاختلاف حينما تؤثر خلال التعبير عن الموجود،إذا اعتبرنا ذلك فيجب أن تكون مذاهب الأنبياء السابقين فى خصوص العقائد مختلفه،بينما نجد جميع الأنبياء،ما عدا المسيح (كما يدعى بعض أتباعه) قد حاربوا عباده الأصنام،و كان هدفهم التوحيد،و لم يكن للعوامل الأربعة أى مدخليه فى دعواهم.

٦.لازم هذا الكلام أن لا يوجد أى أصل قطعى و جزمى فى أى دين،و هذا ناتج عن العوامل الأربعة،بينما ينطوى الدين الإسلامى على سلسله من القضايا الجزميه التى لا يمكن أن تكون قلقه أو متأثره بالعوامل الأربعة،و هى:

وجود الله،صفاته الجماليه و الجلاليه،إرسال الأنبياء،الدعوه إلى التوحيد،الدعوه إلى حياه أُخرى بعد الموت،محاربه الظلم،الدعوه إلى مكارم الأخلاق و النهى عن المنكرات،الواجبات الفرديه و الاجتماعيه،النواهى الفرديه و الاجتماعيه،خاتميه الشريعه الإسلاميه،و عشرات التعاليم الأخرى.

فهل صحيح أن نقول:إنّ هذه الأحكام و التعاليم هى انعكاسات لتنوّع الإنسان و الطبائع و الصور الفكرية المختلفه؟ أو نقول:وعى مختلف للحقيقه اللامحدوده و المتعاليه،فتدركها أذهان البشر بأشكال متفاوته،و تتأثر بالتواريخ المختلفه و الثقافات المختلفه ثم تردنا على هيئه نصوص؟

إنّ جون هيك اعتبر الأديان واحده لبعده عن تعاليم الإسلام و قطعياته و متواتراته، فكلامه يمكن أن يصدق على الكنيسه أو أحد الأديان الشائعه في الشرق، مثل البراهماتيه و البوذيه و الهندوسيه، لكنّه لا يمكن أن يصدق على الإسلام الذي هو مجموعته تعاليم مقسّمه إلى قطعيات و ظنيات، و التاريخ لا يؤثر على القطعيات أبداً.

٧. من الغريب أنّ هذا الباحث المسيحي، الذي ابتعد عن المسيحيه أيضاً، قد جلس في غرفه مغلقة و أخذ يتحدّث عن الأديان السماويه دون أن يعرض نظريته على كلامهم، أو يقرأها لهم ليتأكد من موافقتهم على آرائه.

إنّ الأنبياء ينسبون تعاليمهم في جميع المجالات إلى الوحي، و ليس للعوامل، بما فيها إرادة النبي، أي تأثير. فعند ما ذهب رسول الإسلام إلى دكان أحد الحدادين الروم و جلس هناك قليلاً، اتّهمه مشركو قريش بأخذ الوحي منه، فنزل الوحي و دفع الشبهه و قال: «وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ». (١)

فكيف يمكن مع هذه الأدله الجازمه أن نحكم على كتب الأنبياء و نقول إنّها مخلوقه للعوامل السائده في حياتهم؟

دراسه تمثيلين

استعان دعاه البيوراليزم بتمثيلين هما:

١. التمثيل الذي ورد في ال «مثنوى» و نقله «جون هيك» بتصرف يقول: جيء بفيل إلى مجموعته من المكفوفين لم يرو الفيل قط فأحدهم لمس رجل الفيل

ص: ٣٢٥

و قال:الفيل عمود كبير وحي.

و الآخر لمس خرطوم الحيوان، فقال:الفيل أفعى عظيمه الجسم. و الثالث لمس عاج الفيل، فقال:الفيل يشبه شفره المحراث، و إلى آخره. و بالطبع أنّ جميع هؤلاء على حقّ، لكن كلّ واحد أشار إلى جزء الحقيقة، و أراد أن يعبر عنها بتشبيه ناقص. (١) لكن الواقع ليس مع أحد منهم.

و هنا قد افترض «جون هيك» هؤلاء الأفراد مكفوفين و افترض الغرفه مضيئه، لكن ال «مثنوى» افترضهم مبصرين و افترض الغرفه مظلمه. (٢)

و يضيف «هيك»، بعد نقله القصة، نحن لا نستطيع أن نقول أى الآراء صحيحه، لعدم وجود رأى نهائى يمكننا أن نستنتجه من الرجال المكفوفين و الفيل. و الحقيقة أنّنا جميعاً مكفوفون و واقعون تحت سلطه مجموعه مفاهيم شخصيه و ثقافيه. (٣)

إذاً فواقع جميع الأنبياء و أتباعهم هو واقع لمس هؤلاء الرجال للفيل، فكلّ زاويه من زواياه لا تمثل الواقع.

نقول يمكننا، إذا كنا أشخاصاً واقعيين أن نخلص إلى نتيجة أخرى من هذا التمثيل و هى: أنّ كلّ شىء يدرك بأداه حسٍ خاصه به، فلا يمكننا مثلاً أن نميز الرائحة الطيبه عن الكريهه أو نميز الشىء الجميل عن الشىء القبيح بالحس، لأنّ الحاسه الحقيقيه لهما هى حاسه الشم و البصر، و إلاً سوف لا نضع أيدينا على الحقيقة إلى يوم يبعثون.

ص: ٣٢٤

١-١. عقل و اعتقاد: ٤٠٧.

٢-٢. مثنوى: ٣:٣٢.

٣-٣. مجله كيان، مصدر سابق، العدد: ٢٨، ص ٢٨.

فإدراك الفيل لا يتحقق إلا باستخدام البصر و في فضاء منير، بينما هؤلاء كانوا إما يفتقرون لحاسه البصر أو عدم تحقق شرط الاناره، لأنهم إما مكفوفون أو كان الفضاء مظلماً.

كما أنّ هناك حاسه خاصه لإدراك المعارف الإلهيه و صفات الله الجلاليه و الجماليه، و بشكل عام إدراك القضايا الماورائيه و هى العقل و البرهان، و لا يمكن الابتعاد عن العقل و الاعتماد على الحس فى إدراكها. فالنتيجه التى خلصنا لها من هذا المثال هى النتيجه نفسها التى أكدها الشاعر مولوى، إذ قال: إنّ جهل هؤلاء بحقيقه الفيل يعود إلى فقدان شرط الإدراك الحسى و هو الشمعه و النور، و إلا فمع تحقق الشرط المذكور سنكشف الواقع لهم، و باستخدام العقل و المنطق سيتمكن المتدينون أيضاً من تمييز الحقّ عن الباطل و الصحيح من الفاسد.

يقول العلامه محمد تقى جعفرى فى بيان مراد جلال الدين: الرؤيا هى الحاسه الطبيعيه للحكم على الأشياء المتجسمه التى لا تعرف حقيقتها إلاّ باللمس، و لا تستطيع العين أن تثبت وجود حقيقه شىء آخر. فالعين التى تبصر البحر تختلف عن العين التى تبصر رغوّه الماء. فأنت الذى خطوت خطوه للتعرف على الحقيقه اترك الثانيه و استخدم الأولى، فما تراه من رغو على سطح بحر الحقيقه يستمد حر كته من البحر. (١)

إذاً فما يقولونه: «لا نعلم أى الرؤى صحيحه، لعدم وجود رؤيه نهائيه، يستطيع من خلالها الرجل المكفوف أن يتعرف على الفيل» صحيح، لأنهم استخدموا القوه اللامسه، و هى أداه للأشياء الناعمه و الملموسه و ليست للتعرف على الحقيقه.

ص: ٣٢٧

فهؤلاء يريدون أيضاً أن يدركوا ما وراء الطبيعه بالحس و التجربه، مع أنّ الأداة الخاصه لمعرفة الله و صفاته الجماليه و الجلاله هى العقل و البرهان و الدليل، و بها فقط نستطيع أن نرفع الغطاء عن وجه الحقيقه. فتشبيه الإنسان المجهز بالمنطق و الدليل، بالإنسان الذى يفتقر إلى الأدوات العلميه، قياس مع الفارق.

و هناك من يطرح تشبيهاً آخر مستفاداً أيضاً من بيت شعر لمولوى، يقول: من المنظار يا عقل الوجود اختلاف المؤمن و المجوس و اليهود (١)

يقول مولوى - كما قيل - إنّ الاختلاف بين الثلاثة: (المؤمن، المجوسى، و اليهودى) ليس اختلافاً بين الحقّ و الباطل، و إنّما الاختلاف فى الرؤيه، و هى ليست رؤيه اتباع الأديان و إنّما رؤيه أنبيائهم إلى الحقيقه، فثلاثة أنبياء نظروا إليها من ثلاث زوايا، أو أنّها تجلّت للأنبياء الثلاثة من ثلاث زوايا، لهذا عرضوا ثلاثة أديان، فاختلاف الأديان - إذاً - ليس نابغاً فقط من اختلاف الظروف الاجتماعيه أو تحريف الدين أو مجيء دين آخر يحل محله، و إنّما اختلاف منظار الله تعالى للعالم، فكما جعل الطبيعه متنوعه فكذلك جعل الشريعه متنوعه». (٢)

إنّ تشبيه عمل الأنبياء بشيء ينظر إليه من ثلاثة زوايا، سيكون صحيحاً عند ما تشكل كلّ نظره جزءاً من الحقيقه، بحيث لو جمعنا جميع تلك النظرات فى نقطه دائريه لتوفرنّا على معرفه كامله بالشىء، فمثلاً عند ما ينظر إنسان إلى آخر من منظار فكرى و يعرّفه بأنّه إنسان مفكّر، يقول إنّما حكمت عليه من منظار فكرى. و إذا كان من علماء الأخلاق و نظر إليه من منظار غريزى و يعرّفه بأنّه إنسان

ص: ٣٢٨

١- (١). مثنوى، دفتر الثالث، البيت: ١٢٥٨.

٢- (٢). صراطهاى مستقيم: ١٤.

غريزي و مرهف الحس، سيقول إنَّما حكمت عليه من منظار غريزي. فعند ما تجتمع هذه الصفات في دائره واحده ستكمل إحداهما الأخرى.

بينما هذا الشرط غير موجود في نظره الأنبياء، كما ذكر شارح البيت الشعري، فواحد يقول انَّ الله واحد أحد، و الآخر يقول واحد بسيط، و ثالث يقول متعدّد و مركب. فلا شك انَّ أحد هذه الآراء باطل و غير قابل للجمع. و هذا الكلام جار في التعاليم العمليه، فواحد يقول هذا العمل حرام في شريعته، و الآخر يقول حلال، فلا يمكن أن نوعز هذا الاختلاف إلى تباين الرؤيه، لأنَّ اختلاف الرؤى يكمل أحدهما الآخر، لا أن تتباين.

ثمَّ إنَّ هذا التفسير لشعر مولوى لا ينسجم مع الأبيات السابقه و اللاحقه للبيت. ففي الأبيات الأولى يقول مولوى إنَّ هناك من ينظر إلى زجاجه المصباح و الآخر ينظر إلى النور نفسه، فمن ينظر إلى الزجاجه يتصوّر انَّ النور ينبعث منها، فيكون ضالاً، أما من ينظر إلى النور نفسه فسيسلك طريق الحقيقه و يدرك عين النور. فالاختلاف في الرؤيه يعنى عدم الاستفاده من الأداة الصحيحه، كالعقل الذى يهدى إلى الحقيقه، و لا يعنى تصويب كلِّ الرؤى التى بمجموعها يكمل بعضها الآخر.

يقول العلامه محمد تقى جعفرى فى شرح هذا البيت: ما نشاهده من خرف و فتائل مختلفه موجب للتعدّد و الكثره، و لكن النور الموجود فى الخرف و الفتائل كإشعاعات لأبدان الإنسان هو من ما وراء الطبيعه، و هو حقيقه، فلا تنظر إلى الزجاجات الحجرية الملونه التى هى منشأ التعدد و التنوع، لأنك سوف تضل. (١)

ص: ٣٢٩

من هنا نأندعو إلى التآنى فى ولوج هذا اللغز المحير، لأنّ التفسير الثالث لليلوراليزم يقضى إلى إنكار الوحي الذى يشكل مثلث الشرائع السماويه: العقائد، الأحكام، والأخلاق، فهم يقولون: إنّ رسالات الأنبياء هى نتاج جهازهم الإدراكي، وهم يتأثرون بالعوامل التاريخيه و اللغويه و الاجتماعيه و الجسمانيه، و لا علاقه لهم بمقام الربوبيه. و إذا أنكرنا الوحي سينتفى الدين و الشريعه.

المباني الفلسفيه لليلوراليزم

هناك عدّه قضايا تشكل أساس هذه النظرية، التى جرى الحديث عنها فى موضوع فلسفه الدين، و التى يشكل الكلام المسيحى أسس بعضها و هى:

١. «إنّ الجهاز المعرفى لا يستطيع إيصال الحقيقه إلى أى شخص كما هى بحيث تكون مطابقه للواقع، و حتى الأنبياء لا يستطيعون الوصول إلى الحقيقه المطلقه، لأنهم مشمولون بهذا القانون، فإذا سلّمنا بذلك ستهياً الأرضيه اللازمه لليلوراليزم، و سوف لا يبقى فرق بين الكليم و المسيح و محمد صلى الله عليه و آله و سلم فى أى عصر من العصور، لأنّ ما يمنع تحقّق اليلوراليزم هو الاعتقاد بأنّ المعرفه مطلقه». (١)

٢. اللغه الدينيه لغه رمزيه، و النصوص الدينيه لا- تنظر إلى الواقع و لا- تعكس الخارج، و لا- يمكننا أبداً أن نتعامل معها و كأنها إخبارات، لذا ليس هناك فرق بين الأديان، و الاعتراف بهذا الأمر سيهتئ المقدمات اللازمه لقبول اليلوراليزم بشكل تلقائى.

إنّ قضيه اللغه الدينيه من القضايا الحساسه جدّاً، و إذا لم تفسر بشكل

ص: ٣٣٠

١- (١). مؤسس هذه النظرية هو الفيلسوف الألماني «كانت».

صحيح سوف لا تكون المعرفة الدينيه جزميه، و ستفقد المقولات الدينيه معانيها، و تغمرها الحاله الشعريه. و كان لنا حديث سابقاً عن هذا الموضوع.

٣. «الوحي تجربه دينيه، و تستخلص حقيقتها من شهود و إدراك الله مباشره و تجليه لأنبيائه، و ليس ضرورياً أن يصاحب ذلك تلقى رساله أو أوامر. و تعاليم الأنبياء، أعمّ من التعاليم الخبريه كالعقائد، أو الإنشائيه كالأحكام، هي انعكاس لما يفهمونه منها، و حتى لو فرضنا أنّ محتوى الرسالات نازل من الله لكن ألفاظها ليست منه، و عليه الأنبياء ما يتلقونه في قوالب لفظيه طبقاً لذهنياتهم، و حينئذٍ سيكون من السهل أن يتأثروا في مقام التعبير بظروفهم الخاصه، و سوف لا يكون هناك ما يضمن صحه فهمهم، إذاً فهؤلاء بشر، و يتأثرون كغيرهم بالظروف السائده.

إنّ اقتصار الوحي على شهود و إدراك الله من غير واسطه إنكار للوحي الذي هو أساس الشرائع السماويه، و كلّما اقتصر الوحي في الشهود فيكون حقيقه قائمه في شخص الرسول، فلا يمكنه أن يكون أسوه و قدوه، و إنّما نصل إلى الفوز و السعاده من خلال النصوص التي تتجلى للأنبياء على هيئه تعاليم دينيه. و كلّما اشتملت هذه التعاليم على أبعاد بشريه، بما فيها نتاج الرسول، فستأخذ صيغه بشريه و ستخفف قيمتها، و لا يبقى ما يوجب الالتزام بها. و هذا النمط من التفسير للوحي مخالف للكتاب، يقول تعالى: «و الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصِداً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» ١. و هذه الآيه تأكد بوضوح أنّ القرآن-المحتوى و اللفظ-وحي إلهي و ليس نتاجاً لذهنيه الرسول.

و يقول فى سورة الإسراء بعد بيان مجموعه من المعارف و الأحكام ابتداء من الآيه ٢١ إلى آخر الآيات: «ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ» . (١) و عند ما ذهب موسى عليه السلام إلى طور ليلقى رساله ربه أقام هناك أربعين يوماً تمكن بعدها من الحصول على الرسائل التى كتبت على الألواح، يقول: «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْمَأْلُوحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً» . (٢) و هذه الآيه تنسب بوضوح تلك الرسائل إلى الله و ليس إلى ذهنه موسى عليه السلام.

و يقول فى آيه أخرى: إنَّ جميع رسالات الأنبياء صحيحه، و إذا نسب الرسول شيئاً إلى الله كذباً فسئواخذة: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ» . (٣)

عند ما ندقق فى الكتب السماويه و القرآن الكريم سيتضح انّ للوحى معنى واسعاً، و هو ما يتلقاه الأنبياء من رسائل مسموعه أو مكتوبه فى ظروف خاصه، فتصرف أذهان الأنبياء إذاً يتنافى مع عصمتهم، بل ربما يستأصل جذر العصمه عندهم. و العصمه فى تلقى الوحى و حفظه و تبليغه من الأمور المتفق عليها بين المسلمين، و قد أكدها القرآن الكريم: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا» . ٤

و الآيه تؤكد انّ الله قد سخر ملائكته لصيانه الوحى من كلّ تغيير، ابتداء من مرحله التلقى إلى مرحله الإبلاغ، و ذلك من أجل الحيلولة دون أى تصرف فى

ص: ٣٣٢

١- ١. الإسراء: ٣٩. [١]

٢- ٢. الأعراف: ١٤٥. [٢]

٣- ٣. الحاقه: ٤٤-٤٦. [٣]

٤. من مباني البيوراليزم فصل الدين عن الشريعة، فالدين بنظر البيوراليزم أمر إيحائي، بينما الشريعة (تعاليم الأنبياء) في مثلث العقيدة، الأخلاق، والأحكام العملية فهي نتاج ذهن الأنبياء، وحينما تطبق البيوراليزم سيكون المحور هو الإيمان و ليس الشريعة، و إذا كان الإيمان أساس العمل فسيصان من كل اختلاف، أمّا إذا كان الأساس هو الشريعة، فلا شكّ سنواجه تعاليم متضاده ستكون نواه للتشدد و الصراع و التنافس.

الإيمان يعنى ارتباط النظام العالمى، مهما كانت قيمته عاليه بعالم آخر هذا من جهه، و من جهه أخرى فإنّ الإنسان لا يلتزم بتعاليم الأنبياء ما لم تؤثر به. و الكمال المعنوى يتحقّق عن طريق العقيدة و العمل، فمن يقول: «محوريه الإيمان نواه للوحده و التوحد، و محوريه الشريعة سبب للتفرقه و الانقسام» كمن يعين المدعى مسبقاً فى كلامه، ثم يسعى لإثباته. فتجريد الدين من الشريعة إنهاء للدين و إنهاء للحياه الدينيه، و ما لم يترافق الإيمان بالله و العمل الصالح فلا يؤثر الإيمان شيئاً فى تحقيق سعادته الإنسان.

إلى هنا استعرضنا المباني الفلسفيه للبيوراليزم، لكن بعض دعاه هذه الفكره فى بلادنا يحاولون التشبّث ببعض الأفكار القرآنيه لدعم التعدّديه الدينيه، فلا بدّ أن نشير إلى بعضها:

أ. «يعتقد المسلمون أنّ الله تعالى هو الهادى، فإذا كانت هذه الدعوى صادقه فهو يهدى جميع أو أغلب البشريه، و إذا كان القسم الأعظم من البشريه ضالين فهذا يتنافى مع كونه هادياً، و ربما يعنى هذا غلبه الشيطان على الرحمن و خذلان أنبياء الله، فكون الله هادياً لا يصدق إلاّ أن تكون أكثرية بنى آدم على

لقد اختار المستدلّ التفسير الثانی لليلوراليزم (فوز أتباع جميع الشرائع)، لكنّه لم يفرّق بين الهدايه التكوينيّه و الهدايه التشريعيّه، و اعتبر الاثنيّن واحده رغم أنّ الله هادي الاثنيّن معاً.

الهدايه التكوينيّه الجبريه التي تشمل العالم تعني أنّ الله يهدي كلّ موجود يخلقه و يهبه الحياه، فتناول الطفل لحليب الأمّ يحتاج إلى هدايه و هكذا، يقول: «رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ تُعَمِّمُ هَيْدِي». (١) و هذه الهدايه التكوينيّه خارجة عن إرادته المخلوقات، و سواء أراد المخلوق أم لا فهو يتمتع بهذه الهدايه، و لا فرق فيها بين المسلم و الكافر و المسلم و المسيحي.

و في مقابل هذه الهدايه هناك الهدايه التشريعيّه التي لا تتحقّق إلاّ بإرسال الأنبياء و الأئمّه و أمثالهم، و يكون الإنسان في هذه الهدايه مختاراً و مريداً، بل يفتخر أنّه قد اهتدى بهذه الهدايه بمحض حريته. لكن كون الله تعالى هادياً لا يلزم منه أن يستثمر الإنسان هذه الهدايه جزماً و يكون مهتدياً، و إنّما يكفي أن يعرض الله هدايته و يضعها بين يديه، سواء استفاد منها الإنسان أم لا. و نحن لم نر و لم نسمع باستثمار البشريه للهدايه التشريعيّه بشكل كامل بل يقول تعالى: «وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ».

(٢)

ب: «يعتقد المسلمون أنّ التوحيد فطري، لكن هذا الادّعاء لم يثبت لا بالدليل العقلي و لا بالدليل التجريبي رغم أنّ المتدينين يعتقدون به، و على أساس

ص: ٣٣٤

١-١. طه: ٥٠. [١]

٢-٢. يوسف: ١٠٣. [٢]

اعتقادهم يجب أن نلتزم أن أكثره أو جميع البشريه، في أى دين أو عقيدته، على الحق ما دامت لهم فطره».

و للجواب عن هذا الاستدلال نقول:

أولاً: عند ما نقول الدين أمر فطرى فالمقصود هو الجذور الأساسيه للدين، و ليس جميع تعاليم الأنبياء، و هدايه الجميع فى العمل إلى جميع التعاليم أو قسم منها. و لو فرضنا أن جميع من على الأرض يعتقدون بالله، و يمارسون ما هو محبب من الأعمال الفطريه و يتركون ما ترفضه الفطره، فهذا الاتجاه لا- يحقق سوى نصف السعاده، لكنها لا تقتصر على الاعتقاد بالله أو على مجموعه من المبادئ الأخلاقيه، لأن الإسلام بحر عظيم من الحقوق و الفقه و العقائد لا بد أن نتعلمها من نبي الإسلام، و لا يمكننا الاكتفاء بالفطره.

ثانياً: الفطره اتجاه باطنى يحث الإنسان على عمل الخير، لكنها سرعان ما تتحطم فى ظل ظروف خاصه. فكثير ما يرحح الناس الظلم على العدل رغم أن الفطره تحكم بقبح الظلم، و عليه فليس جميع أو أغلب أفراد المجتمع على المسار الصحيح.

ج: المقوم الأساسى للخاتميه أن البشريه قد وصلت إلى مرحله التكامل التى يكون الدين فيها محفوظاً بشكل طبيعى. أى أن البشريه سوف لن تخالف دين الله و لا تريد هدمه حتى تحتاج إلى رقيب إلهى أعلى. المسلمون و غيرهم هم بأنفسهم دعاه حق، و الجميع متساوون فى هذا الشئ المعادل للفرديه.

لكن الفهم المتقدم للخاتميه ليس صحيحاً، لأن الخاتميه-خلافاً لهم- تعنى أن البشريه ما دامت حيه فهى تحتاج إلى الشريعه و ما ورد فيها.

و الشريعة الإلهية الأخيرة،الجامعه المانعه إنّما أرسلت نوراً.و أمّا كون البشريه على طريق الصلاح و الفلاح فلا علاقته له بالخاتمية.
و الشيء الوحيد الذى له علاقته بها هو أن تصل البشريه إلى مرحله،من حيث الاستعداد و الإدراك،تستوجب نزول الشريعة الخاتمه،و لا تدلّ الخاتمية على أنّ جميع البشريه متأثرون بهذا الشعور.

ص: ٣٣٦

مع الإمام البخارى فى صحيحه

صحيح البخارى أحد الصحاح الذى حاز على منزله كبيره لدى أهل السنّه، وقد نقلوا عن البخارى أنه قال: لم أخرج فى هذا الكتاب إلا صحيحاً و ما تركت من الصحيح أكثر. (١)

وقال ابن حجر الهيتمى بأنّ صحيح البخارى و صحيح مسلم هما أصحّ الكتب بعد كتاب الله و إجماع من يعتد به. (٢)

إلى غير ذلك من كلمات الإطراء المبنوثة فى المعاجم و كتب التراجم، و لسنا الآن فى مقام البحث و النقاش فى مدى صحّه هذه الكلمات، و كفانا فى ذلك الكتاب المائل بين يديك الذى يوقفك على حقيقه الأمر، غير أنّ ثمه أموراً نقف عندها قليلاً:

الأول: يوجد فى صحيح البخارى روايات التجسيم و التشبيه بوفره و إن حاول سُراح الصحيح تأويلها غير أنّها فشلت جميعاً، لأنّ ظهورها بمكان يحد

ص: ٣٣٧

١-١. ابن حجر العسقلانى: هدى السارى: ص ٧؛ مقدمه صحيح البخارى: ١٠/١.

٢-٢. الصواعق المحرقة: ١٨. [١]

من تأويلها و التلاعب بها، و السبب وراء هذه الكثرة من روايات التجسيم يعود إلى أنّ البخارى عاش فى عصر المتوكل العباسى الذى استخدم طبقه من المحدثين و منحهم الجوائز فى نقل الأحاديث التى تؤيد موقف المحدثين أمام أهل التنزيه من العدلية و المعتزله.

يقول الذهبى: إنّ المتوكل أشخص الفقهاء و المحدثين؛ و كان فيهم: مصعب الزبيرى، و إسحاق بن أبى إسرائيل، و إبراهيم بن عبد الله الهروى، و عبد الله و عثمان ابنى محمد بن أبى شيبه؛ فقسّمت بينهم الجوائز، و أُجريت عليهم الأرزاق، و أمرهم المتوكل أن يجلسوا للناس و يُحدّثوا بالأحاديث التى فيها الرد على المعتزله و الجهميه، و أن يحدّثوا بالأحاديث فى الرؤيه.

فجلس عثمان بن محمد بن أبى شيبه فى مدينه أبى جعفر المنصور، و وُضِعَ له منبر و اجتمع عليه نحو من ثلاثين ألف من الناس؛ و جلس أبو بكر بن أبى شيبه فى مسجد الرصافه، و كان أشدّ تقدماً من أخيه عثمان، و اجتمع عليه نحو من ثلاثين ألف.

(١)

و لذلك فلا تعجب من كثره روايات التجسيم و التشبيه فى الصحيح، لأنّ بعض هؤلاء من رجال صحيح البخارى.

الثانى: أنّ البخارى و إن ذكر شيئاً من فضائل على و أهل بيته إلاّ أنّ قلمه يرتعش عند ما يصل إلى فضائلهم فيعبث بالحديث مهما أمكن، و إليك نموذجاً:

إنّ حديث الولايه يعنى قول النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى حقّ على عليه السلام: «على منى و أنا من على، و هو وليكم من بعدى» من الأحاديث المتضافره الذى أخرجه غير واحد من

ص: ٣٣٨

أئمة الصحاح و السنن و حفاظ الحديث، و قد نقله جم غفير من كبار أئمة الحديث في كتبهم، ربما يبلغ عددهم حسب ما استخرجه المحقق المتتبع السيد حامد حسين اللكهنوي (المتوفى ١٣٠٦هـ) في كتابه «عبقات الأنوار» إلى ٦٥، و على رأسهم:

١. سليمان بن داود الطيالسي (المتوفى ٢٠٤هـ).

٢. أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (المتوفى ٢٣٩هـ).

٣. أحمد بن حنبل (المتوفى ٢٤١هـ).

٤. محمد بن عيسى الترمذي (المتوفى ٢٧٩هـ).

٥. أحمد بن شعيب النسائي (المتوفى ٣٠٣هـ).

إلى غير ذلك من أئمة الحفاظ و المحدثين (١)، و إليك نص الحديث:

١. أخرج النسائي في سننه قائلاً: حدثنا واصل بن عبد الأعلى، عن ابن فضيل، عن الأعرج، عن عبد الله بن بريده، عن أبيه، قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن مع خالد بن الوليد و بعث علياً على آخره، و قال: إن التقيتما فعلي على الناس، و إن تفرقتما فكل واحد منكما على جنده، فلقينا بني زييد من أهل اليمن، و ظفر المسلمون على المشركين، فقاتلنا مقاتله و سينا الذريه، فاصطفي على جاريه لنفسه من السبي، فكتب بذلك خالد بن الوليد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم و أمرني أن أنال منه. قال: فدفعت الكتاب إليه و نلت من علي، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت:

هذا مكان العائد، بعثتني مع رجل و ألزمتني بطاعته فبلغت ما أرسلت به. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لي: «لا تقعنَّ يا بريده في علي، فإن علياً مني و أنا منه و هو وليكم

ص: ٣٣٩

١- ١). لاحظ نفحات الأزهار في خلاصه عبقات الأنوار: ١٥/٥١-٥٤. [١]

٢. و أخرج أحمد في مسنده عن ابن عباس، عن بريده، قال: غزوت مع عليّ اليمن فرأيت منه جفوه، فلمّا قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكرت عليّاً فتقصته فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتغير، فقال: «يا بريده أ لست أولى بالمؤمنين من أنفسهم»، قلت: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه». (٢)

و ما جاء في الحديث الذي أخرجه النسائي من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «عليّ منّي و أنا من علي و هو وليكم بعدي» لا ينافي المنقول في مسند أحمد و لعلّ الرسول جمع بين الكلمتين، أو أنّ الراوى نقل بالمعنى فقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه.

و علي كلّ حال فالحديث كان مذيلاً بما يدلّ على ولايته بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

و يؤيد ذلك أنّ الإمام أحمد أخرج الحديث عن عمران بن حصين بالشكل التالي:

٣. قال: بعث رسول الله سريه و أمرّ عليهم علي بن أبي طالب (رض) فتعاقد أربعة من أصحاب محمد أن يذكروا أمره لرسول الله، قال عمران: و كنّا إذا أقدمنا من سفرنا بدأنا برسول الله، فسلمنا عليه، قال: فدخلوا عليه، فقام رجل منهم، فقال يا رسول الله: إنّ عليّاً فعل كذا و كذا فأعرض عنه.

ثمّ نقل قيام الثلاثة الباقيين و تكرارهم ذلك القول و إعراض الرسول عنهم، حتى انتهى إلى قوله: فأقبل رسول الله على الرابع و قد تغير وجهه، فقال: «دعوا عليّاً، إنّ عليّاً منّي و أنا منه، و هو وليّ كلّ مؤمن بعدي». (٣)

١-١. خصائص علي بن أبي طالب: ٧٥. [١]

٢-٢. مسند أحمد بن حنبل: ٣٤٧/٥. [٢]

٣-٣. مسند أحمد: ٤٣٨/٤. [٣]

٤. وأخرج الترمذى عن عمران بن حصين و نقل الحديث مثل ما نقل أحمد ابن حنبل إلى أن قال: فقام الرابع، فقال مثل ما قالوا، فأقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - والغضب يُعرف في وجهه - فقال: «ما تريدون من عليّ! ما تريدون من عليّ! ما تريدون من عليّ! إنّ عليّاً منى و أنا منه و هو ولى كلّ مؤمن بعدى». (١)

ترى أنّ الروايه تنص على الولاية الدالّة على أنّه الإمام بعد رحيل الرسول لكن البخارى كعادته أخرج الحديث عن بريده، فذكر شيئاً من الحديث و حذف بيت القصيد منه، فأخرج الحديث عن عبد الله بن بريده عن أبيه بالنحو التالى:

قال: بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً إلى خالد ليقبض الخمس و كنت أبغض عليّاً، و قد اغتسل، فقلت لخالد: أ لا ترى إلى هذا، فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكرت ذلك له.

فقال: يا بريده أتبغض عليّاً، فقلت: نعم، قال: «لا تبغضه فإنّ له فى الخمس أكثر من ذلك». (٢)

ترى أنّه حذف فقره الأخيره من الحديث التى هى بمنزله بيت القصيد منه و هى: «انّ عليّاً منى و أنا منه، و هو وليكم بعدى».

هذان الأمران اللّذين نؤهنا إليهما يعربان عن موقف البخارى حيال روايات التجسيم و التشبيه، كما يعربان عن مدى بخسه لأحاديث أهل البيت عليهم السلام و فضائلهم. كيف لا و هو لم يرو حديث الغدير بتاتاً، كما لم يرو عن الإمام الصادق عليه السلام حديثاً واحداً مع أنّه نقل عن الخوارج و المجبّره و المشبّهه!!

فهذا الكتاب الذى يعد أصح الكتب عند أهل السنّه بعد كتاب الله

ص: ٣٤١

١-١. سنن الترمذى: ٥/٦٣٢. [١]

٢-٢. صحيح البخارى: ٥/١٦٣، باب بعث على بن أبى طالب و خالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجه الوداع.

بحاجه إلى تنقيب و بحث و دراسه رجاله و دراسه مضمون الأحاديث الواردة فيه. و قد قام بهذا الأمر المهم غير واحد من أعلام الفريقين.

فمن أهل السنّه الحافظ ابن الجوزى (٥١٠-٥٩٧هـ) حيث ألف كتاب باسم «مشكل الحديثين أو مشكل الصحاح» و لم يزل مخطوطاً فى أربعة أجزاء.

و أما من الشيعة، فقد قام فقيه الطائفة و المتتبع المتضلع الشيخ فتح الله النمازى الاصفهانى المشهور ب«شيخ الشريعة» (١٢٦٦-١٣٣٩هـ) بدراسه صحيح البخارى فى كتاب هو مائل بين يديك و قد ألفه قدس سره و لم يسمّه باسم، غير أنّ تلميذه المتتبع الشيخ آقا بزرك الطهرانى (١٢٩٣-١٣٨٩هـ) استكتبه لنفسه و أسماه ب«القول الصراح فى نقد الصحاح»، و قد كانت النسخه منحصره بما استكتب، فاستدعيت من صديقنا العزيز المجاهد فى سبيل الله آيه الله الشهيد ميرزا على الغروى قدس سره مؤلف الموسوعه الفقيهيه باسم «التنقيح فى شرح العروه الوثقى» أن يرسل لى صورته من نسخه الشيخ آقا بزرك الطهرانى المتوفره فى مكتبته، و قد لى قدس سره طلبى هذا.

و قد قام بتحقيق الكتاب و التعليق عليه و إخراج مصادره الباحث المحقق الشيخ حسين غيب غلامى السهرساوى، فعلق عليه تعاليق ثمينه، شكر الله مساعيه الجميله، و هو ممن قد خاض فى عبارات هذه المباحث فى غير واحد من تأليفه.

و لعلّ هناك من يعيب على هذا النوع من التأليف أنّه يثير حفيظه البعض، لأنّ كثيراً من أهل السنّه تلقوا صحيح البخارى كتاباً صحيحاً برّمته يسمو عن البحث و النقد، و لكن الحقّ أنّ كلّ كتاب غير كتاب الله خاضع للبحث و النقاش.

إنَّ السُّنَّةَ النبويَّةَ تراث خالد للأئمَّةِ الإسلاميَّةِ تعد المصدر الثاني للشريعة الإسلاميَّة بعد القرآن الكريم في مجالى العقيدة و الشريعة.

فالسُّنَّةُ المحكيَّةُ أى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم و فعله و تقريره من الحجج القطعية التى لا تخضع للتمحيص، كيف لا و هو كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

و إنّما الخاضع للتحقيق و التنقيب هو السُّنَّةُ الحاكية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلا عتب على باحث أن يقوم بدراسة الحديث دراسه موضوعيه قائمه على أسس علميه و بلغه هادئه.

فهذا النمط من البحث لجدير بالاهتمام و العناية من قبل الباحثين و المحقّقين لما فيه من تقرير للسُّنَّة النبويَّة، و تمحيصها عمّا ليس منها.

و ها نحن بحمد الله لم نختلف فيما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، و لو كان هناك اختلاف فإنّما هو فى ما روى عنه، و هذا هو الذى أرشدنا إليه الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام، عند ما قال له بعض اليهود:

ما دفتنم نبيكم حتى اختلفتم فيه!!

فقال عليه السلام له: إنّما اختلفنا عنه، لا- فيه، و لكنكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم: «اجعل لنا إلهاً كما لهم إلهه، فقال: إنّكم قوم تجهلون». (١)

جعفر السبحانى

مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

٢٢ رجب المرجب ١٤٢١ هـ

ص: ٣٤٣

(١-١). نهج البلاغه، قصار الكلمات، برقم ٣١٧. [١]

الرسائل

اشاره

ص: ٣٤٥

إشارة

السيد الدكتور محمد الكايد

رئيس تحرير صحيفه الرأي المحترم

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

أما بعد، فقد طالعتنا على صفحات الرأي مقالاً يحمل عنوان «إشكاليه الاعتقاد و التاريخ لدى الشيعة» بقلم ذياب شقيرات بتاريخ ٢٠/٢/٢٠٠٠م، وهو يحاول في مقاله هذا أن يعطى انطباعاً بأن عقائد الشيعة ليست متأصلة بل مستحدثه صنعها التاريخ و لم تكن موجودة من ذى قبل. و قد ساق شواهد على مدّعاها هذا، و هى كالتالى:

١. معتقد التقيه ٢. معتقد عصمه الأئمه

٣. معتقد الإمامه ٤. معتقد الرجعه

و قام بتحليلها حتى خرج بحصيله أنّ هذه المعتقدات لم تكن من عقائد الشيعة الإماميه، و إنّما دفعتهم الظروف الحرجه إلى الاعتقاد بها عبر التاريخ، و بما أنّ القراء الكرام لصحيفه الرأي قد طالعوا هذه مقاله، فنحن نرى أنفسنا فى غنى عن إعادته ما ذكره بنصه، و نكتفى بتحليل هذه المعتقدات الأربعة كى يتضح أنّها من صميم عقائد الشيعة الإماميه من دون أن يستحدثها التاريخ.

ص: ٣٤٧

وقبل أن ندخل في صلب الموضوع نوّد أن نشير إلى أمرين:

١. أنّ صحيفه الرأى صحيفه سياسيه و الطابع العام الذى يسودها هو الطابع السياسى،فما هو الحافز لطرح هذه البحوث الكلاميه أو التاريخيه فى هذه الصحيفه...يا ترى؟

٢. أنّ الكاتب يرمى من مقاله تحليل عقائد طائفه كبيره أطلّت على العالم بتاريخها و حضارتها و علمائها و مشاهيرها،و خدمت الحضاره الإنسانيه خدمه جليله،و هو لم يذكر فى مجموع ما كتب أىّ مصدر لما ينقل عنه أو يرميهم به،و هذا يحطّ بطبيعته الحال من قيمه العلميه للمقال المذكور.

إنّ المذهب الإمامى كسائر المذاهب أُقيمت دعائمه على أمرين:

الأوّل:العقائد و المعارف الإلهيه و هى ثوابت لا تمسّ كرامتها الأحداث و المستجدات،لأنّها نتاج الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه،و السنه النبويه و البراهين العقليه و بذلك لا يمكن أن يتطرق إلى معتقد قد صيغ على هذه الأسس الثلاثه أىّ تغيير و تبدّل.

الثانى:الأحكام الشرعيه العمليه و هى بين ثوابت لا تتغير عبر التاريخ،و مقررات موضوعه حسب الحاجات،و الأحكام الثابته هى رمز خلود الإسلام و خاتميه الشريعه المحمديه و المقررات المتغيره هى رمز تفاعلها مع مستجدات الأحداث و متطوراتها،و قد فضلنا الكلام فى ذلك فى موسوعتنا القرآنيه المنتشره باسم «مفاهيم القرآن»فليرجع إلى الجزء الرابع.

هذه هى عقيدته الشيعه الإماميه فى الثوابت و المتغيرات،فلو كان هنا معتقد فإنّما هو نتاج الدليل القطعى لا- نتاج التاريخ و الأحداث المريره التى مرّت بها هذه الطائفه،و من أراد أن يقف على عقائد الشيعه الإماميه فى القرنين الأوّلين

فليرجع إلى كتبهم.

و بعد ان فرغنا من هذه المقدمة الموجزه،فلنتناول الشواهد التي سردها الكاتب تأييداً لمدّعاها،و هي أربعه:

١.معتقد التقيه

شرّعت التقيه بنص القرآن الكريم حيث وردت في جملة من الآيات،أعنى:قوله سبحانه: «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» ١، و قوله سبحانه: «لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاءً» ٢. و قوله سبحانه: «وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ» ٣.

و هذا ممّا لا-خلاف فيه بين المسلمين و لكن الكاتب رأى أنّ الشيعة تمارس هذا الأصل في مقابل أهل السنّه،مع أنّ مورد الآيات هم الكفار،و يقول:«لم يستخدم الشيعة هذا المعتقد و يمارسوه إلّا مع أهل السنّه و الجماعه».

و ممّا يؤخذ عليه أنّ مورد الآيات و إن كان هم الكفار،و لكن المورد ليس بمخصص،و قد قال بالتعميم لفيف من محقّقى أهل السنّه،و هذا هو الرازى يقول:

ظاهر الآيه: «إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاءً» على أنّ التقيه إنّما تحلّ مع الكفار إلّا- أنّ مذهب الشافعى رضى الله عنه أنّ الحاله بين المسلمين إذا شاكلت الحاله بين

المسلمين و الكافرين حَلَّت التقيه محاماه عن النفس (١).

و بما انّ التقيه سلاح الضعيف أمام القوى فلا فرق بين قوى كافر و بين مسلم ظالم متسلط.

الشيعة لم تمارس هذا الأصل مع إخوانهم أهل السنّه، بل مارسته مع الخلفاء الجائرين من الأمويين و العباسيين الذين قتلوا الشيعة تحت كل حجر و مدر، و يكفيك شاهداً على ما نقول ذلك البيان الذي أصدره معاوية بن أبي سفيان في حقّ شيعة على:

انظروا من قامت عليه البيه أنه يحب علياً و أهل بيته، فامحوه من الديوان، و اسقطوا عطاءه و رزقه ثمّ شفع ذلك البيان بيان آخر و هو من اتهمتموه بموالاه هؤلاء القوم فنكّلوا به و أهدموا داره... (٢)

ثمّ إنّ الكاتب أضاف قائلاً: فإخواننا الشيعة يبررون قبول على بن أبي طالب عليه السلام بخلافه الثلاثة الذين سبقوه بأنّها على سبيل التقيه. و في هذا طعن مزدوج بعلى نفسه و بالخلفاء الثلاثة...

لكن فات الكاتب انّ علياً لم يبايع الخلفاء طيله عمره لما كان يرى نفسه أحقّ بهذا الأمر من غيره بتنصيب من الرسول في غير موقف من المواقف سواء أ كان في بدء الدعوه، عند نزول قوله سبحانه: «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» ٣ أم في غزوه تبوك عند ما خاطبه، بقوله: أنت منّي بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي» (٣)

ص: ٣٥٠

١- ١). الرازي: مفاتيح الغيب: ١٣/٢ [١] في تفسير الآيه؛ و على ذلك جرى جمال الدين القاسمي في محاسن التأويل: ١٠٨/٤، و المراغي في تفسيره: ١٣٦/٣.

٢- ٢). شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ٤٠٠/١١-٤٤٦. [٢]

٣- ٤). صحيح مسلم: ١٢٠/٧، باب من فضائل على بن أبي طالب عليه السلام.

أم في محتشد عظيم عند منصرف النبي الأ-عظم صلى الله عليه وآله وسلم من حجّه الوداع حيث أدلى بخطابه إلى عامه المسلمين، وقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» (حديث متواتر رواه من الصحابه ما يربو على ١٢٠ صحابياً) إلى غير ذلك من المواقف، ولكنه لما رأى أنّ الأمر قد تم للآخرين ورأى أنّ الشر قد أحاط بالإسلام والمسلمين، من جانب أهل الرده وغيرهم رأى أنّ المصلحه تكمن في معاضده القوم، وها هو يصرح بذلك في كتابه إلى أهل مصر مع مالك الأ-شتر لما ولّاه إمارتها، حيث قال: «فو الله ما كان يُلقى في روعي، ولا يخطر ببالى أنّ العرب تُزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل بيته، ولا- أنهم مُنحَوهُ عنى من بعده، فما راعنى إلا- انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعه الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد، فخشيت ان لم أنصر الإسلام وأهله ان أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبه به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التى إنّما هى متاعٌ أيام قلائل» إلى أن يقول: فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأنّ الدّين و تنهه». (١)

وهذا هو موقف علي من البيعه لا ما نسبته الكاتب إلى عليّ عليه السلام وإن كان في شكّ ممّا نقلناه فليقرأ ما رواه ابن قتيبه في تاريخ الخلفاء، حيث يقول:

إنّ علياً كرم الله وجهه أتى به إلى أبي بكر، وهو يقول: أنا عبد الله أخو رسول الله، فقيل له: بايع، فقال: أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايع و أنتم أولى بالبيعه لى... إلى أن يقول: فقال له عمر: أنت لست متروكاً حتى تبايع، فقال له علي: احلب حلباً لك شطره، و شدّ له اليوم يردّه عليك غداً، ثم قال: والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه، فقال له أبو بكر: فإن لم تبايع فلا أكرهك (٢).

ص: ٣٥١

١-١. نهج البلاغه، [١] قسم الرسائل: ٦٢.

٢-٢. تاريخ الخلفاء الراشدين، لابن قتيبه: ١١/١.

نعم اشتهر بين أهل السنّة أنّ الإمام بايع الخلفاء بعد وفاه بضعه المصطفى فاطمه الزهراء عليها السلام. و لكن هذه الشهره من الوهن بمكان و أقل ما يمكن أن يقال فيها أنّ فيها طعنًا مزدوجاً بعلی نفسه و بالخلفاء الثلاثة.

أمّا بعلی نفسه فلاّنه إذا تمت الخلافه لواحد من الصحابه و كانت خلافه شرعيه، فلما ذا تخلف علی، و أمّا بالخلفاء فهو غنى عن البيان.

و لعمرى أنّ الخوض فى هذه المباحث يجرح العواطف و يشتت الصفوف، فهى أحداث شرب عليها الدهر و أكل، و لو لا أنّ الكاتب نبش هذه القضايا لم نكن نستعرض هذه الأحداث التاريخيه المريره.

ثمّ قال صاحب المقاله: «إنّ التقيه مبدأ فرضه التاريخ على جملة المبادئ و الثوابت لتفسير و تبرير صحه تسلسل الأئمه و تعارض آرائهم فى بعض القضايا المتشابهه».

و ملخص كلامه أنّ الشيعه اتخذت التقيه ذريعه لأمرين:

١. صحّه تسلسل الأئمه.

٢. تعارض آرائهم فى بعض القضايا المتشابهه.

أمّا الأمر الأوّل فقد أجمل فيه الكلام و لم يبيّن ما هى الصله بين التقيه و صحه تسلسل الأئمه، و كان عليه أن يوضح ذلك غير أنّ تسلسل الأئمه إلى اثنى عشر خليفه منصوص فى صحاح السنه.

فقد أخبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم عن عددهم و تسلسلهم إلى اثنى عشر خليفه فيما أخرجه مسلم عن جابر بن سمره، قال: سمعت رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله و سلم يقول: لا- يزال الإسلام عزيزاً إلى اثنى عشر خليفه، ثمّ قال كلمه لم أفهمها، قال: قلت لأبى، ما قال؟ قال: كلّهم من قريش (١).

ص: ٣٥٢

١- (١). صحيح مسلم: ٣/٦، باب الناس تبع لقريش.

وقد أخرج مسلم هذه الروايه بأسانيد مختلفه،و للقارئ الكريم أن يتدبر فى معنى الحديث حتى يظهر له المراد من هؤلاء الخلفاء الاثنى عشر الذين أُنيطت بهم عزه الإسلام،وقد جاءوا واحداً تلو الآخر عبر الزمان،و هو لا ينطبق إلا على الأئمه الاثنى عشر،أولهم على بن أبى طالب عليه السلام و آخرهم القائم المهدي عليه السلام.

فهل يتصور الكاتب أنّ هؤلاء هم الأمويون أو العباسيون الذين ضرّجوا الأرض بدماء الأولياء و الصلحاء،و هل يزيد بن معاويه أحد من انيط به عزّ الإسلام و هو الذى يشرب الخمر و يرفع عقيرته،و يقول: ليت أشياخى بيدر شهدوا

و أمّا الأمر الثانى أى تعارض آراء الأئمه عليهم السلام،فنقول:نعم كان للتقيه دور فى الإفتاء وفق هوى الجهاز الحاكم صيانه لأنفسهم و أنفس شيعتهم،حيث إنّ الجهاز الحاكم قد مارس ضغوطاً على الأئمه عليهم السلام و شيعتهم للحد من نشاطهم،و قد أعمل فيهم السيف بغيه صهر هويتهم،و فى مثل هذه الظروف العصيبه و القاسيه يبىح العقل و النقل الإفتاء على وجه التقيه،و قد كان الضغط على أئمه أهل البيت عليهم السلام بمكان يفرض عليهم بعض الأحيان الانصياع لحكم الحاكم فى يوم الشكّ من شوال،فقد أفطر الإمام الصادق عليه السلام و هو يعلم أنّه يوم من شهر رمضان،فسئل عن إفطاره،فقال:«إفطارى يوماً و قضاؤه،أيسر علىّ من أن تضرب عنقى»(١).

ص: ٣٥٣

هذا هو الشاهد الثانى الذى زعم الكاتب أن التاريخ فرضه على الشيعة و لم يكن من صلب عقائدهم.

إن الاعتقاد بعصمه الإمام و عدم عصمته، نابع من اختلاف التفكير فى ماهية الإمامه و الخلافه، فذهبت السنه إلى أن الإمام كرئيس دوله ينتخبه الشعب أو نواب الأئمة أو يتسلط على رقابهم بانقلاب عسكري، فالإمام وفق هذه النظرية لا يشترط فيه سوى الكفاءه الاجتماعيه، و لذلك لا ينخلع بفسقه و ظلمه و غضب الأموال و ضرب الأبخار و تناول النفوس المحرمه و تضييع الحقوق و تعطيل الحدود و لا يجب عليه الخروج. (١)

فالإمام عند أهل السنه كرئيس الدوله، و الذى يصفه التفتازانى، بقوله: و لا ينزل الإمام بالفسق أو بالخروج عن طاعه الله، و الظلم على عباد الله، لأنه قد ظهر الفسق و انتشر الجور من الأئمة، و السلف كانوا ينقادون لهم و يقيمون الجمعه و الأعياد بإذنه و لا يرون الخروج عليه (٢).

و فى هذه النظره لا يشترط فى الإمام العصمه و لا العداله و لا العلم و لا سائر المواصفات إلا الكفاءه على إداره البلد و عمرانه و توزيع الأرزاق و الذب عن الحدود.

و أما الإمامه عند الشيعة فهى استمرار لوظائف الرساله (لا نفس الرساله) التى كانت على عاتق النبى صلى الله عليه و آله و سلم من تفسير القرآن الكريم، و الإجابة على المستجدات، و الدفاع عن حياض العقائد، مضافاً إلى الكفاءه على إداره البلد،

ص: ٣٥٤

١-١. التمهيد للقاضى أبى بكر الباقلانى: ١٠٨.

٢-٢. شرح العقائد النسفيه: ١٨٥. [١]

فالإمام فى هذه النظره بحكم أنه يقوم بوظائف النبى صلى الله عليه وآله وسلم يجب أن يكون معصوماً كنفس النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

دلت الآيات على عصمه الإمام، كما به الابتلاء فى قوله سبحانه: «وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» ١.

و أمّا دلالتها على عصمه الإمام، فإليك بيانها موجزاً.

إنّ الناس بالنسبه إلى الظلم على طوائف أربع:

١. من كان طيله عمره ظالماً.

٢. من كان طاهراً و نقياً طيله عمره.

٣. من كان ظالماً فى بدايه عمره و تائباً فى آخره.

٤. من كان طاهراً فى بدايه عمره و ظالماً فى آخره.

عند ذلك يجب أن نقف على أنّ إبراهيم عليه السلام الذى سأل الإمامه لبعض ذريته، أى طائفه منها أراد.

حاشا إبراهيم أن يسأل الإمامه للطائفه الأولى أو الرابعه من ذريته، لوضوح أنّ الغارق فى الظلم من بدايه عمره إلى آخره أو الموصوف به أيام تصديّه للإمامه لا يصلح لأن يؤتمن عليها.

فبقيت الطائفتان الثانيه و الثالثه، و قد نص سبحانه على أنه لا ينال عهدہ الظالم، و الظالم فى هذه العبارة لا ينطبق إلا على الطائفه الثالثه، أعنى من كان ظالماً فى بدايه عمره و كان تائباً حين التصدى.

فإذا خرجت هذه الطائفة بقيت الطائفة الثانية و هي من كان نقى الصحيفه طيله عمره لم ير منه لا قبل التصدى لمنصب الإمامه و لا بعده أى انحراف عن جاده الحق و مجاوزه للصراف السوى و هو يلازم العصمه.

إنّ الدليل على عصمه الإمام لا ينحصر بالآيه، بل آيه التطهير أوضح دليل على عصمه أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم من الدنس، قال سبحانه: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» ١.

و الآيه بحكم تذكير الضمائر لا صلّه لها بنساء النبي صلى الله عليه و آله و سلم، بل هي راجعه إلى الذين عيّنهم الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فى حديثه المتواتر بالكساء حيث ألقى الكساء على على و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام و قال: اللّهم لكلّ نبي أهل بيت، و هؤلاء أهل بيتى (١) و المراد من الرجس، هو الذنب كما لا يخفى. و إذهاب الرجس كناية عن عصمتهم، و إرادته سبحانه فى الآيه تكوينيه خاصه بأهل البيت لا تشريعيه عامه لجميع الناس.

على أنّ حديث الثقلين المتواتر عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم جعل العتره أعدل القرآن و قرناءه، و قال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى» كاف فى إثبات عصمتهم.

لأنّه إذا كانت العتره عدل القرآن، و القرآن معصوم من الزلل، فالعتره مثله، و إلّا لم تكن جديده بأن تصبح عدل القرآن و تكون هاديه بعده إلى يوم القيامة.

و منه يتضح أنّ الذى فرض العصمه على الإمام هو القرآن أولاً و الحديث

ص: ٣٥٦

(١-٢). تفسير الطبرى: ٥/٢٢-٧، [١] الدر المثور: ٥/١٩٨-١٩٩. [٢]

النبوى ثانياً، لا التاريخ، كما زعم الكاتب.

و الظاهر أنّ الكاتب تأثر إلى حد بعيد بالأفكار التي بثّها بعض المستشرقين أمثال «دونالدسن» الذي احتمل أن تكون فكره العصمه قد ظهرت في عصر الصادق عليه السلام (١).

٣. معتقد الإمامه

إنّ الإمامه عند الشيعة الإماميه ليست وراثيه، سواء أُريد منها وراثه الابن عن الأب، أو الأخ الأصغر عن أخيه الأكبر، وإنّما هي بالتنصيب من الله سبحانه عن طريق نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فملاك الإمامه هو المؤهلات الذاتيه؟

فإمامه الحسن عليه السلام ليست وراثه عن أبيه، وإنّما هو بتنصيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما أنّ إمامه الحسين عليه السلام ليست وراثه عن أخيه، وإنّما هو تنصيب لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: الحسن والحسين ابناي إمامان سواء قعدا أو قاما، وهكذا إمامه سائر الأئمّه عليهم السلام.

نعم تعلّقت إرادته سبحانه بتسلسل الإمامه في عتره النبي صلى الله عليه وآله وسلم على النحو المألوف.

و على أيّه حال فقد بدت محاوله الكاتب عقيمه لما سرد الحالات في تسلسل الإمامه التي خرجت عن المألوف كي يخرج بحصيله أنّ الإمامه معتقد استحدثه التاريخ فقال:

«انتقاض التسلسل في إمامه الحسين بعد أخيه الحسن رغم أنّ إمامه الحسن جاءت بعد إمامه أبيه و كان مقتضى الضابطه تسلسل الإمامه في أعقاب الحسن عليه السلام و لكنّها تحوّلت إلى أخيه الحسين عليه السلام».

و الإشكال نابع عن فكر مسبق و هو أنّ الإمامه أمر وراثي كخلافه الأمويين

ص: ٣٥٧

و العباسيين فكيف انتقلت الخلافة من الحسن إلى أخيه دون أعقاب الأول؟!

و منه يظهر خلل آخر في كلامه لما قال:

«إمامه الإمام موسى الكاظم عليه السلام بعد أبيه رغم أنّ الإمامه كانت لأخيه عبد الله الأفتح، و قيل لأخيه إسماعيل و لكن وفاه عبد الله الأفتح في حياه أبيه خلقت إشكاليه في سلسله الأئمّه».

«فالإمام بعد الإمام الصادق عليه السلام-حسب وجهه نظر الكاتب-هو ابنه الأكبر عبد الله الأفتح أو ابنه إسماعيل و مع ذلك تولى الإمامه نجله الأصغر الإمام موسى الكاظم عليه السلام».

و الحقيقة أنّ النص كان من الإمام الصادق عليه السلام على شخص معين، و هو موسى الكاظم عليه السلام دون أيّ شخص آخر و كانت بطانته عارفه بذلك، و إنّما اشتبه الأمر على السذج من الناس و اجتمعوا حول عبد الله الأفتح، إلاّ أنّه سرعان ما تبين الحق فرجع أكثر القائلين بإمامه الأفتح إلى إمامه موسى الكاظم عليه السلام.

و نود أن نشير إلى خطأ وقع فيه الكاتب، و هو قوله: «إنّ عبد الله الأفتح مات في حياه أبيه الصادق عليه السلام» مع أنّ الذي مات في حياه أبيه هو إسماعيل بن جعفر لا عبد الله الأفتح، فإنّه مات بعد أبيه بمضى ٧٠ يوماً باتّفاق المؤرّخين و أصحاب المقالات.

ثمّ إنّ الكاتب رأى غيبه الإمام الثاني عشر عند الشيعة أمراً لا ينسجم مع الإمامه، و نحن نكشف الستر عن وجه الحقيقة بوجه موجز و نقول:

إنّ الإمام المهدي عليه السلام قضيه إسلاميه اتّفتت الشيعة و السنّه على خروجه في آخر الزمان، و ليس لأحد إنكارها بعد ورود روايات متواتره من الفريقين، و إنّما الكلام في الأمور التاليه:

الأول: هل ولد الإمام المهدي عليه السلام و هو اليوم ممّن يرزق بأمر الله سبحانه كما عليه الشيعة الإماميه و ليفي من محققى السنّه أو هو لم يولد؟

و هذه قضيه تاريخيه لا- يسع المجال لطحها و استقصاء دلائل الولاده إلّا- أنّنا نحيل الكاتب إلى الكتب التى ألفت فى هذا المضمار.

و أقول باختصار: إنّ هناك ١٤٠ عالماً سنّياً نص على ولادته فى بيت الإمام العسكرى عليه السلام، فلو حاول الكاتب أن يقف على نصوصهم و كلماتهم، فعليه الرجوع إلى كتاب «موسوعه الإمام المهدي»، فقد جاء مؤلفه بنفس النصوص معيناً اسم الكتاب و المؤلف و رقم الصفحه.

الثانى: زعم الكاتب أنّ القول بحياه الإمام الثانى عشر يشكل إشكاليه يستحيل تفسيرها، فهل أراد الله للعالم أن يمكث رداً من الزمان دون إمام و لما ذا؟ و هل ينسجم هذا مع كون الإسلام خاتم الأديان و رساله الخالده إلى جميع البشر و لما ذا؟

حاصل كلامه يرجع إلى أمرين:

الأول: أنّ الغيبه لا تنسجم مع الإمامه

و الجواب أنّ لله سبحانه أولياء فهم بين ظاهر فى أوساط الناس يقومون بما خول إليهم من أمر الهدايه، و غائب عن الأنظار بمعنى أنّ الناس لا يعرفوه و لكنّه يقوم بما خول إليه حسب الإمكان.

و هذا كمصاحب موسى فقد كان ولياً من أوليائه سبحانه رزق من العلم ما لم يرزقه موسى الكليم عليه السلام فأراد أن ينهل من ندير علم مصاحبه، فقال: «هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا» ١ .

فصاحبه فتره فعرف انه ولى مستور، ولكنه يقوم بوظائفه بأحسن ما يرام. وقد ذكر القرآن الكريم من أعماله ما يحير العقول، والإمام الثانى عشر كهذا الولى المستور فهو إمام بين الأممه وقد فوضت إليه وظائف يقوم بها فى أوساط الناس دون أن يعلموا به.

و الكاتب لبعده عن عقائد الشيعة و كتبهم، تصور أنّ الإمام الغائب يعيش بعيداً عن الناس أو فى عالم آخر غير عالمنا لا يمت إلينا بصله، فقال: هل أراد الله للعالم أن يمكث ردهاً من الزمان دون إمام و لما ذا؟!!

فبقول: ما أراد الله ذلك، بل أراد أن يكون للأممه إمام يمكث معهم و يقوم بما فوض إليه من وظائف الإمامه من دون أن يعرفه الناس.

و ليس الاختفاء عن الناس أمراً بديعاً فى أوليائه سبحانه، فقد اختفى موسى عن أعين الأممه نازلاً فى ميقاته أربعين ليله فكان هو نبياً رسولاً، قال سبحانه: «وَإِعْدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ» ١.

الثانى: أنّ القول بغيبه الإمام الثانى عشر لا ينسجم مع كون الإسلام خاتم الأديان و الرساله الخالده إلى جميع البشر.

لا شكّ أنّ الكلام المذكور يكتنفه كثير من الغموض، لأنه لم يبين وجه الملازمه بين غيبه الإمام الثانى عشر و عدم كون الإسلام خاتم الأديان و الرساله الخالده إلى جميع البشر، فأى صلّه بين الأمرين، فلا شكّ أنّ الإسلام خاتم الشرائع و أنّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم خاتم الأنبياء، و أنّ القرآن خاتم الكتب، فأى ملازمه بين القول بذلك و كون الإمام ظاهراً بين الناس و قائماً بينهم، فليس الإمام الثانى عشر رسولاً

ولا- نبياً، وإنما هو خليفه رسول الله بعد أحد عشر خليفه، ولم تكن البيئه آنذاك مستعدة لظهوره بين الناس و كان الجهاز العباسى الحاكم يتحين الفرص للانقضاء عليه و قتله،فاقتضت المصلحه الإلهيه أن تخفيه عن الأنظار رغم وجوده بينهم.

و بذلك يعلم أنّ الاعتقاد بإمامه الإمام الثانى عشر أمر موافق للقرآن الكريم و السنن الإلهيه فى الأمم السابقه و ليس هذا أمراً استحدثه التاريخ بل كانت أئمه أهل البيت عليهم السلام متبئين بولادته ثم غيبته ثم ظهوره قبل أن يولد الإمام بسنين كثيره و هذا مذكور فى العديد من الكتب التى ألفت حول الإمام المهدي عليه السلام.

٤. معتقد الرجعه

قام الكاتب بتفسير الرجعه بالنحو التالى: و هو الإيمان بعوده الأئمه عليهم السلام فى آخر الزمان ليتمكنوا من تولى السلطه و الخلافه التى حرموا منها.

إنّ القول بالرجعه أى رجوع طائفه من الناس بعد موتهم إلى الدنيا قبل يوم القيامة ممّا نصّ به القرآن الكريم، يقول سبحانه: «وَأَيُّكُمْ يَخْشَىٰ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ» ١ فهذا الحشر غير الحشر يوم القيامة، فإنّ الحشر الثانى يعم الناس جميعاً: «وَأَيُّكُمْ يَخْشَىٰ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ» ٢

غير أنّ الوارد فى هذه الآيه هو حشر خصوص المكذبين، و الوارد فى الروايات هو حشر قليل من المؤمنين، و فى طليعتهم بعض أئمه أهل البيت عليهم السلام كالحسين عليه السلام، هذا هو واقع الرجعه عند الشيعة و ليس أمراً بديعاً، فقد جرت

سنته سبحانه على إعادته لفيء من الناس إلى الدنيا قبل يوم القيامة، يقول سبحانه: «أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَ شَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَ انظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَ انظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ١

و قال سبحانه: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ» ٢

و العجب أنّ الكاتب يستخفّ فكره الرجعه مع أنّ الخليفة الثاني هو أوّل من طرح فكره الرجعه بعد رحيل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم.

روى ابن هشام و غيره لما توفّي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قام عمر بن الخطاب، فقال: إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد توفى، و إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ما مات، و لكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثمّ رجع إليهم بعد ان قيل قد مات، و الله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال و أرجلهم زعموا أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مات.

و لا (١) يسعني في هذا المختصر سرد أسماء المصادر التاريخيه و الكلاميه التي تتناول تاريخ تلك المعتقدات بالتفصيل إلا أنّني على استعداد للدخول في مناظره

ص: ٣٦٢

مع الكاتب فى أى قاعه ىرغب بها من قاعات الأردن الكبىره و أمام محتشد غففر من الناس لكى أنقل له ما ذكرناه فى هذه المقاله بالتفصفر من مصادرها و قد ألقفت محاضرتفن حول عقائد الشفعه فى سالف الزمان فى مؤسسه «عبد الحمفد شومان».

ثم إنَّ الكاتب قد نحا نفس المنحى فى مقال آخر له تحت عنوان «الشفعه و التجدفد» و خرج منه بنفس النتفجه التى خرج بها فى هذا المقال، و أنّ هناك معتقدات للشفعه استحدثها التارىخ تلبفه للمستجدات و التطورات. تظهر الحال فىه ممّا ذكرناه فى المقام. كلّ ذلك ىعرب عن قصور باع الكاتب فى الإحاطه بعقائد الشفعه من مصادرها، و دلائلها و عذره أنّه لم ىتعرف على دخائل الشفعه و لم ىجالس علماءهم و لم ىستبطن ثقافتهم. و فى الختام، تقبلوا منّا خالص التشفه و الثناء.

جعفر السبجانى

قم- مؤسسه الإمام الصادق علیه السلام

٦ ذى الحجه الحرام ١٤٢٠هـ

ص: ٣٦٣

حضرات الساده الأعزاء المشاركين

فى هذا المهرجان الأدبى

السلام عليكم ورحمه الله و بركاته

لقد وافتنا رساله تدعونا للمشاركة فى المهرجان الأدبى الذى يقام فى الیومین الأول و الثانى من شهر جمادى الأولى ١٤٠٩هـ فى دمشق تحت عنوان «أهل البيت فى الشعر العربى و العالمى».

و يتناول بشكل خاص صدور «ملحمه أهل البيت الكبرى» للشاعر الكبير الشيخ عبد المنعم الفرطوسى رحمه الله.

و جاء فى نصّ الرساله أنّ المركز يتولّى طبع جميع النتاجات التى تلقى فى المهرجان أو التى تقدّم له على شكل بحوث و دراسات مستقلة.

و نحن نقدر هذه الخطوه المباركه التى فيها إحياء لذكرى أهل البيت عليهم السلام و ذكرى محبيهم فى أقطار العالم. و يؤسفنا أنّ الموسم الدراسى فى جامعه قم حال بيننا و بين الحضور فى المهرجان غير أنّنا نشارك الإخوه الكرام ببعث هذه الرساله مرفقه بقصيده فى مدح النبى صلى الله عليه و آله و سلم، من البحر الكامل من البحور العروضية. لأحد

الأفذاذ من علماء إيران ألا وهو الشيخ عبد الصمد التبريزي «الخامنه اي» المتوفى عام ١٣١١هـ.ق، وله ديوان فيه قصائد كثيره فى مدح أهل البيت عليهم السلام و ذكر مصائبهم و ما ألمّ بهم من كوارث و محن.

و اقتبسنا من ذلك الديوان لاميته المعروفه ب«لاميه الترك»، لأنّ الشاعر تركى اللسان وُلد و نشأ فى آذربيجان إحدى محافظات إيران الغربيه.قرأ الأوليات من العلوم فى مسقط رأسه و بعد ما وصل إلى مرتبه من العلم و الفضل هاجر إلى النجف الأشرف و أخذ يتردد على أنديه دروس أساتذتها العظام.و قد اتصل فى تلك البلده الزاخره بالعلم و الأدب بأدبائها و شعرائها المعروفين فى القرن الثالث عشر،فانقده بذلك كامن شعوره و تفجرت قريحته و طاقاته الأدبيه،فأخذ ينظم قصائده الباهره و يجارى أدبائها و شعراءها.حتى أنه ما نسى تلك المعاهد بعد ما هبط موطنه و عاد يتشوق لها و يقول مخاطباً صاحب البلده. يا سَيِّدًا فاقَ أربابَ النُّهى شَرَفًا

ص: ٣٦٥

فها أنا ذا أبعث إليكم قصيدته اللاميه فى مدح النبى الأ-كرم صلى الله عليه و آله و سلم يجارى فيها اللاميتين المعروفتين بين الأدباء و الشعراء.

لاميه العرب للشنفرى ابن الأوس اليمانى (المتوفى عام ٥١٠ م) و مطلعها: أقيموا بنى أمى صدور مطيكم فإنى إلى قوم سواكم لأميل

و قد شرحها الزمخشرى و أسماه: اعجب العجب فى شرح لاميه العرب. (١)

و قد روى فى المجامع الأديبه عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: علّموا أولادكم لاميه العرب فإنّها تعلّمهم مكارم الأخلاق».

و لاميه العجم لمؤيد الدين الاصفهانى المعروف بالطغرائى: يقول ابن خلكان: كان غزير الفضل، لطيف الطبع، فاق أهل عصره بصنعه النظم و النثر. قتل عام ٥١٥هـ. ق، و من محاسن شعره قصيدته المعروفه بلاميه العجم، و قد عملها ببغداد يشكو زمانه و هى التى أولها: أصاله الرأى صانتنى عن الخطل

و جاء بعض الحكم فى هذه القصيده: ١. حب السلامه يثنى هم صاحبه عن المعالى و يغرى المرء بالكسل

ص: ٣٦٦

فإن جنحت إليه فاتخذ نفقاً

٢. لو أنّ في شرف المأوى بلوغ مئى

٥. ترجوا البقاء، بدار لا ثبات لها فهل سمعت بظل غير منتقل (١)

ص: ٣٤٧

١-١. وفيات الأعيان: ١٨٥/٢ [١] رقم الترجمة ١٩٧

و أمّيا لاميه شاعرنا المترجم، فإليك نقلها من ديوانه المخطوط المحفوظ بين أسرهِ الشاعر. (١) نقدمها للمحتفلين الكرام حتى تكون انموذجا واضحا لازدهار الأدب العربي في تلك البلده منذ أواخر القرن الثالث عشر و بدايه الرابع عشر، و القصيده من بحر الكامل:

ص: ٣٤٨

١-١). طبع هذا الديوان و نشر من قبل مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام سنه ١٤١٤ هـ ق تحت عنوان «مقتطفات من ديوان أديب العلماء الشيخ عبد الصمد الخامنہ ای و مختارات من أشعار معاصريه».

فى مدح النبى الأعمظ صلى الله عليه و آله و سلم

[بحر الكامل] أمروا بسُلوانى غداة تَرَحَّلوا

و العينُ تَهْمى مِنْ ما قَيْها دَمًا أسفاً و نيرانُ الجوانِحِ تُشعلُ

سَلٌ مِنْ أراقِ دَمى بَصارمِ جَفِنِه هَلّا يَرِقُّ و قد بَكَتَنِ العُدَلُ

ظبى يصيدُ بَدَلَه أسدَ الشرى (١) بدرُ بَطَلتِه الكواكبُ تَخجَلُ (٢)

فالوجهُ مِنْه رواهُ صَبِحُ مُسْفَرٌ و الصدغُ (٣) مِنْه حكاةُ ليلِ أَيْلُ

إِنْ رامَ قَتلى فى العَرامِ فأنَّ لى بَغرامِه قسماً يَطيبُ المقتلُ

يا مُخجلاً بدرَ التَّمامِ بِحُسْنِه ما لى أراكَ مِنْ النواظِرِ تَخجَلُ

ص: ٣٦٩

١-٢). الشرى: محل للأسود فى جانب الفرات، يضرب به المثل فى قوه أسوده.

٢-٣). و فى نسخه على الهامش بدل الشطر الأخير يقول: (يحيى القلوب بمقتليه و يقتل).

٣-٤). الصدغ: ما بين العين و أصل الأذن. و الشعر المتدلى على هذا المحل يسمى صدغاً.

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّنِي لَكَ بَاذِلٌ نَفْسِي وَ أَنْتَ بَرَشْفٍ ثَغْرِكَ تَبْخُلُ
جُدُّ لِي بَوْصِلٍ هُنَيْهَةٍ أَفَلَا تَرَى قَلْبِي لَوْصِلِ هُنَيْهَةٍ يَتَغْلَغَلُ
وَيْلٌ لِمَنْ شَرِبَ الْمُدَامَ مُحْرَمًا وَ مَدَامٌ فَيْكَ لَشَارِبِيهِ مُحَلَّلُ
يَا بَابِلِيَّ الطَّرْفِ هَلْ بَكَ عَلَّهُ أَمْ طَرْفَكَ الْفَتَانُ لِي يَتَعَلَّلُ
كَمْ عَلَّلْتَنِي فَيْكَ أَحْلَامُ الْكَرَى فِإِلَامِ بِالْأَحْلَامِ فَيْكَ أُعَلَّلُ
أَحْرِقْ بِنَارِ الشَّوْقِ كُلَّ جَوَارِحِي إِلَّا الْفَوَادَ فَإِنَّهُ لَكَ مَنْزِلُ
تَسْرِي كَبْدِرِ التَّمِّ سَبْحَانَ الَّذِي أُسْرِي بِبَدْرِ فِي سِنَاهُ يَضِلُّ
صَيَّرْتَ لِي طَيْبَ الرِّقَادِ مُحْرَمًا وَ دَمِي تُبِيحُ لِقَاتِلِي وَ تَحَلَّلُ
يَا أَيُّهَا الْحَادِي رَوَيْدَكَ رَاجِلًا يَسْعَى وَرَاءَ حَبِيبِهِ وَ يُهْرَوُلُ
قَدْ شَابَ فِي شَرْخِ الْهَوَى لَمْ يَدْخُرْ زَادًا لِيَوْمٍ غَدٍ عَلَيْهِ يُعْوَلُ
إِلَّا مَدِيحَ مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْوَرَى نِعَمَ الْمَزَادِ وَ خَيْرِ زَادٍ يُحْمَلُ
أَنْشَأْتُهُ مُسْتَجْدِيًا أَرْجُو بِهِ فِي النَّشَاتَيْنِ جَوَائِزًا وَ أَوْمَلُ
إِنْ كُنْتُ أَعْجَمَ فِي اللِّسَانِ فَإِنَّمَا لِقْرِيحَتِي قَسُّ يَدَيْنِ وَ جِرْوَلُ (١)
فَالطَّبِيعُ يُعْرَبُ عَنِ فِصَاحِهِ كَلِمَهُ عَرَبِيهِ لَا فِي التَّحَاوُرِ مَقُولُ
يَا لَابَسًا ثَوْبَ الْحَدَادِ مُحْرَمًا أَنْزَعُ فَقَدْ وَافَى الرَّبِيعَ الْأَوَّلُ
شَهْرٌ تَوْلَدَ فِيهِ مَنْ كُسِرَتْ بِهِ إِيوَانُ كَسْرِي وَ الْمَلُوكُ تَذَلَّلُوا
ص: ٣٧٠

و انكبَّ أصنامٌ و غاضتْ ساوهُ و سماوهُ فاضتْ و ريعَ المُشعل

مَنْ كَانَ محموداً حقيقتهُ و ما كانتْ حقائقُ ما سواهُ تُبجل

ليثٌ إذا ما احمرَّ أطرافُ القنا غيثٌ إذا ما اغبرَّ عامٌ مُمحل

اللَّهُ كَلَّهْ بتشريفٍ و لا فلكُ يا كليلٌ هناكُ مُكلَّل

للَّهِ سرٌّ في طويه كنهه بابٌ لهُ للشارحين مقفلاً

لولاهُ لم تُقبلْ لآدمَ توبهُ و به ندامهُ كلُّ عاصٍ تُقبل

هو كعبهُ الأملاكِ و المألا الذي طوعاً بكعبته يطوفُ و يرملُ (١)

بأبي نبى لا يفوقُ مقامهُ ملكٌ مقربٌ أو نبى مرسل

لولاهُ ما خُلِقَ الثريا و الثرى حاشا و لا ماضى و لا مستقبل

يا مَنْ يمينِ قدومه وجهُ الثرى متكرِّمٌ. مُتمجِّدٌ. متهلِّل

ظلتْ بكَّ الأبصارُ خاشعهُ كما كلُّ (٢) النجاشى منطقاً أو هرقل

فالعرشُ حيثُ رأى الثرى لكَّ موطأً يا ليتَ شعرى كيفَ لا يتهبلُ (٣)

فأمرٌ بما شئتَ الزمانَ فإنه عبْدٌ يطيعُ لما تشاءُ و يفعل

أنتَ الذى جُبتَ السماواتِ العلى فى ليله الأسرا كبدراً يكمل

ص: ٣٧١

١-١. رَمَلَ هنا من رَمَلٍ رَمَلاً رَمَلاً: هَزَوَلَ فى مَشِيهِ.

٢-٢. كلُّ عجز.

٣-٣. يتهبل: يفقد مشاعره من الإعجاب.

هذا الهلالُ مثالُ نعلِكَ في السما في عالمِ الملكوتِ باتِ يُمثل

لولاكَ ما أحدٌ تدتُّرُ بالتُّقى يا أيُّها المدتُّرُ المترمِّل

هَلَّتْ حيثَ لا خلاءُ و لا ملا عَلَّمَتِ سكاَنَ السماءِ فهَلَّلوا

تُوتى غداً بلواءِ حمدٍ لم ترنُ رسلُ الإلهِ بظلهِ تَنظَّل

أنتَ المدينةُ للعلومِ و بابها المأتى منه...المرتضى و المدخل

هو شافعُ يومِ الحسابِ مشفِّعٌ هو موئلٌ للخاطئينِ مُعوَّلُ

يا مَخزَنَ الأسرارِ و الحِكمِ التي معشارها بعقولنا لا يُعقلُ

قدْ غالني صَرفُ الزمانِ و ليس لي غوثٌ يُساعدني عليه و مَعقِلُ

ما لي إليكِ وسيلةٌ تُجدي بها فإليكِ لا أدري بما ذا أسألُ

و المزنُ دونَ نداكَ تُوتى نعمه و البحرُ عندَ نوالِ كَفِّكَ جدولُ

ما مدحتي إلا كرجلِ جِرادِهِ قدراً و حاشا أن تليقَكَ أرجلُ

لكنها مني إليكِ هديتهُ و أراكِ من مثلي الهدايا تقبلُ

صَلِّ علىكَ و آلكِ الرحمنُ ما لآحِ الثريا و السِّماكِ الأعزلُ

إشارة

إلى فضيله الأستاذ قيس ظبيان المحترم

مدير تحرير مجلّة الشريعة الغراء

السّلام عليكم ورحمه الله وبركاته

أمّا بعد، فلقد وصلنى العدد ٣٣٩ من مجله الشريعة، فتصفّحت مواضيعها، واسترعى انتباهى ما أجاب به فضيله الشيخ عبد الله بن منيع عضو هيئة كبار العلماء فى المملكة العربية السعودية، حينما وجهت إليه مجموعه من الأسئلة، إلا أنّنى لا أشاطره الرأى فى جواب السؤال التاسع والحادى عشر، وإليك نصّ كلامه:

السؤال التاسع: لما ذا سمّيت حجّته بحجّه الوداع؟

فأجاب بأنّه صلى الله عليه وآله وسلم توفى بعد أربعة أشهر من هذا الحجّ فكانت وداعاً منه صلى الله عليه وآله وسلم لأُمَّته.

أقول: الصحيح أن يقول ثلاثه أشهر لا أربعة أشهر، لأنّه صلى الله عليه وآله وسلم توفى فى الثانى عشر من ربيع الأوّل حسب رأى أهل السنّه، والفترة بين الثانى عشر من ذى الحجّه الذى تنتهى فيه أعمال الحجّ، إلى الثانى عشر من ربيع الأوّل، لا تتجاوز عن ثلاثه أشهر.

إشاره

فأجاب (حفظه الله): بأن من استكمل في حجه أركان الحج و واجباته و لم يقم بزياره المسجد النبوي، فحجه صحيح و قد فاته فضل الزياره.

ألفت نظر فضيله الشيخ و القراء إلى أمرين:

الأمر الأول: أن زياره المسجد النبوي مستحبه في جميع أيام السنه، و إقامه ركعه فيه تعادل ألف ركعه أو أزيد من غير فرق بين أيام الحج و غيرها، و هذا ممّا لا خفاء فيه و لا تحوم حوله الشكوك.

الأمر الثاني: تضافرت الروايات على استحباب زياره قبر النبي صلى الله عليه و آله و سلم مطلقاً، بالأخص عند شدّ الرحال إلى الحج و يبلغ عدد الروايات ما يربو على العشرين، و نذكر منها ما يلي:

١. روى عبد الله بن عمر مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم: من زار قبري و جبت له شفاعتي.

٢. روى عبد الله بن عمر مرفوعاً: من جاءني زائراً لا تحمله إلا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة.

٣. روى عبد الله بن عمر مرفوعاً: من زار قبري بعد وفاتي كمن زارني في حياتي.

٤. عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: من حج البيت و لم يزرني فقد جفاني.

٥. عن عبد الله بن عمر: من حج حجه الإسلام، و زار قبري، و غزا غزوه، و صلى علي في بيت المقدس لم يسأله الله عزّ و جلّ فيما افترض عليه.

إلى غير ذلك من الروايات الحائثه على زياره قبر النبي صلى الله عليه و آله و سلم مطلقاً أو عند حج بيت الله الحرام.

وقد أخرج هذه الروايات، الأثبات من أئمة الحديث و حفاظه و صحّحوا أسنادها، و على رأسهم تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي (المتوفى ٧٥٦هـ) و قد ذكر طرق هذه الأحاديث في «شفاء السقام» في أوائل الكتاب، كما تكلم فيها السيد نور الدين عبد الله الشافعي القاهري السهمودي (المتوفى ٩١١هـ) في كتاب «وفاء الوفا» إلى غير ذلك، كما ألفت رسائل خاصه في هذا المضمار.

و نحن لا نحوم حول هذه الأحاديث و أسانيدها و مصادرهما، و إنما نلقت نظر القارئ إلى نكته مهمه و هي:

إنّ هذه الأحاديث و الفتاوى المتضافره على زياره قبر النبي صلى الله عليه و آله و سلم خصوصاً ما روى عنه صلى الله عليه و آله و سلم: «من حجّ البيت و لم يزرني فقد جفاني» صار سبباً لإثاره هذا السؤال عند بعض الناس: و هو هل زياره قبر النبي من مكملات الحجّ؟

فهذا السؤال هو الذي يتبادر إلى الأذهان- من هذه الأحاديث- و تناوله الألسن، لا أنّ زياره مسجد النبي من مكملات الحجّ، إذ لا يتبادر منها أنّ مجرّد زياره المسجد من مكملات الحجّ حتى يجب عليه فضيله الشيخ، لأنّ لسان الروايات هو زياره قبر النبي في أيام الحجّ لا زياره مسجده، فلو كان ثمه سؤال فإنّما يتعلّق بزياره قبر النبي لا بمسجده، و سيوافيك تصريح بعض الأعلام أنّ زياره قبره صلى الله عليه و آله و سلم من كمالات الحجّ.

و الذي أظن أنّ السؤال كان على النحو الذي طرحناه، و لكن لما كانت زياره قبر النبي صلى الله عليه و آله و سلم و شدّ الرحال إليه لا تنسجم مع وجهه نظر المجيب بدّل السؤال من «زياره قبر النبي» ب «زياره مسجد النبي».

و على أيّه حال فإذا كان السؤال هو الدارج بين بعض الناس فالجواب عنه

كالتالى:

إنّ زياره قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليست من مكّمّلات الحجّ، و من حجّ البيت و استكمل أركانها و واجباته و لم يقيم بزياره قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فحجّه صحيح، و لكن فاتته فضيله كبيره حتّ عليها السنّه النبويه و السيره العمليه للمسلمين.

أمّا السنّه النبويه فقد وفتت على شىء قليل منها، و قد بلغ ما روى حول زياره قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما يربو على عشرين حديثاً حتى أنّ الأئمّه الأربعة أفتوا باستحباب زيارته، حيث اتّفقت عليه كلمات أعلام فقهاء المذاهب الأربعة (١) و قالوا: إنّ زياره قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم أفضل المندوبات، و قد ورد فيها أحاديث ثمّ ذكروا سته منها، و جمله من أدب الزائر و زياره للنبى صلى الله عليه وآله وسلم و أخرى للشيخين. (٢)

و أمّا السيره: فقد حكاها غير واحد من أئمّه الفقه و الحديث نقتصر على النزر اليسير منها.

١. قال أبو الحسن الماوردى (المتوفى ٥٤٥هـ):

فإذا عاد وليّ الحاج، سار به على طريق المدينة لزياره قبر رسول الله ليجمع لهم بين حجّ بيت الله عزّ و جلّ، و زياره قبر رسول الله رعايه لحرمة و قياماً بحقوق طاعته، و ذلك و إن لم يكن من فروض الحجّ، فهو من مندوبات الشرع المستحبّه و عبادات الحجيج المستحبّه. (٣)

ص: ٣٧٤

١-١. انظر كتاب الفقه على المذاهب الأربعة: ٥٩٠/١.

٢-٢. انظر كتاب الفقه على المذاهب الأربعة: ٥٩٠/١.

٣-٣. الأحكام السلطانيه: ١٠٥. [١]

٢. يقول الإمام النووي (٦٣١-٦٧٦هـ):

فصل في زياره قبر رسول الله و أذكاره

اعلم أنه ينبغي لكل من حج أن يتوجه إلى زياره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سواء كان ذلك في طريقه أو لم يكن، فإن زيارته صلى الله عليه وآله وسلم من أهم القربات و أربح المساعي و أفضل الطلبات، فإذا توجه للزياره أكثر من الصلاه عليه صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا وقع بصره على أشجار المدينه و حرمها و ما يُعرف بها، زاد من الصلاه و التسليم عليه صلى الله عليه وآله وسلم و سأل الله أن ينفعه بزيارته صلى الله عليه وآله وسلم و أن يسعده بها في الدارين، و ليقل: «اللهم افتح علي أبواب رحمتك و ارزقني في زياره قبر نبيك صلى الله عليه وآله وسلم ما رزقته أولياءك و أهل طاعتك و اغفر لي و ارحمني يا خير مسؤل». (١)

٣. و قال ابن الحاج محمد بن محمد العبدوى القيروانى المالكى (المتوفى ٥٧٣٧هـ):

و أما عظيم جناب الأنبياء و الرسل صلى الله عليه وآله وسلم فيأتى إليهم الزائر ويتعین عليه قصدهم من الأماكن البعيده، فإذا جاء إليهم فليقف بالذل و الانكسار، و المسكنه و الفقر، و الفاقه و الحاجه، و الاضطرار و الخضوع، و يحضر قلبه و خاطره إليهم و إلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره، لأنهم لا يبلون و لا يتغيرون. (٢)

٤. قال شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا الأنصارى الشافعى (المتوفى ٥٩٢٥هـ):

يستحب لمن حج أن يزور قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم و يسلم عليه، و على صاحبيه بالمدينه المشرفه. (٣)

ص: ٣٧٧

١-١. الأذكار النوويه: ٣٣٣، طبعه دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ.ق.

٢-٢. المدخل: ٢٥٧/١، فضل زياره القبور.

٣-٣. أسنى المطالب في شرح روض الطالب: ٥٠١/١.

٥. قال الشيخ زين الدين عبد الرؤوف المناوي (المتوفى ٥١٠٣هـ):

و زياره قبره الشريف من كمالات الحج. (١)

و هو يعدُّه من كمالات الحج لا من مكملات الحج و شتان بينهما.

٦. قال الشيخ علاء الدين الحصكفي الحنفي (المتوفى ٥١٠٨هـ):

و زياره قبره صلى الله عليه و آله و سلم مندوبه بل قيل واجبه لمن له سعه، و يبدأ بالحج لو فرضاً، و يُخَيَّر لو نفلًا ما لم يمرَّ به، فيبدأ بزيارته لا محاله، و لينو معه زياره مسجده صلى الله عليه و آله و سلم. (٢)

٧. قال الشيخ إبراهيم الباجوري الشافعي (المتوفى ٥١٢٧هـ):

و يُسَنُّ زياره قبره صلى الله عليه و آله و سلم و لو لغير حاج و معتمر كالذى قبله، و يُسَنُّ لمن قصد المدينة الشريفه لزيارته صلى الله عليه و آله و سلم أن يُكثِر من الصلاة و السلام عليه في طريقه، و يزيد في ذلك إذا رأى حرم المدينة و أشجارها، و يسأل الله أن ينفعه بهذه الزياره و يتقبلها منه. (٣)

٨. و قال الشيخ عبد الباسط بن الشيخ على الفاخوري مفتي بيروت:

و هي (زياره النبي) متأكده مطلوبه و مستحبه و محبوبه- إلى أن قال:- و تحصل الزياره في أى وقت و كونها بعد تمام الحج أحب. (٤)

ص: ٣٧٨

١-١. شرح الجامع الصغير: ١٤٠/٦.

٢-٢. الدر المختار في شرح تنوير الأبصار: آخر كتاب الحج.

٣-٣. في حاشيه على شرح ابن الغزى على متن الشيخ أبى شجاع فى الفقه الشافعى: ٣٤٧/١.

٤-٤. الكفايه لذوى العنايه: ١٢٥.

٩. قال الشيخ عبد المعطى السقافى:

زياره النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ الْحَاجُّ أَوْ الْمُعْتَمِرُ الْإِنْصِرَافَ مِنْ مَكَّةَ -أَدَامَ اللهُ تَشْرِيفَهَا وَتَعْظِيمَهَا- طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ لِلْفَوْزِ بِزِيَارَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَأَنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْقُرْبَاتِ وَأَفْضَلِ الطَّاعَاتِ، وَأَنْجَحِ الْمَسَاعَى الْمَشْكُورَةِ، وَلا يَخْتَصُّ طَلَبَ الزِّيَارَةِ بِالْحَاجِّ غَيْرِ أَنَّهَا فِي حَقِّهِ آكِدٌ.

وَالأُولَى تَقْدِيمُ الزِّيَارَةِ عَلَى الْحَجِّ إِذَا اتَّسَعَ الْوَقْتُ، فَانْهَ رَبَّمَا يَعُوقُهُ عَنْهَا عَائِقٌ، وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ زِيَارَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ. (١)

١٠. قال السيد محمد بن عبد الله الجردانى الديمياطى الشافعى (المتوفى ١٢٠٧هـ):

فزياره قبره صلى الله عليه وآله وسلم من أعظم الطاعات و أفضل القربات فينبغى أن يُحرص عليها و ليحذر كل الحذر من التخلف عنها مع قدره خصوصاً بعد حجّه الإسلام، لأنَّ حَقَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ عَظِيمٌ. (٢)

هذه كلمات الأثبات الحفّاظ أتيناً بها كنموذج لما لم نذكر و ما تركناه أكثر ممّا نقلناه، و قد انتقينا هذه الكلمات لأنّها تركّز على زياره قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمن أراد الحجّ.

إنّ هذه الكلمات تعرب عن اتّفاق الأئمّه بكافه مذاهبيها على استحباب زياره قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمن زار البيت، و تؤكّد-فى الوقت نفسه - على أنّها ليست من مكملات الحجّ، فكان اللازم على الشيخ المجيب طرح السؤال و الجواب على النحو الذى قررناه.

ص: ٣٧٩

١-١. الإرشادات السنيه: ٢٦٠.

٢-٢. مصباح الظلام: ١٤٥/٢.

و ممّا ينبغي الإشارة إليه هو أنّ الذى دعانى إلى تعقيب هذه الفتوى سؤالاً و جواباً، هو ما لمست من التحريف الذى تطرق إلى كتاب «الأذكار» للإمام يحيى النووى لا سيما فيما يرجع إلى استحباب زيارة قبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم للحاج، فقد حرّف بعض من ينتمى إلى السلفيه عنوان الفصل و محتواه، و لمزيد الإيضاح أقول:

طبع هذا الكتاب مرّه فى القاهره عام ١٣٧٥هـ، ثم أُعيد طبعه ثانياً فى دار ابن كثير عام ١٤٠٧هـ، و لما أُعيد طبعه ثالثاً فى دار الهدى للنشر و التوزيع حرّف عنوان الفصل فقد كان العنوان فى الطبعتين الأوليين هكذا: «فصل فى زيارة قبر رسول الله و أذكارها»، و جاء فى الطبعة الثالثة مكانه: «فصل فى زيارة مسجد رسول الله».

كما حرّف مضمون الفصل و محتواه حيث جاء فى الطبعتين الأوليين -بعد العنوان- قوله: «اعلم أنّه ينبغي لكلّ من حجّ أن يتوجّه إلى زيارة رسول الله سواء كان ذلك فى طريقه أو لم يكن، فإنّ زيارته من أهمّ القربات و أربح المساعى و أفضل الطلبات، فإذا توجّه للزيارة أكثر من الصلاة عليه فى طريقه، فإذا وقع بصره على أشجار المدينة...»

لكن جاء فى الطبعة الثالثة مكان تلك العبارة ما يلى: «يستحبّ من أراد زيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أن يكثر الصلاة عليه فى طريقه، فإذا وقع بصره على أشجار المدينة».

و المخلتق المسكين مع أنّه خان الأمانه العلميه لم يستطع أن يسدل الستار على خيائته، فإنّ ما جاء به عقب العنوان، حتى بصورته المحرّفه، لا يناسب عنوان الفصل المجمعول.

فإنّ العنوان حسب جعله منصبّ على زيارة المسجد، و ما أعقبه -مع

تحريفه-يركز على الصلاة على الرسول و يقول:«من أراد زياره مسجد رسول الله أن يكثر من الصلاة عليه في طريقه»،فانّ هذه العبارة تناسب حال من أراد زياره قبره لا مسجده.

و ها أنا أهيب بالأحرار من المثقفين في البلاد العربيه أن لا- يسمحو لأهل التحريف أن يتلاعبوا بالتراث الذى خلفه السلف الصالح.

و ممّا أدهشنى أنّ محقق الكتاب-في الطبعة الثالثه-هو عبد القادر الأرنؤوط السورى،و هو معروف بأمانته العلميه و لا أدرى لما ذا سمح بطرؤء التحريف إلى ما حققه،و لا أظن أنه قام بهذا التحريف.

«و لَيْسَتُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ» ١.

و الله من وراء القصد

جعفر السبحانى

قم.الجامعه الإسلاميه

ص:٣٨١

إلى أبناء منطقته الإحساء

(حفظهم الله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد، فقد وافتنا رسالتكم المؤرخه بتاريخ ٦ صفر ١٤٢١هـ. ق تضم في طياتها مجموعه من الاستفسارات، وقد انتابني الحزن و القلق حيال ما جاء فيها من الإجراءات التعسفيه للحد من الشعائر الحسينيه، و نجيب على تلك الاستفسارات بالنحو التالي:

١. يلزم الحفاظ على هذه الشعائر، لأنَّ فيها إحياءً لذكرى الإمام الحسين عليه السلام التي فيها دروس و عبر للأُمَّة الإسلاميه، و هو - سلام الله عليه - مثال للصمود و الإباء أمام الطغاه كما يقول ابن أبي الحديد البغدادي:

«سيد أهل الإباء الذي علّم الناس الحميّه، و الموت تحت ظلال السيوف، اختياراً له على الدنيّه، أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، عرض عليه الأمان، فأَنفَ من المُذلّ، و خاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان إن لم يقتله، فاختر الموت على ذلك». (١)

ص: ٣٨٢

١- (١). شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ٣/٢٤٩. [١]

ففى إقامه المجالس لاستشهاد سيد أهل الإباء، إحياء للحمية الإسلامية، و ترجيح الموت فى عزه على الحياه الدنيه مع الطغاه، و هل هناك شىء معروف أكثر من ذلك؟!

٢. إنَّ حبَّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم أصل من أصول الإسلام، و كفى فى ذلك:

ما أخرجه البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك أنَّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال: فوالذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده و ولده و الناس أجمعين. (١)

و هكذا حبَّ أهل بيته عليهم السلام فقد تضافرت الروايات على ذلك.

روى أبو هريره عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أنَّه قال فى حقِّ ولديه «الحسن و الحسين»: «من أحبَّهما فقد أحببني، و من أبغضهما فقد أبغضني -يعنى الحسنين».

أخرج الترمذى عن أنس بن مالك، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أى أهل بيتك أحبَّ إليك؟ قال: الحسن، الحسين، و كان يقول لفاطمه:

ادعى ابني فيشمهما، فيضمهما إليه. (٢)

هذا و لا يخفى على أحد أنَّ للحبِّ مظاهر:

الأول: الاتباع و أخذهم أسوه فى الحياه.

الثانى: مشاركتهم فى الأفراح و الأ-حزان، فالاحتفالات و إقامه مجالس العزاء كلَّها من مظاهر الحبِّ عبر الزمان، و منعها بنس لحقوقهم و ردِّ لوصيه الرسول فى حقِّهم، و ليس هذه الشعائر إلاَّ تجسيداَّ لحبهم و مودتهم التى جعلها الله أجر الرساله و قال: «قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» ٣.

ص: ٣٨٣

١- ١). صحيح البخارى: ٩/١؛ صحيح مسلم: ٤٩/١؛ مسند أحمد: ٢٧٥، ٢٠٧، ٣/١٧٧؛ ٤/١١. [١]

٢- ٢). سنن الترمذى: ٥/٦٥٧ برقم ٢٧٧٢.

على أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أول من بكى على الحسين عليه السلام وأبّنه.

٣. أخرج الحافظ الحاكم النيسابوري في مستدركه على الصحيحين عن أم الفضل بنت الحارث أنّها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله إنني رأيت حلمًا منكراً الليلة، قال: وما هو؟ قالت: إنه شديد، قال: وما هو؟ قالت: رأيت كأنّ قطعه من جسدك قطعت ووضعت في حجري! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رأيت خيراً، تلد فاطمه - إن شاء الله - غلاماً فيكون في حجرك، فولدت فاطمه الحسين فكان في حجري - كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فدخلت يوماً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوضعت في حجره، ثم حانت منّي التفاته فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تهريقان من الدموع! قالت:

فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي ما لك؟ قال: أتاني جبرئيل عليه الصلاة والسلام فأخبرني أنّ أمّتي ستقتل ابني هذا، فقلت: هذا؟ فقال: نعم، وأتاني تربه من تربته حمراء.

فقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. (١)

هذا قليل من كثير حول حبّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأهل بيته عليهم السلام، فالواجب يحتم على المسلمين إحياء أمرهم، وأما من يمنع عن إقامة الشعائر، فعليه أن يرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله، قال سبحانه: «إِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» ٢ فمن حال بين الأمة وعترة الطاهرة فقد حرم من شفاعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة.

وأما مهمة المؤمنين والخطباء هو التمسك بأهداب ولايه العترة الطاهرة الذين جعلهم الرسول أعدال الكتاب، وقال: «إنني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» وإشاعة الشعائر الحسينية بين الشباب الواعي والغيور كي يستلهموا

ص: ٣٨٤

الدروس و العبر من ملحمة الطف الخالده.

أَسْأَلُ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْكُمْ بِالْخَيْرِ وَ الْبِرْكَهْ وَ الْعَافِيَهْ وَ أَنْ يَحْلِلَّكُمْ بِثُوبِ التَّقْوَى وَ أَنْتُمْ الْمَرْحُومُونَ بِدَعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ عَتْرَتِهِ الطَّاهِرَهْ حَيْثُ أَحْيَيْتُمْ أَمْرَهُمْ.

و السلام عليكم و رحمه الله و بركاته

جعفر السبحاني

قم- مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

١ ربيع الأول من شهر عام ١٤٢١هـ

ص: ٣٨٥

إشاره

إلى الإخوه المؤمنين

فى دار الزهراء فى الكويت

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

أما بعد؛

فقد وافتنى رسالتكم الميمونه، معربه عن طيب أعراقكم، و شريف أخلاقكم، و اهتمامكم البالغ بتربيته الشباب تربيته ديتيه واعيه
تصونهم عن الزلل فى العقيدة و العمل. و هذه وظيفه ثقيله ملقاه على عاتق الأولياء لا سيما الأبوين.

هذا هو لقمان الحكيم، المرَبِّى النموذجى، الذى يعرّفه القرآن الكريم بقوله: «وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَ مَنْ يَشْكُرْ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ» ١ .

و الآيه تعرب عن إفاضه الحكمة عليه، و طلب الشكر حيا لها، فقام هو ببذل النصح التام لولده و تعليمه الحكمة، و بادر إلى دعوته
إلى التوحيد و نبذ الشرك، كما يحكيه سبحانه عنه، و يقول: «وَ إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَ هُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ

إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» ١ .

فيا بشرى لكم لقد اتخذتم ذلك الحكيم الإلهي أسوه في حياتكم، حينما طرحتم تلك الأسئلة التي تنم عن مدى سعيكم الحثيث لتربية الشباب تربيته إسلاميه صحيحه.

فها نحن نقوم بالإجابة عليها واحداً تلو الآخر على وجه الإيجاز:

السؤال الأول

إشاره

يعيش الشباب من حيث يشعرون أو لا يشعرون غزواً فكرياً و ثقافياً لمحو هويتهم الإسلاميه، فما هي نصيحتكم في هذا المجال؟

الجواب:

لا- شكّ أنّ لتطور شبكه الاتصال أثراً بالغاً في حياه الإنسان لا سيما و أنّها أوجدت تحولاً جذرياً في سلوكه و تدبير أموره و كيفيه تعامله مع الناس.

و بات واضحاً أنّ وسائل الاتصال، كالتلفزه، و الأتقمار الصناعيه، و الانترنت، قد غمرت العالم بأفكارها، و ساهمت في ترويج فكره العولمه الثقافيه و الاقتصاديه.

ففي هذه الظروف الخطيره التي تزداد فيها الهجمه الثقافيه شراسه على المسلمين بغيه مسخ هويتهم و ذوبها تتضاعف مسئوليّه المسلمين، عملاً بقوله صلى الله عليه و آله و سلم: «كلّكم راع و كلّكم مسئول عن رعيتيه».

و من هنا فإنّ انطلاقه أى وعى إسلامى فى المجتمع يتم عبر عدّه قنوات:

ص: ٣٨٧

الأولى: الأسره باعتبارها اللبنة الأولى فى بناء شخصيه الإنسان المسلم، فالمسئوليه الأولى تقع على عاتق الوالدين فى تربيته أبناءهم تربيته إسلاميه بناءه.

الثانيه: أجهزه التربيه و التعليم فهى التى تنمى طاقات الإنسان الفكرية و المعنوية من خلال عرض برامج تثقيفيه و إسلاميه تناسب مع أعمارهم و يا للأسف فإنّ تلك الأجهزه تتعاس عن القيام بهذه المهمه الكبرى.

الثالثه: إقامة المهرجانات و الأعياد الدينيه و الشعائر الحسينيه و إلقاء الخطب و دعوه رجال العلم و الصلاح لإلقاء المحاضرات التى تتجاوب مع روح الشباب لها من الأهميه فى بث الروح الدينيه و توثيق أواصر الصله بين الإخوه المؤمنين و تعزيزها.

الرابعه: تنظيم الرحلات العلميه و إقامة المخيمات بين الشيبه و التعرف على بعضهم البعض بغيه ملء أوقات فراغهم.

و فوق هذا كله فلا بدّ للجهات المعينه بالجانب الثقافى من انتاج برامج إسلاميه بديله عن البرامج التى يبثها الغرب.

السؤال الثانى

إشاره

ما هى مقومات الشخصيه الإيمانيه ذات التقوى؟

الجواب:

الإيمان هو أمر راسخ فى القلب و يتبلور فى الإيمان بالله الخالق القادر المتعال، العالم بالسرّ و الخفايا، الذى لم يخلق الإنسان سدى.

و فى الإيمان برسالاته و رسله الذين بعثوا لهدايه الإنسان إلى ما فيه سعاده و صلاحه، و أناروا الدرب له إلى يوم القيامه.

ص: ٣٨٨

و فى الإيمان باليوم الآخر الذى يجمع الله فيه الناس قاطبه على سعيد واحد ليجزيهم بما عملوا.

و هذه الأصول الثلاثة هى الحجر الأساس للإيمان و التقوى.

و الإيمان الصادق ينعكس على سلوك الفرد المؤمن فى حله و ترحاله و سفره و حضره، فيرى نفسه مسئولاً أمام الله و أمام المجتمع و أمام نفسه، فيؤدى حق الله سبحانه فى حلاله و حرامه، كما يؤدى حقوق الناس فى معاشرته معهم. و يؤدى حق نفسه بالتفكر فى صلاحه و فلاحه.

و بكلمه مختصره: إن المؤمن يعيش حاله الانصياع لله سبحانه فى كل أموره و أحواله، و يبعثه هذا إلى احترام الحقوق فى كافه المجالات.

و قد سأل همام-ذلك الرجل العابد-أمير المؤمنين عليه السلام عن صفات المتقين، فقال: صف لى المتقين فكأنى أنظر إليهم، فخطب الإمام عليه السلام خطبته المعروفه حيث وصف فيها المتقين بقوله: «فالمتمقون فيها هم أهل الفضائل: منطقتهم الصواب، و ملبسهم الاقتصاد، و مشيهم التواضع، غَضُّوا أبصارهم عمَّا حَرَّمَ الله عليهم، و وقفوا أسمعهم على العلم النافع لهم...».

(١)

و يا حَبْدًا لو قام الأولياء بتحفيظ أبنائهم هذه الخطبه التى جمعت بين روعه اللفظ و جمال المعنى.

السؤال الثالث

إشارة

كيف يمكن للمربين المؤمنين تنميه و تحفيز حاله التقوى لدى الشباب؟

الجواب:

إن الناشئ كفسيله بحاجة إلى مراقبه مستمره لكى تنمو حتى تُصبح

ص: ٣٨٩

شجره تضرب بجذورها في الأرض على وجه لا تززعها العواصف المدمّره، وهكذا حال الناشئ فهو بحاجة ماسه إلى توعيه و تربيته إسلاميه بناءً غير منقطعه حتى تكتمل شخصيته الإيمانيه للحيلولة دون تسرب الشيطان إلى قلبه.

و من أهم الأساليب التي تؤثر في تنميه حاله التقوى لدى الشباب هو ان لا يجد الشاب فراغاً في أوقاته ليملاًها بما فيه الضرر و الضلال على نفسه أولاً، و على مجتمعه ثانياً.

و لقد قالوا: انّ الفراغ و الشباب و الجده مفسده للمرء أي مفسده

و قد مرّ من خلال استعراض الإجاباه على السؤال الأول كيفيه ملء أوقات فراغ الشباب، و بهذا يتضح أيضاً جواب السؤال الرابع.

و في الختام أرجو من الله سبحانه أن يسدّد خطاكم في سبيل أهدافكم المقدسه بحقّ نبيّه و آله.

و لكم منّا بالغ التحيه و السلام.

جعفر السبحاني

قم- مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

تحريراً في ٢١ من شهر رمضان المبارك

من شهور عام ١٤٢٠هـ

ص: ٣٩٠

إشارة

إلى الإخوة المؤمنين

في دار الزهراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد، لقد وافتنا رسالتكم المؤرخه بتاريخ ١١ محرم الحرام عام ١٤٢١هـ، التي طرحتم فيها أسئلة تمت إلى الشباب بصله، و سنقوم بالإجابة عنها بنحو موجز:

١. على ضوء وصايا لقمان لابنه و هو يعظه كم هي قيمة الترييه المباشره في الإرشاد و التسديد و النصيحه؟

إنّ الترييه المباشره لها تأثير بالغ في تكوين شخصيه الإنسان و تربيته و من أبرز مصاديقها الترييه داخل محيط الأسره، فإنّ الأبناء ينظرون إلى الآباء نظره إجلال و إكبار حيث إنّهم يترّبون في أحضانهم، كما أنّ الآباء ينظرون إلى أبنائهم نظره الناصح المشفق فيكون لتربيتهم المباشره أثر بارز في نفوسهم، و لكن شريطه أن يكون الإرشاد جامعاً لما هو شرط التأثير الذي منه إحياء شخصيه الطفل لكي يعي و يفهم و يدرك ما يصلح أمره أو يفسده، كما نرى أنّ الإمام الحسن عليه السلام

يخاطب بنيه و بنى أخيه، بقوله: «إنكم صغار قوم و يوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه و ليضعه فى بيته». (١)

ترى أنه ينفث فى روعهم العظمه، و يقول: «إنكم صغار قوم و يوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين»، فهذا النوع من التوعيه يحقق أرضيه صالحه لقبول ما يعقبه من النصائح.

و أما خطاب الأولاد مرفقاً بالغلظه و الشده فلا يترك وقعاً فى نفوسهم إلا قليلاً بل يزيدهم لجاجاً.

٢. نريد شباباً قرآنياً... جيلاً قرآنياً كيف يتسنى لنا ذلك؟

الجيل القرآنى عباره عمّن يخالط القرآن لحمه و دمه، و هو رهن أمرين:

١. تعليم القرآن من لدن صباه، و الدعوه إلى حفظ ما أمكن منه، و الترغيب بالمشاركه فى المهرجانات التى تقام لأجل تكريم حفظه القرآن.

٢. أن يعيش فى أحضان أبوين يقرآن القرآن، و يلتزمان بتعاليمه، و إلا فالشباب البعيد عن الأجواء القرآنيه لفظاً و معنى، و صوره و ماده، لا يكون شاباً قرآنياً.

٣. هل للإسلام إرشادات توجيهيه فى ضبط حركه المراهقه و صونها من الوقوع فى المزالق؟

إنّ الشاب المراهق فى خطر من جهتين: من جهه العقيده و من جهه العمل.

ص: ٣٩٢

أمّيا الأولى: فصيانته عن المزلق رهن توعيته، أمّيا عن طريق إلقاء الدروس الدينية على مسامعهم، أو بإقامه ندوات علميه تربويه يشارك فيها الشاب بغيه الوقوف على مضاعفات الانحلال الخلقى

و أمّيا الثانى فهو رهن المراقبه التامه كى لا يختلط برفاق السوء، يقول سبحانه: «يا وَيْلَتى لَيْتَنى لَمَّ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً» ١ ، فالخله أمر لا محيص عنها لكن يجب انتخاب الخليل الصالح لا الطالح، مضافاً إلى ضروره التسريع فى زواجه، قال عليه السلام: من تزوج فقد أحرز نصف دينه.

٤. المعلم أو المربي ما هي خصاله و ما هي مسؤولياته؟

إنّ من أهمّ خصال المعلم هي:

١. أن يكون ممن يعرف الحقّ و يلتزم به فى حياته العمليه.
٢. أن تكون له رغبه بعمله سواء على صعيد التربيه أو التعليم.

٥. ما هي أصناف الإخوان مع بيان منهج التعاون مع كل صنف؟

إنّ الإخوان على قسمين حسب ما قسمهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقال:

الإخوان صنفان: إخوان الثقه، و إخوان المكاشره. فأما إخوان الثقه فهم كالكف و الجناح و الأهل و المال، فإذا كنت من أخيك على ثقه فابذل له مالك و يدك، و صاف من صافاه، و عاد من عاداه و أكرم سرّه و أعنه و أظهر منه الحسن.

و اعلم أيّها السائل أنّهم أعز من الكبريت الأحمر.

و أما إخوان المكاشره فأنك تصيب منهم لذتك، فلا تقطعن ذلك منهم، و لا تطلبين ما وراء ذلك من ضميرهم، و أبذل لهم ما بذلوا لك من طلاقه الوجه، و حلاوه اللسان.

و قد بين الإمام كيفيه المعاشره و التعامل معهم.

٦. كلمه أخيره توجّهونها للشباب؟

الكلمه الأخيره التي أود أن أقدمها إلى الشباب المسلم هي أنّ المجتمع الإنساني صار كالقريه الكونيه، و ازدادت فيه الحملات المسعوره على الدين و أهله، فالواجب يحتم على الشباب الواعي أن يتمسك بأهداب دينه و يلتزم به في سلوكه، لأنّ فيه حفظ هويتهم الثقافيه و الاجتماعيه لا سيما في عصر العولمه الثقافيه التي تبغى من وراء بث أفكارها المسمومه طمس الهويه الدينيه، و أن لا ينجز إلى المؤامرات التي يحيكها الغرب بغيه النيل من الدين و الإطاحه به.

جعفر السبحاني

قم- مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

٢ ربيع الأول ١٤٢١هـ.ق

ص: ٣٩٤

رساله مفتوحه

إلى خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

سلام عليكم

أميأ بعد،فإنّ الوهابيّه مُنذُ أن سيطرت على الحرمين الشريفين لم تُألُ جهداً في إزالة آثار النبوّه و الرساله،و محو كلّ ما هو من علامتّم الأصاله الإسلاميه،من خلال هدم بيوت النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و حُجرات و بيوت زوجاته أمّهات المؤمنين و قبور صحابته و أهل بيته المطهّرين و بيوتهم و محالّهم في مكه المكرّمه و المدينه المنوره و ما حولهما!! مع أنّ هذه الآثار التاريخيه هي في الحقيقه معالم الأصاله الإسلاميه،و هي إلى جانب ما تركه رسول الإسلام العظيم من تراث فكريّ و ثقافيّ تدلّ على واقعيّه الرساله المحمديّه المباركه،و تجذرّها في التاريخ.

و من هنا تسعى الأمم المتحضره المُعتزّه و المهتمّه بماضيها و تاريخها بما فيه من شخصيات و مواقف و أفكار إلى الإبقاء على كلّ أثر تاريخي يبقّى من ذلك الماضي لتدلّل على واقعيّه ماضيها و تُبقى على أمجادها و أشخاصها في القلوب و الأذهان.

و لا شكّ أنّ لهدم الآثار و المعالم التاريخيه الإسلاميه و خاصّه في مهد الإسلام:

مكه، و مهجر النبي الأكرم: المدينة المنوره، نتائج و آثاراً سيئه على الأجيال اللاحقه التي سوف لا- تجد أثراً بعد عين، و ربما تنتهى- فى المآل- إلى الاعتقاد بأن الإسلام قضيه مفتعله، و فكره مبتدعه ليس لها أى واقعيه تاريخيه، تماماً كما أصبحت قضيه السيد المسيح فى نظر الغرب الذى بات جُلّ أهله يعتقدون بأن المسيح ليس إلا قضيه أسطوريه حاكتها أيدي القساوسه، لعدم وجود أية آثار ماديه ملموسه تدلّ على أصاله هذه القضيه، و وجودها التاريخي.

هذا مضافاً إلى أنّ الوهابيه جلبت بفعلها هذا، و بأفكارها إلى الأمه الإسلاميه، التفرقه و التمزيق و الاختلاف فى وقت أحوج ما تكون فيه الأمه الإسلاميه إلى التضامن و الاتحاد لمواجهة التحديّات الكبرى و الهجمه الاستعماريه الحاقده.

و لذلك لا- بدّ من تقييم الأفكار و الأفعال التى ورثتها هذه الفرقة من محمد ابن عبد الوهاب، و سلفه ابن تيميه الحرانى الدمشقى، على ضوء القرآن الكريم و السنّه المطهره ليتضح الحقّ، و تزول أسباب التفرقه و الخلاف.

و نحن بالمناسبه نقترح أموراً ثلاثه:

أولاً: أن تُكوّنوا لجنه من العلماء و ذوى الاختصاص للمحافظه على الآثار الإسلاميه و بخاصه الآثار النبويه الشريفه و آثار أهل بيته الطاهرين، و العناية بها، و صيانتها من الاندثار لما لذلك من تكريم لأمجاد الإسلام، و حفظ لذكرياتهما فى القلوب و العقول، و إثبات لأصاله هذا الدين.

ثانياً: حتّ علماء الوهابيه و كتّابها على مطالعه ما ألفه علماء الإسلام و التى تثبت فى ضوء الكتاب و السنّه و سيره السلف جواز ما ذهبت الوهابيه إلى تحريمه، و رمى فاعله بوصمه الشرك و الكفر، و قراءتها قراءه تفهّم و إنصاف، و إبداء رأيهم

فى ما جاء فيها.

ثالثاً: أن تأمروا بإقامه مؤتمراً عالمياً يحضره علماء الإسلام و علماء الوهابيه ليتحاوروا فى هذه المسائل المختلف فيها التى طالما سُفِكت من أجلها الدماء، و زهقت الأرواح، و انتهكت الأعراض و فُرت الصفوف، و بعد الوصول إلى النتائج المبرهنه يعلنوا تلکم النتائج على الملة الإسلامية، خدمه للتضامن و الأخوة الإسلامية.

و نحن انطلاقاً من الحرص على الوحده الإسلامية على أتم الاستعداد للحضور فى ذلك المؤتمر و الاشتراك فى هذا النقاش العلمى البناء.

و لا شك أن هذا هو أفضل خطوه لتحقيق التضامن الإسلامى المنشود. و نحن بانتظار ردكم و الله الموفق و هو نعم المولى و نعم النصير.

جعفر السبحانى

قم-ايران

١٤٠٧/٣/١هـ

ص: ٣٩٧

حضره الأخ الماجد

فضيله السيد طاهر هاشمي

دام مجده

بعد السلام و التحية أرجو أن تكونوا بخير و فلاح.

لقد وافتنى رسالتكم التي قمتم فيها بنقل ما ذكره ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب حول أحمد بن عبد الحلیم المعروف بابن تيميه، وفيه من الإطراء و الثناء عليه.

و لكن نود أن نلفت نظرکم السامی إلى أنّ الوقوف على شخصته و حقيقته لا يمكن إلاّ بأحد أمرين:

الأول: الرجوع إلى الآثار العلميه التي تركها.

الثاني: الرجوع إلى ما ذكره الآخرون من معاصريه في حقّه. و لا يصحّ الاكتفاء بإطراء واحد، و ثنائيه عليه.

أمّا الأوّل فيكفي فيه الرجوع إلى كتابه «منهاج السنه» و هو كتاب فيه تحكّمات فظيعة و إنكار للمسلّمات و أكاذيب واضحه، و يكفي في ذلك الرجوع إلى المواضع التاليه:

١. قوله: من حماقات الشيعة أنّهم يكرهون التكلّم بلفظ العشره و ذلك

لبغضهم العشره المبشره إلا- على بن أبى طالب، و من العجب أنهم يوالون لفظ التسعه و هم يبغضون التسعه من العشره (راجع ج ١، ص ٩).

فهل هو كذلك؟ أيها السيد الجليل و أنت تعيش فى أحضان الشيعة و بين ظهرانيهم؟

٢. قوله: تجد الراضيه يعطلون المساجد التى أمر الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه (راجع ج ١، ص ١٣١).

فهل هو كذلك أيها السيد الجليل؟

٣. قوله: قد وضع بعض الكذابين حديثاً مفترى، أنّ هذه الآية «إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» إلى آخرها، نزلت فى على عليه السلام لما تصدّق بخاتمه فى الصّلاه و هذا كذب بإجماع أهل العلم. (لاحظ ج ١، ص ١٥٦).

فهل هو كذلك يا صاحب الفضيله، و قد رواها سته و ستون من أعلام السنّه آخرهم على ما نعلم الشيخ عبد القادر بن محمد السعيد الكردستانى (المتوفى عام ١٣٠٤هـ) فى «تقريب المرام فى شرح تهذيب الكلام للتفتازانى»، ج ٢، ص ٣٢٩ طبعه مصر، و تكلم فيه كبقية المتكلمين، مخبتاً إلى اتفاق المفسرين، على أنّها نزلت فى حق أمير المؤمنين على عليه السلام.

هذه بعض أكاذيبه أيها السيد الجليل.

و أمّا عقائده الباطله فيكفى للوقوف عليها مراجعه رسائله الكبرى المطبوعه بمصر، و إلى غيرها.

و أمّا الطريق الثانى فيكفى فى ذلك كلمه الحافظ ابن حجر حوله، فى كتابه «الفتاوى الحديثيه» حيث قال فى صفحه ٨٦: ابن تيميه عبد خذله الله و أضلّه، و أعماه و أصمّه و أذلّه، و بذلك صرح الأئمه الذين بينوا فساد أحواله، و كذب أقواله، و من أراد ذلك فعليه بمطالعه كلام الإمام المجتهد المتفق على

إمامته و جلالته و بلوغه مرتبه الاجتهاد أبى الحسن السبكى و ولده التاج و الشيخ الإمام الغر ابن جماعه، و غيرهم من الشافعيه و المالكيه و الحنفيه، و لم يقصر اعتراضه على متأخرى الصوفيه بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب و على بن أبى طالب-رضى الله عنهما-.(إلى أن قال:). أنه قائل بالجبهه و له فى إثباتها جزء، و يلزم أهل هذا المذهب، الجسميه و المحاذاه و الاستقرار...إلى آخر ما أفاده.

و ليس ابن حجر بالوحيد فى اعتراضه هذا على ابن تيميه، بل نقل مؤلف «دفع الشبه» (ص ٤٥-٤٧) و الشيخ محمد زاهد الكوثرى فى «تكملة السيف الصقيل» (ص ١٩٠) ما أصدره الشاميون من الفتوى حول ابن تيميه التى تتضمن تكفيره، و يكفى فى ذلك ما كتبه معاصره:

الذهبي فى خطابه إيّاه، و قد نقل الخطاب الكوثرى فى تكملته فيها من التعبيرات ما يوقف الباحث على ما انطوى عليه ذلك الشيخ من الجهل و الضلال، و فيه بعد ملامته: أما أن لك أن ترعوى؟ أما حان لك أن تتوب و تنيب؟ أما أنت فى عشر السبعين و قد قرب الرحيل؟ فإذا كان هذا حالك عندى و انا الشفوق المحب الواد فكيف حالك عند أعدائك؟ و أعداؤك-و الله فيهم صلحاء و عقلاء و فضلاء، كما أن أولياءك فيهم فجّره، و كذّبه و جهّله، و بطلّه، و عورّ، و بُقر؟!

هذا بعض ما حضرني عاجلاً- حول هذا الشيخ، شيخ البدع و الضلال، و كنت أودّ لو سيّح لى الوقت بأن أوّلف رساله كامله تتضمن بدعه، و مخاريقه، و قد أودعنا كلمات المحققين فى حقّه فى موسوعتنا «بحوث فى الملل و النحل» الجزء الرابع، فلاحظ.

و فى الختام أرجو أن لا تنسانى من الدعاء

جعفر السبحانى

مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

ص: ٤٠٠

الزهاء عليها السلام

اللؤلؤة البيضاء في حوض المصطفى

لقد كثر التأليف حول بنت المصطفى، الوردة المُنْفَتِحَة في روضه الوحي، فاطمة الزهراء عليها السلام و كلُّ قد أخذ بجانب من شخصيتها و تناول بُعْداً من أبعاد حياتها، فمن مشير إلى عبادتها و تهجدها و إخبارتها أمام ربّها، إلى متحدث عن زهداها و عزوفها عن زيارج الدنيا رغم كونها امرأة شابهة في مقتبل العمر، إلى ثالث جامع لخطبها المدوّية و كلماتها الغزاة المعبره عن فصاحتها و بلاغتها، و إحاطتها بمعارف الدين... إلى رابع و خامس....

غير أنّ هذه الدرّة المكنونه لا يعرف جوهرتها القدسيه، إلا خالقها الذي أنزل في شأنها قوله: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» ١ .

كما أنزل في شأن بيتها قوله: «فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ...» ٢ .

وإلا والدها العظيم الذى تربّت فى حضنه، وترعرعت فى حجره، فهو خير معرّف لها، وهو الذى لا يقصر ولا يغالى فى قول أو فعل.

و نحن لا يسعنا فى هذا التقديم العاجل أن ندرج ما قاله النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فى حقّها، إنّما نحيل ذلك إلى هذا الكتاب الذى يزفّه الطبع إلى القراء الكرام، الذى تكفل بجمع بعض ما صدر عن النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حولها.

فالكتاب الحاضر يضمّ ما تناثر من مناقبها و فضائلها فى كتاب «الجامع الصغير» تأليف المحدث الخبير و المتتبع الجليل الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى رضى الله عنه المتوفّى عام ٩١١هـ.

و قد وفق الله المؤلف الفاضل الشيخ حبيب الله الصادقى أن يجمع هذه الأحاديث التى تناثرت فى أبواب ذلك الكتاب، و ينظمها على الأبجديه، ليسهل الاطلاع عليها، و الاستفادة منها، و بذلك أقرّ عيون محبى أهل البيت و شيعتهم و بخاصه السيده فاطمه -سلام الله عليها-، سيده نساء العالمين من الأولين و الآخرين تلك السيده التى رسمت الفخر على جبين الدهر و سطّرت آيات الشرف على صفحه الخلود.

و نحن إذ نتقدم بالتقدير و الشكر للمؤلف الكريم نرجو أن يكون عمله هذا خطوه أولى تتبعها خطوات أخرى فى سبيل نشر فضائل آل الرسول تقويه لقلوب شيعتهم، و إرشاداً لغيرهم من المسلمين، و الله ولىّ التوفيق.

جعفر السبحانى

غره جمادى الآخره ١٤١٤هـ

ص: ٤٠٢

إشارة

صاحب السعادة:

سفير المملكة العربية السعودية المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعد تقديم فاتق الاحترام: يؤسفنا جداً أن نبلغكم توزيع رسائل و كتيبات ضد الشيعة الإماميه فى موسم الحجّ عامنا هذا، و قد وصلت إلينا عدّه نسخ منها و نخص بالذكر رساله: «الخطوط العريضة للأسس التى قام عليها دين الشيعة الإماميه الاثنى عشرية، لكاتبها محب الدين الخطيب». و قد حاول مؤلفها فيها الحط من سمعه الشيعة، بافتعالات و أكاذيب بينه، كأنه يحدث عن أمه بئده ليس لها من يدافع عن كيانها أو يكتب عن جماعه تعيش فى أقاصى العالم، لا تصل إليهم اليد، و قد أوجد ذلك العمل استياء و قلقاً شديداً فى الأوساط الدينيه و غيرها لأنه:

أولاً: هذه الرسائل مليئه بافتراءات و أكاذيب ألصقها المؤلف بالشيعة الإماميه بلا تنقيب و لا اكرات و هم بريئون من هذه التهم و الموضوعات، شهدت بذلك كتبهم حول عقائدهم، و نستطيع الآن أن نقدّم إليكم الدلائل على بطلان

تلکم النسب المفتعله و الموضوعات الشائنه.

ثانياً: انّ المسلمين اليوم فى أشدّ حاجه إلى الاتحاد و الترابط و التآخى من أى وقت مضى، لأنّهم اليوم يواجهون الصهاينه المعتديه و الاستعمار الغاشم. فلا شكّ انّ نشر هذه الرسائل المكذوبه، يجلب النفاق و الافتراق، و يضر بمصالح الإسلام و المسلمين، و لا يبعد انّ يد الاستعمار الغاشم، تلعب خلف الستار فى نشر هذه الأوراق.

ثالثاً: انّ المملكه العربيه السعوديه ما زالت مهتمه بالدعوه إلى الاتحاد و الترابط الإسلامى و التآخى بين الأُمّه المسلمه، و نشر مثل هذه الكتب ينافى تلك الخطه التى درجت عليها مملكتكم الشقيقه، فإنّها -بلا شكّ- تضرّ بالاتحاد و الوحده الإسلاميه، و تميت روح التآخى، و تفرق صفوف المسلمين و تشق عصاهم.

رابعاً: انّ الحكمه فى تشريع الحجّ هو إيجاد التجاوب و التقارب و إزاله أسباب التفرق و سوء التفاهم بين الأُمّه الإسلاميه و محو التخطيطات العدوانيه المضره بوحده المسلمين و توحيد كلمتهم.

فهذا العمل فى حرم الله الذى سواء العاكف فيه و الباد و الذى من دخله كان آمناً يضادّ هذه الحكمه.

أو ما كان فى وسع ناشرى هذه الأوراق لا سيما فى هذه الأيام التى اشتدت فيها الروابط بين شعوب العالم، أن يتصلوا بأحد المراكز و الجامعات الدينيه الشيعيه و يطلّعوا على أوضاعهم عن كتب، ليعرفوا أنّه لا قرآن للشيعى غير هذا القرآن، و انّ الشيعه الإماميه براء من تلکم التهم و الافتراءات التى رموهم بها، بدل تسويد صحائف و نشرها بين الناس. و مع ذلك فنحن على استعداد لذلك

ص: ٤٠٤

فى كل موطن و زمان. و نرحب بكل من أراد الاستطلاع على حقيقه الأمر.

و ختاماً نرجو من سماحتكم إبلاغ المراجع المسئوله فى المملكة العربيه السعوديه نص هذا الكتاب، فلعل فى ذلك تلافياً لما أحدثه ذلك العمل من أثر سيئ فى الأوساط الإسلاميه.

و ان السيره المحموده من الدوله العربيه السعوديه فى تكريم حجاج حرم الله سبحانه عامه و الإيرانيين خاصه ترخص لنا أن نطلب من الدوله الشقيقه الإسلاميه إصدار أوامر مؤكده لسد مثل هذا العمل فى مستقبل الأيام.

و تفضلوا بقبول فائق الاحترام

مجله مكتب إسلام

حرر فى تاريخ ٢٦ من ذى الحجه الحرام ١٩٨٩

ص: ٤٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترح عقد مؤتمرين

حول التوحيد و الشرك

و

الإيمان و الكفر

يعانى المسلمون عامه و الشيعة الإماميه خاصه من أمرين:

الأول: تدمير الآثار الإسلاميه بعناوين مختلفه، فتاره باسم الشرك و البدعه، و أخرى باسم توسعه الحرمين الشريفين، مع أن الآثار الإسلاميه تحتضن هويه إسلاميه لأمه عريقه فى الحضاره، فتدميرها و هدمها طمس لهويتها و أصالتها.

الثانى: تكفير بعض السلفيين لبعض الطوائف الإسلاميه و فى طليعتهم الشيعة الإماميه الذين لا ذنب لهم سوى حبّ أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله و سلم -الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً و عدّهم النبى صلى الله عليه و آله و سلم عَدْلَ القرآن و قرينه، و قال: «إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى -و اعتناق مذهبهم و الاقتداء بهم و أخذ الأصول و الفروع عنهم.

و حرصاً على تقريب الخطى و الحط من المضاعفات السيئه التى يمكن أن يتركها كلا الأمرين فقد بذلنا الوسع فى الإفصاح عن التوحيد و الإيمان و ما

ص: ٤٠٦

يقابلهما عبر كتابين أحدهما يحمل عنوان «التوحيد و الشرك في القرآن الكريم» و الآخر تحت عنوان «الإيمان و الكفر في القرآن و السنّه».

هذا و إكمالاً للمهمه التي شرعنا بها فقد قمنا بزياره الحرمين الشريفين و الالتقاء بعدد من الشخصيات منهم الدكتور محمد عبده يمانى و دار بينى و بينه حوار حول هذا الموضوع و اتفقنا على أن أكتب شيئاً فى هذا الموضوع إلى المعنيين بالأمر فى المملكه العربيه السعوديه لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

و حيث إن هذه الرسائل تعد واثق تاريخيه مهمه توخينا نشرها على صفحات الكتاب لتبقى أثراً خالدأ، و لتكون دليلاً ساطعاً على انفتاح الشيعه فى كل عصر على كل حوار علمى هادئ.

ص: ٤٠٧

سعادته الأخ الدكتور

محمد عبده يمانى (دامت معاليه)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد، فأرجو من الله سبحانه أن يوفقكم لمرضاته، وأن يسدّد خطاكم فى سبيل تحقيق الوحده الإسلاميه المنشوده.

بالإشاره إلى ما دار بيننا وبينكم فى اللقاء الأخير عند تشرفى للعره فى شهر جمادى الأولى من أنّ الوضع السائد على البقيع يؤلم قلوب المسلمين لا سيما الشيعه المحبين لأهل بيت النبوه عليهم السلام الذين يقصدون هذه البقاع المباركه من أقصى نقاط العالم و يشهدون مثوى العديد من الصحابه و التابعين و أئمه أهل البيت بوضع مؤسف للغاية فى حين أنّ نظيرتها «المعلى» فى مكه المكرمه تتميز بوضع مناسب.

فالرجاء الوافر أن تحظى مقبره البقيع بنفس العنايه و الاهتمام التى تحظى بها نظيرتها المعلى.

فنحن نقترح على الحكومه الراشده فى العرييه السعوديه أن تبذل مزيداً

من الاهتمام بالبيع من خلال رصفه بالأحجار و نصب لوحات للوقوف على أسماء أصحاب القبور، و بناء مظله لزوار هذه البقعه المباركه.

كَلِّ ذلك خدمه لصحابه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و التابعين و أئمّه أهل البيت، و حفظاً للهويه الإسلاميه من الاندثار و الاندراس علماً بأنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم أقام حجراً كبيراً على قبر عثمان بن مظعون للتعرف عليه.

هذا هو اقتراحنا و اقتراح عامه المسلمين، على أمل أن يصل اقتراحنا هذا إلى أيدي المسؤولين في البلده المباركه كي يلاقوا الله سبحانه و تعالى بوجوه مشرقه و يرضى عنهم النبي صلى الله عليه و آله و سلم و المسلمون كافه.

مع تقديم فائق الاحترام

جعفر السبحاني

٧ جمادى الآخره ١٤٢١هـ

ص: ٤٠٩

سعادته الأخ الدكتور

محمد عبده يمانى (دامت معاليه)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد، فقد أعجبنى كتابك حول فاطمه الزهراء الصديقه الطاهره عليها السلام سيده نساء العالمين التى يجب أن يحتذى بها.

وقد وقفت على أنكم بصدد البحث و الكتابه حول أمها خديجه الكبرى عليها السلام التى هى أول من آمنت بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم من النساء.

و أود أن أزيدكم اطلاعاً أنه ثمة بحوث هامه حول السيده خديجه عليها السلام استللتناها من كتاب سيّد المرسلين نرسلها إليكم عسى أن تنتفعوا بها.

و بما أنا لمسنا من ثنايا كتبكم أنكم تهتمون بوحده الكلمه و لمّ شمل المسلمين، فأخبركم بأننا قد بعثنا إلى صاحب السمو الملكى معالى وزير الخارجيه الأمير سعود الفيصل رساله فى هذا الموضوع عن طريق السفاره فى الرياض عند ما كان السيد النورى سفيراً للجمهوريه الإسلاميه هناك، وقد قام

السفير مشكوراً بتسليمها إلى الأمير، و على الرغم من ذلك لم يصل جوابها لحدّ الآن.

و نحن نبعث إليكم نسخه ثانيه من هذه الرساله عسى أن تثمر عن نتائج إيجابيه و تتحقق الأمنيه الكبرى ألا و هي عقد مؤتمر يتبنى مسوده عمل تتضمن الموضوعات التاليه:

١.الإيمان و الكفر في الكتاب و السنّه.

٢.التوحيد و الشرك في القرآن الكريم.

مع جزيل الشكر

جعفر السبحاني

٧ جمادى الآخره ١٤٢١هـ

ص: ٤١١

الدكتور محمد عبده يمانى

(دامت معاليه)

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

أمّا بعد؛ لقد وصلتني رسالتكم الكريمة مرفقه بكتاب «فاطمه الزهراء عليها السلام» ريحانه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ووجدته دليلاً ساطعاً على ولائك الصادق، و الكتاب جدير بالترجمه إلى سائر اللغات.

بيد أنّ هناك وقفات جديره بالتأمل.

هى ما نقلتم حول إيمان أبى طالب و ربما يلوح من الكتاب أنّه مات كافراً و لم يؤمن، و ان ذكرتم أنّه قال: أموت على دين عبد المطلب، و فى هذا بلاغ لمن ألقى السمع و هو شهيد؛ و قد ذكرتم -أنار الله برهانكم- فى ص ١٣٨ إيمان عبد المطلب بالله و أنّه كان يعبد الله على دين إبراهيم عليه السلام، فلو مات على دينه، فقد مات موحداً غير مشرك بالله.

الوقوف على سيره الرجل رهن الرجوع إلى ما ترك من تراث، ففيما تركه شيخ

الأباطح ناصر الإسلام و حامى نبىه صلى الله عليه و آله و سلم خير شاهد على إيمانه، كيف و قد صرح بصحة الرساله المحمديه و صدق الدعوه النبويه الخاتمه فى قصائده و أشعاره، و ترجم إيمانه من خلال دعمه الصريح-هو و أبناؤه الغر-لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، حيث يقول: كَذَّبْتُمْ و بَيْتِ اللَّهِ نَبِزَى مُحَمَّدًا

نقل ابن هشام فى سيرته (٢٧٢/١-٢٨٠) أربعة و تسعين بيتاً من هذه القصيده، فيما أورد ابن كثير الشامى فى تاريخه «اثنين و تسعين بيتاً»، و أورد أبو هفان العبدى الجامع لديوان «أبى طالب» مائه و واحداً و عشرين بيتاً منها فى ذلك الديوان، و لعلها تمام القصيده و هى فى غايه العذوبه و الروعه، و فى منتهى القوه و الجمال، و تفوق فى هذه الجهات كل المعلقات السبع التى كان عرب الجاهليه

ص: ٤١٣

يفتخرون بها و يعدّونها من أرقى ما قيل في مجال الشعر.

و له وراء هذه اللاميه، قصيده أخرى ميمية، فهو-سلام الله عليه- يصرح فيها بنبوّه ابن أخيه و أنّه نبي كموسى و عيسى عليهما السلام، إذ يقول: ليعلم خيارُ الناس أنّ محمّداً

و نظيرها قصيدته البائيه و فيها: أ لم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً نبياً كموسى خط في أوّل الكتب (1)

أ فيصحّ لأحد بعد كلّ هذه البلاغات و التصريحات أن يكفّر سيد الأباطح أو يشكّ في إيمانه؟!

و للمزيد نذكر ما يلي:

إنكم بحمد الله ممّن يحيطون علماً أنّ من رمى أبا طالب-شيخ الأباطح-مؤمن قريش بالشرك، فإنّما تبع الروايات التي حاكها أبناء البيت الأموي بغية التحامل على أبي تراب-سلام الله عليه-من خلال تكفير والده.

فهل يكون أبو طالب مشركاً مع كلّ تلکم المواقف المشرفه و مع كلّ تلك الإشارات الصريحه الكاشفه عن عمق إيمانه بالرساله المحمديه، و أبو سفيان الذي أشعل نائره الفتن و حاك مؤامرات عديده هو و أبنائوه الذين كانوا أساس المشكله و مبدأ الانحراف عن المسار الإسلامى، مسلمين موحدين يستحقون كلّ

ص: ٤١٤

تقدير و تبجيل!!!؟

هذا قليل من كثير.

و فى الختام تقبلوا مِنَّا أطيِّب التحيات و أجمل الأمنيات راجين لكم من الله أن يسدّد خطاكم فى سبيل خدمه الإسلام و المسلمين.

جعفر السبحانى

قم- مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

٢٢ رجب المرجب من شهر عام ١٤٢٠هـ

ص: ٤١٥

صاحب السمو الملكي معالي

وزير الخارجية الأمير «سعود الفيصل»

(حفظه الله و رعاه)

السلام عليكم و رحمه الله و بركاته

أما بعد، أرجو من الله سبحانه أن تكونوا بخير و صلاح و أن يسدد خطاكم في سبيل خدمة الإسلام و يلمّ بكم شعث المسلمين و يوحد كلمتهم و يجعلهم صفاً واحداً أمام أعدائهم.

غير خفى على سموكم أنّ المسلمين في الأقطار الإسلامية يعانون من التشّت و التفزّق، و ما هذا إلا لعدم الإلمام بالمشتركات التي تجمعهم في الأصول و الفروع ممّا حدا إلى تكفير بعضهم البعض و اتهام طائفه أخرى بالشرك، كلّ ذلك نتيجة عدم وقوفهم على حدّ الإيمان و الكفر أو حدّ التوحيد و الشرك بدقه.

و انطلاقاً من الحرص على وحده المسلمين، أتقدّم إليكم بأطروحه كانت تخامرني منذ سنوات عديدة و الأمل يحدوني في أنها سوف تجد أذنًا صاغية لها. و هي إقامه مؤتمر يضم كاه أكابر علماء الإسلام من مختلف الفرق و النحل بغية البحث و التشاور حول موضوعين:

الأول: الإيمان و الكفر في الكتاب و السنّه.

الثاني: التوحيد و الشرك في القرآن الكريم.

و يكون هدف المؤتمر صياغه أطر محدده للإيمان و الكفر و الشرك و التوحيد.

فالمسلمون بحمد الله على نحو ما يصفهم شاعر الأهرام بقوله: أنا لتجمعنا العقيدة أمه

و في الختام تقبلوا منّا أسمى آيات التحية و الثناء.

جعفر السبحاني

قم- مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

١٢ شعبان المعظم ١٤٢٠هـ

ص: ٤١٧

هذا نصّ الرسالة التي بعثناها إلى فضيله الشيخ محمود شلتوت شيخ «الأزهر» حينما داهمت طغمه الشاه الحاكمه الجامعه الإسلاميه فى مدينه قم المقدسه عام ١٣٨٣هـ، وقد أبرق فضيلته ببرقيه إلى علماء قم عبر فيها عن انزعاجه لما اقترف من انتهاكات صارخه فى حقّ الجامعه الإسلاميه و لا سيما مراجعها و علمائها، كما عبر عن تضامنه معهم.

و قد بادرت شخصياً ببعث رساله شكرته فيها على عواطفه حيال علماء الإسلام، و مع الأسف الشديد لم احتفظ بنص البرقيه التى بعثها الشيخ شلتوت.

ص: ٤١٨

فضيله الأُستاذ الأكبر

الشيخ محمود شلتوت

شيخ «الأزهر» الشريف (دام عزّه)

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

أمّياً بعد، فأتى أتقدّم إليكم بأسنى التحيات لما أبديتم فيه من تضامن مع علماء قم و مراجع الحوزه حيال ما يجرى فى إيران خصوصاً مداهمه طغمه الشاه الحاكمه الجامعه الإسلاميه.

و أنا بدورى كأحد أعضاء الجامعه الإسلاميه فى مدينه قم المقدسه أشكركم على نواياكم الحسنه.

و أودّ أن أُطلعكم إلى أنّ رجال الدين و علماء الحوزه ما زالوا يتعرضون لضغط شديد من قبل جهاز الشاه و قد أودع بعضهم السجن، و لم يزل الجهاز الحاكم يمارس الكبت و الاضطهاد و الارهاب ضد المؤسسه الدينيه بكلّ ما أُتيح له من وسائل إعلاميه و عسكريه كى يوفر لنفسه البقاء على سده الحكم لفتهر أطول.

و فى الختام أرجو أن توصلوا نداء استغاثتنا للعالم كى يطلع على ما يمارس من

جرائم وحشيه فى حقّ الشعب الإيرانى المسلم الذى ينشد تطبيق الإسلام على صعيد واقعه العملى، كما أرجو أن تكون على اتصال وثيق بما يجرى فى إيران من حوادث مريره.

جزاكم الله عن الإسلام و أهله خير الجزاء

جعفر السبحانى

قم-الجامعه الإسلاميه

٧ جمادى الأولى من شهر عام ١٣٨٣هـ

ص: ٤٢٠

تقييم كتاب

«أصول مذهب الشيعة الإمامية»

للدكتور ناصر القفاري

لقد وقفت على كتاب «أصول مذهب الشيعة الإمامية» للدكتور ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، و الكتاب رساله تقدم بها المؤلف لنيل درجه الدكتوراه من قسم العقيدة و المذاهب المعاصره لجامعه محمد بن سعود الإسلاميه.

و قد أُجيزت هذه الرساله بمرتبه الشرف الأولى مع التوصيه بطبعها و تبادلها بين الجامعات.

طبع الكتاب فى أجزاء ثلاثه، رجع فيها المؤلف أو فريق عمله إلى كثير من مصادر الشيعة لتتم الحجّه على الشيعة على زعمه، لكن الكتاب بحاجه إلى تصحيح و تنقيب و هو رهن تأليف مفرد، لكننا نقنصر فى هذه العجاله على تقييم الكتاب على وجه كلى كى يتضح انه لم يؤلف بقلم نزيه، و بأسلوب علمى و فكر موضوعى، و

لأول وهله تبدو للعيان النقاط التاليه:

١. بداءه لسانه و قلمه

إنّ الكتاب ملئء بالسب اللاذع الذى لو جمع لشكّل رساله كبيره، و إليك

ص: ٤٢١

١. إذا لم تستح فاصنع ما شئت. (١)

٢. قد ركب مطيه التشيع كل من أراد الكيد للإسلام و أهله، و كل من احتال ليعيش في ظل عقيدته السابقه باسم الإسلام من يهودى، و نصرانى، و مجوسى، و غيرهم. (٢)

٣. إن دين الشيعة سداه و لحمته الكذب، و الكيد للإسلام بمحاربه ركنه العظيم، و أصله الذى يقوم عليه و هو القرآن. (٣)

٤. فهؤلاء يشايعون الشيطان. (٤)

إلى غير ذلك من مئات الكلمات البذيئه و مسلسل السب و الفحش، إذ ما من صفحه إلا و فيها لذع و لدغ، و سب و طعن.

و كأن الرجل لم يسمع قوله سبحانه: «ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» ٥ أو لم يسمع قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «سباب المؤمن فسق و قتاله كفر». (٥)

و فى مسند أحمد لم يكن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم سبباً و لا لعاناً و لا فحاشاً. (٦)

٢. عدم مراعاة الأمانه العلميه

إن المؤلف و إن اعتمد على مصادر شيعيه و لكنّه لم يراع الأمانه العلميه فى

ص: ٤٢٢

١- (١). أصول مذهب الشيعة: ٩٦٢/٢.

٢- (٢). أصول مذهب الشيعة: ٨٩/١.

٣- (٣). أصول مذهب الشيعة: ١٠٣٩/٣.

٤- (٤). أصول مذهب الشيعة: ١٠١٠/٣.

٥- (٦). الوسائل: الجزء ٨، الباب ١٥٨ من أبواب أحكاما لعشره، الحديث ٣. [١]

٦- (٧). مسند أحمد: ١٢٦/٣ و ١٤٤ و ١٥٨. [٢]

مواقف كثيرة، فأخذ ما يدعم موقفه من حديث أو نصّ كلام و ترك ذيله الذى يوضح المقصود، وها نحن نذكر موارد كنموذج لما لم نذكر، فإنّ استيعاب ذلك بحاجه إلى تأليف مفرد.

التحريف فى نقل الحديث

رؤيه الله تبارك و تعالى فى الدنيا أو الآخرة من العقائد المستورده عن طريق أهل الكتاب خصوصاً اليهود منهم، و العهد العتيق يزخر بذلك.

و أمّا الشيعة الإماميه فهم أهل التنزيه، الذين ذهبوا إلى امتناع رؤيته سبحانه و تعالى من النظر و المشاهده و كتبهم مشحونه بإقامه البرهان على ذلك.

غير أنّ أهل الحديث و تبعهم الأشاعره جنحوا إلى القول برؤيه الله تبارك و تعالى تبعاً لما روى فى الصحاح و السنن من أنّ المؤمنين يرون الله سبحانه يوم القيامة.

و مؤلف الكتاب يحاول أن يدعم القول بالرؤيه من خلال الاعتماد على نصوص شيعيه فينقل روايه فى هذا الصدد من كتاب توحيد الصدوق، و يقول:

«روى ابن بابويه القمى عن أبى عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: أخبرنى عن الله عزّ و جلّ هل يراه المؤمنون يوم القيامة، قال: «نعم».

فقد اقتصر على هذا المقدار من اللفظ الذى هو ظاهر فيما يدّعيه الكاتب و لو كان المروى هو هذا، لدلّ على أنّ الإمام الصادق عليه السلام قائل برؤيه الله يوم القيامة.

و لكن المؤلف لم يراع الأمانه و خدع فى نقل الحديث فحذف ذيل الحديث الذى يدلّ على عكس ما يرثيه المؤلف، و هو أنّ المراد من الرؤيه هى الرؤيه القلبيه

التي لا تختص بالدنيا و لا بالآخرة، و إليك ذيل الحديث.

قال: «نعم، و قد رأوه قبل يوم القيامة؟» فقلت: متى؟ قال: «حين قال لهم «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى» ثم سكت ساعه، ثم قال: «و إنَّ المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة، أ لست تراه في وقتك هذا؟» قال أبو بصير: فقلت له: جعلت فداك فاحدث بهذا عنك؟ فقال: «لا، فإنَّك إذا حدثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ما تقوله ثم قدّر أنّ ذلك تشبيه كافر، و ليست الرؤيه بالقلب كالرؤيه بالعين، تعالی الله عمّا يصفه المشبهون و الملمحدون». (١)

حيا الله الأمانه ترى كيف جزأ الحديث و قطعه، و الحديث صريح في نفى الرؤيه بالعين و تبديل الرؤيه بالقلب.

هذا نموذج من إنصاف الرجل و أمانته.

التحريف في نقل كلام الشيخ المفيد

إنَّ الكاتب بصدد بيان التناقض بين كلام الشيخ الصدوق القائل بعدم التحريف، و كلام المفيد القائل (بزعمه) به، فنقل كلام المفيد بالنحو التالي.

يقول المفيد: إنَّ الأخبار قد جاءت مستفيضه عن أئمه الهدى من آل محمّد صلى الله عليه و آله و سلم باختلاف القرآن و ما أحدثه بعض الطاعنين فيه من الحذف و النقصان. (٢)

هذا ما نقله الكاتب عن كتاب الشيخ «أوائل المقالات و أوائل المختارات» و لكنّه حرّف كلامه و ذكر صدر كلامه و ترك ذيله الذي لا يمكن القضاء إلّا بنقل الجميع و الإمعان فيه، و إليك نصّ كلام المفيد:

ص: ٤٢٤

١- ١). توحيد الصدوق: ١١٧، باب ما جاء في الرؤيه، الحديث ٢٠. [١]

٢- ٢). أوائل المقالات: ٥٤. [٢]

إنّ الأخبار قد جاءت مستفيضه عن أئمة الهدى من آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم باختلاف القرآن و ما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف و النقصان.

فأمّا القول فى التّأليف فالموجود يقضى فيه بتقديم المتأخر و تأخير المتقدّم، و من عرف النّاسخ و المنسوخ، و المكي و المدني، لم يرتب فيما ذكرناه.

و أمّا النقصان فإنّ العقول لا تحيله و لا تمنع وقوعه، و قد قال جماعه من أهل الإمامه: إنّّه لم ينقص من كلمه و لا من آيه و لا من سوره و لكن حذف ما كان مثبتاً فى مصحف أمير المؤمنين عليه السلام من تأويله و تفسير معانيه على حقيقه تنزيله، و ذلك كان ثابتاً منزلاً و إن لم يكن من جمله كلام الله تعالى الذى هو القرآن المعجز.

و عندى أنّ هذا القول أشبه من مقال من ادعى نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقه دون التأويل، و إليه أميل، و الله أسأل توفيقه للصواب. (١)

هذا نصّ كلام الشيخ المفيد، و قد صرح فيه بأنّ النقصان و إن كان لا تحيله العقول و لكنّه غير واقع، بل الواقع أنّ المحذوف ما كان مثبتاً فى مصحف أمير المؤمنين بعنوان تفسير معانى القرآن، و لم يكن من جمله كلام الله تعالى الذى هو المعجز، و أنّ هذا القول هو أشبه بالحقّ من مقال من ادعى نقصان كلم من نفس القرآن.

و مع هذا التصريح كيف يرميه الكاتب بتحريف القرآن و أنّ كلامه مناقض لكلام شيخه الصدوق!؟

و أمّا قوله: «فأمّا القول بالتأليف فالموجود يقضى فيه بتقديم المتأخر و تأخير المتقدّم» فهو لا يشير إلى وقوع التحريف بمعنى النقصان فى القرآن الكريم بل يشير إلى أنّ القرآن جُمع لا على نحو ترتيب نزوله فقدم ما نزل مؤخراً، و أخر ما نزل

ص: ٤٢٥

مقدماً، وهذا ليس أمراً منكرًا بل أمر يكاد أن يكون متفقاً عليه. فكم من سورة مدنيه كسوره البقره و آل عمران جاءت فى صدر القرآن و كم من سوره مكيه جاءت فى مؤخره، بل ربما ذكر الناسخ فى سوره البقره قبل المنسوخ، فالكاتب جعل التأليف معادلاً للتحريف.

إنّ القضاء الحاسم فى حقّ زعيم كالشيخ المفيد إنّما يتم إذا رجع إلى عامه كلماته فى الموضوع الذى يراد القضاء فيه، فإنّ للشيخ كلاماً فى المسائل السريه يدلّ على أنّ القرآن المنزل هو الموجود ما بين الدفتين، وهذا نصّ كلامه فى كتاب المسائل السريه:

فإن قال قائل: كيف يصحّ القول بأنّ الذى بين الدفتين هو كلام الله تعالى على الحقيقة من غير زياده فيه و لا نقصان و أنتم تروون عن الأئمه عليهم السلام أنّهم قرءوا «كنتم خير أئمه أخرجت للناس» و «كذلك جعلناكم أئمه وسطاً».

و قرءوا «يسألونك الأنفال» و هذا بخلاف ما فى المصحف الذى فى أيدي الناس.

قيل له: قد مضى الجواب عن هذا، و هو أنّ الأخبار التى جاءت بذلك، أخبار آحاد لا يقطع على الله تعالى بصحتها، فلذلك وقفنا فيها و لم نعدل عمياً فى المصحف الظاهر على ما أمرنا به حسب ما بيناه مع أنّه لا ينكر أن تأتى القراءة (يأتى بالقرآن) على وجهين منزليين:

أحدهما: ما تضمّنه المصحف.

الثانى: ما جاء به الخبر، كما يعترف مخالفونا به من نزول القرآن على أوجه شتى. (١)

ص: ٤٢٤

ذكر الكاتب أنّ السيد الخوئي من القائلين بصدور بعض روايات التحريف عن المعصومين، يقول: و الخوئي مرجع الشيعة في العراق وغيره اليوم، يقول: إنّ كثرة الروايات (روايات في تحريف القرآن) من طريق أهل البيت تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين، ولا أقلّ من الاطمئنان بذلك ففيها ما روى بطريق معتبر. (١)

ولكن الكاتب كعادته في سائر الموارد نقل من كلام السيد الخوئي ما يؤيد موقفه، ولكنّه لم ينقل ما في ذيل كلامه الذي يقسم التحريف إلى أقسام و يخرج بحصيله هي أنّ التحريف في القرآن بالنقيضه أمر باطل، وإليك نص كلام السيد الخوئي:

إنّ هذه الروايات لا- دلالة فيها على وقوع التحريف في القرآن بالمعنى المتنازع فيه، توضيح ذلك: أنّ كثيراً من الروايات وإن كانت ضعيفه السند فإنّ جملة منها نقلت من كتاب أحمد بن محمد السيارى الذى اتفق علماء الرجال على فساد مذهبه و أنّه يقول بالتناسخ، و من على بن أحمد الكوفى الذى ذكر علماء الرجال أنّه كذاب و أنّه فاسد المذهب، إلا أنّ كثرة الروايات تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين عليهم السلام و لا أقلّ من الاطمئنان بذلك و فيها ما روى بطريق معتبر، و علينا أن نبحث عن مداليل هذه الروايات و إيضاح أنّها ليست متحده في المفاد و أنّها على طوائف:

الأولى: المراد من التحريف هو اختلاف القراءه و إعمال اجتهاداتهم في

ص: ٤٢٧

١- ١). أصول مذهب الشيعة: ١/٢٧٤، نقلاً عن البيان للسيد الخوئي: ٢٢٦. [١]

القراءات، و مرجع ذلك إلى الاختلاف في كيفية القراءة مع التحفظ على جوهر القرآن و أصله و التحريف بهذا المعنى ممّا لا ريب في وقوعه بناء على ما هو الحقّ من عدم تواتر القراءات السبع.

الثانية: ما يدلّ على أنّ المراد من التحريف حمل الآيات على غير معانيها الذي يلازم إنكار فضل أهل البيت و نصب العداوة لهم و قتالهم، و يشهد على ذلك قول الإمام الباقر عليه السلام: «و كان من عندهم أنّهم أقاموا حروفه و حرّفوا حدوده».

الثالثة: ما يدلّ على أنّ بعض التنزيل كان من قبيل التفسير للقرآن و ليس من القرآن نفسه.

الرابعة: ما يدلّ على وقوع التحريف في القرآن بالزيادة و النقصان و هذه الطائفة بعد الإغضاء عمّا في سندها من الضعف، أنّها مخالفه للكتاب و السنّة و لإجماع المسلمين على عدم الزيادة في القرآن.

الخامسة: ما دلّ على التحريف بمعنى خصوص النقيصه لكن أكثر هذه الروايات بل كثيرها ضعيفه السند و بعضها لا يحتمل صدقها، و قد صرّح جماعه من الأعلام بلزوم تأويل هذه الأحاديث أو لزوم طرحها. (١)

و بذلك يعلم أنّ السيد الخوئي و إن ادّعى القطع بصدور بعضها لكن لا في خصوص الطائفة الأخيره بل في مجموع الطوائف الخمس و هو غير مضر و لا - ملازم للقول بالتحريف مثلاً - إنّ ادّعاء القطع بالتحريف عن طريق إيجاد قراءات لم يقرأها النبي لا يضر بصيانته القرآن من التحريف، لأنّ الواصل إلينا بالتواتر نفس قراءه النبي و غيرها قراءات تترك إلى أصحابها.

هذه نماذج من تحريفات الكاتب و قس عليه سائر تحريفاته في الكتاب

ص: ٤٢٨

اضحوكه

و ممّا يُضحك الثكلى قوله: «إنّ الخمينى أدخل اسمه فى أذان الصلاه و قدّمه على الشهادتين». (١)

نحن لا نعلق عليه شيئاً فإنّ العيان لا يحتاج إلى البيان، هذا أذان الشيعة يذاع من آلاف المآذن فى المحافظات و المدن و الإذاعات ليس من هذه الفريه فيها أثر. و السيد الخمينى كان إنساناً مثالياً أفنى عمره فى الذبّ عن الإسلام و حفظ حياضه، و هو أجلّ و أرفع من أن يأمر بالإتيان باسمه فى الأذان و كأنّ الرجل يتكلّم عن أمّه بئده أكل عليها الدهر و شرب. و إلى الله المشتكى.

حدس خاطئ

إنّ الكاتب يستند فى بعض ما يقضى و يبرم على حدس خاطئ-يجرّه إليه بغضه لشيعة آل البيت- حيث يعتقد أنّ حجم الروايات الداله على التحريف تزايد فى عصر الصفويه و لم يكن قبل دولتهم بهذا الحجم و يقول: إنّ الوضع لهذه الأسطوره (التحريف) لم يتسع و يصل إلى هذا المستوى الموجود اليوم إلاّ فى ظل الحكم الصفوى. (٢)

أقول: إنّ الحجم المتوفر من الروايات فى عصر الصفويه هو نفسه الموجود فى

ص: ٤٢٩

١- ١). أصول مذهب الشيعة: ١١٥٤/٣ نقله عن موسى الموسوى و القفارى يعرف موسى الموسوى و منزلته بين الشيعة و مبلغ علمه و أمانته، و مع ذلك نقل عنه تلك الفريه الواضحه و لا غرو، «فكلّ إناء بالذى فيه ينضح» و «لا تكشفنّ مغطياً فلربما..».

٢- ٢). أصول مذهب الشيعة: ٢٧١/١.

عصور سابقه عليه، و لم يكن لقيام الدوله الصفويه أى تأثير فى تضخيمها، فإنّ العلامه المجلسى قد أودع عدداً هائلاً من كتب الشيعة فى موسوعه «بحار الأنوار» و قد اعتمد فيها على مصادر متعدده، و هذه المصادر متوفره اليوم. هذا إلى جانب أنّ ظهور الدوله الصفويه على المسرح السياسى لم يكن له أى دور فى إحياء فكره التحريف، بل نرى أنّ كثيراً من علماء و مفكرى ذلك العصر ذهبوا إلى عدم التحريف، و قد قام ولدنا الدكتور فتح الله المحمدى فى كتابه «سلامه القرآن من التحريف» بسرد أسمائهم، و إليك نصّ كلامه مع تبيين الجهود التى بذلها على هذا الصعيد:

١. قاضى القضاة على بن عبد العالى المعروف بالمحقّق الكركى (المتوفّى ٩٤٠هـ) فى رساله نفى النقيصه.

٢. محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازى المعروف بملا صدرا (المتوفّى ٩٥٠هـ) فى شرح أصول الكافى و تفسير القرآن الكريم.

٣. ملا فتح الله الكاشانى فى تفسيره «منهج الصادقين».

٤. المحقّق أحمد الأردبيلى (المتوفّى ٩٩٣هـ) فى «مجمع الفائده و البرهان».

٥. أبو الفيض الناكورى (المتوفّى ١٠٠٤هـ) فى «سواطع الإلهام».

٦. السيد نور الله التستري (المتوفّى ١٠١٩هـ) فى «مصائب النواصب».

٧. محمد بن الحسين الشهير ببهاء الدين العاملى (المتوفّى ١٠٣٠هـ).

٨. الفاضل التونى (المتوفّى ١٠٧١هـ) فى «الوافيه فى الأصول».

٩. اللاهيجى (المتوفّى ١٠٩٧هـ) فى تفسيره «تفسير شريف لاهيجى».

١٠. الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملى (المتوفّى ١١٠٤هـ) فى رساله «تواتر القرآن».

١١. نور الدين محمد بن مرتضى الكاشاني (المتوفى ١١١٥هـ) في «تفسير المعين».

هذا (١) معشار ما يمكن أن يقال في هذا الكتاب من التحريف و الحدس الخاطيء، ولأجل ذلك قمنا ببعث رساله إلى المؤلف مرفقه بكتاب «العقيدة الإسلاميه من منظار أئمه أهل البيت». أكدنا فيها بأن عقيدة الشيعة هي ما جاء في هذا الكتاب لا ما نسبته إليهم ثم عرضنا عليه المناظره في الأصول التي حررناها.

وقد أرسلنا الرساله مع الكتاب إلى الملحق الثقافى فى سفاره الجمهوريه الإسلاميه فى الرياض الذى قام مشكوراً بالاتصال بالدكتور ناصر القفارى هاتفياً مرات عديده، و فى كل مره يعتذر عن الحضور لبعده المكان إلى أن اضطر أخيراً لاستلام الكتاب و الرساله عن طريق شخص ثالث.

وقد مرت على بعث الرساله ٣ سنوات و هو إلى الآن لم يرد علينا بجواب، و ها إليك نصّ الرساله التى بعثناها إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور ناصر القفارى

السلام عليكم و رحمه الله و بركاته

أما بعد؛ فقد وصلنى كتاب «أصول مذهب الشيعة الإماميه الاثنى عشرية» فقرأته حسب ما سمح لى الوقت، و ها أنا ذا أذكر

ص: ٤٣١

١- (١). سلامه القرآن من التحريف: [١] تأليف الدكتور فتح الله المحمدى: ٢٩٤/١ - ٢٩٥.

انطباعاتى حول هذا الكتاب.

إنَّ المؤلف لم يستخدم الأسلوب الصحيح فى نقد عقائد هذه الطائفة و ذلك من جهات:

الأولى: زعم أنَّ الروايه فى كتب المحدثين دليل على العقيدته، مع أنَّ العقيدته تطلب لنفسها دليلاً مفيداً لليقين، و خبر الواحد لا يفيد علماً، و هذا هو أساس الزلّه التى وقع بها فى هذا الكتاب، فإنَّ العقيدته شىء، و الروايه شىء آخر، و بينهما من النسبه عموم و خصوص من وجه.

الثانيه: انى لا آتهم المؤلف شخصياً و لكن أسلوب الكتابه ينم عن تحامل شديد على الشيعة و عدم نزاهه فى البحث.

و هذا الأسلوب منبوذ عند العقلاء شرعاً و عقلاً، و القراء يستهجنون هذا النوع من الكتابه. و لا يؤثر فى العقول الحرّه، لأنَّ السبّ و الهجو آيه العجز عندهم.

الثالثه: لو قام القارئ بجمع الشتائم الموجوده فى هذا الكتاب لخرج بصحائف سوداء.

و لهذا و ذاك قمت بتأليف كتاب جمعت فيه أصول مذهب الشيعة الإماميه الاثنى عشرية، التى هى نفس أصول العقيدته الإسلاميه، بعبارات موجزه، و أشرت إلى دلائلها فلو كان لديكم نقد على تلك الأصول فنحن مستعدون للمناقشه و المناظره فى أى مدينه شتتم، سواء أ كان فى «الرياض» أو «المدينه المنوره» أو «مكّه المكرمه» أو «جده».

ص: ٤٣٢

و نعلن أنّ أصول مذهب الشيعة الإماميه الاثني عشرية هي ما جاء في هذا الكتاب و هي واضحه المعالم، مشرقه البراهين لا ما جاء في الكتاب السابق ذكره.

و نرجو أن ينال هذا الاقتراح موضع القبول شريطه أن يسود الحوار روح الموضوعيه و التجرد و الحريه و ترأسه لجنه من علماء الإسلام، و نحن بفارغ الصبر في انتظار تلبيه هذا الاقتراح.

جعفر السبحاني

قم-الجامعه الإسلاميه

ص: ٤٣٣

حياه السيد الحميرى

و ثقافته و اخلاصه

بسم الله الرحمن الرحيم

يتميز الإنسان عن سائر الموجودات بالتفكير و هو موهبه عظيمه، كرمه الله بها، و راح يعكس تفكيره من خلال الكلام إما منشوراً أو منظوماً، فالكلام المنشور هو ما يتكلم به ارتجالاً، و الثانى عبارته عن الكلام الموزون المقفى الذى لا يحصل إلا بالتروى و الأناه.

ثم إنَّ للإنسان نزوعاً إلى هذا النوع من الكلام قد يبلغ به تهيج العواطف و التذاذ الأسماع بمكان أنه ربما يفقد وعيه. و الشعر فى الوقت نفسه سلاح شديد الوقع، فإن استعمله الشاعر فى الحماسه هاجت النفس لاقتحام الردى و الهلكه، و إن استغله فى الاستعطاف و الاستعطاء حرك العواطف و هيَّجها، و إن استعان به فى التشبيب أغرى الأفتداه بالهوى و المجون، إلى غير ذلك من غايات خاصه للشعر على وجه الإطلاق، كما أنه سلاح ذو حدين، فالشعر الهادف هو ما يبنى المجتمع و يوقظ الشعب و يسوقه نحو العلم و الصلاح و الفلاح، و غير الهادف منه هو ما يكرس النزعات الأنانيه فى المجتمع و يسير به نحو هاويه الانحطاط، و بيعته نحو الانحلال الخلقى، و لله در الشيخ محمد رضا الشيبى شاعر العراق الفحل إذ

يقول: كفى الشعر ذمّاً إنّ للشعر قائلًا

إذا قلت أنّ الشعر بحر غبنته متى يستقيم البحر من غير ساحل

قرائنا منها بحور خضارم و منها إذا جربت رشح الجداول

و أجمع أقوال الرجال أسدّها معان كبار في حروف قلائل (1)

فالحقّ كما قال الشيبى أنّ قيمه الشعر بمعناه و بتأثيره الخطير في إيقاظ المجتمع، فربّ قصيده كثيره الأبيات لا تجد فيها كلمه حكيمة تُسعد الإنسان في حياته أو تصدّه عن مزالقه.

و رب بيت واحد يفصل على قصيده، لأنّه ينشد إلى حكمه بالغه يأخذ بيد الإنسان في مزالقه الحياه، و قد أشار إلى ذلك الشاعر المذكور.

ص: ٤٣٦

(٢-١). محمد جمال الهاشمى: الأدب الجديد: ١-٢، طبعه النجف الأشرف.

وقد يبلغ البيت البليغ قصيده

ويا للأسف إنّ الشعراء لم يجروا على حلبة واحده، فهم بين مصلح بناء، و مفسد هدام مثير للميوعات:

يقول امرؤ القيس في معلقته: أ فاطم مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّ

ص: ٤٣٧

و هناك من يبعث روح الشجاعه و التضحيه و الفداء فى المجتمع و يحثه فى الماضى قُدماً فى سلاله العز و الكمال، و هذا ما نلمسه بوضوح فى الأبيات التاليه لعميد الدين المعروف بالطغرائى (المتوفى عام ٥١٠هـ) فى لاميته المعروفه بلاميه العجم: حبّ السلامه يُثنى همّ صاحبه

و ما نرى فى الذكر الحكيم من ذم للشعراء، يقول سبحانه: «و الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ* أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ* وَ أَنََّّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ» ١

ص: ٤٣٨

فهو راجع إلى الشعراء الذين لا همّ لهم سوى الحصول على المزيد من حطام الدنيا من خلال مدح ذوى الجاه و المقام أملاً في نيل عطائهم، أو إثارة شهواته الجامحة التي تعصف بالمجتمع في ورطه الانحلال الاخلاقى.

ثم إنّه سبحانه لا ينظر إلى الجميع على حدّ سواء بل يستثنى منهم طائفه، بقوله: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» ١.

و بذلك يتبين موقف الأحاديث الواردة في هذا المضممار، فهى بين مندّده بالشعر و بين مادحه له، كما فى قوله:

إنّ من الشعر لحكمه، وإنّ من البيان لسحرا. (١)

و قد كان الشعر هو الوسيله الوحيده للإعلام و إثارة العواطف و الأحاسيس و بتّ الأفكار من خلاله، و كان للشعر و الشعراء فى عصر النبى صلى الله عليه و آله و سلم و بعده مقام شامخ، و كان أئمّه أهل البيت عليهم السلام يغدقون عليهم بالعطايا و الصلات.

قال البراء بن عازب: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قيل له: إنّ أبا سفيان بن حارث بن عبد المطلب يهجوك، فقام عبد الله بن رواحه فقال: يا رسول الله: ائذن لى فيه، فقال: «أنت الذى تقول تبتّ الله»، قال: نعم، قلت يا رسول الله. فثبت الله ما أعطاك من حسن تثبيت موسى و نصراً مثل ما نصروا

قال صلى الله عليه و آله و سلم: «و أنت يفعل الله بك خيراً مثل ذلك». (٢)

ص: ٤٣٩

١- ٢). مسند أحمد: ٢٧٣، ١/٢٦٩؛ سنن الدارمى: ٢٩٦/٢.

٢- ٣). مستدرک الحاکم: ٤٨٨/٣.

وقد أنشد كعب بن زهير قصيدته التي قالها في مدح النبي في مسجده الشريف، والتي مطلعها: بانت سعادُ فقلبي اليوم متبول تيم
إثرها لم يفد مكبولُ

قال الحاكم: لما أنشد كعب قصيدته هذه لرسول الله، وبلغ قوله: إنَّ الرسول لسيفٌ يُستضاء به و صارمٌ من سيوف الله مسلول

أشار صلى الله عليه وآله وسلم بكمه إلى الخلق لسمعوا منه. (١)

و يروى أن كعباً أنشد «من سيوف الهند» فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من سيوف الله.

قال المقرئ في حوادث السنه الثامنه من الهجره: ففي هذه السنه كان إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى، فأسلم و قدم على رسول الله المدينة و أنشده القصيده فكساه برده كانت عليه، و قال ابن قتيبه: أعطى رسول الله كعب بن زهير راحله و بُرداً، فباع البرد من معاوية بعشرين ألفاً، فهو عند الخلفاء إلى اليوم. (٢)

وقد تأسّى أئمة العتره الطاهره بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في تكريم الشعراء المجاهرين بولائهم، المخلصين من الذين كانوا ينظمون القريض لغايات ديتيه، معرضين عن التردد على بلاط الخلفاء الأمويين و العباسيين، و قد كان لشعرهم يومذاك تأثير بالغ في قلوب الناس، و إيقاظ ضمائرهم، و لهذا الهدف الأسمى كان أئمة أهل البيت يبجلون بشعرهم و يدعون لهم و يغدقون عليهم بالصلوات، و لهذه الغايه راجت بين شيعه أئمة أهل البيت ميميه الفرزدق، و هاشميتات الكميت، و عينيه الحميرى، و تائه دعبل الخزاعي، و ميميه الأمير أبي فراس، و كانوا يحفظونها

ص: ٤٤٠

١- ١. مستدرک الحاكم: ٥٨٠/٣.

٢- ٢. المقرئ: الإمتاع: ٣٥٦/١، ط عام ١٤٠١هـ.

و ينشدونها فى مجالسهم و محافلهم، فصارت هذه القصائد كالسيف الصارم بيد الموالين.

و من هذه الطليعه الشاعر المفلق المكثّر لثناء أهل البيت السيد الحميرى الذى نحن بصدد التقديم له و للشرح الذى قام به نابغه عصره الشيخ بهاء الدين الاصبهانى المعروف ب«الفاضل الهندى»، فيلزم علينا الإلمام بترجمه الشاعر أولاً، ثمّ الشارح ثانياً حسب ما تقتضيه الحال.

السيد الحميرى

هو إسماعيل، و كنيته أبو هاشم، بن محمد بن يزيد بن وداع الحميرى الملقب بالسيد، و أنّه من بنى حدّان تزوّج بها أبوه، لأنّه كان نازلاً فيهم، ولد عام ١٠٥هـ (١)، بعُمان و نشأ فى البصره فى حضانه والديه الإباضيّين إلى أن عقل و شعر فهاجرهما و اتصل بالأمر عقبه بن مسلم و تزلفّ لديه حتى مات والداه، فورثهما- كما سيوافيك خبره- ثمّ غادر البصره إلى الكوفه و أخذ فيها الحديث عن الأعمش و عاش متردداً بينهما. (٢) و مات عام ١٧٣هـ.

ترجمه غير واحد من رجال الفريقين نذكر نصوصهم:

١. فقد ذكره الشيخ الطوسى فى رجاله فى أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، قال: إسماعيل بن محمد الحميرى، السيد الشاعر يكنّى أبا عامر. (٣)

٢. و ذكر فى الفهرست، و قال: السيد بن محمد، أخباره تأليف الصولى،

ص: ٤٤١

١-١. أخبار السيد للمرزبانى: ١٥١-١٥٢.

٢-٢. لسان الميزان: ٣٨٣/١.

٣-٣. رجال الطوسى برقم ١٠٨.

أخبرنا بها ابن عبدون عن أبي بكر الدوري عن الصولي. (١)

٣.و لم يترجمه النجاشي مستقلاً، وإنما ذكر من جمع أخباره و سيوافيك أسماء من جمع أخبار السيد.

٤.و قال ابن شهر آشوب في المعالم في فصل الشعراء المجاهدين:

السيد أبو هاشم إسماعيل بن محمد بن يزيد (٢) [بن محمد] (٣) بن وداع بن مفرغ الحميري.

من أصحاب الصادق عليه السلام و لقي الكاظم عليه السلام و كان في بدء الأمر خارجياً ثم كيسانياً ثم إمامياً. (٤)

٥.و قال العلامة في الخلاصه في القسم الأول من الباب الثاني من فصل الهمزه.

إسماعيل بن محمد الحميري: ثقّه، جليل القدر، عظيم الشأن و المنزله رحمه الله. (٥)

إلى غير ذلك من كلمات الإطراء في حقّه في معاجم أصحابنا، و أمّا ما ذكره غيرهم، فإليك نصوص بعضها:

٦.قال ابن عبد ربّه: السيد الحميري و هو رأس الشيعة، و كانت الشيعة من تعظيمها له تلقى له الوساده في مسجد الكوفه. (٦)

٧.و قال أبو الفرج الاصفهاني (المتوفى عام ٣٥٦هـ): كان السيد شاعراً

ص: ٤٤٢

١-١). الفهرست برقم ٣٥٠. [١]

٢-٢). و في المصدر مزيد و لعله مصحف يزيد كما في اخبار السيد للمرzbاني.

٣-٣). هذه الزيادة ليست في أخبار السيد المرzbاني.

٤-٤). معالم العلماء: ١٤٦. [٢]

٥-٥). الخلاصه، باب الهمزه، برقم ٢٢.

٦-٦). العقد الفريد: ٢٨٩/٢. [٣]

متقدماً مطبوعاً، يقال له إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثه: بشار، أبو العتاهيه، والسيد، فإنه لا يعلم إن أحداً قدر على
تحصيل شعر أحد منهم أجمع. (١)

كان السيد أسمر، تامّ القامه، أشنب (٢)، ذا وفرة، حسن الألفاظ، جميل الخطاب، إذا تحدث في محل قوم أعطى كل رجل في
المجلس نصيبه من حديثه. (٣)

٨. و نقل عن التوزي، أنه قال: رأى الأصمعي جزءاً فيه من شعر السيد، فسترته عنه لعلمي بما عنده فيه، فأقسم عليّ ان أخبره فأخبرته،
فقال: أنشدني قصيده منه، فأنشدته قصيده ثم أخرى، و هو يستزيدني، ثم قال: قبّحه الله ما أسلكه لطريق الفحول! لو لا مذهبه، و لو
لا ما في شعره ما قدمت عليه أحداً من طبقته. (٤)

أقول: «كلّ إناء بالمدى فيه ينضح» (٥)، إن الأصمعي ناصبي عنيد يبغض علي بن أبي طالب عليه السلام و العتره الطاهره عليهم
السلام فلا غرو في أن يدعو علي السيد بما عرفت، و لكن مع ذلك لم يستطع أن يُسدل الستار على عظمه السيد في مجال
الشعر، و أنه سلك طريق الفحول في عالم القريض، و يتلوه في المذهب و الإطراء أبو عبيده، و مع ذلك يقول في حقّ السيد أشعر
المُحدّثين السيد الحميري و بشار. (٦)

٩. و روى عمر بن شبّه، قال: أتيت أبا عبيده معمر بن المثنى يوماً و عنده رجل من بنى هاشم يقرأ عليه كتاباً، فلما رأني أطبقه، فقال
له أبو عبيده: إنّ أبا

ص: ٤٤٣

١-١. الأغاني: ٢٢٩/٧. [١]

٢-٢. الشنب: البياض و البريق و التحديد في الاسنان.

٣-٣. الأغاني: ٢٣١/٧. [٢]

٤-٤. الأغاني: ٢٣٢/٧. [٣]

٥-٥. «مثل يُضرب».

٦-٦. الأغاني: ٢٣٢/٧. [٤]

زيد ليس ممن يحتشم منه فأقرأ، فأخذ الكتاب و جعل يقرأه، فإذا هو شعر السيد، فجعل أبو عبيده يُعجب منه و يستحسنه، قال أبو زيد:

و كان أبو عبيده يرويه، قال: و سمعت محمد بن أبي بكر المقدمي، سمعت جعفر بن سليمان الضُّبعي ينشد شعر السيد. (١)

١٠. و حكى عن الموصلي عن عمّه، قال: جمعت للسيد في بني هاشم الفين و ثلاثمائة قصيده فخلتُ أن قد استوعبت شعره حتى جلس إليّ يوماً رجل ذو أطمار رثه، فسمعتني أنشد شيئاً من شعره فأنشدني له ثلاث قصائد لم تكن عندي، فقلت في نفسي لو كان هذا يعلم ما عندي كله، ثم أنشدني بعده ما ليس عندي، لكان عجبياً، فكيف و هو لا يعلم و إنما أنشد ما حضره، و عرفت حينئذٍ أنّ شعره ممّا لا يدرك و لا يمكن جمعه كله. (٢)

١١. قال غانم الوراق: خرجت إلى بادية البصره فصرت إلى عمر بن تميم، فأثبتني بعضهم، فقال: هذا الشيخ و الله راويه، فجلسوا إليّ و أنسوا بي و أنشدتهم و بدأت بشعر ذي الرمة، فعرفوه، و بشعر جرير فعرفوهما ثم أنشدتهم للسيد.

قال: فجعلوا يمرقون لإنشادي و يطربون، و قالوا: لمن هذا، فأعلمتهم، فقالوا: هو و الله أحد المطبوعين، لا و الله ما بقى في هذا الزمان مثله. (٣)

١٢. قال الزبير بن بكار: سمعت عمي يقول: لو أنّ قصيده السيد التي يقول فيها: أنّ يوم التطهير يوم عظيم خصّ بالفضل فيه أهل الكسا

ص: ٤٤٤

[١ - ١]. الأغاني: ٢٣٦/٧. [١]

[٢ - ٢]. الأغاني: ٢٣٧/٧. [٢]

[٣ - ٣]. الأغاني: ٢٣٩/٧. [٣]

قرأت على منبر ما كان فيها بأس و لو أنّ شعره كله كان مثله لرويناه و ما عيّناه. (١)

١٣. حدث الحسين بن ثابت، قال: قدم علينا بدويّ، و كان أروى الناس لجريراً، فكان ينشدني الشيء من شعره، فأُنشد في معناه للسيد حتى أكثرْتُ، فقال لي: ويحك! من هذا؟ هو و الله، أشعر من صاحبنا. (٢)

و هذه الكلمات التي نقلها أبو الفرج الاصفهاني تعرب عن تضلّع السيد في الأدب العربي و بلوغه الذروه في القريض بحيث لا يجاريه فيه أحد، و قد نال اعجاب عباقره الشعر و جهابذه الأدب، و لو لا كفاحه و نضاله و تهالكه في حب أهل البيت، و مناهضته للجهاز الأموي و العباسي، لحظى بمكانه مرموقه في بلاط الخلفاء، و على الرغم من ذلك، فقد شهدت بفضله الأعداء، و الفضل ما شهدت به الأعداء، و قد أتاح سبحانه لسان أعدائه على تمجيده و تعظيمه.

أسره السيد

و العجب أنّ أسره السيد الحميري كانت من بني حمير الذين قطنوا عمان و كانوا أباضيه المذهب يَكُونُ العدااء لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

و على الرغم من كلّ ذلك فقد ظهر من هذا المنبت السوء، موال لأهل البيت عليهم السلام، مخلص في حبه، ذابّ عن حريم ولايتهم بشعره و بيانه و جسمه و روحه، على نحو لم يُر له مثيل فيمن غير.

روى سليمان بن أبي شيخ عن أبيه: أنّ أبوى السيد كانا إباطيين، و كان منزلهما بالبصره في غرفه بني ضبّه، و كان السيد يقول: طالما سبّ أمير المؤمنين في

ص: ٤٤٥

١-١. الأغاني: ٢٣٩/٧. [١]

٢-٢. الأغاني: ٢٣٩/٧. [٢]

هذه الغرفة، فإذا سئل عن التشيع من أين وقع له، قال: غاصت عليّ الرحمه غوصاً.

و روى عن السيد أنّ أبويه لما علما بمذهبه همّا بقتله، فأتى عقبه بن سلم الهنائي، فأخبره بذلك فأجاره و بوأه منزلاً و هبه له فكان فيه حتى ماتا فورثهما. (١)

و قال إسماعيل بن الساحر راويه السيد: كنت عنده يوماً في جناح له، فأجال بصره فيه، ثم قال: يا إسماعيل طال و الله ما شُتم أمير المؤمنين عليّ في هذا الجناح، قلت و من كان يفعل؟ قال: أبواي. (٢)

و قال المرزباني بسنده عن العباسه بنت السيد، قالت: قال لي أبي: كنت و أنا صبياً أسمع أبويّ يثلبان أمير المؤمنين عليه السلام فأخرج عنهما و أبقى جائعاً، و أوتر ذلك على الرجوع إليهما فأبيت في المساجد جائعاً لِحُبِّي فراقهما و بغضِي إياهما حتى إذا أجهدني الجوع رجعت فأكلت ثم خرجت، فلما كبرت قليلاً و عقلت و بدأت أقول الشعر.

قلت لأبويّ: إنّ لي عليكم حقاً يصغر عند حقكما عليّ فجنّباني إذا حضرتكما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام، بسوء، فإنّ ذلك يزعجني و أكره عقوقكما بمقاتلكما، فتماديا في غيئهما، فانتقلت عنهما، و كتبت إليهما شعراً، و هو: خف يا محمّد فالق الاصباح و أزل فساد الدين بالإصلاح

ص: ٤٤٦

١-١. الأغاني: ٢٣٠/٧. [١]

٢-٢. الأغاني: ٢٣٥/٧. [٢]

أُتسبَّ صنو محمّد و وصيه ترحو بذلك الفوز بالإنجاح

هيهات قد بعدت عليك و قزبا

فتواعدانى بالقتل، فأتيت الأمير عقبه بن مسلم فأخبرته خبرى، فقال لى: لا تقر بهما، و أعدّ لى منزلاً أمر لى فيه بما أحتاج إليه و أجرى علىّ جرايه تفضل عن مئونتى. (١)

تفانيه فى حبّ أهل البيت عليهم السلام و نشر مناقبهم

إنّ الأثر البارز فى حياه السيد هو تفانيه فى حبّ أئمه أهل البيت عليهم السلام و نشر مناقبهم بقريظه و شعره و بيانه و لسانه، و نقده اللاذع لأعداء العتره الطاهره و مناوئهم، على نحو لا يرضى أن يتبوأ مجلساً لى فيه ذكر لأحمد و لا لوصيه عليه السلام.

روى أبو الفرج الاصبهاني، عن الحسن بن على بن أبى حرب بن أبى الأسود الدؤلى: كنا جلوساً عند أبى عمرو بن العلاف فتذاكرنا السيد، فجاء فجلس

ص: ٤٤٧

(١-١). أخبار شعراء الشيعة: ١٥٤-١٥٥، ط عام ١٤١٣هـ.

و خضنا فى ذكر الزرع و النخل ساعه فنهض، فقلنا: يا أبا هاشم، ممّ القيام؟ فقال: أنى لأكره ان أطيل بمجلس

و هناك وثائق تاريخيه تعرب عن إخلاص السيد و ولائه المنقطع النظير للعترة الطاهره، نقتطف منها هذه الشذرات، فإنّ الاستيعاب يطيل بنا الكلام.

١. ذكر التميمى - و هو على بن إسماعيل - عن أبيه، قال: كنت عند أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إذ استأذنه آذنه للسيد، فأمر بإيصاله، و أقعد حرمه خلف ستر، و دخل فسلم و جلس، فاستنشده، فأنشده قوله: أمرر على جدث الحسى

ص: ٤٤٨

و إذا مررت بقبره فأطل به وَقِفِ المطيِّه

و ابكِ المطهَّر للمطهَّر و المطهَّره النقيِّه

كبكاء مُعوله أتت يوماً لواحدھا المتيِّه

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمد تنحدر على خديه، و ارتفع الصراخ و البكاء من داره، حتى أمره بالإمساك فأمسك. (١)

٢. روى الشيخ ابن قولويه (المتوفى عام ٣٦٧هـ) بسنده عن أبي هارون المكفوف: قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقال لي: أنشدني، فأنشدته، فقال: لا، كما تشدون، و كما ترثيه عند قبره، قال فأنشدته. امرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكيه

قال: فلما بكى أمسكت أنا، فقال: مر، فمررت، قال: ثم قال: زدني زدني، قال: فأنشدته: يا مريم قومي فاندبى مولاك و على الحسين فاسعدى بيكاك

قال: فبكى و تهايج النساء (٢)

٣. روى أبو سليمان الناجي، و محمد بن حليم الأعرج، قالوا:

ص: ٤٤٩

١- (١). الأغاني: ٢٤٠/٧-٢٤١. [١]

٢- (٢). كامل الزيارات: ١٠٥-١٠٦، ط النجف [٢] الأشرف؛ ثواب الأعمال: ١٠٩، ط عام ١٣٩١هـ.

كان السيد إذا استنشد شيئاً من شعره لم يبدأ بشيء إلا بقوله: أجدّ بآل فاطمه البكورُ فدمعُ العين منهمر غزير

و هناك منام صادق ينمُّ عن أنّ البيت المزبور حظى بإعجاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

حدث إبراهيم بن هاشم العبدى البصرى، قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام و بين يديه السيد الشاعر و هو ينشد: أجدّ بآل فاطمه البكور فدمع العين منهمر غزير

حتى أنشده إياها على آخرها و هو يسمع:

قال: فحدثت هذا الحديث رجلاً جمعتنى و إياه طوس عند قبر على بن موسى الرضا، فقال لى: و الله لقد كنت على خلاف فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى المنام و بين يديه رجل ينشد: أجدّ بآل فاطمه البكور..

إلى آخرها، فاستيقظت من نومى و قد رسخ فى قلبى من حبّ على بن أبى طالب رضى الله عنه ما كنت أعتقده. (١)

قال إسحاق: و سمعت العتبى، يقول: ليس فى عصرنا هذا أحسن مذهباً فى شعره و لا أنقى ألفاظاً من السيد، ثم قال لبعض من حضر:

أنشدنا قصيدته اللاميه التى أنشدتها اليوم، فأنشده قوله: هل عند من أحببت تنويل أم لا فإنّ اللوم تضليل

ص: ٤٥٠

يقول فيها: أقسم بالله و آلائه

فقال العتبي:

أحسن و الله ما شاء، هذا و الله الشعر الذي يهجم على القلب بلا حجاب. (١)

٤. سمع السيد محدثاً يحدث أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان ساجداً فركب الحسن و الحسين على ظهره، فقال عمر: نعم المطي مطيكما، فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: و نعم الراكبان هما.

فانصرف السيد من فوره، و قال في ذلك: أتى حسناً و الحسين النبي

و أن عمى الشك بعد اليقين

ص: ٤٥١

(١ - ١). الأغاني: ٢٥٨/٧ - ٢٥٩. [١]

و يُرجى ابنُ حربٍ و أشياعه

إلى غير ذلك من قصائد جمه ذكر فيها فضائل الإمام علي و أهل بيته عليهم السلام.

و يكفيك في ذلك ما ذكره المعتز في طبقاته:

كان السيد أحذق الناس بسوق الأحاديث و الأخبار و المناقب في الشعر لم يترك لعلى بن أبي طالب فضيله معروفه إلا نقلها إلى الشعر، و كان يملّه الحضور في محتشد لا يذكر فيه آل محمّد صلوات الله عليهم، و لم يأنس بحفله تخلو عن ذكرهم. (١)

و ممّا تجدر الإشارة إليه أنّ أكثر شعراء العصر الأموي و العباسي قد انكبوا على عتبه بلاط الجهاز الحاكم رغبه منهم في الصله و العطايا، و لكن السيد تنزّه عن هذه الوصمه و أناخ راحلته على عتبه أئمه أهل البيت عليهم السلام فلم يمدح شخصاً إلاّ لضروره، و لذلك تجد أنّه يعيب البشار في شعره لما مدح من ليس أهلاً له، فأقبل عليه، و قال: أيّها المادح العباد ليُعطي

قال بشار: من هذا؟ فعرفه، فقال لو لا أنّ هذا الرجل قد شغل عنّا بمدح

ص: ٤٥٢

(١-٢). طبقات الشعراء: ٧.

بنى هاشم لشغلنا، و لو شاركننا فى مذهبنا لأتعبنا. (١)

كما نقل أنّ السيد دخل على المهدي لما بايع لابنيه موسى و هارون، فانشأ يقول: ما بال مجرى دمعك الساجم

و قد بلغ السيد فى إخلاصه لأهل البيت أنّه كان يجاهر بعقيدته و مودته لهم فى مجلس الخلفاء و إن وُشى عليه ما وُشى و لم يكن يتقى فى ذلك أبداً.

ص: ٤٥٣

١-١). الأغانى: ٢٣٧/٧. [١]

روى عبد الله بن أبي بكر العتكي أنّ أبا الخلال العتكي دخل على عقبه بن مسلم و السيد عنده، وقد أمر له بجائزه، و كان أبو الخلال شيخ العشيره و كبيرها، فقال له: أئُيها الأمير، أعطى هذه العطايا رجلاً ما يفتّر عن سبّ أبي بكر و عمر!، فقال له عقبه: ما علمت ذاك و لا- أعطيته إلا على العشره و الموده القديمه و ما يُوجبهُ حقّه و جواره مع ما هو عليه من موالاه قوم يلزمنا حقّهم و رعايتهم.

فقال له أبو الخلال: فمره إن كان صادقاً أن يمدح أبا بكر و عمر حتى نعرف براءته مما ينسب إليه من الرفض، فقال: قد سمعك، فإن شاء فعل، فقال السيد: إذا أنا لم أحفظ وصاه محمد و لا عهده يوم الغدير المؤكداً

فإنّي كمن يشرى الضلاله بالهدى

ثم نهض مغضباً، فقام أبو الخلال إلى عقبه، فقال: أعدنى من شرّه، أعاذك الله من السوء أيها الأمير.

قال: قد فعلت على ألا تغرض له بعدها. (١)

ص: ٤٥٤

روى أبو الفرج الاصبهاني: كان السيد يأتى الأعمش فيكتب عنه فضائل على رضى الله عنه و يخرج من عنده، و يقول فى تلك المعانى شعراً، فخرج ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفه و قد حمله على فرس و خلع عليه، فوقف بالكُناسه، ثم قال: يا معشر الكوفيين، من جاءنى منكم بفضيله لعلى بن أبى طالب لم أقل فيها شعراً أعطيته فرسى هذا و ما لعلى. فجعلوا يحدّثونه و ينشدهم، حتى أتاه رجل منهم، و قال: إنّ أمير المؤمنين على بن أبى طالب-رضى الله تعالى عنه-عزم على الركوب، فلبس ثيابه و أراد لبس الخُفّ فلبس أحد خُفّيه، ثم أهوى إلى الآخر ليأخذه فانقضّ عقاب من السماء فحلّق به ثم ألقاه فسقط منه أسود و انساب فدخل حُجراً، فلبس لعلى رضى الله عنه الخُفّ قال: و لم يكن قال فى ذلك شيئاً، ففكر هنيهه، ثم قال: ألا يا قوم للعجب العجاب

و زاد المرزبانى بعد نقل القصة: ثم حرك فرسه و ثناها و أعطى ما كان معه من المال و الفرس للذى روى له الخبر، و قال: إنى لم أكن قلت فى هذا شيئاً. (١)

صلته الوثيقه بالإمام الصادق عليه السلام

إنَّ أئمَّه أهل البيت كانوا يُثمَّنون جهود الشعراء المخلصين المجاهرين بالولاء الذين نذروا أنفسهم فى هذا السبيل، و لبسوا فى ذلك جلاباب البلايا، منهم شاعرنا المفلح السيد إسماعيل فكان الإمام الصادق يتفقده حيناً بعد حين.

روى أنَّ أبا عبد الله عليه السلام لقي السيد بن محمد الحميرى، و قال: سمَّتك أمَّك سيِّداً، و فقت فى ذلك، و أنت سيِّد الشعراء، ثمَّ أنشد السيِّد فى ذلك. و لقد عجت لقائل لى مرَّه

مذهبه

كان السيد أباضى المنبت، ثم صار شيعياً كيسانياً، يقول بإمامه محمد بن

ص: ٤٥٦

الحنفيه، لكنّه عدل عنه إلى الإماميه على يد الإمام الصادق عليه السلام، و عليه أكثر المؤرخين.

يقول السيد الحميرى عن نفسه: كنت أقول بالغلو و اعتقد غيبه محمد بن على الملقب بابن الحنفية، قد ضللت فى ذلك زماناً، فمنّ الله علىّ بالصادق جعفر ابن محمد عليهما السلام و أنقذنى به من النار و هدانى إلى سواء الصراط... و تبت إلى الله تعالى ذكره على يديه و قلت قصيدتى التى أولها: و لَمَّا رأيت الناس فى الدين قد غووا

و ها نحن نذكر بعض الكلمات، التى أشارت إلى مذهبه:

١. قال المرزبانى: كان السيد بلا شكّ كيسانياً يذهب إلى أنّ محمد بن الحنفية هو القائم المهدي و أنّه مقيم فى جبال رضوى، و شعره فى ذلك يدل على أنّه

ص: ٤٥٧

كما ذكرنا كيسانياً فمن قوله: يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى

غير أنه رحمه الله رجع عن ذلك و ذهب إلى إمامه الصادق عليه السلام و قال: تجعفرت باسم الله و الله أكبر

و من زعم أنّ السيد أقام على الكيسانية فهو بذلك كاذب عليه و طاعن فيه، و من أوضح ما دل على بطلان ذلك، دعاء الصادق عليه السلام و ثناؤه عليه. (١)

٢. و قال المعتر في طبقات الشعراء: حدّثني محمد بن عبد الله، قال: قال السدري راويه السيد: كان السيد أول زمانه كيسانياً يقول برجعه محمد الحنفيّه، و أنشدني في ذلك: حتى متى؟ و إلى متى؟ و متى المدى يا ابن الوصي و أنت حتى ترزق

ص: ٤٥٨

١-٢). أخبار شعراء الشيعة: ١٦٥.

و القصيده مشهوره، و حدثني محمد بن عبد الله، قال: قال السدري: ما زال السيد يقول بذلك حتى لقي الصادق عليه السلام بمكة أيام الحج فناظره و ألزمه الحجّه، فرجع عن ذلك، فذلك قوله في تركه تلك المقاله و رجوعه عما كان عليه و يذكر الصادق: تجعفرت باسم الله و الله أكبر

٣. و قال الصدوق: فلم يزل السيد ضالاً في أمر الغيبه يعتقدها في محمد بن الحنفية، حتى لقي الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام و رأى منه علامات الإمامه و شاهد منه دلالات الوصيه، فسأله عن الغيبه، فذكر له أنّها حقّ، و لكنّها تقع بالثاني عشر من الأئمه عليهم السلام، و أخبره بموت محمد بن الحنفية و أنّ أباه محمد بن علي ابن الحسين بن علي عليه السلام شاهد دفنه، فرجع السيد عن مقالته، و استغفر من اعتقاده و رجع إلى الحقّ عند اتضاحه له و دان بالإمامه. (١)

٤. و قال المفيد: و كان من الكيسانيه أبو هاشم إسماعيل بن محمد الحميري الشاعر رحمه الله، و له في مذهبهم أشعار كثيره، ثم رجع عن القول بالكيسانيه و تبرأ منه و دان بالحقّ، لأنّ أبا عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام دعاه إلى إمامته، و أبان له عن فرض طاعته، فاستجاب له فقال بنظام الإمامه و فارق ما كان عليه. (٢)

ص: ٤٥٩

١-٢. كمال الدين: ٢٠. [١]

٢-٣. الفصول المختاره: ٩٣. [٢]

٥. وقال الأيربلى: السيد الحميرى رحمه الله كان كيسانياً يقول برجعه أبى القاسم محمد بن الحنفية فلما عزفه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الحق و القول بمذهب الإماميه الاثنى عشرية ترك ما كان عليه و رجع إلى الحق و قال به:

و ينبئك عن مذهب الحق الصحيح قوله: على آل الرسول و أقربيه

رسول الله يوم غدیر خمّ

ص: ٤٤٠

و خامسهم محمد ارتضاه

ص: ٤٦١

أثار نبأ وفاه السيد ضجه كبيره فى المجتمع الكوفى، فقد توفى السيد عام ١٧٣هـ، وقيل ١٧٨هـ (١).

روى المرزبانى باسناده عن ابن أبى حودان، قال: حضرت السيد ببغداد عند موته، فقال لىلام له: إذا متُّ فأت مجمع البصريين و أعلمهم بموتى و ما أظنه يجىء منهم إلا رجل أو رجلان، ثم اذهب إلى مجمع الكوفيين فأعلمهم بموتى أنشدهم: يا أهل كوفان
إنى وامق لكم

إلى أن قال: و كفنونى بياضاً لا يخالطه

ص: ٤٤٢

عسى الإله ينجيني برحمته و مدحى الغرر الزاكين من سقر

فأنهم ليسارعون إليّ و يكبرون، فلما مات فعل الغلام ذلك، فما أتى من البصريين إلا ثلاثة معهم ثلاثة أكفان و عطر، و أتى من الكوفيين خلق عظيم و معهم سبعون كفنًا و وجه الرشيد بأخيه على و بأكفان و طيب، فردت أكفان العامه عليهم و كفن في أكفان الرشيد، و صلّى عليه على بن المهدي و كبر خمسا، و وقف على قبره إلى أن سطح و مضى كل ذلك بأمر الرشيد. (١)

و نقل أبو الفرج الاصبهاني، عن بشير بن عمار، قال: حضرت وفاه السيد في الرميّله ببغداد، فوجه رسولا - إلى صفّ الجزارين الكوفيين يُعلمهم بحاله و وفاته، فغلط الرسول فذهب إلى صفّ السموسين فشتموه و لعنوه، فعلم أنه قد غلط، فعاد إلى الكوفيين يُعلمهم بحاله و وفاته، فوفاه سبعون كفنًا، قال: و حضرناه جميعاً، و أنه ليتحسّر تحسراً شديداً و إن وجهه لأسود كالقار و ما يتكلم، إلى أن أفاق إفاقه، و فتح عينيه، فنظر إلى ناحيه القبلة، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أ تفعل هذا بوليّك! قالها ثلاث مرات، مره بعد أُخرى.

قال: فتجلّى و الله في جبهته عرق بياض، فما زال يتسع و يلبس وجهه حتى صار كلّه كالبدن، و توفي فأخذناه في جهازه و دفناه في الجنيهه ببغداد، و ذلك في خلافة الرشيد.

نعم ثمه (٢) أو هام حيكث حول وفاه السيد نشير إلى بعضها:

ص: ٤٤٣

١-١. أخبار شعراء الشيعة: ١٧٠.

٢-٢. الأغاني: ٢٧٨/٧. [١]

قال أبو الفرج الاصبهاني: كنت عند جعفر بن محمد، فأتاه نعي السيد، فدعا له و ترخّم عليه، فقال رجل: يا ابن رسول الله، تدعو له و هو يشرب الخمر و يؤمن بالرجعه، فقال: حدثني أبي عن جدّي، أنّ محبّي آل محمّد لا يموتون إلّا تائبين و قد تاب، و رفع مُصلّي كانت تحته، فأخرج كتاباً من السيد يعرّفه فيه أنّه قد تاب و يسأله الدعاء له. (١)

أقول: إنّ ما ذكره صاحب الأغاني لا يوافق التاريخ القطعي، فإنّ الإمام توفى عام ١١٤٨هـ، و توفى السيد عام ١١٧٣هـ و على قول ١١٧٨هـ، فكيف يصحّ ما ذكره!؟

و يقرب من ذلك ما ذكره الكشي بسنده عن محمد بن النعمان، قال: دخلت على السيد بن محمد، و هو لما به قد اسود وجهه و ازرق عيانه و عطش كبده و سلب الكلام، و هو يومئذ يقول بمحمد بن الحنفية، و هو من حشمة، و كان ممّن يشرب المسكر فجئت، و كان قد قدم أبو عبد الله عليه السلام الكوفة، لأنّه كان انصرف من عند أبي جعفر المنصور، فدخلت على أبي عبد الله، فقلت: جعلت فداك أنّي فارقت السيد بن محمد الحميري، و هو لما به قد اسودّ وجهه و ازرق عيانه و عطش كبده و سلب الكلام فإنّه كان يشرب المسكر.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: اسرجوا حماري، فاسرج له فركب و مضى، و مضيت معه، حتى دخلنا على السيد و أنّ جماعه محدقون به، فجلس أبو عبد الله عليه السلام عند رأسه، و قال: يا سيد، ففتح عينه ينظر إلى أبي عبد الله عليه السلام و لا يمكنه الكلام و قد اسودّ وجهه، فجعل يبكي و عينه إلى أبي عبد الله، و لا يمكنه الكلام، و انا لنتبين فيه أنّه يريد الكلام و لا يمكنه، فرأينا أبا عبد الله عليه السلام حرك شفّته فنطق السيد،

ص: ٤٦٤

فقال: جعلنى الله فداك، أ بأوليائك يفعل هذا؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا سيد قل بالحق يكشف الله ما بك و يرحمك و يدخلك جنته التى وعد أولياءه، فقال فى ذلك: تجعفرت باسم الله و الله أكبر و أيقنت أنّ الله يعفو و يغفر

فلم يبرح أبو عبد الله عليه السلام حتى قعد السيد على استه. (١)

إنّ المتبادر من الخبر أنّ السيد كان فى حالة الاحتضار، و أنّه اعتنق المذهب الإمامى فى ذلك الوقت، مع أنّك عرفت أنّ السيد قد توفّى بعد وفاه الإمام الصادق بسنوات طويلة.

و ليس من البعيد أن يتّهم السيد بشرب النبيذ للحظ من مكانته، و من كان محتباً للوصى عليه السلام و متفانياً فى حبه، كيف يخالفه، و أنّه ليعلم أنّ شرب النبيذ أبشع منكر عنده.

و يظهر من الحجاج الذى دار بينه و بين شاعر أهل البيت الكميت الأسدى، أنّ السيد كان عارفاً بالكتاب و السنّه و إقامة الحجج الدامغه و إفحام الخصم، فمن تنوّر قلبه بالكتاب و السنّه، كيف يشرب النبيذ أواخر عمره، و نكتفى هنا بسرد هذه الواقعة التاريخيه التى تكشف بوضوح عن تضلّعه فى العلم و الفقه و التاريخ.

قال المرزبانى: قيل إنّ السيد حجّ فى أيام هشام، فلقى الكميت فسلم عليه، و قال: أنت القائل:

ص: ٤٦٥

١- ١). رجال الكشى: ٢٤٤- ٢٤٥، ط النجف [١]الأشرف.

و لا أقول إذا لم يعطيا فدكا بنت الرسول و لا ميراثه كفرا

اللّه يعلم ما ذا تأتيان به يوم القيامة من عذر إذا حضرا

قال: نعم، قلته تقيه من بنى أميته، و فى مضمون قولى شهاده عليهما إنهما أخذما ما كان فى يدها.

فقال السيد: لو لا إقامة الحجّه لوسعنى السكوت لقد ضعفت يا هذا عن الحق، يقول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: فاطمه بضعه منى يرينى ما رابها، و أنّ الله يغضب لغضبها و يرضى لرضاها، فخالفت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هب لها فدكاً بأمر الله له، و شهد لها أمير المؤمنين و الحسن و الحسين و أمّ أيمن بأنّ رسول الله أقطع فاطمه فدكاً فلم يحكما لها بذلك، و الله تعالى يقول: «يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» ١ و يقول: «وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ» ٢. و هم يجعلون سبب مصير الخلافه إليهم، الصلاه و شهاده المرأه لأبيها أنّه صلى الله عليه و آله و سلم قال: مروا فلاناً بالصلاه بالناس، فصدمت المرأه لأبيها، و لم تصدق فاطمه و الحسن و الحسين و أمّ أيمن فى مثل فدك، و تطالب مثل فاطمه بالبينه على ما ادّعت لأبيها.

و تقول أنت مثل هذا القول و بعد فما تقول فى رجل حلف بالطلاق أنّ الذى طلبت فاطمه عليها السلام هو حق و إنّ علياً و الحسن و الحسين و أمّ أيمن ما شهدوا إلاّ بحق ما تقول فى طلاقه؟ قال: ما عليه طلاق.

قال: فإن حلف بالطلاق إنهم قالوا غير الحقّ؟

قال: يقع الطلاق، لأنهم لا يقولون إلاّ الحقّ، قال: فانظر فى أمرك، فقال

الكميت: أنا تائب إلى الله مما قلت، و أنت أبا هاشم أعلم و أفقه منّا. (١)

و من تتبع شعره الطافح بالكتاب و السنّه، و ثباته على المبدأ و تحمل المصائب و المشاق في سبيل عقيدته، لوقف على سخافه ما اتّهم به من شرب الخمر و النييد.

و أين الصامد في سبيل الحق من المخمور الذي لا يبالي بما يدور حوله؟!؟

هذه نبذه مختصره من سيره السيد الحميرى و أخباره و شعره، و من أراد التفصيل فليرجع إلى المصادر التي تعرضت لبيان اخبار السيد و أخص بالذكر منها:

أ: الأغاني (٢) لأبى الفرج الاصبهاني المتوفى عام ٣٥٦هـ.

ب: أخبار السيد الحميرى، تأليف أبى عبد الله محمد بن عمران المرزبانى الخراسانى المتوفى عام ٣٨٤هـ، تحقيق الدكتور الشيخ محمد هادى الأمينى.

مضافاً إلى ما فى المعاجم و التراجم حول السيد، كأعيان الشيعة للسيد الأمين، و الغدير للشيخ الأمينى، و قد بلغوا الغايه، شكر الله مساعيتهم.

ثم إنّ هناك من جمع أخبار السيد فى كتب خاصه من أصحابنا و غيرهم.

فقد ذكر النجاشى من جمع أخبار السيد، و قال:

أحمد بن عبد الواحد بن أحمد البزاز أبو عبد الله شيخنا المعروف بابن عبدون، له كتب منها اخبار السيد بن محمد. (٣)

و قال: إسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان له كتاب أخبار السيد، و كتاب

ص: ٤٦٧

١-١. الأغاني: ٢٢٩/٧-٢٧٨ و ٢/٤ و ٢٠٦/٦ و ٢٧٦/٨ و ٢٥٤/١٨.

٢-٢. أخبار شعراء الشيعة: ١٧٨-١٧٩.

٣-٣. رجال النجاشى برقم ٢٠٩.

و قال: (١) عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودى، شيخ البصره و اخباريها، ثم ذكر تأليفه الكثيره، منها: اخبار السيد بن محمد. (٢)

و قد عقد الدكتور الشيخ هادى الأمينى محقق كتاب اخبار السيد للمرزبانى عنواناً لمن ألف فى أخباره و ذكر منهم:

١. أحمد بن محمد بن عبيد الله بن الحسن بن عباس بن إبراهيم بن أيوب الجوهري (المتوفى عام ٤٠١هـ).

٢. أحمد بن إبراهيم بن المعلّى بن العمى ينسب إلى العم، و هو مره بن مالك ابن حنظله بن زيد مناه بنى تميم. (٣)

٣. صالح بن محمد الصرابى شيخ أبى الحسن الجندى. (٤)

٤. كاظم بن الشيخ باقر بن حسين مظفر له أخبار و شعر السيد. (٥)

قصيدته العينيه

لقد نالت قصيدتان من قصائد السيد إقبالاً واسعاً من قبل الأدباء و الشعراء، و أكبّ غير واحد من المحققين على شرحهما و هما:

١. القصيده المذهبه التى مستهلها:

ص: ٤٦٨

١-١. رجال النجاشى برقم ١٧٥.

٢-٢. رجال النجاشى برقم ٦٣٨.

٣-٣. رجال الطوسى برقم ٣٠؛ رجال النجاشى برقم ٧٠.

٤-٤. رجال النجاشى برقم ١٤١.

٥-٥. معجم رجال الفكر و الأدب: ٤١٩.

هلا وقعت على المكان المُعشَب بين الطويلع فاللوى من كَبْكَب

و تناهز القصيده ١١٢ بيتاً، شرحها السيد الشريف المرتضى (المتوفى عام ٤٣٦) و طبع في مصر عام ١٣١٣هـ، كما شرحها الحافظ النسابة المعروف بتاج العلى الحسينى (المتوفى عام ١٠٦١هـ).

٢. القصيده العينيه التى مستهلها: لأُم عمر باللوى مربع طامسه أعلامه بلقع

التى تناهز ٥٤ بيتاً شرحها غير واحد من المحققين و الأدباء، كما اعتنى بها أئمه أهل البيت عليهم السلام بالسماع، و دعوه الآخرين الى سماعها و حفظها كما سيوافيك، و قد شرحها أعلام الطائفه، و قد ناهزت شروح القصيده ١٥ شرحاً. و قد وقفنا على بعضها و ذكر قسماً منها شيخنا المجيز الطهرانى، و بعضاً منها شيخنا المحقق الأمينى و إليك أسماؤهم:

١. الشيخ حسين بن جمال الدين الخوانسارى (المتوفى عام ١٠٩٩هـ).

٢. ميرزا على خان الكلبيكانى تلميذ العلامة المجلسى.

٣. المولى محمد قاسم الهزار جريبى (المتوفى عام ١١١٢هـ) و قد صنف فيها التحفه الأحمديه.

٤. بهاء الدين محمد بن تاج الدين الحسن الاصبهانى الشهير بالفاضل الهندى (١٠٦٢-١١٣٥هـ) و هذا هو الذى يزفه الطبع إلى القراء الكرام، و سنقوم بترجمه الشارح عن قريب.

٥. الحاج المولى محمّد حسين القزوينى المتوفى فى القرن الثانى عشر.

٦. الحاج المولى صالح بن محمّد البرغانى.

٧.الحاج ميرزا محمد رضا القراجهداغى التبريزى،فرغ منه سنه ١٢٨٩هـ و طبع فى تبريز سنه ١٣٠١هـ.

٨.السيد محمد عباس بن السيد على أكبر الموسوى (المتوفى ١٣٠٦هـ)،أحد شعراء الغدير فى القرن الرابع عشر.

٩.الحاج المولى حسن بن الحاج محمد إبراهيم بن الحاج محتشم الأردكانى (المتوفى عام ١٣١٥هـ).

١٠.الشيخ بخشعللى اليزدى الحائرى (المتوفى ١٣٢٠هـ).

١١.ميرزا فضل على بن المولى عبد الكريم الاروانى التبريزى (المتوفى سنه ١٣٣٧هـ) مؤلف «حدائق العارفين».

١٢.الشيخ على بن على رضا الخوئى (المتوفى ١٣٥٠هـ).

١٣.السيد أنور حسين الهندى (المتوفى ١٣٥٠هـ).

١٤.السيد على أكبر بن السيد رضى الرضوى القمى.

١٥.الحاج المولى على التبريزى مؤلف (وقائع الأيام) المطبوع. (١)

قد كان لقصيدته العينيه التى نحن بصدد التقديم لها دوى واسع فى المجتمع الإسلامى،و هذا هو الإمام الصادق عليه السلام يُشيد بهذه القصيده و يضرب سترًا لتسمعها النساء.

روى فى الأغانى عن فضيل الرسان،قال:دخلت على جعفر بن محمد أعزیه عن عمّه زيد،ثم قلت له:أ لا أنشدك شعر السيد؟ فقال:

أنشد،فأنشده قصيده يقول فيها:

ص: ٤٧٠

فالناس يوم البعث رايتهم

فسمعت مجيباً من وراء الستور، فقال: من قائل هذا الشعر؟ فقلت: السيد! فقال: رحمه الله. (١)

روى المرزبانى، قال: حدثنى فضيل بن عمر الحبال، قال: دخلت على أبى عبد الله عليه السلام بعد قتل زيد عليه السلام فجعل يبكى، ويقول: رحم الله زيدا أنه العالم الصدوق، ولو ملك أمراً لعرف أين يضعه.

فقلت: أنشدك شعر السيد؟ فقال: امهل قليلاً، وأمر بستور، فسدت، وفتحت أبواب غير الأولى، ثم قال: هات ما عندك فأنشدته: لأُمِّ عمرو باللوى مربع دارسه أعلامه بلقع (٢)

ص: ٤٧١

١ - ١). الأغانى: ٢٥٢/٧، و [١] ما فى ذيله من العبارة المشعره بوفاه السيد حين إنشاء الشعر فموضوعه، لأنَّ السيد توفى بعد وفاه الإمام الصادق عليه السلام.

٢ - ٢). أخبار شعراء الشيعة: ١٥٩

و ظاهر هذين النصين أنّ المجلس انعقد بعد وفاه زيد الشهيد بقليل. لأنّ فضيل الرسان دخل على جعفر بن محمد الصادق ليعزيه عن عمه، وقد استشهد زيد في صفر عام ١٢٢هـ أو ١٢٣هـ و على ذلك، فقد انشأ السيد القصيده في هذه السنه أو قريبه منها و بما أنّه ولد عام ١٠٥هـ فقد كان في ريعان شبابه حين قتل زيد و انشأ القصيده في تلك الأيام.

و لا- غرو في ذلك، و قد نقل المرزبانى عن العباسه بنت السيد، أنّها قالت: قال لى أبى: كنت و أنا صبى أسمع أبوى يثلبان أمير المؤمنين عليه السلام فأخرج عنهما و أبقى جائعاً، و اوتر ذلك على الرجوع إليهما، فأبيت فى المساجد جائعاً لِحَبِي فراقهما و بغضى إياهما حتى إذا أجهدنى الجوع رجعت فأكلت ثم خرجت، فلما كبرت قليلاً و عقلت و بدأت أقول الشعر.... (١)

و نقل المرزبانى عن أبى إسماعيل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن طباطبا، قال: سمعت زيد بن موسى بن جعفر، يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى النوم و قدّامه رجل جالس عليه ثياب بيض، فنظرت إليه فلم أعرفه، إذ التفت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقال له: يا سيد، أنشدنى قولك: «لأُمِّ عمرو فى اللوى مَرَبِعٌ». فأنشده إياها كلّها ما غادر منها بيتاً واحداً، فحفظتها عنه كلّها فى النوم. قال أبو إسماعيل: و كان زيد بن موسى لِحَاناً ردّى الانشاد، فكان إذا أنشد هذه القصيده لم يتتبع فيها و لم يلحن. (٢)

و قد نقل العلامة المجلسى مناماً عن على بن موسى الرضا، نقله عنه سهل

ص: ٤٧٢

(١-١). أخبار شعراء الشيعة: ١٥٤.

(٢-٢). المصدر نفسه: ١٦١-١٦٢، و قريب منه ما نقله الشريف الرضى فى حقائق الأئمة.

ابن ظبيان يتعلق بهذه القصيده و قائلها. (١)

إلى هنا تم ما كنا نرمى إليه من ترجمه سيد الشعراء السيد إسماعيل الحميرى، و ما يرجع إلى قصيدته العيية.

و لا يفوتنا أن نعرج على سيره شارح هذه القصيده، أعنى: الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسن الاصفهاني المعروف ب«الفاضل الهندي» (١٠٦٢-١١٣٧هـ).

بما أنه طال بنا الكلام فى المقام نذكر شيئاً مختصراً عن حياته و نحيل التفصيل إلى كتب السير و المعاجم لا سيما الترجمة الوافيه التى قدمت له فى مستهل كتابه «كشف اللثام عن قواعد الأحكام».

ترجمه الشارح

قد قام بشرح القصيده العينيه نابغه عصره و فريد دهره أبو الفضل بهاء الدين محمد بن الحسن الاصفهاني المشهور بالفاضل الهندي (١٠٦٢-١١٣٧هـ) مؤلف الموسوعه الفقيهيه الضخمه المسماه ب«كشف اللثام عن قواعد الأحكام» إلى غير ذلك من الآثار العلميه.

يحدثنا التاريخ انّ لفيفاً من نوابغ المجتهدين، قد نالوا درجه الاجتهاد و هم بعدُ فى سن مبكر لم يبلغوا الحلم.

منهم على سبيل المثال: العلامة الحلّى.

قال سيدنا الأمين فى أعيان الشيعة: برع فى المعقول و المنقول و تقدم و هو فى عصر الصبا على العلماء الفحول. (٢)

ص: ٤٧٣

١- (١). بحار الأنوار: ٣٢٨/٤٧-٣٣٢. [١]

٢- (٢). أعيان الشيعة: ٢٧٩/٢٤. [٢]

و منهم نجله محمد بن الحسن المعروف بفخر المحققين (٦٨٣-٧٧٢) و ذلك لأن والده ألف كتاب القواعد باستدعاء ولده فخر المحققين.

و قال العلامة في خطبه القواعد: فهذا كتاب «قواعد الأحكام في معرفه الحلال و الحرام» لخصت فيه لبّ الفتاوى خاصه، و بينت فيه قواعد أحكام الخاصه، إجابته لالتماس أحب الناس إليّ و أعزهم عليّ، و هو الولد العزيز محمد الذي أرجو من الله طول عمره بعدى. (١)

و ذكر ذلك أيضاً نفس فخر المحققين في شرحه لهذا الكتاب، قال في شرح خطبه القواعد:

إنّي لما اشتغلت على والدي قدس الله سرّه في المعقول و المنقول و قرأت عليه كثيراً من كتب أصحابنا، فالتمست منه أن يعمل لي كتاباً في الفقه جامعاً لقواعده حاوياً لفرائده، مشتتلاً على غوامضه و دقائقه، جامعاً لأسراره و حقائقه، يبيّن مسائله على علم الأصولين و على علم البرهان. (٢)

هذا من جانب، و من جانب آخر فإنّ العلامة يصرّح في خاتمه كتاب القواعد أنّه فرغ منه بعد ان بلغ من العمر الخمسين و دخل في عشره الستين.

و بما أنّ العلامة من مواليد عام ٦٤٨ هـ فقد فرغ عنه عام ٦٩٨ هـ فيكون عمر ولده فخر المحققين عند إتمام الكتاب ١٥ سنة أو ١٦ سنة، فلو استغرق تأليف هذا الكتاب سنتين فقد ألفه لولده و هو ابن ١٤ سنة.

و يؤيد ذلك أنّ العلامة فهرس أسماء كتبه في «خلاصه الأقوال في معرفه

ص: ٤٧٤

١- ١. قواعد الأحكام: ٢، الطبعة الحجريه.

٢- ٢. إيضاح الفوائد: ٩/١.

الرجال»، و ذكر منها «قواعد الاحكام فى معرفه الحلال و الحرام»، و قد أَلّف الخلاصه عام ٦٩٣هـ، فولده (١) فخر المحققين من العمر يومذاك ١١ سنه.

و منهم شيخنا المترجم شارح القصيده فأَنه بعد ما ذكر قصه تأليف العلامه كتابه القواعد لولده، قال: و قد يستبعد ذلك، ثم شرع فى رفع الاستبعاد، و قال: و قد فرغت من تحصيل العلوم معقولها و منقولها و لم أكمل ثلاث عشره سنه، و شرعت فى التصنيف و لم أكمل احدى عشره، و صنفت «منيه الحريص على فهم شرح التلخيص» و لم أكمل تسع عشره سنه. و قد كنت عملت قبله من كتبى ما ينيف على عشره من متون و شروح و حواشى، ك«التلخيص فى البلاغه» و «توابعها»، و «الزبد فى أصول الدين»، و «الخد البريعه فى أصول الشريعه» و «شروحها» و «الكاشف»، و حواشى شرح عقائد النسفيه، و كنت ألقى من الدروس و أنا ابن عشر سنين شرحى التلخيص للتفتازانى مختصره و مطوله. (٢)

هذا و لكن الذى يدل على نبوغ مؤلفنا الشارح هى الآثار العلميه التى تركها للأجيال الآتية، فإن كتابه «كشف اللثام» آيه نبوغه فى الفقه و براعته فى الاستنباط.

و يكفى فى قيمه هذا الكتاب ما نقله المحدّث القمى، عن أستاذه المحدّث النورى، عن شيخه الشيخ عبد الحسين أنّ صاحب الجواهر كان يعتمد على كتاب «كشف اللثام» على نحو لا يكتب شيئاً من موسوعته إلاّ بعد الرجوع إلى ذلك الكتاب.

و من لاحظ كتاب الجواهر أيقن أنّه اعتمد على كشف اللثام فى موارد

ص: ٤٧٥

١-١. خلاصه الأقوال: برقم ٢٧٤. [١]

٢-٢. كشف اللثام: المقدمه: ١/١١٢.

كثيره، كما اعتمد هو على موسوعات أخرى أبرزها كتاب «الرياض» للسيد على الطباطبائي، و«مجمع الفائدة» للأردبيلي و«المسالك» للشهيد الثاني، وفي الحقيقة كتاب الجواهر يشكل عصاره هذه الموسوعات مضافاً إلى تحقيقاته الرشيقه.

وقد برز نبوغ الفاضل الهندي وراح يشق طريقه وسط أجواء سادتها الحركة الاخباريه و هيمنت على معظم الأفكار، و كان هو أحد القلائل الذين ظلوا أوفياء للحركة الفقهيه الموروثة من المحققين الكبار نظير: المحقق الكركي (المتوفى عام ٥٩٤٠هـ)، و زين الدين الشهيد الثاني (المتوفى عام ٩٦٥هـ)، و المحقق الأردبيلي (المتوفى عام ٩٩٣هـ)، و صاحب المدارك السيد محمد بن على الموسوى (المتوفى عام ١٠٠٩هـ)، و نجل الشهيد الثاني الشيخ حسن بن زين الدين (المتوفى عام ١١١١هـ)، و المحقق السبزواري صاحب كفايه الأحكام (المتوفى عام ١٠٩٠هـ)، والآقا حسين الخوانساري (المتوفى عام ١٠٩٨هـ)، و المحقق الشيرواني (المتوفى عام ١٠٩٩هـ) إلى أن وصلت النوبه إلى الشارح تاج المحققين و الفقهاء فخر المدققين و العلماء الفاضل الهندي، و بكتابه هذا حفظ التراث الفقهى الاجتهادى.

المراء بأفكاره و آرائه

إنّ الآثار الجلائل التى تركها شيخنا المؤلف تعرب عن تضلعه فى أكثر العلوم الإسلاميه، لا سيما فى الفقه و الأصول و الأدب العربى، و قد امتاز بالتنوع فى الموضوع، و قد برز من قلمه ما يناهز ٨٠ كتاباً. (١)

و لو أضيف إليه ما ألفه من رسائل و كتيبات ربما ناهز المائة و الخمسين بين

ص: ٤٧٦

كتاب و رساله، و قد استقصى صديقنا الجليل الشيخ عبد الرسول جعفریان أسماء تأليفه في تقديمه لكتاب كشف اللثام فوقف منها على ٤٢ كتاباً. (١)

و قد لعب الزمان بآثاره كما لعب بآثار الآخرين. فاللازم تركيز البحث على كتابه الذي نحن بصدد التقديم له و هو: «اللائي العبقريه في شرح العينيه الحميريه» و قبل أن ننوه بهذا الشرح و مميزاته أود أن أشير إلى بعض الكلمات التي قيلت في حقّه من قبل العلماء:

١. يقول المحقق الشيخ أسد الله التستري (المتوفى عام ١٢٣٧هـ):

و منهم الاصفهاني المحقق المدقق، النحرير الفقيه، الحكيم المتكلم، المولى بهاء الدين محمد بن الحسن الاصفهاني الشهير بالفاضل الهندي... و كان مولده سنه ٦٢ بعد الألف و نشؤه في بدو حاله و صغره في بلاد الهند و لذا نسب إليها و جرت له فيها مع المخالفين مناظره في الإمامه معروفه على الألسنه.

و صنف من أوائل دخوله في العشر الثاني كتباً و رسائل و تعليقات في العلوم الأدبيه و الأصول الدينيه و الفقهيه أيضاً.

منها ملخص التلخيص و شرحه، كلاهما في مجلد صغير جداً، و هو موجود عندي، و لعله أول مصنّفاته، و فرغ من المعقول و المنقول و لم يكمل ثلاث عشره سنه كما صرح نفسه به، و هو صاحب المناهج السويه في شرح الروضه البهيّه، رأيت جمله من مجلداتها في العبادات و هي مبسوطه و مشحونه بالفوائد و التحقيقات و تاريخ ختام كتاب الصلاه منها سنه الثمانى و ثمانين بعد الألف، فيكون عمره خمساً و عشرين سنه.

ص: ٤٧٧

١- ١). كشف اللثام، قسم التقديم: ٤٦- ٦٥.

و له أيضاً كشف اللثام عن قواعد الأحكام شرع فيه أولاً من النكاح و أنهاء إلى الختام و سلك فيه النمط الأوسط الذي هو أقرب إلى الاختصار، ثم بدأ من الأول مع استيفاء للمهم من الأدلة و الأقوال و لا سيما أقوال القدماء الأبرار، و لم يبرز منه قيماً وجدنا و نقل إلا الطهاره و الحج و كذا الصلاه إلا أنّها ناقصه.

و له ملخص الشفاء لابن سينا. (١)

٢. يقول الخوانساري: إنّ المستفاد من بعض خطوطه التي ألقيناها بالعيان كونه في سنه سبع و سبعين بعد الألف في عداد فضلائنا الأعيان، و المشار إليهم بين الطائفة و غيرها بالبنان. (٢)

٣. يقول السيد جلال الدين الآشتياني: إنّني عثرت على عبارته في الماضي منقوله عن شخص كان يعيش في أواخر الدوله الصفويه كتب:

فيها: إنّني رأيت في المدرسه صبياً مراهقاً، ماهراً في الأبحاث العلميه، و حائزاً لمرتبه عاليه في العلوم العصريه، و آثار النبوغ تلوح من ناصيته بوضوح، فسألت عن نسبه، فقالوا: هو ابن الملا تاج الدين، اسمه محمد بهاء الدين. (٣)

و قبل أن أذكر انطباعي عن هذا الكتاب، أود أن أشير إلى ما كتبه صاحب الروضات تعليقاً على ذلك الكتاب، قال: إنّ هذا الكتاب أقوى دليل على كون الرجل قد وجد من كل فنّ من فنون العربيه كنزه. (٤)

فرغ منها سنه ١٠٨٩هـ.

ص: ٤٧٨

١-١. مقابس الأنوار: ١٨، الطبعة الحجرية. [١]

٢-٢. روضات الجنات: ١١٦/٧. [٢]

٣-٣. منتخبات آثار الحكماء: ٣/٥٤٤ في الهامش.

٤-٤. روضات الجنات: ١١٢/٧، برقم ٦٠٨. [٣]

اشاره

من ألقى نظره على ذلك الكتاب، و لو نظره عابره يذعن بأنّ الشارح كاتب قدير له إحاطه تامه بمفردات اللغه العربيه، و قواعدها، و معانيها، و يكفيك فى ذلك قراءه خطبه الكتاب، فإنّ النص الموجود فيه و إن كان على نظام السجع الرائج فى القرن الثانى عشر، لكنّه يستخدم غريب الألفاظ بشكل يعرب عن إمامه باللغه العربيه بشكل واسع.

هذا هو أول ما يظهر للإنسان من قراءه صفحات من الكتاب، و أمّا إذا قرأه بدقه و إمعان حينها تنكشف له مميزات الكتاب و ملاححه التى تتلخص فى النقاط التاليه:

1. بيان معانى المفردات

لما كانت القصيده الحميريه لشاعر عربى صميم و قد أخذ بناصيه اللغه العربيه، فأودع فيها الاصطلاحات الرائجه فى الباديه، راح الشارح إلى بيان مفردات البيت و معانيها اللغويه، و ما يشتق منها من الأسماء و الأفعال و فى كلّ ذلك يشبع الموضوع على وجه لا يترك شارده و لا وارده إلاّ و يخوض فيها.

ثمّ يشرع ببيان إعراب الكلمات الوارده فى البيت، فيذكر جميع الوجوه المحتمله مشيراً إلى آراء أكابر العلماء، ثمّ يذكر رأيه بعد ذلك مع ذكر الدليل الذى دعاه إلى تبنيّ هذا الرأى أو ذاك.

و النكته الجديره بالذكر أنّه ربما يوافق رأى القائل الذى لا يتفق معه فى العقيدته، و يرفض قول الآخر و إن كانت ينسجم معه فى المبدأ.

ثم بعد أن ينهى اعراب البيت يأخذ ببيان النكات الأدبيه و البلاغيه فى القصيده تحت عنوان (مسائل) أو البيان و يتمتع كل ذلك بدقه الملاحظه و جوده التفكير.

٢. استعراض التفاسير المطروحه و تقييمها

و من المميزات البارزه أيضاً فى هذا الشرح أنّ القارئ يلتقى فيه مع ذهن وقاد و عقليه كبيره،قادره على التحليق فى سماء المعانى و ذكر الفروض المحتمله التى يمكن أن تكون مراده للشاعر،مما يضيف على الشرح جماليه أكبر وقعه للقارئ،فعلى سبيل المثال:نرى أنّه يتطرق إلى سبب تسميه القصيده بالعينيه يذكر لها احتمالات سته،و يذكر لكل وجهه العلمى و الأدبى،و بالتالى يعلم أنّ المؤلف ليس ناقلاً للآراء و مدوّناً لها، بل نراه ناقلاً و محققاً للآراء المطروحه فلا يختار إلا عن حجه و لا يرفض إلا كذلك.

٣. الأمانه فى النقل

و من المميزات البارزه هى الأمانه فى النقل،و هذه ميزه شاخصه عند المؤلف حيث حاول الإشاره إلى جميع المصادر التى اعتمدها، و يستنبط منها خاصيه أخرى و هى رجوعه إلى مصادر كثيره و ما يرافقه من جهود كبيره و مضنيه.

٤. محاوله ربط القصيده بالواقع الموضوعى

و من ميزات هذا الشرح هو محاوله الشارح الربط بين القصيده و الواقع الموضوعى السياسى و الاجتماعى الذى عاشه أمير المؤمنين عليه السلام مما يُضيف على

القصيدہ صفہ کونہا وثیقہ تاریخیہ و اجتماعیہ تحکی عن تلك الفترہ التي عاشها الإمام علیہ السلام و عن طبیعہ المجتمع الذی کان یحیط بہ علیہ السلام.

۵. دعم موقفه بآيات الذكر الحكيم

و من المميزات الأخرى هي قدره المؤلف على دعم آرائه بآيات الذكر الحكيم، و هذا إن دلّ على شيء فأنما يدل على تبحر الشارح في فهم القرآن الكريم، و لذلك تراه في أكثر البحوث التي يوردها يستنجد بالقرآن الكريم لدعم حجته و تأييد رأيه. إلى غير ذلك من المميزات التي يقف عليها القارئ حين مطالعته.

نسخ الكتاب

توجد نسخ خطيه من هذا الكتاب في المكتبات:

۱. نسخه مكتبه الجامعه برقم ۱۸۷۰ (۱)، و كتب صاحب الروضات عليها تعليقه التي نقلناه من كتابه.
 ۲. نسخه مؤلفه من ۲۲۴ (۲) ورقه في مكتبه السيد المرعشي تحت رقم ۴۷۹، و على ظهر النسخه تملكات لأشخاص مختلفين سقط من آخرها سبع ورقات.
 ۳. نسخه في مكتبه السيد المرعشي تحت رقم ۱۸۱۴ في ۲۳۲ ورقه كتبها ابن علي محمد علي و فرغ من استنساخها عام ۱۲۳۳.
- و قد اتخذ محقق الكتاب هاتين النسختين الأخيرتين أصلاً، و راجع في

ص: ۴۸۱

(۱-۱). الذريعه: ۲۵۹/۱۸، رقم ۱۷. [۱]

(۲-۲). و قد كتب في فهرس النسخه أنها ذات ۲۱۱ ورقه و لكنّه خطأ و قد سقط من آخرها سبع ورقات.

استخراج ما نقل فيه إلى المصادر، و تحمل في ذلك جهداً كبيراً و ذلك لأنّ الشارح عكف على جمع النسخ من هنا و هناك، و بذلك صار ذا مكتبه عظيمه نوّه بها صاحب رياض العلماء في مواضع كثيره من كتابه.

نحمده سبحانه على إنجاز هذا المشروع و نشره في الأوساط الإسلاميه.

و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

جعفر السبحاني

قم- مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

شوال المكرم من شهور عام ١٤٢٠

ص: ٤٨٢

آية الله البروجردى

و الخطوط العريضة لتراثه الفكرى

(١)

أشعر أنّ للسيد الإمام البروجردى حقاً كبيراً علّياً يتجاوز حدود القاء محاضره قصيره فى هذا الحفل الكريم، و قد طويت من عمرى لديه سنين متماديه، فارتويت من علمه الغزير، و أدبه الجم، و أخلاقه العالیه.

و بما اتى لا أتمكن من أداء هذا الحقّ الكبير، فاكتنى بالميسور آخذاً بقول الإمام على عليه السلام: «الميسور لا يسقط بالمعسور».

تزامنت حياه الأُمّة الإسلاميه بعلماء و عباقره كانوا كالنجوم اللامعه فى سماء العلم و العمل، و قد استضاءت بهم الأُمّة الإسلاميه فى مسيرها التكاملى، فانتعشت بهم حياه العلم و الدين فصاروا بحق مصاديق للحديث المأثور عن سيّد الرسل صلى الله عليه و آله و سلم حيث قال:

«يحمل هذا الدين فى كلّ قرن، عدول ينفون عنه تأويل المبطلين، و تحريف الغالين، و انتحال الجاهلين، كما ينفى الكيّر خبث الحديد» (٢).

و مع الاعتراف بفضل الجميع إلا أنّ مواقفهم كانت مختلفه.

ص: ٤٨٣

١- ١). القيت هذه المحاضره فى الملتقى الدولى لتكريم الإمام البروجردى و الإمام محمود شلتوت عام ١٤٢١، شوال المكرّم فى قم المشرفه.

٢- ٢). رجال الكشى، باب فضل [١] الروايه و الحديث، ص ١٠.

فمنهم من سار على المنهج السائد في حياته في مجال العلم، فخدم الإسلام برأيه وفكره، وقلمه وبنانه.

و منهم من أحاط إحاطه تامه بالمنهج السائد و لم يكتف بذلك، بل طفق يبتكر أسساً تلبي حاجات العصر، و هم في كل عصر و مصر نزر قليل. و لو أردنا استعراض أسماء بعضهم نذكر على سبيل المثال: شيخنا المفيد في إبداعاته الكلاميه و مناظراته العلميه، و السيد المرتضى - مضافاً إلى أدبه الجم - في انتاجاته الأصوليه، و تلميذهما شيخ الطائفه الطوسى في الحديث و الفقه المقارن و التفسير، إلى غير هؤلاء من العباقرة الذين خاضوا عُباب بحار العلوم فأثاروا أمواجاً هائله، و حالوا دون خمول العلم و ركوده، فخرجوا بدرر و جواهر ثمينه اهدوها بكل تواضع إلى الأمه الإسلاميه.

و هكذا كانت سيره فقيدنا الراحل السيد البروجردى (١٢٩٢-١٣٨٠هـ ق) في حياته التي ناهزت قرابه تسعين عاماً، فلو غضضنا النظر عن مقتبل عمره و ايام دراسته على مشايخه و أساتذته حتى استقلاله بالتدريس، نرى أنّ حياته العلميه حفلت بابتكارات قيمه، سواء قبل تسنّمه المرجعيه و الزعامه الدينيه أم بعدها، و ها نحن نذكر الخطوط العريضه لتراثه الفكرى.

ابتكاراته و خدماته العلميه

اشاره

إنّه قدس سره تمتع بمواهب خارقه، فقد جمع بين الحفظ و الفهم، و التصرف في الأفكار و الآراء، و الأخيره منها عزيزه الوجود بين أوساط العلماء، فالسيد الراحل بفضل هذه الموهبه - أى موهبه التصرف في الأفكار و الآراء -، جاء بإبداعات تركت بصمات واضحه على العلوم الإسلاميه لا سيما في الرجال و الفقه و الحديث.

كان السيد البروجردى متضلّعاً فى رجال الفريقين يعرف أسماءهم و أسماء آبائهم و تلاميذهم و مشايخهم، و قد لمس النقائص الفنيه فى الجوامع الرجاليه للشيعه الإماميه مع ما لها من الأهميه البالغه، و إليك الإشاره إليها:

١. أنّ الخطه التى رسمها القدماء و تبعها المتأخرون فى التوثيق و الجرح لا- تخرج عن إطار التقليد لأئمه الرجال، و ليس طريقاً مباشراً للمستنبط بُغيه التعرف على أحوال الراوى بأن يلمس بفهمه و ذكائه و يقف عن كتب على كلّ ما يرجع إلى الراوى من حيث الطبقة و العصر أولاً، و مدى الضبط و الإتقان ثانياً، و كميه روايته كثره و قله ثالثاً، و مقدار فضله و علمه و كماله رابعاً، و هذا ممّا لا تفى به الكتب الرجاليه الدارجة.

٢. لا شكّ أنّ التحريف و التصحيف تطرق إلى قسم من اسناد الأحاديث المرويه فى الكتب الأربعة و غيرها، و ربما سقط الراوى من السند من دون أن يكون هناك دليل يدلّنا عليه، و ليست الكتب الرجاليه بصوره توقفنا على طبقات الرواه من حيث المشايخ و التلاميذ حتى يقف الباحث ببركه التعرف على الطبقات على نقصان السند و كماله، لأنّها كتبت وفق حروف المعجم مبتدأه بالألف و منتهيه بالياء، لا يُعرف أصل الراوى و طبقته فى الحديث و لا أساتذته و تلامذته.

٣. أنّ أسماء كثير من الرواه مشتركه بين عدّه أشخاص، بين ثقه يُركن إليه، و ضعيف ترد روايته، فعند ما يلاحظ المستنبط الأسماء المشتركه فى الاسناد لا يقدر على تعيين المراد.

و لأجل رفع هذه النقيصه التجأ العلماء إلى تأسيس فرع آخر لعلم الرجال باسم «تمييز المشتركات».

٤. أنّ هناك رواه جاءت أسماؤهم في اسناد الأحاديث و لا نرى أثراً لهم في الكتب الرجاليه، و صار هذا سبباً لوصف كثير من الروايات بالضعف للجهل بالراوى.

٥. أنّ التصحيف و التقلب طراً على الأسانيد عبر القرون، فكثيراً ما جاء محمد بن مسلم بصوره محمد بن سالم فأوجد غموضاً فى الحديث، كما قلب الحسين بن خالد عن يعقوب بن شعيب، إلى يعقوب بن شعيب عن الحسين بن خالد.

٦. توجد إضافات بين الأسماء ف«أبو على الأشعري» المعروف بابن إدريس، يروى عن على بن الحسن الكوفى، و لكن ورد فى بعض الأسانيد أبو على الأشعري، عن (محمد بن) الحسن بن على الكوفى، فما هو الميزان فى التعرّف على زياده (محمد بن)؟

٧. ربما نرى أنّ الراوى يروى عمّن لم يدركه، و لكن فى روايات أخرى نرى أنّه يروى عنه بواسطه شخص خاص.

كلّ هذه المشاكل كان يعانى منها السيد البروجردى، فعاد إلى معالجه هذه النقائص الفنيه فى كتب الرجال بتأليف يعبر عنه تاره بتجريد الأسانيد، و أخرى بترتيب الأسانيد، و ثالثه بتنقيح الأسانيد.

و يتلخّص عمله فى أنّه قام بتجريد أسانيد كلّ من الكتب الأربعة و سمّاها: تجريد أسانيد الكافى، و تجريد أسانيد الفقيه، و تجريد أسانيد التهذيب، و تجريد أسانيد الاستبصار، ثمّ انصرف إلى تجريد أسانيد الأمالى و الخصال و علل الشرائع للشيخ الصدوق، و تجريد أسانيد الفهرست للطوسى، و أسانيد رجال الكشى و النجاشى و غيرها من الكتب، مراعيّاً فيها ترتيب الحروف، فباستيفاء

الأسانيد وقياس بعضها مع بعض قام بحلّ كافة المشاكل التي كان يُعاني منها.

بالنظر إلى هذه الأسانيد المجرّده، يتسنى الحصول على الفوائد التالية:

١. يعلم مشايخ الراوى و تلاميذه، و من هو مشاركته فى نقل الحديث و كان فى طبقته.

٢. يعرف مشايخ كلّ من هؤلاء الرواه و طرقهم إلى الإمام.

٣. يعرف الفقيه وجود الوساطه الساقطه بين الراوى و المروى عنه.

٤. يعرف المصحّف عن الصحيح، و المقلوب عن غيره.

لا- أقول إنّ السيد هو الوحيد الذى اختط هذا السبيل؛ بل سبقه المحقّق الأردبيلى المعاصر للعلامة المجلسى مؤلّف «جامع الرواه»، فأنّه يلتقط فى ترجمه الرواه، جملة من الأسانيد عن الكتب الأربعة و غيرها و يجعلها دليلاً على التعرّف على شيوخ الراوى؛ كما تبعه السيد محمد شفيح فى كتابه: «طرائف المقال فى معرفه طبقات الرجال» فإنّهما بذلا جهدهما فى رفع النقائص الفنيه الطارئه على رجال الحديث، و لكن الذى قام به المحقّق البروجردى يعدّ من أبرز الأعمال و أعظمها فى هذا الحقل.

كما تبع السيد البروجردى فى هذا المشروع، الزعيم الدينى السيد الخوئى قدس سره، فقد رفع بعض النقائص فى كتابه الضخم «معجم رجال الحديث و تفسير طبقات الرواه» حيث إنّ من خصائص و مزايا هذا الكتاب أنّه ذكر فى ترجمه كلّ شخص أسماء من يروى عنه و من روى هو عنهم فى الكتب الأربعة، و قد يذكر ما فى غيرها، و لا سيّما رجال الكشى فقد ذكر أكثر ما فيه من الرواه و المروى عنهم، و بذلك خدم علم الرجال خدمه كبيره (شكر الله مساعى الجميع).

إنّ الوقوف على الأحكام الشرعيه من الكتاب و السنّه و سائر أدلّتها، هو الفقه الذي كان يمارسه السيد البروجردى منذ شبابه إلى رحيله، فقد قام بتدريس كثير من أبواب الفقه طيله حياته، كما درس سائر الأبواب بنفسه مرّه بعد أُخرى، و كان يتمتع بذاكره حادّه بالنسبه إلى المسائل الفقهيّه و الآراء التي دارت حولها من قبل الفريقين. و هو حين إلقائه المحاضرات الفقهيّه يتّبع النهج التالي:

١. إذا كانت المسأله ذات تاريخ عريق في الفقه الإسلامي من عصر الصحابه و التابعين و الأئمه المعصومين إلى يومنا هذا، درج في بيان سيرها التاريخي و ما مرّت عليه من مراحل تاريخيه، و لم يكن ذلك من خصائصه في الفقه فحسب، بل كان يدخل من هذا الباب في المسائل الأصوليه أيضاً. مثلاً كان قدس سره يدرس مبحث «العام و الخاص» و كانت المسأله المعنونه هي: صيروره العام مجازاً بعد التخصيص و عدمها، فخاض في لباب تاريخ المسأله حتى وصل إلى النتيجة التاليه: بأنّ المسأله عنونت في أوائل القرن الرابع، ثم ذكر الآراء من ذلك العصر إلى يومنا هذا. و هذه من خصائصه فكان يرى أنّ الإحاطه بالأقوال من أركان الاستنباط، و مع أنّه كان يمتلك أكثر الكتب الفقهيّه للفريقين مخطوطها و مطبوعها، و لكنّه كان يعتمد في نقل الآراء على كتاب «الخلاف» للطوسي و «تذكرة الفقهاء» و «منتهى المطلب» للعلامة الحلّي.

و كثيراً ما ينقل الآراء الفقهيّه لأصحابها حسب تدرّجها الزماني حتى يعلم تطور المسأله، و ربما يشير إلى مباني الآراء عند ذكرها إشارة عابره.

٢. ثمّ إنّّه بفضل التركيز على نقل آراء فقهاء الفريقين و الإشاره إلى بعض الأدلّه، كان لمنهج فقهه صبغه الفقه المقارن، فيذكر آراء الفقهاء و بعض أدلّتهم

و ربّما يصحّح و أخرى يناقش بصدر رحب، و كثيراً ما يعتمد على كتاب «الأم» للشافعي و «الموطأ» لمالك، و عند ما يجلس على منصفه التدريس يحس الطالب أنه فقيه متضلع خبير بكافة الآراء الفقهية لجميع المذاهب الإسلامية، و هذا كان من أبرز سمات منهجه، و لم يكن استيعابه للصحاح و المسانيد بأقل من استيعابه للكتب الأربعة.

٣. إن السيد البروجردى كان يقيم للشهره الفتوائيه أو العمليه-على الفرق الواضح بينهما- قيمه كبيره، فإذا كانت الروايه ممن أفتى بها القدماء من الفقهاء لم يكن يعدل عنها، بل أنه كان يتبع هذا الأسلوب فيما لو كانت هناك فتوى مشهوره بين القدماء و إن لم تعضد بالدليل، و كان يقيم الأدله على حججه الشهره الفتوائيه للقدماء بما لا مجال لبيانها.

٤. أنه قدس سره يذكر حول الروايات الوارده عن أئمه أهل البيت عليهم السلام كلمه معروفه، مضمونها كالتالى: كما أن للآيات القرآنيه شأن نزول، فهكذا لروايات أئمه أهل البيت أسباب ورود، و لا- يعلم إلا- بالرجوع إلى فتاوى الفقهاء المعاصرين لهم، فبالتعرف على فتاواهم تعرف إشارات الإمام فى كلامه و لطائف مقاله، كما تعرف بها الروايه الصادره عن مصلحه الراوى من الروايه الوارده لبيان الواقع، و كان تلاميذ الأئمه على اطلاع بكلا النوعين من الفتيا؛ فإذا وصل إليهم فتاوى الصادقين يعرفون ما هو الوارد لبيان الواقع، فيصفونه بأنه أعطاه من عين صافيه. و ما هو الوارد على وفق الواقع لمصالح اقتضت ذلك، فيصفونه بأنه أعطاه من جراب النوره.

٥. و من مميزات منهجه الفقهي فى استنباط الأحكام هو أنه كان يلتزم بقراءه كل روايه وردت حول المسأله فى و مسائل الشيعه و المستدرک و ما فى الصحاح

و السنن، و كان يقرأ كل روايه بسندها التام، و يذكر خصوصيه أكثر الرواه غير المعروفين و أنه من أى طبقه من الطبقات، و كثيراً ما يتبّه على سقوط الواسطه، أو طروء تقليب، أو تصحيف على الروايه أو يشير إلى عدد رواياته قلّه و كثره.

و فى ظل الإحاطه بالأسانيد كان يجهد فى توحيد الروايات، فيرجع الروايات المتعدده ظاهراً إلى أصل واحد، قائلاً: بأنّ التكثر طراً عليها من قبل الوسائط. و هذا كان من اختصاصاته فى الفقه.

٦. كان قدس سره يجهد فى أن يذكر لكلّ مسأله الدليل المهم الذى يمكن أن يستند إليه المجتهد، و ينأى بنفسه عن ذكر الأدلّه الضعيفه و مناقشاتهما صيانه لوقت الطالب.

هكذا كانت محاضرات سيدنا الأستاذ الراحل و منهجه الفقهى الذى أصبح فيما بعد المنهج الرسمى السائد على الحوزه العلميه فى مدينه قم المقدسه، و أمّا الكلام فى منهجه الحديثى و الخدمات التى أسداها فى هذا المضممار، فنحيله إلى وقت آخر.

ج. نشاطاته الاجتماعيه

اشاره

إنّ الإمام الراحل السيد البروجردى كان من أرومه عريقه ضربت بجرانها عبر العصور و القرون، فهو سليل الشجره الطيبه التى أصلها ثابت و فرعها فى السماء، فلا عتب على اليراع إن وقف عن سرد محاسنه و فضائله، فإنّ سيدنا المترجم فدّ فى كلّ نواحيها. و نسبه الفضائل إليه كأسنان المشط لا تفاضل بينها، لأنّه واقع فى نقطه المركز من الدائره، فخطوط الفضائل إليه متساويه، و مع ذلك نشير إلى بعض ما للسيد من نشاطات و مواقف كريمه، و ما كان يحمل من هموم الأمّه و ما قدّم لها من خدمات.

أ.دعوته إلى التقريب

كان السيد الراحل من دعاه التقريب و عماده، وقد ورث فكره التقريب عن أستاذه السيد محمد باقر الاصفهاني (المتوفى عام ١٣٤٢هـ)، و يعلم مدى دعمه لمسأله التقريب أنه قد كان للسيد مساهمه فعاله فى تأسيس دار التقريب بين المذاهب، و دعم المعتنين بتأسيسها من دون فرق بين السنّه و الشيعة، و قد كان على صله و ثققه بأخبار دار التقريب عن طريق مندوبه، أعنى: الأمين العام لجماعه دار التقريب، الشيخ محمد تقى القمى، كل ذلك يدلّ على شدة اهتمامه بأمر التقريب و لمّ شمل الأُمّه كسائر رواده من معاصريه، نظير: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (المتوفى ١٣٧٣هـ) و السيد عبد الحسين شرف الدين العاملى (المتوفى ١٣٧٧هـ) و غيرهم من أقطاب التقريب.

و لم يقتصر نشاطه على متابعه اخبار دار التقريب فحسب، بل أنه قدس سره راح يرسل شيخ الأزهر عبد المجيد سليم. لما بعث إليه برساله يستفسر فيها عن صحّته بعد ما سمع من المذيع أنّ صحّته قد تدهورت، و قد اغتتم السيد الفرصه و بعث بجواب إليه، و إليك نصّ رساله شيخ الأزهر:

حضره صاحب السماحه آيه الله الحاج آقا حسين البروجردى

سلام الله عليكم و رحمته

أما بعد: فقد بلغنا- عن طريق المذيع- أنّ صحّتكم الغاليه قد ألمّ بها طارئ من المرض، فأسفنا لذلك أشدّ الأسف لما نعرفه فيكم من العلم و الفضل و الإخلاص للحق، و إنّنا لنسأل الله جلّت قدرته أن يعجل بشفائكم، و يلبسكم لباس العافيه، حتى تتمكّنوا

ص: ٤٩١

من العود الحميد إلى نشاطكم المعهود في خدمة الإسلام و المسلمين.

و لقد شاءت إرادته الله أن أكون أنا أيضاً في هذه الفترة مريضاً معتكفاً في بيتي أحمل همّين ممضين: همّ نفسي و همّ قومي، و أطيل التفكير حالياً في حال أمتنا العزيزة، فأخذني من القلق و الحزن ما الله به عليم، فأرجو أن تسألوا الله لي العافية كما أسأله لكم، و الله يتولانا جميعاً برحمته.

إنّ الأئمة الإسلاميه الآن، أحوج ما تكون إلى رجال صادقي العزم، راجحي الوزن، يجاهدون في الله حقّ جهاده، ليدرأوا عنها غوائل الفتن، و نوازل المحن، فقد تألّبت قوى الشر، و تجمّعت عناصر الفساد، و زلزل المؤمنون في كلّ قطر من أقطارهم زلزالاً شديداً، و كأنّ قد أتى الزمان الذي أنبأ الصادق الأمين -صلوات الله و سلامه عليه و على آله و صحبه: أنّ القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر، و إنّما مثل أهل العلم من المؤمنين الصادقين كأطواد راسيه أو حصون منيعه ألقاها الله في الناس أن تميد بهم الأرض من فتنه أو جهاله، أو كنجوم ثاقبه في ليل داج، ترشد السارين، و تهدى الحائرين. فادع الله معي أن يحفظ هؤلاء و يكثر في الأئمة منهم، و ينشر عليهم رحمته، و ينزل عليهم سكينته، و يؤيد بهم الحقّ و الدين، و يهزم بهم المبطلين و الملحدين و المفسدين، إنّّه على ما يشاء قدير، و بالإجابة جدير. (١)

و السّلام عليكم و رحمه الله و بركاته

١٤ من شعبان سنة ١٣٧٠هـ

ص: ٤٩٢

١ - ١). رساله الإسلام: العدد الثالث من السنه الثالثه. و ليست هذه الرساله، الرساله الوحيدة التي تم تبادلها بين شيخى السنّه و الشيعه، بل تمّه رساله أخرى كتبها الشيخ عبد المجيد سليم إلى السيد في جواب رساله شفويه حملها إليه الأمين العام لدار التقريب، و قد نُشر الجواب على صفحات مجله رساله الإسلام العدد الثاني من السنه الرابعه عام ١٣٧١هـ.

و لما وصلت رساله شيخ الأزهر إلى السيد الراحل قام بكتاب جواب يشكر فيه عواطفه تجاهه، و قال:

حضره صاحب الفضيله الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم

شيخ الجامع الأزهر-دامت إفاضاته-

السلام عليكم و رحمه الله و بركاته

أما بعد-فقد بلغنا كتابكم الكريم الحاوى للعواطف الإسلاميه الساميه، يحكى لنا أنه لما بلغكم عن طريق المذيع أنّ صحّه هذا العبد قد ألمّ بها طارئ من المرض، أسفتم لذلك، و دعوتم الله تعالى أن يعيد له الصحه.

فأشكركم على ذلك، و أسأل الله تعالى أن يبدّل التعارف و التعاطف بين المسلمين، ممّا كان بينهم من التناكر و التداير و التقاطع، إنّه على ما يشاء قدير..

و يحكى كتابكم أيضاً، أنّه قد ألمّ بصحتكم الغاليه طارئ من المرض، كما ألمّ بى، فاعتكفتم فى البيت حاملين لهمين ممضين: همّ نفسكم، و همّ قومكم، و أنّ إطاله التفكير فى حاله الأُمّه، توجب لكم من القلق و الحزن، ما الله به عليم.

هكذا ينبغى أن يكون رجال العلم و رجال الإسلام، مهما حاقت بالمسلمين زلازل الفتن، و أحاطت بهم نوازل المحن، فأسأل الله عزّ سلطانه، أن يلبسكم لباس العافيه، و يوفقكم لخدمه الإسلام و المسلمين، و لما يوجبه الاهتمام بأمر الأُمّه فى مثل هذا الزمان، من أمثال جنابكم الذين وقفوا أنفسهم لخدمه هذه الأُمّه، و درء عوادي المفسدين و الملحدين عنها، إنّه قريب مجيب.

إنّ هنا أموراً كنت أحب إبداءها لكم، لكن حالى لا تساعدنى على ذلك.

و السلام عليكم و على من أحاط بكم من المؤمنين الصادقين و رحمه الله و بركاته.

١٧ من رمضان سنة ١٣٧٠هـ. (١)

كان السيد يترصد الفرص بين حين و حين لأن يُدعم موقف التقريب و من نماذج ذلك:

إنَّ الملك سعود بن عبد العزيز زار إيران و أرسل بهديه سنيه للسيد البروجردى، و قام السيد ببعث كتاب إلى سفير المملكة السعوديه فى طهران كإجابة لما أُهدى إليه، و قد أشار فى ذلك الكتاب إلى أنّ مسأله الحجّ من أهم مظاهر الوحده، فللمسلمين أن يؤدّوا مناسك الحج وفق الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، و إليك نصّ رسالته إلى السفير:

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام الله عليكم و رحمته

أمّا بعد: فقد بلغنا كتابكم مع السيد يوسف بو على، و معه حقيه كبيره ذكرتم أنّها تحتوى على خمس عشره نسخه من القرآن الكريم، و على قطع من حزام ستار الكعبه الشريفه، و على... و أنّ جلاله الملك أمر بإرسالها إلىّ، فتحيّرتُ فى الأمر، لأنّ سيرتى عدم قبول الهدايا من الملوك و العظماء، و لكن اشتمال هذه الهديه على القرآن الكريم و ستار الكعبه الشريفه؛ ألزمنى قبولها، فأخذت نسخ القرآن الكريم و القطع من حزام ستار الكعبه الشريفه، و أرسلت الحقيه «بما بقى فيها» إلى جنابكم هديه منى إلى شخصكم، لأنّ كون على ذكر منكم فى أوقات الصلوات و الدعوات، و لمّا كان أمر الحجّ فى هذه السنين بيد جلاله الملك؛ أرسلت حديثاً طويلاً فى صفه حج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، رواها

ص: ٤٩٤

مسلم فى صحىحه، و أبو داود فى سننه و يستفاد منه أكثر أحكام الحجاج إن لم يكن كلها، لترسله إلى جلاله الملك هديه منى إليه، و تبلغه سلامى و تحياتى، و أسأل الله عزّ شأنه أن يؤلّف بين قلوب المسلمين، و يجعلهم يداً واحده على من سواهم، و يوجههم إلى أن يعملوا بقول الله تعالى: «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا» ١ و أن يجتنبوا التدابر و التباغض و اتّباع الشهوات الموجهه لافتراق الكلمه، و أن يلتزموا بقول الله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ فى سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَياهِ الدُّنْيا» ٢.

و السلام عليكم و رحمه الله (١)

ب. مواقفه السياسيه

كان السيد الراحل منذ أوان شبابه إلى أواخر حياته ملماً بالأوضاع السياسيه التى تمرّ على المسلمين فى أنحاء العالم، و قد ابتلى المسلمون فى أواسط القرن الماضى بفتنه اليهود و إنشائهم لدويلتهم الغاصبه فى قلب الأُمّه الإسلاميه و على مقربه من أولى القبلتين، و قد كانت هذه الفكره تراود اليهود منذ عصر الامبراطوريه العثمانيه إلى أن أُتيحت لهم الفرصه فى مختتم الحرب العالميه الثانيه حيث أعانتهم القوى الكافره بتأسيس تلك الدوله الغاصبه، فأخذوا يقتلون المسلمين رجالهم و نساءهم و أطفالهم و يشردونهم من أراضيههم إلى أن أُستتبّ لهم الأمر بإنشاء دويلتهم عام ١٩٤٧م، و قد ضبط التاريخ جرائمهم فى دير ياسين و غيره ممّا يندى لها جبين البشره، و ليست جرائمهم هذه الأيام غائبه عن أعيننا فقد أعادوا

ص: ٤٩٥

وقد قام السيد البروجردى يومذاك بإصدار بيان يندد فيه بتلك الجرائم النكراء، واحتفلت بسماع بيانه الحوزه العلميه و شارك هو قدس سره ذلك الاحتفال، وقرأ البيان الخطيب المصقع الشيخ محمد تقى الاشراقى (١٣١٣-١٣٦٨هـ) و إليك نص ذلك البيان:

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله تعالى فى السّراء و الضّراء و على كلّ حال، و نشكو إليه ما لقيه إخواننا المسلمون فى زماننا هذا من المشركين بباكستان و من اليهود بفلسطين، و لقد صدق عملهم بالمسلمين ما أخبرنا الله تعالى به فى كتابه الكريم: «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّةِينَ وَ رُهْبَانًا وَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ». ١

و لكن العجب و الأسف كلّهم من صنع اليهود، فإنهم بعد ما كانوا تحت حمايه الإسلام و المسلمين قريباً من أربعة عشر قرناً، محفوظين بنفوسهم و أعراضهم و أموالهم و شعائرهم الدينيه، قد أصبحوا فى هذا الزمان ينتقمون من المسلمين ما صنعوه إليهم فى تلك المده المديده من الإحسان، فجعلوا يقتلون رجالهم الصالحين بالفتك و الغيله و القتال، و يقتلون ذراريهم، و يهتكون أعراضهم، و يخربون معابدهم و بيوتهم و لا يرقبون فيهم إلا و لا ذمه و أولئك هم المعتدون.

فنسأل الله تعالى أن ينصر المسلمين نصراً عزيزاً، و يجعل لهم من لدنه

سلطاناً نصيراً، و أن يخدّل هذا القوم الذين لم يراعوا حقّ المسلمين، و يضرب عليهم الذلّه و المسكنه، و يجعلهم أذلّ الأمم، و نرجو من إخواننا المؤمنين ببلاد إيران و غيرها أن يجتمعوا فى الدعاء عليهم بالخذلان، و لإخوانهم المسلمين بالنصر و الغلبه.

اللهم انصر جيوش المسلمين و سراياهم و مرابطيهم فى مشارق الأرض و مغاربها، و اخذل أعداءهم و فرّق بين كلمتهم، و الق الرعب فى قلوبهم، و أنزل عليهم بأسك الذى لا تردّه عن القوم المجرمين، و صلّ على أنبيائك محمد و آله المنتجبين.

حسين الطباطبائى

ج. مشاريعه الخيريّه

كان السيد البروجردى بحقّ من مصاديق قوله سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا» ١ فقد كانت له فى القلوب محبه عريقه و ود أصيل، و فى الوقت نفسه عظمه و مهابه، و كانت مهابته تملأ القلوب، و قد اكتسب ذلك الحب بخدماته الجليله طيله عمره لا سيما مشاريعه الخيريّه، فقد بُنيت بأمره و تحت إشرافه مساجد فى إيران و خارجها و مدارس علميه و مستوصفات، حتى أنّه قدس سره فى عام المجاعه فى بروجرد بذلّ جلاً ما يملك للفقراء.

و من أهمّ مشاريعه العمرانيه مسجد «هامبورغ» الذى هو ملجأ لعامة

ص: ٤٩٧

المسلمين فى تلك البلاد النائيه يقام فيه الجمعه و الجماعه، و تحضره عامه الطوائف فى مختلف الأوقات.

د. نشر الإسلام

كان السيد البروجردى على إيمان بأنّ الغرب لو أطلع على حقيقه الإسلام لرغب إليه بشوق، فإنّ الغرب و إن كان نهض ضد القيم الأخلاقيه، إلاّ- أنّ فيه رجالاً- واعين لو وقفوا على الإسلام لا-عتنقوه، و فى ظل تلك العقيدته بعث نخبه من فضلاء الحوزه إلى ألمانيا، فصار ذلك سبباً لتوثيق الصله بين جامعه قم الإسلاميه و المراكز العلميه فيها، كما بعث دعاه إلى سائر نقاط العالم.

ه. احيائه للتراث الشيعى

إنّ علماء الإماميه قاموا بخدمات جبّاره من خلال تأليف موسوعات و كتب و رسائل فى مختلف العلوم، لكن ممّا يؤسف له أنّ أكثر هذه الكتب رهينه محبسّين: رداءه الطباعه، و عدم اطلاع المحقّقين على هذه الكتب؛ فشمرّ قدس سره عن ساعد الجد و قام بنشر كثير من المخطوطات التى لم تر النور، و يمكن أن تعدّ الكتب التالیه من ثمرات جهوده على هذا الصعيد:

-«الخلاف» للشيخ الطوسى فقد طبع فى جزءين فى مجلد واحد.

-«قرب الإسناد» للحميرى.

-«مفتاح الكرامه» للسيد محمد جواد العاملى: الجزء التاسع و العاشر.

-«جامع الرواه» للأردبيلى.

-«النصّ و الاجتهاد» للسيد عبد الحسين شرف الدين العاملى.

ص: ٤٩٨

و من أهمّ ما قام به هو أنّه أشار إلى الشيخ محمد تقى القمى الأمين العام لجماعه دار التقريب أن يقوم بنشر «المختصر النافع» للمحقّق الحلى، فقد كان لنشر هذا الكتاب صدى عظيم فى الأوساط العلميه فى القاهره، حتى نفذت نسخه الناظره سته آلاف خلال شهرين. (١)

و. خلقه

كان السيد الراحل بحق إنساناً أخلاقياً، أبى النفسى، متواضعاً، خائفاً من الله سبحانه و كان فى نهايه العام الدراسى يعظ الحاضرين فى مجلس درسه و يتبدأ كلامه بتلاوه الآيه المباركه: «يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» ٢ فإذا عيناه تمتلئ بالدموع و تسيل على وجهه، و هو بعد لم ينبس ببنت شفه.

و قد بلغ من شغفه بأهل البيت عليهم السلام لا سيما الإمام الحسين عليه السلام أنّ دموعه كانت تتقاطر دون انقطاع كلما ذكر.

ز. حبه للعلم و العلماء

كان السيد البروجردى يحب العلم و العلماء من كافة الطبقات، و كان يقدم الحوار العلمى على سائر الحوارات، و مع كبر سنه إذا دخل مجلسه كبير من العلماء يقوم له احتراماً و لو بمعونه الآخرين.

ص: ٤٩٩

١- (١). انظر كيفيه نشره و مدى تأثيره فى الأوساط العلميه فى مصر، رساله الإسلام، العدد الثالث من السنه التاسعه.

و بما أنّ كاتب هذه السطور أدرك من حياه السيد قرابه خمسه عشر سنه، و تتلمذ عليه سنين عديده، فإنّه يحتفظ بذكرات عطره عنه يضيق بنقلها المجال.

هكذا كانت حياه سيدنا الراحل، فسلام الله عليه يوم ولد، و يوم مات، و يوم بيعت حياً.

جعفر السبحاني

قم- مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

٢١ رمضان المبارك من شهور عام ١٤٢١هـ ق

ص: ٥٠٠

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

